

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران - السانبا

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها



رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه موسومة بـ

تقنيات الإقناع في الخطاب الديني وآلياته التداولية

-دراسة في استراتيجية التواصل اللساني-

- الباحثة :

شيخ أعر الهواربة

- المشرف

د. أحمد عزوز

أعضاء اللجنة المناقشة:

- أ. د بكرى عبد الكرىم

- أ. د عزوز احمد

- أ. د بوعزة عبد القادر

- أ. د هنى عبد القادر

- أ. د بلبشير لحن

- أ. د عبد الله بوخلال

رئسا

مشرفا و مقررا

مناقشا

مناقشا

مناقشا

مناقشا

جامعة وهران

جامعة وهران

جامعة وهران

جامعة الجزائر

جامعة بلعباس

جامعة قسنطينة

السنة الجامعية

2015-2014

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مرعوذ بالله من الشيطان الرجيم

"لَا يُكْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا، رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ."

سورة البقرة، الآية 286

إهداء

إلى من علم وأنار.....والذي العزيز
إلى من حمّنتي بدعواتها...أمي الغالية
إلى من كان لي عوناً وسنداً... زوجي الكريم
إلى براعمي ونور حياتي....أولادي
إلى كل من أحب وخدم لغة الضاد

شكر

أقدم بالشكر الجزيل إلى:

- أستاذي المشرف الدكتور أحمد عزوز الذي أشرف على هذا العمل بكل صدق وأمانة منذ أن كان مجرد فكرة إلى أن صار على ما هو عليه، فجزاه الله عني خير جزاء.
والأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين شرفوني بتصويب ما اعوج في هذا البحث، فلهم مني كل الشكر.
و كل من ساعدني من قريب أو بعيد في بناء وإنجاز هذا العمل، وأخص بالذكر "العجوزي لمياء".

مقدمة

الحمد لله الذي نستفتح بحمده الكلام ، والحمد لله الذي حمده أفضل ما جرت به الأقلام ، والحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه على الدوام ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تأخذ بقائلها إلى دار السلام ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ومسك الختام ، أما بعد :

(أ)- التعريف بالموضوع وأهميته :

النشاط الخطابي نشاط إعلامي في حياة الإنسان ، يعبر عن إبداعاته ويرفه به عن نفسه وينشر أفكاره ومبادئه ، ويحقق به التأثير.

وإذا عدنا إلى الرسائل الخطابية الإعلامية ، فإننا نجد أنها تعود إلى أصول دينية ، فقد قامت كل الديانات على أساس المخاطبة باعتبارها عملية اتصالية إبلاغية ، وآخرها الدين الإسلامي الذي هو دين إعلامي بطبيعته ..

وتكمن أهمية الخطابة في أنها وسيلة اتصال وإعلام مباشرة ذات فعالية وتأثير ، تعتمد أساسا على المجابهة والمباشرة بين الخطيب والمتلقين من الجمهور الذي يتلقون خطابه في زمن واحد ومكان واحد وإثر ملابسات سياقية مشتركة ، فالعلاقة بينهما حضورية، وهذا يتطلب كثيرا من الجهد لتحقيق الإقناع والتأثير، لأن هذه العلاقة تجعل المتكلم والمخاطب أو أحدهما شاهد حال على ما يجري على مستوى الإنجاز الشفوي ، وشاهدا على الأحوال التي تحيط بالعملية التلفظية.

كما تعتمد على السمع ، إذ جوهرها قائم على استمالة الجمهور بمختلف المستويات (الفكري ، الثقافي.....) والأنواع (المنصت، المتظاهر، اللامبالي...) ، فهو خطاب موجه إلى العقل والقلب معا.

وتختلف سبل الإعلام والإبلاغ بتنوع المؤسسات الإعلامية وتعددتها، ومع ذلك تبقى الخطابة من أكثر الوسائل رواجاً وشيوعاً في مختلف ميادين الحياة (السياسية والثقافية والاجتماعية والدينية...) لما لها من تأثير كبير على النفس، ولما تضمه من مقومات إقناعية لها الفاعلية الكبيرة في التأثير على النفس الإنسانية.

فالخطب القرآنية كانت تلك النصوص المقدسة التي خاطب بها الله عز وجل محمدا (صلى الله عليه وسلم) رسول البشرية بواسطة جبريل عليه السلام ، ليبلغها بدوره عامة البشر بغرض نشر الإسلام في بقاع الأرض.

وقد أسس النبي (صلى الله عليه وسلم) مدرسة خطابية ذات منهج متفرد، فكانت مرجعية لمن تلاه من الصحابة والدعاة لما تضمنته من سبل الإقناع، ولما اعتمدت عليه من أدوات وتقنيات متنوعة ومؤثرة.

ومع مرور الوقت ازدهرت الخطابة وتنوعت ، فأصبحت فنا مستقلا بذاته، حتى إنها استخدمت في الفتوحات الإسلامية لإثارة الحماسة وروح الجهاد في نفوس الرعية بتحقيق التأثير في نفوسهم والدفع بهم إلى الأمام سعيا وراء بناء أمة عربية إسلامية متحدة. ولعل خطب علي - رضي الله عنه - أمير المؤمنين - أفضل دليل على ذلك.

والخطابة كانت ولا زالت وستظل من أهم أشكال الاتصال، وخاصة الديني منه، الذي يُعد حقلا مميزا في دعم الحركة الاتصالية التي تتم بين بني الإنسان، كونه يعد الرابط المشترك بينهم في كل الأوقات والأزمان لما فيه من تعاليم إسلامية تحمل الحق والصدق والموضوعية.

كما أنها تشمل رسالة تعبر عن مفهوم الدين وتشرح معانيه وأبعاده لخدمة المجتمع، وهي منسجمة مع تعاليم الدين الإسلامي تهدف إلى تبليغ رسالة إلهية ، وفق منهجية حكيمة تخاطب العقول بالدليل العلمي والحجة المقنعة والموعظة الحسنة التي تستميل العواطف وتحرك القلوب.

وتبرز فاعلية الخطابات الدينية - اليوم - في الأثر الذي يطبع صيرورة الأفراد والأنظمة والجماعات، فهي عامل مهم ومثير في تشكيل أي مجتمع من حيث صنع أفكاره وبلورتها وإبرازها على مختلف الأصعدة السياسية والثقافية والفكرية، فارضة سلطتها عليها ومهيكله بذلك على أنساقها وقيمها وحتى أخلاقها وفكرها.

فللخطب الدينية تأثير على مستوى الفرد المتلقي ،فهي تشبع حاجاته المعرفية المرتبطة بتقوية المعلومات والمعرفة، خصوصا عندما يتعلق الأمر بفهم ديننا الحنيف، وتشبع حاجاته العاطفية عندما تقوي العاطفة اتجاه حب الخالق، هذا الحب الذي يريح النفس ويزرع فيها الطمأنينة ويحقق التكامل الشخصي بالسعي إلى بناء شخصية إسلامية ملتزمة من حيث المصادقية الدينية والاستفراد الروحي والنفسي وحتى التكامل الاجتماعي، بتقوية العلاقات مع

العائلة والأصدقاء والعالم الخارجي وفقا لاستراتيجية تواصلية مبنية على مقاييس دينية مستمدة من القرآن الكريم.

والحقيقة أن وسائل الإعلام لم تقتصر - عموما - في نشر الثقافة الدينية من خلال البرامج المتنوعة، حتى إنها أوجدت قنوات خاصة لذلك في العديد من الفضائيات لمختلف البلدان العربية بغرض نشر الوعي الملتزم بالمبادئ الإسلامية الصحيحة المعتمدة على القرآن والسنة، وتصحيح الفكر الخاطيء في كثير من المسائل الدنيوية التي تستلزم في الحكم عليها الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة.

وليس غريبا أن تصبح الخطابة الدينية اليوم مادة أساسية في الحوارات الثقافية والإعلامية، إذ يستحيل تهميشه في الوقت الراهن ليس في العالم الإسلامي فحسب بل على المستوى العالمي أيضا، لأنها تحمل خطاب لا يماثل أي خطاب آخر، فهي محاطة بقدسية تحترم روحانية تستمدها من كون النص الديني في أساسه وحي من السماء.

وإن وجد قصور في الخطابة الدينية، فإن هذا لا يعني قصورا في الدين، إذ أن هناك فرقا بين الدين باعتباره وحيا ربانيا يشمل نظرية حياة متكاملة خالدة في كل الأزمنة والعصور والأماكن، وإخفاق أي خطيب في ترجمة هذه النظرية إلى واقع حضاري، إنما هو إخفاق في إستراتيجية بث ذلك الخطاب التواصلي وفق قواعد وأسس تسمح له بالوصول إلى تحقيق هدف معين.

و على هذا الأساس يدعو دعاة العرب اليوم إلى التجديد في الخطاب الديني والقصد هو التجديد في آليات الإقناع والتبليغ.

فليس التجديد منوطا بمضمون النصّ الديني الإسلامي الثابت الذي لا يجوز التلاعب فيه، وإنما هو تحديث في الأداء وفي طريقة الطرح والاستدلال والإقناع، و في الوسيلة بحيث يرتقي الخطاب الديني ويتطور إلى ما هو أفضل وأحسن.

(ب)- أسباب اختيار الموضوع :

إن أبرز ما يلفت الانتباه في الخطاب الديني هو الدور الذي تلعبه الكلمة في التأثير على السامع أو المتلقي، سواء أكانت مكتوبة أم مسموعة

وعدة ، على غرار وسائل الإعلام المختلفة التي جعلت لتلك الكلمة المنطوقة سيادة على مختلف المتلقين من الجماهير لما لها من تأثير سريع وفعال، إلا أن منبر الخطيب، يبقى يمثل قوة إبلاغية لا تضاهيها قوة، إذ ينفذ الخطاب من خلاله إلى الجمهور بشكل سريع وفعال لتوفر عنصر المواجهة بين الخطيب والمخاطبين، وقد لا يتأتى ذلك إلا بشروط تخص في مجملها كفاءات الخطيب في حسن اختيار الآليات الإقناعية والإقائنية التي تضمن له تمرير الرسالة الخطابية بنجاح.

كما أن الشمول والتنوع في الموضوعات وطريقة طرح الأفكار من شأنها أن تضيء على الخطاب الديني حيوية تجعله يحظى بقبول عال لدى المتلقي، ويتيح فرصة تواصلية بين المرسل والمستقبل، كما يمنحها النفوذ إلى أقصى زوايا التأثير لدى الجمهور. فالحقيقة إن مسألة دراسة الخطاب الديني مسألة تضع الباحث أمام عدد من المتاهات لكونه موضوعا شائكا وواسعا في الوقت ذاته، ولكن بعد الإطلاع الواسع تمكنت من تحديد الوجهة التي من خلالها سأحاول التعرض إلى الخطاب الديني، وهو الجانب الإقناعي وأثره التواصلي، باعتبار أن هذا الجانب يعد آلية تداولية أساسية في تشكيل أي خطاب ديني يرمي إلى تحقيق تواصل مميز ومستمر بين الناس.

وتنطلق نظرية التواصل اللساني أساسا من معرفة كيفية تحقيق التواصل أكثر من معرفة ما يتم إيصاله (أي بمعنى كيف يتم الإقناع أكثر من معرفة ما تم الإقناع به)، فهي بذلك تفتح بابا مهما لمعرفة الطرائق والآليات والتقنيات التي يتم بها صياغة الخطاب الذي يفضي إلى تحقيق تفاعل إيجابي بين المتكلم والمستمع، وهي كلها معطيات تداولية تؤثت الفضاء التواصلي العام بمختلف العوامل المعرفية والسياقية والنفسية واللغوية وغيرها.

وإذا كان الخطاب الديني المبتغى هو الذي يخرج الخطيب من دائرة الإبداع الأدبي والسلوك اللافت للانتباه إلى دائرة التأثير النفسي والسيطرة على شعور وفكر وسلوك المتلقين

من الجماهير والظفر بتأييدهم، فإنني ارتأيت أن يكون بحثي يتمحور حول دائرة تحديد الآليات والتقنيات المتبعة في تحقيق الإقناع والتأثير، وحتى تكون الدراسة أكثر منهجية وإفادة تناولت الخطبة المنبرية أساسا لدراستي.

فمن منطلق إخضاع الخطابة الدينية للدراسات التداولية المعاصرة والتطبيقات الميدانية في إطار البحوث الأكاديمية اخترت هذا البحث الموسوم بـ: «**تقنيات الإقناع في الخطاب الديني وآلياته التداولية - دراسة في استراتيجية التواصل اللساني-**».

(ج)- إشكالية البحث :

وقد تم اختيار هذا الموضوع استنادا إلى الإشكالية الرئيسية الآتية:

- ما هي الإستراتيجية الإقناعية بشتى أنواعها اللغوية وغير اللغوية والتعبيرية والأسلوبية والإلقائية و.... التي لا بد أن يتبعها الخطيب الديني حتى يحقق عملية اتصالية فعالة وناجحة؟
و تتفرع أسئلة أساسية من هذه الإشكالية هي كالاتي :

- ما هي المقومات الإقناعية التي لا بد للخطيب من أن يقف عليها عند وقوفه على المنبر ليؤدي وظيفة إعلامية مرتبطة بقديسية، تقف على العصب الحساس الذي يحرك ضمائر الجماهير باستغلال الخطابة كأداة تجسد سلطة إعلامية بإمكانها أن تفعل ما قد تعجز عن فعله أي أداة إقناع أخرى ؟

- هل الخطيب هو المسؤول على نجاح الخطاب أم يشاركه المتلقي جزءا من المسؤولية؟ وكيف ذلك؟

- ما هي مقومات ومهارات الأداء الخطابي الناجح ؟ وما أثر العوامل اللسانية وغير اللسانية في التأثير على المتلقين ؟.

- ما هي مميزات الخطاب الديني الناجح ؟ وما هي الآليات التي تجعل الخطاب أكثر جاذبية؟
- كيف يكون الخطيب المتكلم قادرا على إقناع مستمعيه في كل الظروف ؟ وما هي الوسائل المعتمدة في ذلك ...

أو بمعنى آخر :

هناك الخطاب السياسي، والفني، والاقتصادي، والرياضي، والإعلامي والاجتماعي،والخطاب الديني المنشود اليوم هو ذلك القادر على مواجهة كل الموجات المعاصرة من

عولمة وفضائيات... وما إلى ذلك. وهو القادر أيضا على التوغل في النفس والعقل معا، لذا يفترض في الخطيب أن يكون واعيا بذلك حتى يستطيع النفاذ بتأثيره وسط الموجات الهائلة من ألوان الخطابات.

(د)- الدراسات السابقة :

لقد اهتمت دراسات سابقة بالخطاب الإسلامي باعتباره خطابا مقدسا يحمل أهدافا تربوية وتعاليم ترسخ العقيدة الصحيحة عند أفراد المجتمع ، من هذا المنطلق كانت البحوث الكثيرة، إذ اهتمت بالجانب التربوي التقويمي ، وبقيت الدراسات اللغوية والتداولية التطبيقية بعيدة عنها منها «الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية»، محي الدين عبد الحليم، المسؤولية الإعلامية في الإسلام"، محمد السيد محمد... "

كما تناول العديد من الأساتذة موضوع الخطاب الديني في مقالات متنوعة في المجالات

الأكاديمية منها : " المدرسة القرآنية وأثرها في تقويم النظام التربوي " سليمان نصر " " نحو إستراتيجية مستقبلية للتربية الإسلامية "، شفيق جاسر أحمد، " الإعلام الإسلامي " وهذان عز الدين زراي.....

وهذا لا ينفي وجود دراسات سابقة تناولت "الإقناع" بوجه عام ، أين حاولت تعريفه وتحديد أشكاله ، مثل " كيف تقنع الآخرين " عبد الله محمد الغوشن ، " فن بلاغة الخطاب الإقناعي " ، محمد العميري ، " قوة الإقناع " ، لعل الحمادي الدروسي ، "استراتيجيات الخطاب بمقاربة لغوية تداولية" عبد الهادي بن ظافر الشهيري ، " عندما نتواصل نتغير، مقارنة تداولية لمعرفة آليات التواصل والحجاج"، عبد السلام عشير، حيث عمد الدارسون إلى تحديد مفهوم الإقناع وأشكاله والآليات المؤدية إلى تحقيقه بشكل عام في أي شكل من أشكال الخطابات.

كما تناولت دراسات أخرى موضوع "الإلقاء" باعتباره آلية من آليات تحقيق الإقناع مثل

صنيع " فن الإلقاء الرائع"، لطارق سويدان، و" فن الإلقاء العربي والتمثيلي"، لفاروق سعد. كما عثرت أيضا على بعض الرسائل والأطروحات الجامعية، التي أفادتني في توجيه بحثي منها رسالة الماجستير " الخطاب الديني وإستراتيجية التواصل دراسة في فن الإلقاء، للباحث بلحزري بلوفة، تطرق فيها إلى الإلقاء ومكوناته وأسسها، ورسالة " التشكيل اللغوي

ومهارات الإلقاء للخبر التلفزيوني"، حميدي زهور، ورسالة دكتوراه "سياق الحال في الفعل الكلامي مقارنة تداولية"، بن يمينه سامية.

واتضح لي بعد هذه البحوث عن الإقناع والإلقاء أنها لا تزال بحاجة إلى الإستفاضة والتوسع والاعتماد فيها على التطبيق أكثر من التنظير، خصوصا ما يتعلق بالخطاب الإسلامي- بالتحديد - وضرورة إخضاعه للدراسة والتنقيب.

هـ- أهداف البحث :

- وبناء على الطرح السابق يمكن تحديد الأهداف الرئيسية التي يرمي إليها البحث كالآتي:
- التعرف على الظروف والعوامل التي تشترك في تحقيق فاعلية الخطاب الديني.
 - إبراز الآليات التي تساعد الخطيب على تفعيله مع المتلقين بتبيين درجة تأثيره في الجماهير، ومدى قدرته على تحقيق مقصديته.
 - تحديد الطرق الأنجع والأكثر جدية في إنجاح العملية التفاعلية (الاتصالية) بين الخطيب والجمهور، وذلك بالتغلغل في الأفكار والسلوكيات والعواطف، ودراسة الظروف المحيطة به (الجمهور، الزمان، المكان.....) وديناميكية حراكها.
 - تحديد مختلف الشروط التي لا بدّ من توفرها في الخطبة والخطيب ومختلف العناصر الاتصالية التي من شأنها أن تحول دون مسألة عدم دوام تأثير الخطاب، أو بمعنى آخر انقطاع سيرورة العملية الاتصالية وفشلها.
 - تحديد مختلف المهارات والقدرات (اللغوية والمرئية) التي يلتزم بها الخطيب حتى يحقق اتصالا لسانيا ناجحا، لأن الاتصال لا يسمى اتصالا تخاطبيا ناجحا إلا إذ أدرك وفهم المتلقي معنى الرسالة، وحدد المقصود منها، وحدث وقع منها في نفسه، وظهر ذلك في سلوكه.
 - تبين "سياق الحال" وأثره في الفعل الكلامي أثناء العملية الخطابية.
 - الانطلاق من الدراسة التطبيقية الميدانية عن طريق دراسة خطب دينية منبرية مسجلة من قنوات تلفزيونية، إضافة إلى تسجيل خطب مسجدة (منهج دراسة حالة) حتى يتاح لي المجال لدراسة الخطيب والمخاطب في آن واحد.

(و)- خطة البحث :

وزع هرم البحث على خمسة فصول، أربعة نظرية مدعمة بالأمثلة والشواهد من خطب دينية مسجلة من التلفزيون، وفصل خامس تطبيقي (دراسة حالة) ،مصدرة بمقدمة ومدخل .
عرفت في المقدمة الموضوع وأسباب اختياره وطرحت الإشكالية وخطة البحث والمنهج المتبع، وحددت بعض المفاهيم الأساسية الواردة فيه.

أما المدخل فعنوانته ب"الخطاب الديني، واقعه و تحدياته " وقد تناول ثلاثة عناصر :
أولها « واقع الخطاب الديني في ضوء الرهانات المعاصرة » أين تعرضت لأسس هذا الخطاب، وأوضاعه في الساحة العربية بشكل عام وسط الغزو الفكري المعاش وما يواجهه من أزمات متعددة.

وثانيها « الخطاب الديني في وسائل الإعلام » ، بينت مختلف الوسائل الإقناعية المستخدمة في بث الخطاب الديني وعلاقته بالدعوة، وتحديد مختلف التحديات التي تشكل عائقا يحول دون العملية الإقناعية الناجحة . وآخر عنصر جاء معنونا بـ « آليات تجديد الخطاب الديني في الواقع المعاصر » أين تعرضت لخصائصه، وما يقصد بمقولة (تجديد الخطاب الديني) ، وما يجب أن يحققه باعتباره خطابا يرتكز أساسا على الإقناع.

أما الفصل الأول : فوسمته بـ " التواصل الخطابي مفهومه، بواده، عناصره".
وقسمته إلى مبحثين: أما الأول فقد ضم مفهوم الخطاب والخطابة في الثقافتين العربية والغربية ومراحل تأسيس الخطاب الديني ، ابتداء من أوليات الخطاب العربي الجاهلي إلى غاية مرحلة ما بعد صدر الإسلام .

أما المبحث الثاني فاشتمل على ثلاثة عناصر " الاتصال الخطابي" مفهومه ووظائفه و"عناصر الاتصال الخطابي" و "نموذج الاتصال الإسلامي (الخطاب الديني)".

أما الفصل الثاني: فعنوانته بـ "في أساليب الخطب الدينية ومضامينها".
أما المبحث الأول : فتعرضت فيه إلى "مراحل الخطبة" بداية من تحليل الجمهور فالمحيط فالزمان والمكان، انتهاء بتحديد الهدف واختيار الموضوع، ثم انتقلت إلى « مراحل بناء الخطبة » فتناولت شروط المقدمة والموضوع والخاتمة، لانتقل في المبحث الثاني إلى "طبيعة الخطب الدينية ودرجة تأثيرها"، فتعرضت إلى الخطب الارتجالية والمعدة مسبقا

والمبدعة والمكررة، ثم عالجت "طرق جذب الانتباه" في المبحث الثالث بشتى أنواعها (الاستدلالات، القصص ، الأمثال، الأقوال المأثورة ، الطرائف.....) بشيء من التفصيل.

أما الفصل الثالث: فتناولت فيه « مقومات الإقناع والإلقاء في الخطاب الديني »

فتعرضت إلى الشقين في مبحثين منفصلين ، الأول "الإقناع" : تعريفه لغة واصطلاحاً، ثم بينت فعالية إستراتيجية الإقناع وأهمية الخطيب وأثره الإقناعي ، ثم انتقلت إلى تبين مقومات الإقناع بشتى أنواعها فكانت منها العقلية والأخلاقية والشكلية والأسلوبية... الخ

أما المبحث الثاني فكان عن "الإلقاء"، فإن كان عنصراً من عناصر الإقناع إلا أنني ارتأيت دراسته في مبحث خاص باعتباره مرتبطاً بالجانب الصوتي دون سواه، فكان مفهومه، ونشأته، وصفات الملقى الإلقائية، والعيوب النطقية وأثرها على العملية الخطابية، لتعرض بعد ذلك إلى قواعد ومهارات فن الإلقاء فكان الإعراب، وتقطيع الكلام والإيقاع والنبز والتنغيم... مدعماً بالأمثلة والشواهد.

وكان الفصل الرابع: « التعبير اللساني ومقصديه الخطاب الديني » أما المبحث الأول

كان في الاتصال اللفظي ، فتناولت موضوع اللغة المنطوقة وأهميتها وأثرها الإقناعي واللغة غير المنطوقة، أين بينت العلاقة التكاملية بين النوعين ومظاهرهما، وأوجه التشابه والاختلاف بينهما.

أما المبحث الثاني فكان مرتبطاً بالعوامل المؤثرة في الخطاب الديني، أين تناولت الأثر السياقي في تحديد مقصدية الخطاب، وتعرضت فيه إلى السياق وأنواعه وأهميته وأثره في تحديد المعاني والدلالات في الخطاب الديني، ثم اللغة "الخطابية والإطار الدلالي" أين تعرضت للفظ والمعنى وأهمية العلاقة بينهما في تحديد مقصدية الخطاب بتحديد أنواع الدلالات في الخطاب الديني، لأنتقل بعد ذلك إلى عنصر أخير من المبحث والمعنون بـ "الأساليب البلاغية والبيانية وأثرها الإقناعي" أين تناولت مختلف الإستراتيجيات المتداولة في الخطاب الديني والتي تفيد الإقناع (منها التضامنية ، التوجيهية ، التلميحية).

أما المبحث الثالث والأخير من الفصل الرابع ، فكان مرتبطاً بالاستراتيجية التلميحية وأثرها في تحقيق الإقناع ،. لأن المجاز من أكثر الأساليب المتداولة في الخطاب الديني ، اقتداء بالخطاب القرآني ارتأيت التعرض له في مبحث خاص فكان اللفظ والمعنى في

التركيب المجازية، ثم علاقات الارتباط المنطقي في الكلام وإسقاطها في المجاز، لأصل بعد ذلك إلى تبين أثر المجاز في العملية الخطابية بتبيين مقصديه الكلام والتلقي بين الفهم والغموض ، وأثر الفصاحة فيه.

أما الفصل الخامس والأخير: فهو دراسة تطبيقية للخطاب الديني، إذ يعتبر هذا الفصل دراسة للأراء الواردة في الفصول السابقة وتأكيدا لمصادقية كل ما جاء فيها، إذ تدرس فيه خطب دينية تلقى في أيام الجمعة، (دراسة حالة) وطيلة فترة زمنية معينة (4 أشهر) لتبين خصائص بنيتها اللغوية والآليات الإقناعية المعتمدة فيها، حيث تم اختيار المدونة وتسجيلها بالصوت والصورة على أقراص مضغوطة، ودراستها وفق مقارنة تداولية من مختلف الجوانب (اللغوية والإقناعية والإلقائية والدلالية والأسلوبية...)

وقد ارتأيت أن تكون الخطب المدروسة منبرية يمثلها المسجد ، لأنه في مثل هذا السياق يمكن احتواء الظاهرة اللغوية التفاعلية التي تتم بين الخطيب والمتلقين ببسر وسلاسة من جهة ، كما يسمح لي الوضع أيضا بإجراء مقابلات كتابية (استمارة استبيان) و شفوية مباشرة مع عدد من المتلقين من جهة أخرى بغية إغناء الدراسة وإكسابها المصادقية والواقعية.

أما الخاتمة فحوت مجموع النتائج التي توصل إليها البحث.

ذ- المنهج المتبع في البحث:

واقتضت طبيعة الموضوع كما هو ملاحظ أن أتبع المنهج الوصفي التحليلي من جهة ، وأرتكز أساسا على المنهج التداولي باعتباره مقارنة تدرس اللغة في تجليها الحقيقي، أي في استعمالها، وذلك بالاعتماد على الأدلة والشواهد المستنبطة من الخطب الدينية المسجلة بالصوت والصورة ، والتي تعكس تداولية الخطاب الديني باعتباره عملية اتصالية بالدرجة الأولى.

ط- صعوبات البحث :

وقد واجهت أثناء إعداد هذا البحث صعوبات جمة، أهمها وأشكلها كانت مرتبطة بالجانب التطبيقي، (الفصل الخامس):

-أولها أن العديد من أئمة المساجد لم يسمحوا لي بتسجيل خطبهم المنبرية بالصوت والصورة، وذلك لخفيات غير مبررة.

- ثانيها أن هذه الدراسة متعلقة بخطب "الجمعة" وهي مرتبطة بجنس الذكور، هذا ما شكل لي صعوبة "كبيرة" إذ من غير الممكن أن أتوغل شخصيا في المواقف باعتباري "أنثى" (إلا مع فئة النساء)، مما جعلني أبذل جهدا ووقتا أكبر في هذه الدراسة، وأستجد بالمقربين مني من الذكور (زوجي ، إخوتي...) لمساعدتي في الإحاطة بكل جوانبها (تسجيل الخطب بالصوت والصورة، تسجيل المتلقين في وضعية الإنصات، إجراء المقابلات المكتوبة والمسموعة معهم ومع خطيب الحالة).

(ي)- تحديد المفاهيم :

- تقنيات الإقناع :

التقنية من أئقن الشيء : أئقنه، وإئقانه إئقانه، وإئقانه الإئقانه للأشياء...ورجلٌ ئقنٌ وئقنٌ: ئقنٌ للأشياء حادئقٌ بها".¹

والتقنية هي الطريقة المحكمة المتقنة الحاذقة المتخذة لتحديد مقاصد معينة.

وإقناع هو الإرضاء²، وهو كسب تأييد الأفراد لرأي ما أو موضوع معين أو وجهة نظر ما ، وتكون إما عن طريق الاتصال اللفظي أو الكتابي³، فهو تلك العملية القائمة على التأثير على قيم وآراء ومعتقدات وسلوك الأشخاص، أو بمعنى آخر "هو تأثير سليم ومقبول على القناعات لتغيرها جزئيا أو كليا من خلال عرض الحقائق بأدلة مقبولة واضحة"⁴، فالإقناع كتقنية يشكل ظاهرة تتجلى من خلال قدرة الفرد على التعبير بصدق عن أفكاره ومشاعره وآرائه بطريقة تحقق الإفادة والتأثير عند المتلقي.

¹ "اللسان العرب" ابن المنصور ، تح ياسر سليمان ومجدي فتحي ، المكتبة الوقفية، القاهرة، مصر ، (ج2) ، مادة "ئقن" ص 44.

² "الإعلام الإسلامي" ، إبراهيم إمام ، مكتبة الأنجلوا المصرية، ب ط ، 1980 ، ص 57.

³ ينظر ، "تنمية مهارات التواصل الشفوي" ، " التحدث والاستماع" ، دراسة عملية تطبيقية ، محمد عطية أبو صواوين إئراك للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط1، 2005، ص 203.

⁴ "بلاغة الإقناع في الخطاب المسجدي" ، طاهري لحسن، صوت المجلس، نشرة علمية تواصلية بصدرها المجلس العلمي المحلي بصفروا ، المغرب ع 1 ، السنة 1 جمادى 2 / 1431 ، ماي 2010 ، ص 93.

ولا شك أن كلمة تقنية وكلمة إقناع تحمل في سياق دراستي معنى خاصا لارتباطهما بالخطابة الدينية، باعتبارها رسالة ذات مضمون فكري له أهدافه ودلالاته المؤثرة والباعثة على التشكيل في الفعل اللساني لدى المخاطب.¹

- الخطاب الديني :

عندما أنسب الخطاب في هذه الدراسة إلى الدين ، فأنا أقصد الدين الإسلامي قطعا وإن كان يسمى الخطاب غير الإسلامي خطابا دينيا، كالخطاب الديني النصراني، واليهودي و... كما أنه ليس المقصود بالخطاب الإسلامي (الديني) "الإسلام" ممثلا بنصوص الوحي من القرآن والسنة، (النص الديني) لأنه رسالة كاملة شاملة لكل ما يحتاج إليه البشر عبر مختلف الأزمنة والأمكنة.

وإنما القصد هو "خطاب المسلمين" أفرادا وجماعات الذي يمثل فهمهم للإسلام وقراءتهم نصوصه ونطقهم أفكاره ومفاهيمه وتعاليمه وآدابه وحكمه وتشريعاته.²

- الآليات التداولية :

والتداولية* هي المعرفة الشاملة بالآخر والعميقة بمكونات عملية التخاطب، لإدراك المقصدية والهدف من الأفعال الكلامية³ وممارسة الخطاب الديني كونه خطابا إبلاغيا

¹ ينظر "مقومات النهوض الإسلامي بين الأصالة والتجديد"، عامر الكفيسي دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 ، 2006 ص 135.

² ينظر " المرجع نفسه" ، ص 135.

³ ينظر، " اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم"، خليفة بونجادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 63 وما بعدها.

* يعود مصطلح التداولية إلى الفيلسوف "تشارلز موريس"، وهي دراسة علاقة العلامات بمستعملها وبمؤوليها، وهو منهج عمد إليه الباحثون نتيجة قصور الدراسات الشكلية (النحو ، التركيب، الدلالة) وإهمالها لمقاربة اللغة في تجليها الحقيقي، أي في الاستعمال التواصلي بين الناس، واكتسبت التداولية عددا من التعريفات، بناء على مجال اهتمام الباحث نفسه " دراسة المعنى في سياق التواصل"، أي معنى المتكلم، فتعرف بأنها دراسة المعنى التواصلي، أو معنى المرسل، أو الاهتمام بتحديد مراجع الألفاظ وأثرها في الخطاب بما في ذلك طرفي الخطاب، وبيان دورهما في تكوين الخطاب ومعناه، كما قد تعرف التداولية من وجهة نظر المرسل بأنها كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجهه عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية في ضوء عناصر السياق بما يكفل له تحقيق الهدف، ومن هذه الرؤى المتعددة تغدو التداولية "دراسة الاتصال اللغوي في السياق"، ينظر " استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية "، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، دار الكتاب الجديدة ،لبنان، 2004، ص1، 22.

** الآلية من " الآلة وهي الأداة والجمع الألات والآليات ، والآلة ما عتُمَلَتْ بهِ مِنَ الأداة " ، "لسان العرب"، ابن منظور ج1، مادة "أول"، ص 326.

تواصلها ، هو ممارسة تداولية في صميمه، لأنه يركز على تحقيق المقصدية التي لا تظهر إلا من خلال اتصال لغوي لساني في مقام معين تحكمه سياقات معينة.

و يهتم هذا البحث بدراسة اللغة التي يستعملها الخطيب الديني في عملية التواصل وعوامل المقام المؤثرة في اختيار آليات* معينة دون أخرى، أي أدوات معينة ومحددة للتعبير عن الهدف ، فالمعرفة الشاملة والعميقة بالآخر وبمكونات عملية التخاطب هي دراسة اللغة في سياقها المادي والمعنوي (سياق الحال)، وهو ما أرمي إلى تحديده انطلاقاً من علاقة العلامات اللغوية بالناطق بها وبالمتلقي، وبالظواهر النفسية والسياسية والاجتماعية... الموافقة لاستعمال العلامات (اللغوية وغير اللغوية) وتوظيفها في ذلك الموقف، وذلك هو البعد التداولي.

لأن الدرس اللغوي التداولي يدرس المنجز اللغوي في إطار التواصل، وليس بمعزل عنه، فاللغة لا تؤدي وظائفها إلا فيه، ولأن الكلام يحدث في سياقات معينة، فمن المهم معرفة تأثيرها على نظام الخطاب وفائدته.¹

- الإستراتيجية :

أ- في المفهوم العام : هي طريقة محددة لتناول مشكلة ما أو القيام بمهمة معينة، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غاية ، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة والتحكم فيها.

فهي خطة في المقام الأول للوصول إلى غرض منشود، وهي ذات بعدين :

- أولاً: تخطيطي يتحقق في المستوى الذهني.

- ثانياً: مادي والذي يجسد الاستراتيجية ليتبلور فيه الهدف ، ويرتكز العمل في كلا البعدين

على الفاعل، فهو الذي يحلل السياق ويخطط لفعله، ليختار من الإمكانيات ما يفي بالغرض.²

أ- في التواصل اللساني (الخطاب) : إن المرسل لا ينتج خطاباً تواصلياً دون انخراطه في

سياق معين، كما لا يتجلى دون استعمال العلامات المناسبة (اللغوية منها وغير اللغوية)،

وفقاً لما يناسب مقتضياته، وهذا التنظيم عند التلفظ بالخطاب هو ما يسمى باستراتيجية

¹ ينظر "اللسانيات التداولية" ، خليفة بونجادي، ص 63-84.

² ينظر "استراتيجيات الخطاب" ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، ص 56.

الخطاب ، وهذا يعني التخطيط الذي يحتم على المرسل اختيار استراتيجية مناسبة له في التعبير عن قصده وتحقيق أهدافه¹ .

- **القصد** : يتردد الإنسان في إطلاق صفة الفعل على شيء إذ لم يكن نتيجة لقصد الفاعل، ولهذا لا يسمى الفعل فعلا ما لم يصاحبه القصد، وقد تعددت دلالات مفهومه في المعالجات النظرية ، فهو دال على : - **الإرادة** - **معنى الخطاب**. - **هدف الخطاب**.
ومن هذا نستطيع أن نصنف القصد إلى دالتين هما :

أ- **القصد بمفهوم الإرادة**: إذ يؤثر القصد بمعنى إرادة فعل الشيء في الحكم على الفعل نفسه، فتصبح الأفعال تابعة للمقاصد لدى فاعلها.

ب- **القصد بمفهوم المعنى** : فالمقاصد هي المعاني التي تتفاوت من حيث علاقة القصد بالدلالة الحرفية للخطاب، إذ يمكن للمرسل أن يعبر عن مقاصده من مستويات اللغة المتعددة، ومنها التّغيم والنبر الذي يعطي **الدلالة القصديّة**، إضافة إلى عناصر السياق التي لها دور كبير في تحديد القصد، وبذلك تحديد **معنى الخطاب**².

- **التواصل اللساني** :

هو ذلك التبادل الكلامي بين "متكلم" يصدر **ملفوظا** نحو "متكلم" آخر يرغب في السماع، وتكون فيه **اللغة المنطوقة** اللفظية المباشرة هي الوسيلة، أي أنه تواصل يحدث فيه التبادل الكلامي بين الخطيب وجمهوره بالطريقة **المباشرة** وبالمواجهة بينهما، أين تكون الاستجابة إما ظاهرة (لغوية) أو ضمنية (حركات وإشارات)³

فموضوع هذا البحث قائم على دراسة الآليات الإقناعية المرتبطة بالتواصل اللساني التي يتم بها التواصل شفويا بين الخطيب ومتلقيه ، وأقصى من الدراسة التواصل المكتوب.

¹ ينظر " استراتيجيات الخطاب " ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري ، ص56.

² ينظر ، " المرجع نفسه " ، ص 195.

³ voir, « Jean du bois, dictionnaire de l'inguistique, librairie la rousse, 1973, p 96.

وفي الأخير لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الدكتور أحمد عزوز الذي رعاني في هذا العمل ، ولم يدخر وسعا في توجيهي وإفادتي بملاحظاته الدقيقة حتى استوى هذا البحث على شكله ، نسأل الله له حسن الجزاء والثواب .
وإنه لمن دواعي الفخر أن أستتير أكثر من ملاحظات السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة في تصويب ما اعوج من هذا البحث ، فلهم مني كل الشكر والتقدير.
كما لا يسعني إلا أن أقول: هذا البحث هو محاولة جادة، فإن كانت صائبة نافعة فمن الله ، وإن كانت غير ذلك فمن نفسي ومن الشيطان، فحسبي أنني اجتهدت وأخلصت النية والله من وراء القصد له الكمال وحده، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وهران يوم: 2014/04/09

الباحثة: شيخ اعمر الهوارية

مدخل

I- واقع الخطاب الديني في ضوء الرهانات المعاصرة

II- الخطاب الديني في وسائل الإعلام (المرئي والمسموع)

I- آليات تجديد الخطاب الديني في الواقع المعاصر

I- واقع الخطاب الديني في ضوء الرهانات المعاصرة:

إن الخطاب الديني - أي الإسلامي هو كل النشاط العلمي و الفكري والسياسي والممارسات الفعلية ضمن إطار الدولة والمجتمع، والتي تتحرك ضمن أصول وأوامر ومبادئ الدين الإسلامي.¹

وعليه فالنص القرآني، هو الرسالة التي نزلت من فوق سبع سماوات، لتنظيم علاقات البشر مع خالقهم، و مع أنفسهم و غيرهم، "فالدين...وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات وهو...خبرة وعلم واتجاه وسلوك وممارسة عملية، تتعاون جميعها على بناء شخصية الفرد لكي يصبح لبنة قوية في بناء صرح مجتمع سعيد"².

فالخطاب الديني يحدد المصلحة من المفسدة، والمستقيم من المعوج، والخطأ من الصواب، وهو الميزان الذي يفصل بين الحق والباطل، لأنه "تعاليم أخلاقية و إرشادات و نظم اجتماعية، وتهذيب للأرواح، وتسليية للنفوس و طهارة لها"³.

وبناء على ما سبق ، فما واقعه اليوم في ضوء الرهانات المعاصرة ؟ وقبل ذلك ، تجدر الإشارة إلى عناصر أساسية لهذا الخطاب، والتي ترتبط به ارتباطاً وثيقاً و تلازمه إلى حد عدم الانفصال والمتمثلة في:

1- القرآن الكريم: و هو نص الإسلام المنزل على محمد (ص) وهو ما نقل إلينا بين

دفتي المصحف بالأحرف السبعة نقلاً متوثراً⁴، و هو كلام الله عز وجل، والمصدر الأول

¹ ينظر "الخطاب الديني في الجزائر" عتيق العربي، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة وهران- السانبا ، إشراف العلوي أحمد، سنة 2001-2002، ص24.

² "الطرق الخاصة في التربية الدينية" عبد الهادي عبد الوهاب، مجلة همزة وصل، مجلة التكوين و التربية ع 8، 1974-1975 ص 29.

³ "حاجة البشرية إلى التشريع السماوي"، عبد الرحمن الجيلالي، مجلة الأصالة، مجلة ثقافية، السنة التاسعة مارس، أبريل، ماي، جوان، ع 80/79-81/82 ص 54.

⁴ "الأحكام في أصول الأحكام"، سيف الدين الأمدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1 مجلد1، ص137.

للتشريع قال تعالى: " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا"¹.

و مما لا شك فيه أن القرآن "... هو الأصل الذي تدور حوله الاجتهادات المختلفة للفهم الديني"² و هو الذي "...امتاز بأسلوب تصويري عجيب في إيصال المعاني متجسدة، فأذهل أرباب البلاغة وهال سلاطين البيان، ووجدوا أنفسهم أمام خضم زاخر من القول المعجز الذي ما إن تصافح كلماته أسماعهم حتى تمس شغاف قلوبهم وتستقر في أذهانهم بما تضمنت من معان صفت من معان قيمة مفاهيم جديدة"³.

و على الرغم من أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فإنهم تفاوتوا في فهمه والإحاطة بما ورد فيه من معان ومفردات، وتراكيب تفوق قدرتهم على استيعاب جمال وبلاغة وبيان لغته⁴.

1-2 السنة النبوية: هي أقوال النبي (ص) و أفعاله و تقريراً ته⁵ و"هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي و هي تلي الكتاب العزيز في الرتبة من حيث الاستدلال بها على الأحكام الشرعية و استنباطها منها"⁶.

ف "هي كل ما صدر عن الرسول (ص) من قول أو فعل أو تقرير"⁷ ، ويستدل بها للاستدلال بالقرآن، لا فرق بينها من ناحية الاحتجاج، قال تعالى: " فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا"⁸، ويكون الرد بعد وفاة الرسول (ص)، باتباع سنته من بعده، قال تعالى " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"⁹.

¹ سورة الإسراء ، الآية 9.

² "الفكر الديني في مواجهة العصر، دراسة تحليلية لاتجاهات التفسير في العصر الحديث"، عفت الشرقاوي ، دار العودة بيروت، ط-1979 ، ص 56.

³ "دراسات في أدب العصر الجاهلي وصدر الإسلام"- عبد الرحمان صيام، سلسلة اللغة والأدب، تصدر عن ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 311.

⁴ ينظر، "الفكر الديني في مواجهة العصر"، عفت الشرقاوي، ص 18.

⁵ ينظر، "أصول الفقه"، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ب ت ، ب ط ، ص 98.

⁶ "أصول الفقه إسلامي"، أحمد فراج حسين ، ص 36.

⁷ "الأحكام في أصول الأحكام، سيف الدين الأمدي، دار الكتب العلمية"، بيروت، لبنان ، ط1، 1985 ص 145.

⁸ سورة النساء، الآية 59.

⁹ سورة الحشر، الآية 07.

3-1 الإجماع: هو اتفاق المجتهدين من أمة محمد (ص) في عصر من العصور بعد وفاته على حكم شرعي.¹ ، فهو الدليل الذي يلي النصوص في القوة والاحتجاج، وهو في مرتبة تلي النصوص وليس قبلها، وهو يعتمد عليها.² ، لأنه... اتفاق المجتهدين من الأمة الإسلامية بعد النبي على حكم شرعي في أمر من الأمور العملية، وقد أجمع علماء المسلمين على اعتبار الإجماع حجة³.

4-1 القياس: "هو بيان حكم أمر غير منصوص، على حكمه بإلحاقه بأمر معلوم حكمه بالنص عليه في الكتاب و السنة"⁴، أي أن الحكم الشرعي يعرف إما بالنص، و هو ما عبر بأن الحق فيه بعينه، و إما أن يكون بتحري مقاصده و ذلك يكون بالقياس.

2/ اللغة العربية: إن للغة العربية علاقة خاصة بالدين الإسلامي، تتميز بها عن علاقة سائر اللغات في العالم بدياناتها السماوية أو الوضعية، ويعود السبب الأول لهذه العلاقة :
-إلى نزول القرآن باللغة العربية، وما نجم عن ذلك من تقديس المسلمين لهذه اللغة.
-ارتباطها ارتباطاً قوياً بالإسلام كونها الوسيلة الوحيدة لفهمه من جهة، والوسيلة الوحيدة للمحافظة عليه من جهة أخرى.⁵

فاللغة العربية لغة الإسلام ووعاء أفكاره و معارفه، و هي جزء جوهري من إعجاز القرآن، والذي لا يكون قرآناً إلا بها، و نحن متعبدون بلفظه قال تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"⁶ و لإجتهااد إلا بها، لأن النصوص الشرعية جاءت من عند الله بلفظها، و لهذا فمن الواجب أن تكون اللغة العربية هي التي يقوم عليها الخطاب الإسلامي لأنها "لغة غير قاصرة على احتواء المعارف .. كما أنها لغة متطورة و متجددة و صامدة"⁷.

فالقرآن الكريم هو معجزة محمد (ص) و جاء تحديداً للعالمين قال تعالى: " قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

¹ "من أصول الفقه الإسلامي"، أحمد فراج حسين و عبد الودود أحمد السيريني ، ص 60 و لمزيد من المعلومات حول الإجماع، أركانه، أنواعه، الأدلة... إلخ ينظر "المرجع نفسه" ، ص 60-72.

² "أصول الفقه" الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ب ت، ب ط ، ص 184.

³ ينظر "المرجع نفسه" ، ص 185.

⁴ "أصول الفقه"، محمد أبو زهرة، ص 204

⁵ ينظر "العلاقات الأبدية بين الإسلام و العربية" أحمد بن نعمان، ص 69.

⁶ سورة الزخرف، الآية 3.

⁷ "اللغة العربية و تحديات العصر" نصر الدين قباوة، مجلة الآداب و العلوم الاجتماعية تصدرها كلية الآداب و العلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس، سطيف 1 ع 1 أبريل 2004 ص 8 وما بعدها.

ظهيراً¹ و نحن نعلم أن الإعجاز ظهر في كيفية صياغة هذا الفكر الراقى بهذه اللغة الراقية بنحو لا يرقى إليه و لا إلى جزء منه بشر و لا كل البشر، و كما كان للغة تأثير في الدين كان لهذا الأخير دور كبير في نشرها والحفاظ عليها، " فلو لم يكن القرآن حافظ اللغة العربية لتغيرت كثيرا لما هي عليه الآن..."² ، فهي لغة آخر خطاب وجهه الله لخلقه، وهذا ما جعلها تقرض نفسها على كل فئات المجتمع الإسلامي، لأنها الأساس الثاني للخطاب الإسلامي الذي لا يفهم و لا يبني إلا بها.

أصبح هذا الخطاب الديني الإسلامي مادة أساسية في الحوارات الثقافية والإعلامية، والأزمة القائمة اليوم بين فحواه ومفاهيمه وقضاياها هي من موجبات المرحلة الآنية في ظل التطورات والتحديات الراهنة.³

كما تحتل مسألة الخطاب الديني -بصفة عامة- ركنا أساسيا في سياق الحديث عن دور الأديان في تطور المجتمعات، إذ أن له تأثيرا بالغا في توجيه و تشكيل فكر الناس، ووجدانهم و سلوكهم في المجتمعات عامة، و خصوصا في المجتمعات العربية التي يشكل فيها الدين – الإسلامي- مكونا بارزا للهوية الفردية و الجماعية.

والخلل والقصور الموجودان في الخطاب الديني الإسلامي لا يعني قصورا في الدين، فهناك فرق بين الدين كوشي رباني ، و بين إخفاق المسلمين في ترجمة هذه النظرية إلى واقع حضاري.

يقول الشيخ محمد الغزالي في هذا الموضوع: « ... و للأسف أن نفرا من أبناء المسلمين يرجعون الهون الحضاري الذي تعاني منه بلادنا الإسلامية كلها إلى الإسلام ذاته وعلينا أن نجنب ديننا الظلم الشديد، وأن نعترف بالعوج الملحوظ في أحوالنا وأفعالنا ونبرئ الإسلام منه».⁴ ، فالنص الديني الإسلامي (الكتاب و السنة) فوق المحاسبة و الاتهام، و لا يمكن أن يتسرب لقلب مسلم ذرة من الشك في صدقه و قداسته، أما الخطاب الديني فهو ما يستنبطه و يفسره و يفهمه الفقيه و العالم والمفكر والخطيب من "النص الديني" أو من مصادر

¹ سورة الإسراء، الآية 88.

² "العلاقات الأبدية بين الإسلام و العربية" أحمد بن نعمان، مجلة الأصالة ، مجلة ثقافية شهرية ، مارس، أفريل، ماي ، جوان ، ع 82-81/80679، 1980م، ص 68.

³ ينظر "الفكر الإسلامي المعاصر و رهانات المستقبل"، محمد محفوظ، المركز الثقافي العربي، 1999، ص 5.

⁴ ينظر "لقاءات و حوارات حول واقع الحركة الإسلامية المعاصرة"، محمد الغزالي، ص 196

الاجتهاد و الاستنباط المعتمدة- كما سبقت الإشارة- وهو عرضة للخطأ و الزلل، لأن هذا الفهم و التفسير قابل للأخذ و الرد¹.

يقول محمد منير حجاب في حديثه عن تقويم مستوى الخطاب الديني الإسلامي أن هناك عددا كبيرا من الدخلاء -على حد تعبيره- يتسلقون المنابر، ويستولون على وسائل الإعلام فيبثون خطاباتهم بطريقة متتابعة و يخاطبون الجماهير باسم الدين وهم ليست لهم دراية بأصوله و لا قيمه و لا طريقة توجيه و طرحه².

فالمجتهد في تفسيره يعبر عن مقدار فهمه و إدراكه، وقد يتأثر بمختلف العوامل النفسية و الاجتماعية التي تنعكس على أرائه و تصوراته، كما أن قسما كبيرا من الخطاب الديني المعاصر لا يصدر عن فقهاء و مجتهدين بل عن شيوخ و خطباء محترفين، وهذا لا ينفي وجود جهات تمتهن التصدي للشأن الديني بغض النظر عن الكفاءة و النزاهة، و بهذا فإن الخطاب الديني قابل للنقد و التقويم، لأنه كسب بشري و نتاج إنساني.

وفي هذا السياق طرح سؤالا: ما مدى تعاطي الخطاب الديني المعاصر مع إشكالات

وتحديات عصره؟.

لعل أهم إشكالية تواجه الخطاب الديني الإسلامي اليوم هو الغزو الثقافي الغربي، إذ "ينبغي أن ندرك أن التطور الثقافي في العالم الإسلامي يمر بمرحلة خطيرة، إذ تتلقى النهضة الإسلامية أفكارها و اتجاهاتها الفنية عن الثقافة الغربية، التي لا تقتصر على أشياء الحياة الفكرية الجديدة التي تعودها الشباب شيئا فشيئا، بل إنها تمس أيضا وبطريقة غامضة ما يتصل بالفكر و ما يتصل بالنفس، و في كلمة واحدة ما يتصل بالحياة الروحية"³.

¹ "لقاءات و حوارات حول واقع الحركة الإسلامية المعاصرة"، الشيخ محمد الغزالي، إعداد و تقديم أبو أسامة محمد خلفة، نوميديا للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، 2008، ص 196.

² ينظر "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر"، محمد منير حجاب، دار الفكر للنشر و التوزيع، ط1، 2004، ص 380.

³ "الظاهرة القرآنية"، مالك بن نبي، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر ببيروت، ط3، 1968، ص 54.

يقول مالك بن نبي في هذا الموضوع أن ما يثير العجب اليوم أن كثيرا من شبابنا المثقف، يتلقون ثقافة تتصل بمعتقداتهم الدينية، حتى إنهم كثيرا ما يرجعون إلى كتابات المتخصصين الأوروبيين لينتفعوا منها، دون وعي منهم بخطورة ذلك.¹

كما يقول إن هناك الكثير من الدراسات الإسلامية التي تظهر في أوروبا بأقلام كبار المستشرقين²، وهو واقع لا جدال فيه، ولكن ما لا نتصوره هو المكانة التي يحتلها هذا الواقع في الحركة الفكرية الحديثة في مختلف البلاد الإسلامية³ حتى إن الأعمال الأدبية لهؤلاء المستشرقين قد بلغت درجة خطيرة من الإشعاع الذي لا نتوقعه، وأكبر دليل - مثلا - على ذلك أن يضم مجمع اللغة العربية في مصر بين أعضائه عالما فرنسيا، يقدم إلى جامعة باريس كل عام عددا من رسالات الدكتوراه التي يقدمها الطلبة السوريون والمصريون، - وهم أساتذة الثقافة العربية و باعثو النهضة الإسلامية في البلدان الإسلامية- وهي مشبعة بأفكار غرسها وزكاها أساتذتهم الغربيون.⁴

فالأوضاع في الآونة الأخيرة قد تغيرت في العديد من النواحي إذ أصبح البيت والشارع والمدرسة و المجتمع بصفة عامة متأثرا بما خلفه الاستعمار الغربي من جهة، ومن الغزو الفكري، والعدوى العالمية من جهة أخرى، فلم يعد ملتزما التزاما صحيحا بالإسلام و قيمه - إلا من رحم ربك-⁵ حتى إن الخطاب الديني الإسلامي لم يعد يقوم بتغطية الجانب التربوي والسلوكي والوجداني الذي كان يقوم به في الماضي.

فالداء الحقيقي والأزمة الكبرى التي تواجه واقعا العربي الإسلامي، ليست في مؤامرات الخصوم فحسب(الغزو الفكري) - مع أن لها دورا خطيرا- ولكن داءنا في نفوسنا ودواتنا، ويبقى القصور وعدم المساهمة الإيجابية في تطوير و تحسين الخطاب الديني، ومواكبته وفقا

¹ ينظر " الظاهرة القرآنية"، مالك بن نبي، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر بيروت، ط3، 1968، ص 45.

² الإستشراق هو حركة دراسة العلوم والآداب والحضارة و الثقافة الإسلامية بهدف معرفة عقلية المسلمين و أفكارهم و اتجاهاتهم لضرب هذه القوة و الاستفادة من تجاربهم من جهة، و التمهيد للاستعمار النصراني من جهة ثانية- ينظر الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين السيد صالح، مكتبة رحاب، ب ت ، ب ط ص 89، لمزيد من المعلومات حول الإستشراق ينظر المرجع نفسه، ص 89-114 .

³ ينظر، " الظاهرة القرآنية"، مالك بن نبي، ص 45.

⁴ ينظر، " الظاهرة القرآنية"، مالك بن نبي، ص 55.

⁵ ينظر، "إسلاميات" "من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر في أمور الدين في التاريخ -في الاقتصاد- في الأدب"، محمد قطب، دار الشروق، ط1، 2003، م ، ص 16.

لأحداث العالم، قائما ما لم نغير ما في أنفسنا من كسل وهوان وضعف في الأداء والتبليغ¹، كما جاء في قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"².

فالخطوة التي ينبغي القيام بها هي البحث و الفحص الجاد المتقن عن الأسباب الذاتية التي أدت إلى هذا القصور الذي يكمن بالدرجة الأولى في طريقة بثه والاستراتيجيات المتبعة فيه لتحقيق الإقناع، وفي ضعف الآليات الأسلوبية والبلاغية والإقناعية التي يستخدمها أولئك المخاطبون في وضعية بث الخطاب، مع عدم مراعاة ما يحيط به من ملابسات وخلفيات وسياقات تحكم على صحته وفائدته، وتحدد وجهته ودلالاته من جهة أخرى.

فالأزمات التي يعاني منها الخطاب العربي الإسلامي اليوم - بشكل عام- لا تتبع فقط من فحوى هذا الخطاب وبنيته، وطريقة طرحه للمتلقين و إنما تتبع أيضا من صاحب الخطاب، أي الشخص الذي يقع على كاهله مسؤولية نقل فحوى هذا الخطاب إلى الجمهور، إضافة إلى أزمت أخرى كثيرة منها:

1- أزمة العقل: إن ما يعيشه الوسط العربي من صراعات سياسية، واجتماعية ووطنية، وانتشار التعصب، والتناقضات الفكرية الخطيرة، تسهل على أعداء الإسلام النفاذ إلى صفوفهم والسعي الدائم لإبقائهم على فرقة، وقد نجحوا في تحقيق أغراضهم³. و قد يعود السبب إلى أزمة العقل المشرقي الذي يخشى مسألة الحداثة والتجديد في التفكير فيلجأ إلى الهروب عن الواقع⁴، ويحتمي بمنطلق الدين، فيفسرها ويشرحها باجتهادات شخصية ويجعلها وسيلة لترهيب عقول الناس، إذ لا يزال العقل العربي عاجزا عن تسخير طاقته لخدمة الدين، و لعل هذا يرجع إلى منطلقات سلبية أصابت الخطاب العربي بشكل عام- وهي⁵:

¹ "الفكر الإسلامي المعاصر و رهانات المستقبل"، محمد محفوظ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1999 ص 13.

² سورة الرعد، الآية 11.

³ "صفات الداعية و كيفية حمل الدعوة"، سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط 7، 1980 ص 52، 51.

⁴ ينظر "الفكر الإسلامي المعاصر و رهانات المستقبل"، محمد محفوظ، ص 81.

⁵ ينظر "إشكاليات الخطاب العربي المعاصر"، كمال عبد اللطيف، نصر محمد عارف، ص 70.

* كالحوتين في اليمن، وداعش في العراق وسوريا و...

1-1- الاستبداد الفكري المؤسس على فرضية امتلاك الحقيقة المؤدية إلى نفي الآخر فعلى الرغم من أن الحقيقة لا يمكن الإمساك بها، أو ادعاء الوصول إليها، إلا أن القائم بالخطاب -أحيانا- ينطلق فكريا من أنها في يده هو وحده، والآخر لا يملك شيئا منها هذا ما يؤدي إلى النزاعات الطائفية والعقائدية فيما يعلق بالخطاب الديني*.

1-2- انغلاق النسق المعرفي: فالاستبداد الفكري أدى إلى وجود أنساق معرفية مغلقة تماما، غير قادرة على التجدد أو الانفتاح أو الاستفادة من الآخر، وغير قابلة للتطوير والتجديد أو إثارة قضايا جديدة تنفع الأمة العربية.¹

1-3- سكونية الزمان: إذ أن الناظر في القضايا المطروحة، التي ينشغل بها الخطاب الإسلامي المعاصر، لا تزال قضايا السلف الصالح في القرون الأولى للإسلام هي قضايانا نفسها، وأزمات العالم الإسلامي في مرحلة ما بعد الحملة الفرنسية هي نفسها أزمنا اليوم.² و التقييد بالرجعية، والجمود على مذهب السلف في الأفكار والعادات والمعتقدات دون مسايرة الزمن، مع أن للإسلام قدرة على فعل ذلك في كل الميادين والمجالات، والقدرة على إيجاد حلول لجميع المشاكل المتجددة مع الزمن.³

2- محددات متعلقة بمنهج الخطاب: هي مجموعة من المحددات المنهجية التي حكمت طريقة تعاطيه مع الواقع وقضاياها وإشكالاته، وهي كالاتي:⁴

1-2- تهميش الحقائق الواقعية: إن المتفحص في الخطاب الفكري، أو السياسي أو الديني لأي خطاب عربي يجد أنه -أحيانا- يتكلم عن واقع اجتماعي من صنع خياله وإبداعه، وهو غير ذلك الواقع ذي الأبعاد المتعددة والمتداخلة وهذا ما يمنع "التواصل مع الواقع على قاعدة من الوعي، والحصيلة الفكرية التي تؤهل الإنسان لبيان رأيه وموقعه تجاه الواقع و أحداثه"⁵

¹ ينظر "إشكاليات الخطاب العربي المعاصر"، كمال عبد اللطيف، نصر محمد عارف، ص 72.

² ينظر "المرجع نفسه"، ص 76.

³ ينظر "صفات الداعية وكيفية حمل الدعوة"، سميح عاطف الزين ص 156 - 157.

⁴ ينظر "المرجع نفسه"، ص 80 وما بعدها.

⁵ "الفكر الإسلامي المعاصر و رهانات المستقبل"، محمد محفوظ، ص 119.

2-2 التعميم دون استقصاء: فكثير ما نجد المثقف العربي يميل إلى إطلاق الأحكام الكلية على أي ظاهرة، فكثيرا ما تطلق أحكام لتشمل فريقا ضخما من المثقفين لا لشيء إلا لأنهم يندرجون تحت لافئة واحدة، كأن تقول الإسلاميون – مثلا- جميعهم يندرجون تحت فئة واحدة بأفكار مشتركة و لكن هذا غير صحيح، وإذا كانوا جميعا ينتمون لذات الفئة إلا أن منهم من يرفض قيم الحداثة الغربية، و منهم من يقبلها لكن بعد غربلتها و تصفيتها.¹

2-3- غلبة عقلية التقليد و الاجترار: إذ يسيطر على الإنتاج الفكري العربي نوع من الولوع بالتقليد، و التخوف من الإبداع، حتى أن هناك من يدعون تمثيل الحداثة، وهم الأكثر تقليدا و اجترارا لأفكار وقضايا وليدة مجتمع آخر في سياق آخر و ثقافة أخرى...²

3- أزمة مخاطبة الإنسان بكليته: إذ إن الخطاب الديني يعاني من أزمة فقدان منطوق التعامل مع الإنسان بكليته، إذ يهمل في كثير من الأحيان جانب الواقع الحياتي الإنساني ومعاناته اليومية، و مازال مهتما بشكل كبير بشرح النواحي العقائدية بطريقة مجردة من إطارها ومحيطها الإنساني، هذا ما يجعله يتحول إلى خطاب جامد لا يجد سبيلا للتواصل مع مشاكل وتطلعات الناس والمجتمع، إذ "...تتعاضم الحواجز النفسية والذهنية التي تحول دون معرفة الواقع، و من تم التفاعل والتواصل معه، فيؤدي إلى غبش في الرؤية، و ضبابية في المفاهيم والمعايير".³

4- أزمة التشدد و التعصب: لم يستطع الخطاب الديني – في عمومه حسب ما نراه في واقعنا- أن يرقى في منطقتنا العربية، إلى مستوى تحصين الشعوب من أمراض التطرف الذي "...يصادر الحقيقة، ويشرع الاستبداد و الرأي الآخر، و يخرج الإنسان من دائرة الموضوعية...".⁴

فالتعصب و التشدد يبعد عن الحقيقة، و ينفي مجال مخالفة الرأي بين الأشخاص وإبداء الرأي الآخر من المحرمات، و هذا أمر باطل "لهذا لا بد أن يتحلى المرء بأدب

¹ ينظر "إشكاليات الخطاب العربي المعاصر"، كمال عبد اللطيف، ص 82.

² ينظر "المرجع نفسه"، ص 84.

³ "الفكر الإسلامي المعاصر و رهانات المستقبل"، محمد محفوظ ص 119.

⁴ "المرجع نفسه"، ص 125.

الاختلاف والحوار و الجدل، حتى يتسنى لنا معرفة الحقيقة أولا والقبول بها ثانيا¹ ، وبذلك تتأسس قواعد التواصل الإنساني الحضاري .

5- أزمة الانفتاح على الثقافة العالمية: فالعولمة الفكرية والثقافية باتت تتحدى مضمون الخطاب الديني التقليدي، "فلقد وجدت الشعوب الإسلامية نفسها ضعيفة مفككة، وكانت معطلتها الحقيقية هي تنظيم جهودها لتقاوم السيطرة الغربية ..."² ، وحتى يتم ذلك على الخطاب الديني أن يطور نفسه ليحاكي المستجدات و التطورات الدينية والثقافية والإنسانية العربية والعالمية، وأن يرقى إلى مستوى العالمية.

6- ضعف الوعاء الخطابي: يقول محمد منير حجاب في ذلك: "أما بخصوص محتوى الخطاب الديني فيتسم بالرمزية و الشخصية و الجمود، في الوقت الذي ألف فيه الناس أشكالاً أخرى من الخطاب، ونمت في حسم طرق أخرى للاستيعاب، وتمثيل الأفكار بأساليب سهلة ومستشاعة، فنشأ عن هذا الوضع ابتعاد جوهرى أدى لضياع هام للفاعلية الدعوية"³، وقد تزامن أثر هذا الخطاب على الجماهير مع قصور الخطيب في تلبية الاحتياجات الدينية و الاقتصادية والثقافية...حسب مستجدات العصر سواء على مستوى الدعوة الداخلية أو الخارجية.

وربما يرجع هذا إلى تخلف مناهج إعداد الخطيب في حد ذاته، إذ أنه لا بد من التخصص الدعوي، فيكون الخطيب السياسي، و الديني، والثقافي، كل يعالج أمورا خاصة دون غيرها هذا يجعله يتقن خطابه و يحسن صياغته و يدرك طرق، مقومات و منافذ إيصاله وبالتالي يصل به إلى مبتغى الإقناع والتأثير و تحقيق الإفادة.⁴

وكثيرا ما توجد القطيعة بين المتكلم القائم على بث الخطاب الديني، وبين شخصه فهناك "أناس يجاهرون بالدين، وعند الاحتكاك بهم يتبين أن سلوكهم ليس قريبا من الدين"⁵، إذ من علامات الخطيب الديني الداعي إلى الله التطبيق الفعلي في كل ما يأمر به أو ينهى

¹ "الفكر الإسلامي المعاصر و رهانات المستقبل"، محمد محفوظ"، ص ن.

² "الفكر الإسلامي في مواجهة العصر"، عفت الشرقاوي، ص 109.

³ "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر"، محمد منير حجاب، ص 183.

⁴ ينظر"، ص 183.

⁵ "المرجع نفسه"، ص 97.

عنه، حتى يكون مثالا يحتدى به¹ ، كما جاء في قوله تعالى: " كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ"². إذ قد تواجه أساتذة في علوم الدين، ولكن سلوكياتهم ومواقفهم مغايرة تتسم بالغلظة والشدة، واستغلال السلطة، فكيف لهم أن يكونوا ذوي تأثير وقوة³.

فهذه كلها من سلبيات الخطاب الديني الإسلامي المعاصر بالإضافة إلى ذلك كثرة استعمال اللغة التراثية، التي لا مكانة لها في تحقيق الإقناع، لأنها تخلق غرابة اتصالية بين المرسل والمتلقي، وبذلك تضعف وتعدم الاستجابة المطلوبة.

إضافة إلى اعتماد أسلوب الإرشاد و الوعظ المباشر و الاستعلاء في الكلام، وطرح الأفكار بطريقة مثالية تبتعد عن الواقع، هذا يولد إحباطا عند المتلقي، ولا يزرع في نفسه وقلبه إلا التقديس بلا وعي لرموز وتعاليم الدين ، وهذا الحكم طبعالا ينطبق على كل الأئمة، وإنما على البعض منهم.

كما يلاحظ أيضا عدم التوازن في كثير من الخطابات الدينية و ضالة العناصر الفنية الإلقائية والجمالية المستخدمة فيها، و طريقة العرض الكلاسيكية التي لا تقوم على الحوار المباشر مع الجمهور، وانعدام الإبداع الفني الذي يؤثر على المتلقين تأثيرا بليغا بصورة فعالة، وإن كان هذا الأسلوب لا يفيد العامة من المتلقين و إنما يفيد المتمكنين من اللغة والبلاغة.

¹ "منهجية الدعوة الإسلامية"، طالب عبد الرحمن، دار الغرب للنشر و التوزيع، ص 34.

² سورة الصف ، الآية 03.

³ ينظر " المرجع نفسه"، ص ن.

II - الخطاب الديني في وسائل الإعلام (المرئي والمسموع):

مرت وسائل الإعلام¹ بتطورات جمة من حيث الوسيلة و الأسلوب، و تزامنت طرديا مع تطور المجتمعات البشرية حتى أصبحت " تحتل مساحة واسعة في بيوت و حياة كل واحد منا..."² إذ بات لها الأثر الكبير في جعل الكرة الأرضية أزقة، يعرف من يتواجد في أقصاها ما يجري لصاحبه في أدناه، فالبشر اليوم يعيش ما يعرف بالثورة الإعلامية، إذ أصبحت " أداة الاشتراك في الآراء و الخبرات الإنسانية مع جمهور المتقين."³

والحقيقة لم آت بجديد عندما قلت بأن الإعلام و الاتصال أصبح من الوسائل الفعالة في خدمة المجتمعات المعاصرة، إذ لم تصبح وسائله بمختلف أنماطها منحصرة في النقل الفوري للأخبار، و جمع المعلومات و نشرها وتخزينها بل تجاوزت ذلك لتصل إلى صيغ الحدث وتشكيل الرأي العام، و تكوين مواقف الأفراد الفكرية و السياسية والاجتماعية...

فهو " ... سلطة نافذة ، ... لها قدرة كبيرة على التحرك وبناء المشاهد والمواقف..."⁴، كما أنه في الوقت ذاته " ... بات يشكل قوة التأثير الأولى والخطيرة بين سائر الوسائل والإستراتيجيات التي ابتكرتها عقلية الإنسان الغربي المعاصر وسخرتها لإدامة سيادته وحكرته و طغيانه"⁵. لهذا السبب و نتيجة لفاعلية التأثير التي تحملها⁶، فإنها تعد سلاحا ذا حدين، أما الأول فهو إيجابي إذ " ... أثبتت التجارب أنه مصدر إحداث اليقظة ووسيلة التنوير وعدة

¹الإعلام" مصدر يرد إلى الفعل أَعْلَمَ: و هذا يرد إلى مجرده علم يقال: "علم" الشيء يَعْلَمُهُ عِلْمًا أي عَرَفَهُ، فهو عَالِمٌ... والعلم نقيض الجهل، ينظر، "لسان العرب"، ابن منظور، ج9، مادة علم، ص 427، و المرحلة الأولى من الإعلام، هو الاستعلام، أي مرحلة تكوين المعرفة... و المرحلة الثانية هي مرحلة الإعلام أي نقل العلم إلى الآخرين... " الصحافة و الإعلام النافع، أسعد أحمد علي، دار النشر للطباعة و النشر بدمشق، الطبعة 1، 1981 ص 07.

² " تنمية مهارات التواصل الشفوي"، راشد محمد عطية أبو صواوين، إتراك للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة ط1، 2005 ص19.

³ "نظريات الإعلام و اتجاهات التأثير"، محمد عبد الحميد، عالم الكتاب ط1، 1997، ص 123.

⁴ "الخطاب السياسي و الخطاب الإعلامي في الجزائر"، مدرسة لسمنونتيك القول و الفعل و الحال، عشراتي سليمان، ص 233.

⁵ "المرجع نفسه"، ص 85.

⁶ إذ تنوعت و تعددت فمنها: وسائل الاتصال عبر الانترنت (كالبريد الإلكتروني ومنتديات الحوار، و غرفة الدردشة...الخ) ، ومنها وسائل الاتصال الجماهيري (كالوسائل المقروءة و المجلات و الكتب) ، و الوسائل البصرية و السمعية (كالإذاعة و التلفزيون و السينما، و الأشرطة السمعية و البصرية، إضافة إلى أنشطة الاتصال الشخصي الجمعي، كالخطابة و التي يعكسها المسجد كمؤسسة إعلامية ذات أهمية اتصالية كبيرة، ينظر، "التجديد في الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر"، محمد منير، حجاب، ص 374-318

الوعي...¹، أما الثاني فهو سلبي" إذ أنه بوثقة كل شر، ونبع كل فساد...كلما استولى عليه الأشرار² في خدمة مصالحهم وأغراضهم دون مراعاة الغير.

فما واقع الخطاب الديني في وسائل الإعلام وسط هذا التنوع؟ و إلى أي مستوى ترقى طريقة بثه ؟

قبل التطرق إلى هذه المواضيع لابد أولاً من الإشارة إلى مجموعة ملاحظات وهي أن:³
- وسائل الاتصال اليوم تتيح فرصة كبيرة لنشر الرسالة المحمدية، فهي تدخل كل بيت في كل أرجاء العالم، في كل وقت و زمان، وفي هذا دلالة على أن الذي أرسل محمدا للناس كافة، هو الخالق الذي كان يعلم أن العالم كله سيصير مثل القرية الواحدة... فلا يحتاج إلى تعدد المرسلين، و لا يحتاج إلى رسول بعد الذي جاءت دعوته لكافة البشرية.

- يسرت و سهلت وصول دعوة الإسلام الظاهرة في الخطابات الدينية الموجهة لغير المسلمين، و في الوقت ذاته سهلت للغرب أيضا إيصال دعوتهم إلينا، و هنا تكمن مسؤولية القائمين على الدعوة في التصدي لهذه التحديات بتبصير المسلمين بضرورة عدم الأخذ بالأنظمة الغربية، و التمسك بالإسلام ومعالمه.

- تنامي الشعور بضرورة استخدام وسائل الاتصال المختلفة في مجال بث الخطاب الديني في⁴ إطار التبليغ والإقناع على مستوى المفكرين⁵.

و المخطط الآتي يبين تنوع و تعدد وسائل الإقناع و الاتصال المستخدمة اليوم في بث الخطاب الديني في ضوء المستجدات الحديثة:

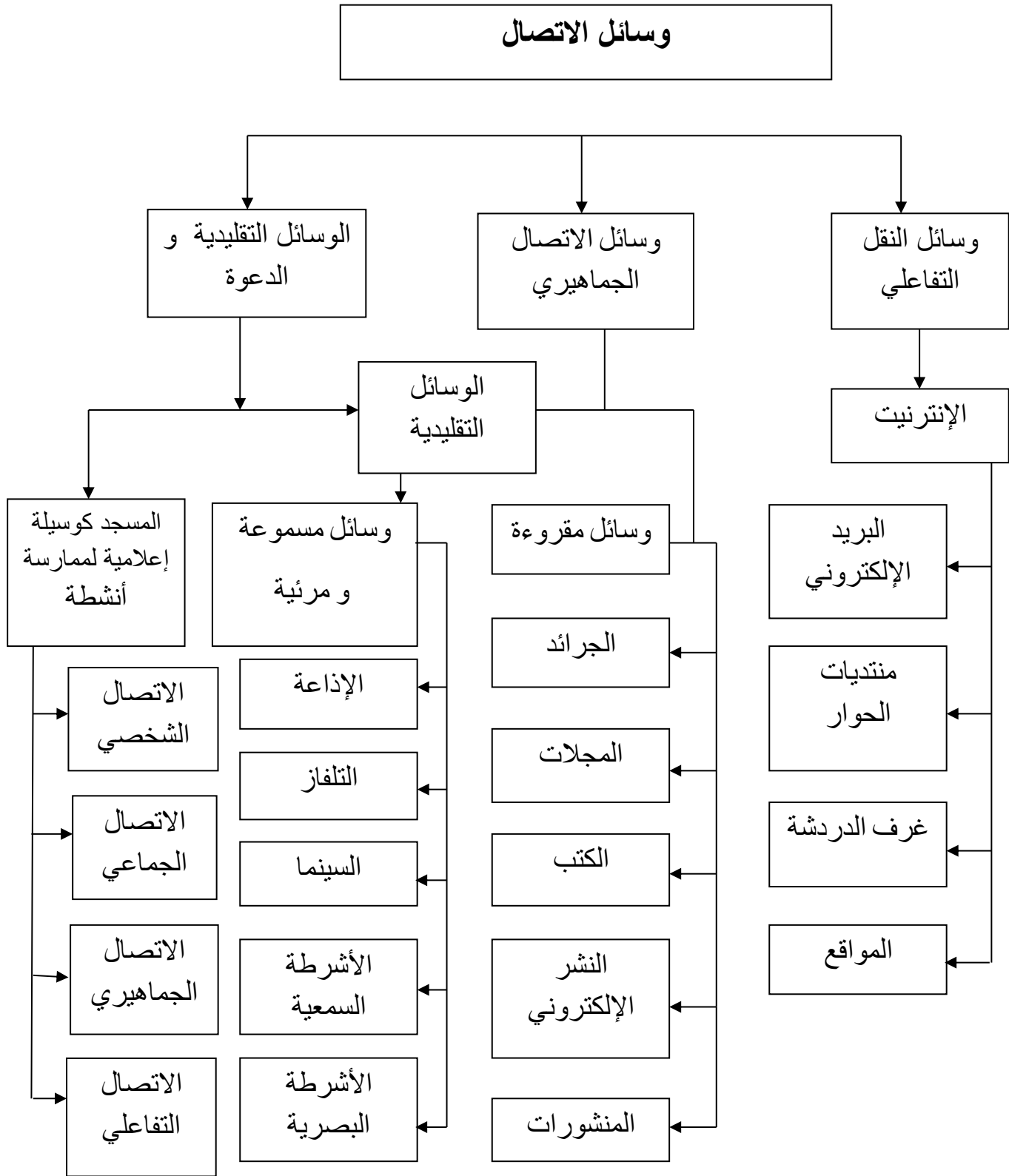
¹"الخطاب السياسي و الخطاب الإعلامي في الجزائر"، عشريني سليمان، ص 234 .

²" المرجع نفسه"، ص ن.

³ ينظر "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر"، منير حجاب، ص 303-305.

⁴ حتى أن قسم المناهج وطرق التدريس بكلية التربية بجامعة الأزهر سعى في عام 2004، لتدريس منهج عن استخدام التكنولوجيا في نشر الخطاب الإسلامي مثل طريقة استخدام الإنترنت، و كيفية توظيفها في مجال خدمته، و ربما أدى هذا إلى تشويه، و تسخيرها لخدمة أغراض و جهات معينة

⁵ ينظر "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر"، منير حجاب 305.



الشكل رقم (1) يبين وسائل الاتصال المسخرة لخدمة الخطاب الديني في ضوء
المستجدات التكنولوجية¹.

¹ "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، منير حجاب، ص 319.

والتحدث عن واقع الخطاب الديني في هذه الوسائل، إنما هو حديث عن واقع الدعوة¹

التي ينحصر معناها الاصطلاحي في مجالين:²

- أولهما : الدعوة بمعنى الدين، أو الإسلام وحقائقه وقيمه و تشريعاته.

وثانيهما : الدعوة بمعنى النشر و التبليغ و الإقناع أو بمعنى "الاتصال" أو "الإعلام" عن الدين والدفاع عنه ،قال تعالى: " لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ"³.

وهي ليست مجرد مجموعة من القواعد أو القوانين التي أوحى بها الدين ... بل إنها في

الواقع نظام اجتماعي متكامل، يتضمن كافة أوجه النشاط الإنساني و القوانين المنظمة له .⁴

في ضوء هذا المفهوم للدعوة يتحدد المفهوم الاصطلاحي الذي يعنى النشر و التبليغ، وهذا

ما يجعلها تتخذ – على رأي محمد منير - أحد المجالين كما يوضح الشكل الآتي:⁵

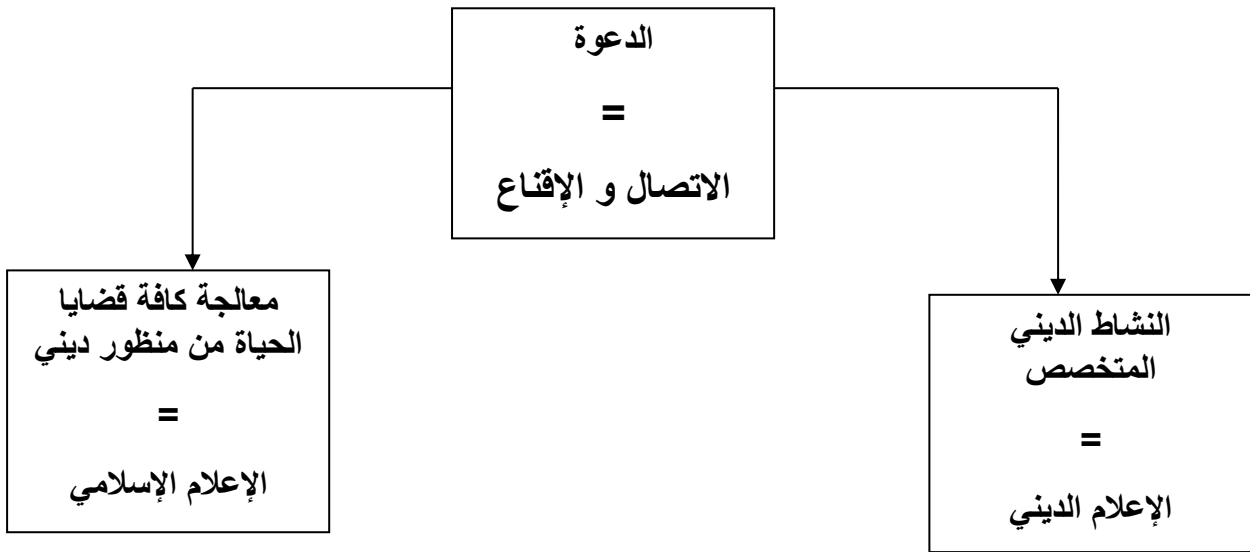
¹ الدعوة لغة من الدعاء إلى الشيء بمعنى الحث على قصده أو المحاولة العملية أو القولية لإمالة الناس إليه، جاء في لسان العرب : "الدعوة من دعا الرجل دعواً ودُعَاءً : نَادَاهُ...وَدَعَوْتُ فَلَانًا أَي صَحْتُ بِهِ وَاسْتَدْعَيْتُهُ...وَدَعَاهُ إِلَى الْأَمِيرِ سَأَقَهُ وَقَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: "وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا" معناه داعياً إلى توحيد الله وَمَا يُقْرَبُ مِنْهُ" ، لسان العرب - ابن منظور ، تح ياسر سليمان ، أبو شاوي، مجدي فتحي السيد، المكتبة الوقفية ، القاهرة مصر ، ج4 ، مادة دعا ، ص 416-417.

² ينظر "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر" ، محمد منير حجاب، ص 16.

³ سورة الرعد ، الآية 14.

⁴ ينظر "المقدمة" ، عبد الرحمن ابن خلدون، تح لوان ، دار الفكر ، للطباعة والنشر والتوزيع، ط2003، 1/1423هـ، ص 218.

⁵ "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر" ، منير حجاب ، ص 18.



الشكل (2) يوضح حدود المعنى الإصلاحي للدعوة (النشر والإقناع و التبليغ)
و الملاحظ من المخطط أن الدعوة بهذا المعنى مرادفة لمفهوم "الاتصال" ومعنى
"البلاغة و التبليغ"¹

و هي بالمفهوم الخاص تعني الإعلام الإسلامي، و هي قيام العلماء و المستنيرين في
الدين و المتخصصين بتعليم الجمهور من العامة، و تبصيرهم بأمر دينهم و دنياهم على
حسب قدرتهم.² باستخدام مختلف الوسائل التبليغية و الإقناعية المتاحة لهم.
و قد لاحظ منير حجاب بعد أن ذكر مجموعة من التعريفات للدعوة بمفهوم "الإعلام
الديني" أنها³ ركزت في مجملها على:

¹ فإذا كانت البلاغة تعني إنهاء المعنى إلى قلب السامع فيفهمه فإن الاتصال بدوره هو عملية نقل الحقائق والتفكير بواسطة رموز، لمزيد من المعلومات حول علاقة البلاغة بالاتصال، ينظر "وظائف المجازيين المعيار والاستعمال - في ضوء نظرية التواصل"، شيخ أعمر الهوارية، رسالة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية، جامعة وهران، إشراف، أحمد عزوز، 2006، 2007، ص 20 وما بعدها.

² ينظر "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر"، منير حجاب ص 18.

³ ينظر "المرجع نفسه"، ص 19.

• **هدف التأثير والإقناع** ، و حددت أبعاده في جوانب تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

• أهمية تخصيص الداعية الخطيب و تمكنه من موضوع الرسالة التي يتناولها.

• على ضرورة توفر الأسس الفنية لتحقيق ذلك للإقناع والتأثير.

بناء على ما سبق، فإن الدعوة هي عملية اتصالية بالدرجة الأولى تفيد الإبلاغ و الإقناع وفق آليات معينة، و هي جهد يقوم به الخطيب القائم بالاتصال، سواء كان فردا أو جماعة، لديه علم واسع بخلفية الرسالة الموجهة التي يستهدف من خلالها المتلقين من الجمهور العام بمختلف مستوياته بطريقة الإعلام و الإقناع، بغرض تكوين شخصية إسلامية تعي الحقائق الدينية، و سبل تحقيقها في الواقع المعاش "فهو نشاط هادف موجه لخدمة الجماهير و إرشادها إلى طريق الخير و القضاء على الخرافات و البدع، والانحرافات، و كل ما يعوق حركة المجتمع و تقدمه"¹.

والملاحظ أن الخطاب الإسلامي أخذ حظه في وسائل الاتصال في الوطن العربي، فأصبح خطابا مكتوبا و منطوقا رائجا، سواء في الوسائل السمعية أو المرئية أو المقروءة أو... إلخ، إذ فتحت له القفزات السريعة والكبيرة لبعض هذه الوسائل الذبوع والظهور بشكل مستمر و دائم*.

وعلى الرغم من ذلك، إلا أن هناك من الأساليب القديمة ما حافظت على بريقها، ودورها الفعال في عالم التبليغ، وأمست الأكثر تداولاً و بروز إلى يومنا هذا، ألا و هي "الخطابة" التي بقيت رغم المنافسة الشديدة، الأسلوب والوسيلة الإعلامية التي لا يستغنى عنها في تحقيق الإقناع، فهي الخامة الأولى لكل إنتاج إعلامي مباشر كانت و لازالت هذه الحقيقة التي يدركها أصحاب الدعوة و الفكر الإسلامي، فهي تعكس الكلمة الطيبة التي

¹ "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر"، محمد منير حجاب ص 19.

* كالتلفزيون مثلا باعتباره أهم وسيلة اتصال لأنها تجمع بين الصوت و الصورة ما يجعلها أكثر الوسائل تأثيرا في المتلقين دون غيرها.

"...يستطيع الإنسان أن ينال بها ثوابا عظيما عند الله - سبحانه-بل إن اللسان وسيلة من وسائل الجهاد الفعال..."¹ الذي يرفع و يعلي كلمة الله .

فإذا كان الفقيه الداعي هو العقل المدبر للنهضة الدينية فالخطيب هو لسانها، وإن كانت المرجعية مؤسسة تشريعية، فالخطابة مؤسستها الإعلامية، لأنها تعني قدرة المتكلم على إبلاغ وإعلام وإفهام الناس بالشكل الذي يفي بالغرض المطلوب.

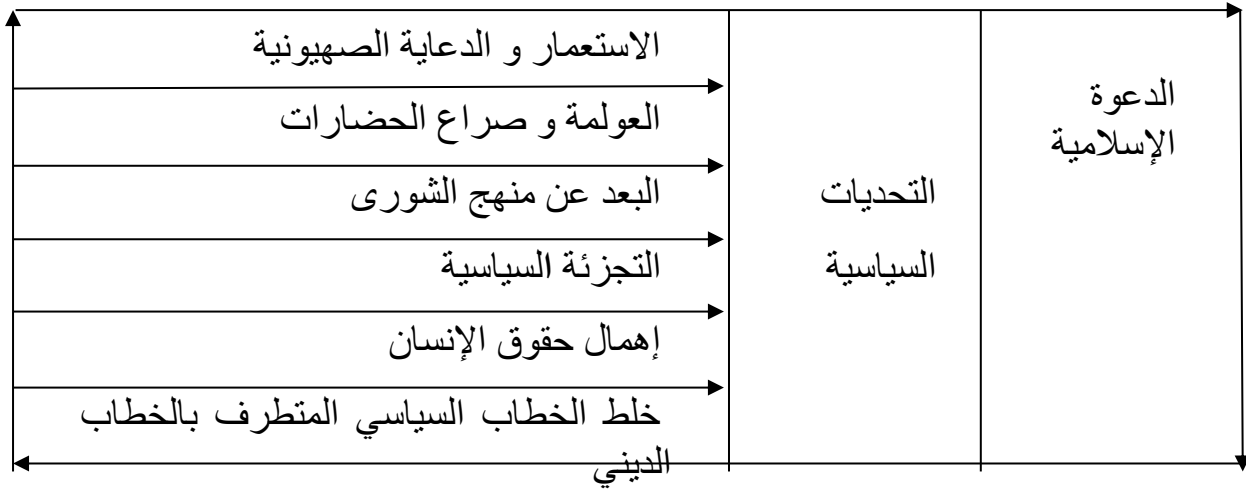
و هذا لا يعني أن الإعلام المكتوب و المقروء* لا يحقق فاعليته، لكن تبقى الكلمة المنطوقة هي صاحبة التأثير الفوري على الجماهير، و"الخطابة" هي أهم السبل المتخذة لتحقيق ذلك. لهذا ارتأيت أن تكون هي موضوع بحثي هذا سعيا إلى الكشف عن مختلف الآليات الإقناعية التي لا بدّ من أن تضمها حتى تحقق الفاعلية والتأثير.

والحقيقة أن المؤسسات الإعلامية الباتة للخطاب الديني، - أو بالمفهوم العام الحاملة للدعوة الإسلامية- باعتبارها مؤسسة اتصالية تخضع لتحديات سياسية، و اجتماعية، واقتصادية و ثقافية كثيرة و مختلفة " فإن فهم هذه التحديات يعد أحد المقومات الأساسية لزيادة فعالية دور الدعوة في حياة المجتمعات الإسلامية المعاصرة"²، و أهم هذه التحديات التي تشكل عائقا أساسيا يحول دون الأداء الإقناعي المتكامل ، مثلها محمد منير في المخططات الآتية:

² "دراسات في أدب العصر الجاهلي و صدر الإسلام"، سلسلة اللغة و الأدب تصدر عن ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر 1984 ، ص 297.

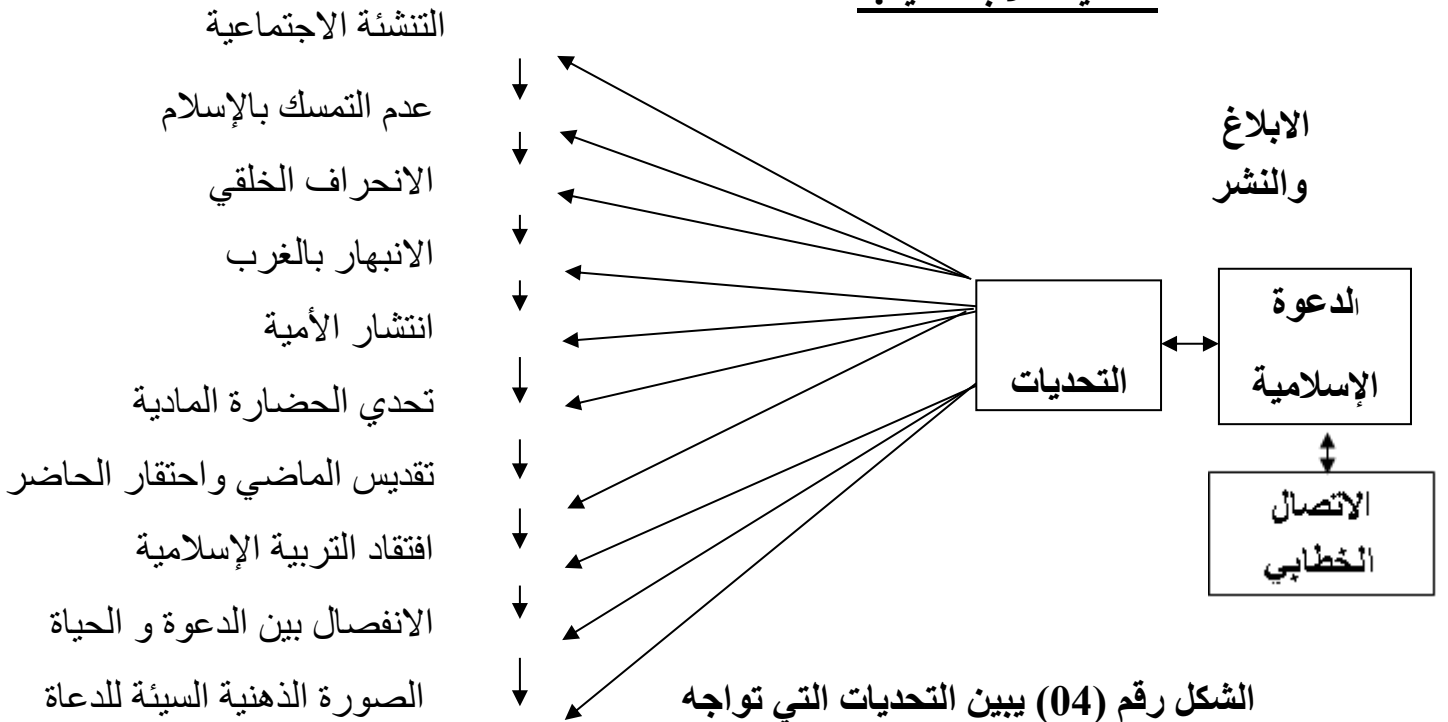
* كالجرائد و المجلات و الكتب و النشرات و الكتيبات، لمزيد من المعلومات ينظر، "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر"، منير حجاب ، ص 334-338.

² "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر"، محمد منير حجاب ، ص 59.



التحديات السياسية: 1

الشكل رقم (03) يبين التحديات التي تواجه الخطاب الديني = الدعوة (السياسية)
التحديات الاجتماعية: 2

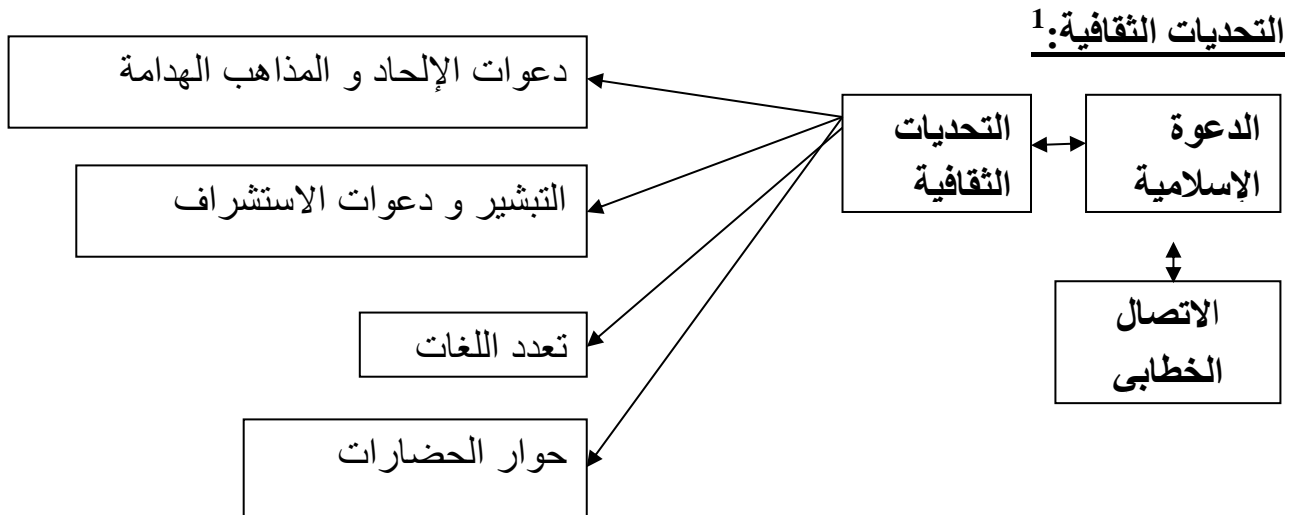


الشكل رقم (04) يبين التحديات التي تواجه

الخطاب الديني (الاجتماعية)

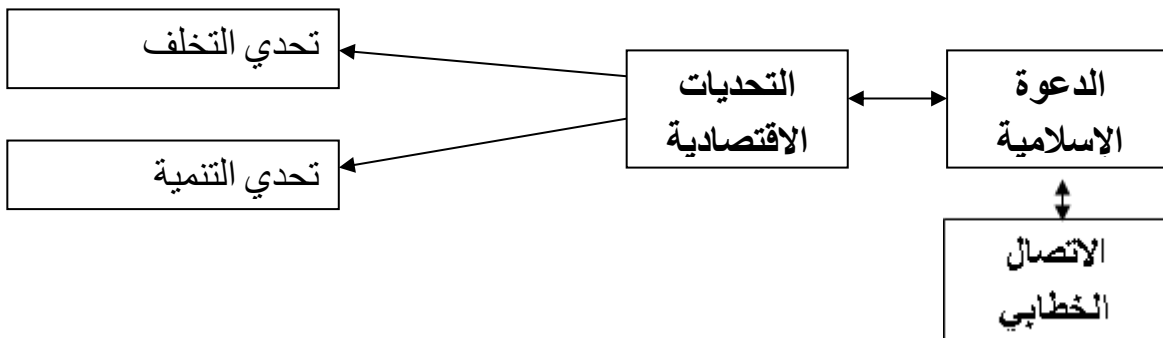
1 "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر"، محمد منير حجاب ، ص 67.

2 "المرجع نفسه" ، ص 81-82 (بتصرف).



الشكل رقم (5) يبين التحديات الثقافية التي تواجه الخطاب الديني في وسائل الإعلام

• **التحديات الاقتصادية: 2**

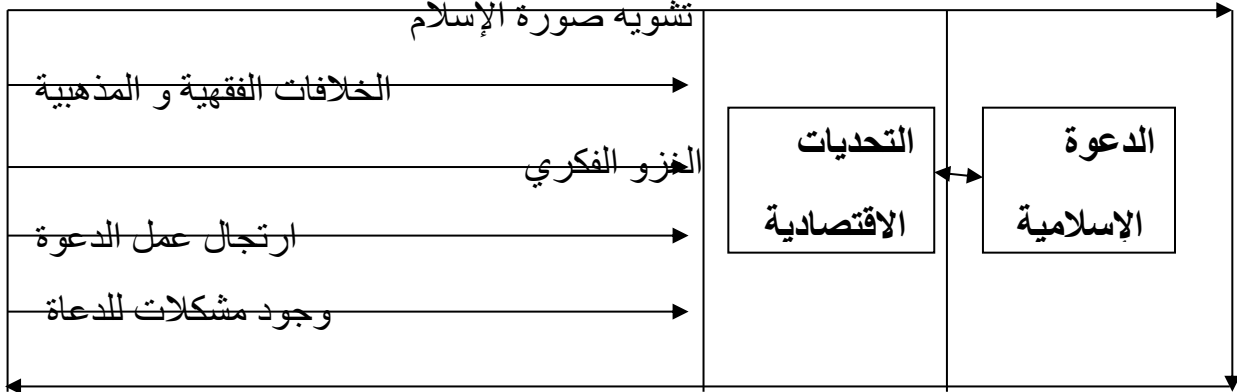


الشكل (06): يبين التحديات الاقتصادية التي تواجه الخطاب الديني في وسائل الإعلام

1 " تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر"، محمد منير حجاب"، ص 101

2 "المرجع نفسه"، ص 112..

التحديات الدعوية: 1



الشكل (07): يبين التحديات الدعوية التي تواجه الخطاب الديني

وتأثير الشكل السياسي في توجيه الخطاب الديني في وسائل الإعلام أمر ملحوظ، هذا يجعله يبتعد عن الثوابت والقواعد، غير المرتبطة بالهوية الإسلامية، وبذلك الفشل لا محال. فنسبة كبيرة جدا من الأفكار و القضايا المثارة في المضمون الديني، التي تقدمه الفضائيات الحكومية، غالبا ما يرتبط باتجاه النظام السياسي الحاكم نحوها ، مما يحد من قدرة هذه البرامج على معالجة قضايا و موضوعات ملحة و ضرورية.

بل قد يصل الأمر إلى أن تفرض الأنظمة السياسية على هذه البرامج الدينية اتجاهها واحدا لا ينبغي تجاوزه، انطلاقا من الدور الذي يحدده هذا النظام السياسي للدين، وعلاقته بالأنظمة المختلفة في المجتمع، الأمر الذي جعل الخطابات تركز على موضوعات قديمة كالوعظ والإرشاد، وتكرار المضمون دون فائدة.²

كما أن العبرة في البرامج الدينية المبتة في وسائل الإعلام من خطب و حصص ومساءلات... إلخ ليس في تعدد ساعات البث، و لكن فيما تقول هذه الخطب و ما تقود إليه؟ و الملاحظ أن هذه البرامج بدءا بالإذاعة، كثيرا ما يغلب عليها الجمود و عدم التطور، مع أنها " أوسع وسائل الإعلام انتشارا و أكثرها شعبية، و جمهورها هو الجمهور العام

¹ "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر"، منير حجاب، ص 115.

² ينظر " المرجع نفسه"، ص 77 و 118.

بمختلف مستوياته".¹ و أنها " المؤسسة الشعبية التي لا نميز فيها بين صغير و كبير، بين ذكر أو أنثى... ، فهي تعتبر (جامعة الإذاعة) أوسع الجامعات و أكثرها شعبية و خطورة... و بالتالي فإنها أكثر مسؤولية في تربية الفكر و النفس و..."²

كما أنها تمتاز بخصائص تجعلها وسيلة تبليغية مهمة مثل السرعة الفورية في نقل الخطاب إلى المتلقي دون حواجز، هذا الأخير الذي يشكل جمهورا عريضا يعد بالملايين، مما يجعلها ذات تأثير محلي و إقليمي و حتى عالمي.³

ولكن رغم أهميتها، إلا أننا كثيرا ما نجد الخطباء أثناء حديثهم، يستخدمون لغة بعيدة عن التداول اليومي للمواطن العادي، بل بأسلوب المعلم لتلاميذه و هذا ما يبعث على الملل، وبالتالي الانقطاع و الانقسام بين المتلقي و الملقى، لأن في هذا عدم احترام للجمهور المستقبل.⁴

أما التلفزيون باعتباره وسيلة اتصال سمعية بصرية جماهيرية" تتميز تقنياتها بضرورة مشاركة المتلقي في استكمال عناصر الفكرة، بتأثير الإدراك البصري للمشاهد".⁵ تزود المتلقي بالصوت و الصورة، و باعتباره الوسيلة الإعلامية الرئيسية في بث الخطاب الديني لما يتميز به من خصائص مثل احتوائه على أكثر من قناة، و هو يضم مجال تغطية عالمية، إلا أنه وفي الوقت نفسه يضم عيوباً تنعكس سلباً على المتلقين، عندما يبث البرامج التي تتعارض مع عادات و تقاليد و دين المشاهدين، مما يؤدي إلى الفساد الخلقي في المجتمع.⁶

فهو يبقى من أكبر الوسائل الإعلامية تأثيراً، لما اجتمع له من مقومات التأثير المختلفة إذ صدر عن منظمة اليونيسيف تقرير عن إحصائيات مشاهدة التلفزيون في عام 2000م، فوجد أن 97% من الناشئة في العالم العربي تشاهد التلفزيون.⁷

¹ " تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر"، منير حجاب"، ص 338.

² "الصحافة و الإعلام النافع"، أسعد أحمد علي، دار السؤال للطباعة و النشر، دمشق، ب ط، ب ت، ص 38.

³ ينظر "الاتصال الإنساني و دوره في التفاعل الاجتماعي"، إبراهيم أبو عرقوب، مجدلاوي، 1993 بط، ص 91-92.

⁴ ينظر "المرجع نفسه"، ص 136.

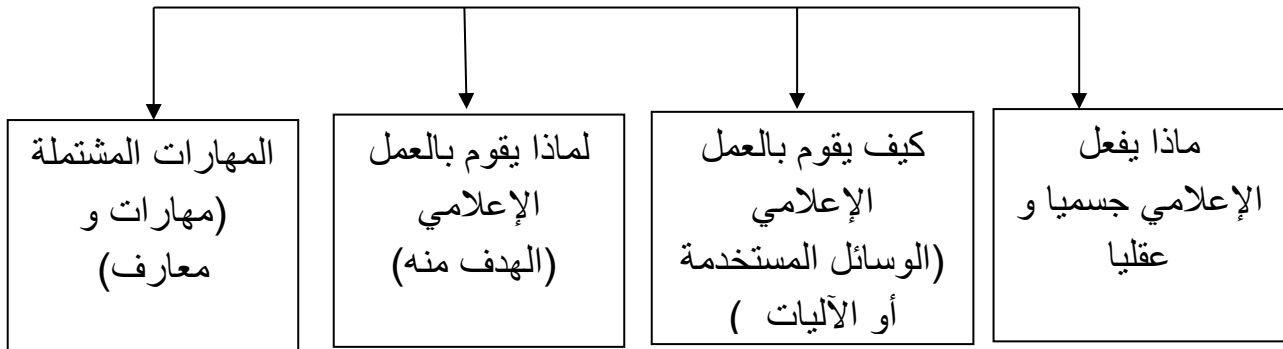
⁵ "نظريات الإعلام و اتجاهات التأثير"، محمد عبد الحميد ص 47.

⁶ ينظر "نظريات الإعلام اتجاهات التأثير"، ص 94.

⁷ "علم النفس الإعلامي"، سامي محسن ختاشة، و أحمد عبد اللطيف أبو سعد، ص 53.

والحقيقة أن عدد القنوات ذات الطابع الإسلامي كثيرة ومتنوعة مثل: "اقرأ، المجد، الراية، البداية والرسالة والحافظ...¹ ، وتلعب برامجها دورا فعالا وخطيرا في القضايا العربية خصوصا إذ أحسن استغلالها وفق إستراتيجية محددة وعمل منظم "... كأن يكون الخطاب الديني عنصرا أساسيا من عناصر الرسالة الإعلامية للتلفزيون فلا يقتصر تركيز البرامج ... على المواسم و المناسبات فقط، كما يجب إعادة النظر في مواعيد بث هذه البرامج، حتى لا تكون مجرد دقائق لملاً الفراغات من ساعات الإرسال التلفزيوني"² ، و لن يتحقق هذا إلا إذا وجدت مهارة تحليل العمل الإعلامي المقدم و هو "... تقديم وصف عام يشمل جميع المهام و الأدوار و المسؤوليات المرتبطة بالإعلام و هو أيضا دراسة دقيقة ومنظمة لمظاهر العمل و شروطه، وخصائصه بأسلوب علمي دقيق وفق خطوات الطريقة الصحيحة لتحديد المتطلبات و المعلومات اللازمة لإتقان العمل و أدائه بنجاح و يساعد في تحديد متطلبات العمل من مهارات جسمية و حركية و عقلية و معرفة طبيعية و ظروف و عوامل النجاح ..."³، إذ يخلص بعض الباحثين إلى تحليل العمل الإعلامي بما يسمونه "معادلة تحليل العمل" و هي موضحة في الشكل الآتي:⁴

(معادلة تحليل العمل)



و بناء على ما سبق يمكن القول بأن الخطاب الديني في وسائل الإعلام – عموما- يغلب عليه غياب التصور الكلي للإسلام، فهو يذكر شيئا عن الصوم و شيئا من الأخلاق...

¹ ينظر "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر"، منير حجاب، ص344

² "المرجع نفسه"، ص 345.

³ "علم النفس الإعلامي"، سامي محسن خثائفة، و أحمد عبد اللطيف أبو سعد، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ص 210،211.

⁴ ينظر "المرجع نفسه"، ص ن.

أي أنه يقدم الإسلام مفتتا مفككا، كما يقدم الإسلام في المواسم و المناسبات،¹ فكل موسم بما يقابله في الشرع، هذه الأمور تحصره في حيز ضيق يعتمد على تلقين الرسالة للمتلقي بإرساء القواعد الدينية الأساسية و جعله غير قادر على التفكير والبحث بمعزل عن الإعلام، كما أنه كثيرا ما يفتقر إلى الآليات الإقناعية اللازمة التي يحقق من خلالها تأثيرا ناجحا وفعالاً...

و حتى تكون وسائل الإعلام نعمة لا نقمة يجب إتباع أساليب جديدة في بثها للخطاب الديني حتى ترقى به إلى المستوى المطلوب منها ما يأتي:

- إلقاء الضوء في وسائل الإعلام على كل ما يطرح من فكر أو اتجاه أو مستحدث لدراسته و تقويمه وفق المعايير الإسلامية.
- الاهتمام باللغة العربية الفصحى و التمسك باستخدامها في الأداء الإعلامي و العمل على ممارستها باعتبارها لغة دولية في العالم الإسلامي.
- السعي إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية المتناحرة و تصحيح المفاهيم و العادات و التقاليد البالية التي لا تتفق مع الحاضر، و تقويم التضامن الإسلامي.²
- الإكثار من البرامج ذات التأثير القوي على المشاهدين مثل الندوات الدينية و الأعمال الدرامية، و سير الشخصيات الإسلامية.
- أن تتوفر مجموعة مسلمة لمتابعة ما يرى و ما يسمع قبل أن يبث في وسائل الإعلام و يكون لها الحكم الفوري النافذ، فلا تقبل عملا فيه مساس بالمفاهيم الإسلامية
- تطوير الأداء الإعلامي و العناية بمناهج و طرق بث الخطاب الديني، و تحقيق التنسيق بين وسائل الإعلام المختلفة لتحقيق دورها في خدمة المجتمع.³
- إيجاد نظام إعلامي قوي يعكس خطابات تخاطب العقل، و تستند إلى المنطق و الحجة، للكشف عن الحقائق بكل مصداقية و دون تزيف.

¹ ينظر "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر"، محمد منير حجاب، ص 345.

² ينظر "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر"، محمد منير حجاب، ص 50-52.

³ ينظر "المرجع نفسه"، محمد منير حجاب، ص 132.

III- آليات تجديد الخطاب الديني في الواقع المعاصرة:

أن الخطاب الديني الموجه اليوم إلى الجمهور يعاني من مشكلات متعلقة بالشكل و المضمون ، تحتاج إلى إزالة الضباب عن مكوناتها الديناميكية التي يفترض أن يوفرها الدين الإسلامي بما يملكه من شمولية و عالمية ضمت جميع شرائع و أدبيات الأديان السابقة ، وهو ما يسهل الارتقاء به إلى مستوى المسؤولية التبليغية الملقاة على عاتق الخطباء.

يتميز الخطاب الديني الإسلامي عن غيره من الخطابات الدينية* بخصائص جعلت منه

سهل التبليغ والإلقاء على مسامع المتعلمين من العامة والخاصة فهو:

1/ **خطاب عالمي:** جاء للبشرية جمعاء، بغض النظر عن أعرافهم وأجناسهم وألوانهم، واختلاف ألسنتهم، لذا خاطبهم القرآن ب "يا بني آدم، ويا أيها الناس"، قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا"¹ ، و لكن يبقى الخطاب الموجه إلى غير المسلمين يختلف عن الموجه إلى المسلمين، حيث كان يخاطبهم في أصول الاعتقاد، و ينفي الإدعاءات والافتراءات التي يثيرونها، لأن الخطاب إما أن يكون موجها إليهم مباشرة بدعوتهم لاعتناق الإسلام والدخول فيه، وترك ما يخالفه، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"² ، وإما أن يكون موجها إلى المسلمين، و ذلك بدعوتهم إلى الالتزام بأحكام الإسلام، و تطبيقها في الحياة، و غالبا ما يكون موجهة بأحب ما يسمعه المسلمون " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا"³.

فالخطاب الإسلامي خطاب يدعو إلى التعايش السلمي العالمي، و احترام الغير واحترام

حقه ورأيه بدليل قوله تعالى: " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ، قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ"⁴.

فمن أحب أن يدخل الإسلام فله ذلك، و من أراد البقاء على معتقده فله ذلك في قوله تعالى:

"و لِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا، فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ أَيْتَمَا تَكُونُوا يَأْتِبِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللّهُ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ"¹.

* الثورات (موسى)، الزابور (داوود)، الإنجيل (عيسى).

¹ سورة سبأ، الآية 28.

² سورة البقرة، الآية 21.

³ سورة الصف، الآية 2.

⁴ سورة البقرة، الآية 255.

2/ خطاب شمولي: فهو شامل لكل معاني الحياة المتصلة في تنظيم علاقة الإنسان بنفسه وخالقه وغيره، جاء خطابا عقائديا في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"²، وجاء سياسيا في قوله "وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتُنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ"³، واقتصاديا، في قوله تعالى: "وَاحْلِلْ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا"⁴، كما جاء اجتماعيا يعالج مشاكل الأسرة و المجتمع في قوله تعالى: "وَلَيْسَتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ"⁵ و قال "لَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا"⁶.

كما جاء بقوانين تضبط العلاقات بين الأفراد فطالب بالعدل و التزام العهود و الموائيق "وَأِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ"⁷ وقوله "وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا، وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا"⁸

3/ يحقق الطمأنينة و السعادة والاستقرار في الحياة الإنسانية: قال تعالى: "فَأَمَّا يَا تَيْنُكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى"⁹، فهو يقوم على عقيدة التوحيد التي تملأ العقل قناعة، و توافق فطرة الإنسان، و تملأ القلب طمأنينة، و تنهى عن العبث في الأرض و الفساد، و سفك الدماء "وَلَا تَعْبَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ"¹⁰ كما أنه يحقق هذه الحاجة النفسية التي يؤدي عدم إشباعها إلى اضطراب حياة الإنسان مصادقا لقوله تعالى: "أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ"¹¹.

¹ سورة البقرة، الآية 148.

² سورة البقرة، الآية 21.

³ سورة المائدة، الآية 49.

⁴ سورة البقرة، الآية 275.

⁵ سورة النور، الآية 33.

⁶ سورة الإسراء، الآية 32.

⁷ سورة الأنفال، الآية 72.

⁸ سورة النحل، الآية 91.

⁹ سورة طه، الآية 123-124.

¹⁰ سورة البقرة، الآية 60.

¹¹ سورة الرعد، الآية 28.

4/ **خطاب نهضوي:** جاء لينهض بالإنسان النهضة الصحيحة، وحل العقد الكثيرة بواسطة الفكر المستنير، هذا الفكر الذي ميزه الله به لإنفراده بخاصية العقل الذي يستخدمه في كل أموره "...فأحكام الإسلام لا تتناقض مع العقل، وواجب الإنسان أن يستخدم كل المعارف ليصلح من أحواله في المجتمع، و يتصرف بعقله وبفكره و يقوم كل أمر، و ينمي هذا العقل بالبحث المستمر والاجتهاد في الحياة الدنيا ليكون سلوكه متقفا مع العقل السليم"¹ ، وذلك بالسير على منهاج التربية الإسلامية.²

والإنسان بغير هذه المفاهيم يبقى أسير الهوى والتخلف والانحطاط ، قال تعالى: " وَ لَقَدْ دَرَأْنَا لِحِبَّتِهِمْ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ"³.

5/ **خطاب مؤثر:** لأنه يخاطب عقل الإنسان و فطرته السليمة، و يحرك مشاعره، و عواطفه في اللحظة نفسها التي يستثير فيها عقله، و هو الذي جعل الطفيل بن عمرو والدوسي يقول لما سمع خطاب القرآن من الرسول(ص) قال "فلا و الله ما سمعت قولاً قط أحسن منه و لا أمراً أعدل منه"⁴ و هو الذي جعل عمر بن الخطاب -الذي قالوا فيه لو آمن حمار بن الخطاب ما آمن ابن الخطاب- أن يلين قلبه بمجرد أن قرأ الآيات من سورة طه فقال: "ما أحسن هذا الكلام و أكرمه"⁵، فالأمثلة كثيرة في من آمن بمجرد سماع خطاب القرآن و هو مؤثر أيضاً في نفوس المؤمنين، قال تعالى " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"⁶. فالخطاب القرآني يمد المسلمين بالطاقة الروحية التي تجعل من الضعيف قويا، و من المنهزم منتصرا، و هذا لغز انتصار المسلمين، مع قلة عددهم و ضعف إمكاناتهم على أعدائهم.

6/ **خطاب ثابت و خالد:** لا يتغير بتغير الأزمنة و الأمكنة، و المقصود بالخطاب الثابت هو الأحكام الشرعية، والتي إذا عالجت قضية ما تبقى تأخذ نفس الحكم، و إذا كان هناك واقع

¹ "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر"، محمد منير، حجاب، ص 39.

² ينظر "المرجع في مبادئ التربية"، تأليف مجموعة من الدكاترة، اشراف سعيد التل دار الشروق، للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 1993، ص 483.

³ سورة الأعراف، الآية 179.

⁴ "السيرة النبوية"، ابن هاشم، دار الفكر للتراث، ط1، ج1، ص24.

⁵ "المرجع نفسه"، ص 221.

⁶ سورة الأنفال، الآية 02.

جديد فإنه يحتاج إلى آخر، أما الأساليب والوسائل فإنها تتغير وتتبدل، و قد أعطى لكل مسألة حكما خاصا بها، كما أنه الدين الوحيد الذي أعطى كل الحوادث الماضية و الحاضرة و حتى المستقبلية أحكاما شرعية، منها ما يبنى على القرآن و منها ما يبنى على السنة و منها على القياس و الإجماع... إلخ.¹

7/ **خطاب إعلامي**²: فقد جعل الله تعالى أمة محمد أمّة مثلى تقوم بالإعلام عن دين الله الحق و بيانه لكل البشرية، "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"³.

فقد كانت الدعوة و التبليغ و المخاطبة به مسؤولية واجبة بتوجيه من الله تعالى إلى رسوله " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتِهِ..."⁴ و حملها بعده أمته، و لهم فيها أسوة حسنة " قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي"⁵، و التبليغ بخطاب الله يحدد مسؤولية كل مسلم و مسلمة "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ"⁶.

بناء على ما سبق يمكن القول إنّ الأزمة التي يمر بها الخطاب الإسلامي اليوم إنما هي انعكاس لأزمة في طريق التبليغ و التعبير، وفي كيفية التعامل معه و تطبيقه على الواقع المعاش لأن خصائصه تعفيه من أن يكون محل شبهة.

يقول أحد المفكرين العرب المعاصرين في هذا الصدد: إن واقع المسلمين الراهن هو أسوء واقع و الانهيار المستمر في حياتهم يهددهم و لكن أين يقف هذا الانهيار و يبدأ التحول؟⁷ من هنا يطرح السؤال: ما هو الدور الذي لا بد أن يلعبه الخطاب الديني اليوم في المجتمعات العربية و العالمية باعتباره خطابا تواصليا يفيد الإقناع و التأثير؟ وكيف يكون

¹ ينظر "أصول الفقه"، محمد أبو زهرة، ص 184.

² ينظر "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر"، محمد منير حجاب، ص 41.

³ البقرة الآية، 159-160.

⁴ سورة المائدة، الآية 67.

⁵ سورة يوسف، الآية 108.

⁶ سورة التوبة، الآية 71.

⁷ ينظر "الفكر الإسلامي المعاصر و رهانات المستقبل" محمد محفوظ، المركز الثقافي العربي، ط1، 1999 بيروت، ص

ذلك؟ و الإجابة عليه تحدد لنا نمط الخطاب الإسلامي الذي يريده المجتمع ويتمناه حتى يرتقي إلى ما فيه الخير.

يقول محمد الغزالي إن كلمة التجديد تحتاج إلى ضبط، فإن كان القصد إعادة الإسلام إلى ما كان عليه بإزاحة ما علق به من شوائب فهو تجديد محمود، و إن كان -على حد تعبيره- الإتيان بقطع غيار أخرى من أنظمة أخرى لكي تحل أنظمة معطوبة عندنا فهذا مرفوض... فالإسلام دين كامل تم فيه كل شيء بإرادة الله¹ "وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَ عَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"².

أما الذي عناه الغرب من فكرة (تطوير الخطاب الديني) أو تحت مفهوم التجديد، إنما هو تغيير و تبديل و تحريف في جوهر الإسلام، لأنهم يرون أن الإسلام يحمل مفاهيم متميزة مميعة، و غير مدمجة، و على أساسها يقوم خطابه، وهو يحمل وجهة نظر خاصة ويطرح نظاما بديلا لكل الأنظمة الوضعية، وبذلك فهو يشكل تهديدا صريحا لمصالح الغرب، ولذلك تعالت أصواتهم بضرورة تطويره عبر صياغة جديدة ترضي آمالهم، بحجة أن الإسلام هو دعوة إلى الكآبة و اعتزال عن الدنيا و حمل الهموم.³

و أزمة الخطاب الديني اليوم هي انعكاس طبيعي لأزمة الدين في المجتمع والنهوض بها هو النهوض بالأمة، فنحن في دراية تامة بأن الأسباب و الحوادث قد تؤول دون إحداث قفزة تجديدية في الواقع العربي و الإسلامي، و يبقى الجمود الفكري و المجتمعي هو العائق الأساس الذي يمنع التجديد، و يحارب إرهاباته و أي تجاوز لهذا العائق يبني اتجاهها نحو التجديد.⁴

و النهوض به يعني-أيضا- كسر النمطية و التقليدية في طريقة بثه وإيداعه وتوجيهه للجمهور وفق آليات تداولية محددة، وإيجاد برامج جماهيرية داعية إلى العمل التخصصي و النوعي و استيعاب المتلقي مع مراعاة كل ما يضمن عملية اتصال و تبليغ ناجحة و مقنعة.

¹ ينظر "لقاءات و حوارات حول واقع الحركة الإسلامية المعاصرة"، محمد الغزالي، ص 181.

² سورة الأنعام، الآية 115.

³ ينظر "المرجع نفسه"، ص 193.

⁴ ينظر "الفكر الإسلامي المعاصر و رهانات المستقبل"، محمد محفوظ، ص 15.

و مواجهة الجمود في الخطاب الإسلامي في حد ذاته، هو ما يرمي إليه الدعاة العرب اليوم تحت مفهوم التجديد الذي يتجه إلى فهم الناس للدين، أو بمعنى تجديد تقنية إفهامهم،¹ لأنه لا يعني الانفلات والتحرر من الضوابط والمعايير المعرفية والحضارية، وإنما يعني ضرورة بلورة وتجديد العناصر التي على أساسها تقوم هذه العملية، حتى لا تتحول إلى انتهاك للأسس والركائز التي تعتمد عليها الأمة في عملية التفاعل مع واقعها المعاش ومع غيرها من المجتمعات الأخرى.²

فالملاحظ اليوم هو إخفاق الخطاب الإسلامي في تحديد أهدافه الأساسية ومهامته التي منها:³

- الأهداف التحسينية: عجز الخطاب الإسلامي - رغم هيمنته الطويلة على المنابر و المناهج- من تحصين الشباب، و تقوية مناعتهم في مواجهة أمراض التطرف، وفيروسات الفكر الغربي التي غزت نفوسهم و عقولهم.
- الأهداف التنموية: فطبيعة الدين أنه قوة تشحن طاقات المسلم، للبناء و الإنتاج والإخلاص في العمل، لكن الخطاب السائد، لم يستطع توظيف طاقات المسلم في السياق الحضاري.
- الأهداف التوحيدية و الدعوية: أصبح خطابا يساهم في تكريس الفرقة و تغذية الصراعات السياسية، أكثر منه خطابا توحيدا يلم الشمل، كما أنه فشل في تقديم صورة حضارية للإسلام في العالم المعاصر

هذا الإخفاق في تحقيق المرامي يجب أن يتبعه تحديث يهدف إلى التحدث بلغة العصر و مخاطبة كل مجتمع بما يفهمه، و بما يحتاج إليه.

وذلك يعني التغيير في الوسائل والأساليب المستخدمة في توصيل الخطاب، وفي طريقة الطرح بمراعاة كل شروط العملية الإبلاغية باعتباره رسالة اتصالية تفيد الأخبار

¹ ينظر "الفكر الإسلامي المعاصر و رهانات المستقبل"، محمد محفوظ " ص 82.

² ينظر "المرجع نفسه" ص 17 .

³ "نحو خطاب ديني معاصر"، القسم الثاني تجديد الخطاب الديني لماذا؟ عزيز عبد الواحد بتاريخ 2001/02/02

موقع www.a/roor.se/article.asp?id=68176 hHp

والإعلام و الإقناع والتربية، أي " التجديد في طريقة العرض ... في طريقة الخدمة... في طريقة النقل إلى الناس".¹

والمقصود بالتربية الدينية تلك العملية الاجتماعية التي تهدف إلى إيصال الفرد إلى درجة الكمال التي هياها الله له من خلال مراعاة فطرته و تنمية مواهبه و قدراته و طاقاته من أجل إعمار الأرض وتحقيق العبودية لله".²

فإعادة النظر في النتاج الثقافي والإعلامي ككل، والتماس مواطن العلل والضعف ومراجعة وفحص محتوى الخطاب الديني والآليات والشكل الذي يتخذه الخطيب للوصول إلى المتلقي سواء المحلي أو الخارجي على حد سواء أمر ضروري، مع ملاحظة التأثير والفاعلية التي تنتج من تلك العملية الخطابية، لأن عمل الخطاب قد يصيبه النجاح و يأتي ثمرته، و قد يعثره تعثر فيصيبه الفشل، و ذلك بحسب قدرة الخطباء و العاملين على إيصاله على ملائمة و تطوير سبل الإبلاغ بما يقتضيه سياق الحال.³

هذا ما قصده محمد الغزالي رحمه الله في قوله: "...يجب إدراك أبعاد الساحة التي يعملون فيها والقدرة على تحديد الموقع الفاعل المؤثر، والوسيلة المجدية من خلال الظروف المحيطة والإمكانات المتاحة، الأمر الذي يقتضي معاناة دائمة وحسا صادقا، وإدراكا ووعيا و عقلا راجحا و اطلاعا واسعا، و حسن دراية..."⁴

لأن الخطيب "...هو الذي توكل إليه و يقع على عاتقه تحقيق تلك الأهداف، تخطيطا وإعدادا وتنفيذا، فإذا ما أحسن إعداده وتأهيله ارتفعت كفايته وإنتاجيته وحسن أدائه..."⁵

فالمعروف أن الخطباء و الأئمة يستمدون أصول دعواتهم و مسلماتها، و غاياتها من الدين الحنيف، و من التجديد إستخدام كل أدوات العصر و تقنياته خدمة للغايات النبيلة، و لا يكون ذلك إلى بـ:

¹ "لقاءات و حوارات حول واقع الحركة الإسلامية المعاصرة"، محمد الغزالي ، ص 182.

² "مفاهيم علماء النفس"، هشام البدراني ، دار البراق ، الأردن ، ط1 ، 1997، ص212.

³ ينظر "لقاءات و حوارات حول واقع الحركة الإسلامية المعاصرة"، محمد الغزالي، ص 20.

⁴ ينظر "المرجع نفسه"، ص ن.

⁵ "تنمية مهارات التواصل الشفوي"، راشد محمد عطية ، إيتراك للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1، 2005، ص 19.

- توحيد الجهود لتقديم خطاب ديني إعلامي في أفضل حال، والخروج إلى العالمية بمراعاة الخلفية الثقافية والعقائدية، والاجتماعية للمتلقين.¹
- تغيير نمطية بث الخطاب الديني، وطريقة طرحه، بالدعوة إلى العمل التخصصي والنوعي
- تقديم الوجه الحقيقي للإسلام بانتهاز حرية الفكر، و انفتاح الأبواب لشرح الإسلام شرحا حسنا² في أفضل صورة.³
- ضرورة وجود خطاب عام و خاص في الوقت نفسه نتيجة لتنوع جمهور المتلقين للخطاب الإسلامي، مع مراعاة خصائصه، كان يقوم على اللين والرحمة ووزن الأمور بالميزان الصحيح وأخذ الناس بالتدرج.
- أهمية أن تتوفر في الخطيب القدرة التبليغية، وأن يكون الخطاب إلى غير المسلمين موجه بطريقة تتوفر فيها الحكمة، وحسن اختيار الموضوع بالأسلوب المؤثر و المنهج الناجح.
- التنوع في استراتيجيه بناء الموضوعات وطرح الأفكار وتلويينها ، من شأنها أن تضي على الخطاب الحيوية و القبول.
- حسن استخدام الوظيفة التفاعلية و التفاعلية في استخدام اللغة، فيركز المرسل جهده نحو بناء الخطاب، ليستطيع المتلقي أخذ المعلومات الصحيحة و الدقيقة منه.⁴
- التوفيق بين ثوابت الدين ولغة العصر، و الاتفاق على تصور مشترك واحد لهذا الخطاب الديني المواكب للمستجدات.
- الثقة و المصادقية في انتقاء الأخبار، كما يجب أن تتسم الرسالة الخطابية بالدقة وترتبط بالأهداف الموضوعية وأن تحمل ما يقرب المفاهيم للناس كل و حسب قدراته واستعداداته، كما يجب مقاومة كل ما هو خارج عن قيم وسلوكيات ديننا الحنيف.⁵

¹ ينظر " الفكر الديني في مواجهة العصر"، عفت الشرفاوي ص 89.

² ينظر "لقاءات و حوارات حول واقع الحركة الإسلامية المعاصرة"، محمد الغزالي ص 185.

³ ينظر "الفكر الديني في مواجهة العصر"، عفت الشرفاوي، ص 97.

⁴ ينظر "استراتيجيات الخطاب"، عبد الهادي بن ظافر الشهريري، ص 4.

⁵ "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر"، محمد منير حجاب ، ص 40-49.

- مراعاة الشروط المتعلقة بلغة الخطاب اللفظية كأن تكون قادرة على التعبير بسلاسة ووضوح باستخدام وسائل الإقناع وأساليب التأثير¹.

هذه من بين الأساليب التي تعكس إستراتيجية تجديد الخطاب الديني حتى يستطيع تأدية دوره وفعاليته بشكل دائم و مستمر، وهي تركز أساسا على آليات إقناعية متعددة ومختلفة سأعرض إليها لاحقا بتفصيل أكثر - إن شاء الله-.

¹ "إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية"، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد ب ت، ب ط، ص

❖ الفصل الأول :

في الاتصال الخطابي (المفهوم ، النشأة ، التطور)

المبحث الأول :

I- مفهوم الخطاب والخطابة

1- في الثقافة العربية : أ- لغة

ب- اصطلاحا

2- في الثقافة الغربية

II- مراحل تأسيس الخطاب الديني

1- بوادر نشأة فن الخطابة

2- أوليات الخطاب العربي الجاهلي

3- ميلاد الخطاب الديني (نزول القرآن)

4- مراحل نضج الخطاب الديني : أ- مرحلة صدر الإسلام

ب- مرحلة ما بعد صدر الإسلام

المبحث الثاني :

I - مفهوم التواصل الخطابي

1- أنواعه

2- الوظائف الخطابية في نظرية ياكبسون

II- عناصر الاتصال الخطابي

2- عناصره : 1- من المرسل؟ (الخطيب)

2- يقول ماذا؟ (الخطاب)

3- لمن؟ (المخاطب)

4- بواسطة ماذا (القناة)

5- بأي تأثير؟ (استجابة)

III- نموذج الاتصال الإسلامي (الخطاب الديني)

المبحث الأول

تأصيل مفهوم الخطاب و الخطابة:

1- في الثقافة العربية: للحديث عن نشأة الفن الخطابي لا بد أولاً من التحدث عن مفهومه الذي تعدد بتعدد المهتمين به، إذ وردت فيه تعريفات كثيرة " بوصفه فعلاً يجمع بين القول والعمل"¹

أ- لغة :

لكي نتمكن من تحديد ماهية الخطاب و الخطابة بشكل دقيق و عميق، لا بد من العودة –أولاً- إلى القرآن الكريم باعتباره الأكثر تجانساً مع خصائص البيان العربي.

وردت مادة (خ- ط- ب) في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة موزعة على اثنتي عشرة سورة، بصيغ متعددة² تارة بلفظ الخطب، و تارة بلفظ الخطاب، و تارة بصيغة الفعل... ومثال ذلك:

" قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ " ³

" قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ... " ⁴

" وَ لَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا... " ⁵

" رَبُّ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ فِيهِ خِطَابًا " ⁶

" وَ إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا " ⁷

أما الخطاب بلفظه فقد ورد في قوله تعالى " وَ أَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَ فَصَّلَ الْخِطَابَ " ⁸ والمراد بفصل الخطاب هو القدرة على التعبير عما يخطر بالبال ويحضر في الخيال أو بمعنى آخر هو " نظام القول الجامع أهم شروط التأثير والإقناع " ⁹.

¹ "استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية"، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان ط1، 2004، ص 34.

² "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم"، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت 1986، ب ط، ص 235.

³ سورة الداربات، الآية 31.

⁴ سورة طه، الآية 95.

⁵ سورة هود، الآية 37.

⁶ سورة النبا، الآية 37.

⁷ سورة الفرقان، الآية 63.

⁸ سورة ص، الآية 20.

⁹ ينظر "الخطاب والنص"، عبد الواسع الحميري، ص 27.

وقد جمع الله تعالى لداود عليه السلام في الآيات الأولى من السلطة والقدرة ما جعل خطابه كفيلا لاستمرار حكمه في الأرض.¹

والملاحظ مما سبق من ورود مادة (خ ط ب) في القرآن الكريم أنه قد يراد به إما الملفوظ نفسه أو عملية التلفظ أو يراد به ما يقع فيه التلفظ أو يراد به نظام التلفظ أو نظام القول و نظام الفعل و دوافعهما.²

كما وردت هذه المادة أيضا في كتب الأحاديث و السيرة ، وأحيل على " المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي" للوقوف على استعمال هذا المصطلح في الأحاديث النبوية".

أما إذا عدنا إلى المعاجم العربية فإننا نجد المادة المعجمية "خطب" تحيل إلى عدة دلالات لغوية، ف" الخَطْبُ: الأمر العظيم، و الأمر الذي تقع فيه المخاطبة و منه قولهم: حَلَّ الخَطْبُ، أي عَظَّمَ الأمرُ و الشَّانُ و جَمَعُهُ خُطُوبٌ، و خَطَبَ المرأةَ خِطْبَةً - بكسر الخاء- طلب إلى وليها أن يزوجه منها، و خَطَبَ الخَطِيبُ خُطْبَةً - بضم الخاء- و الخُطْبَةُ الكلام المنثور المسجع ونحوه، و رجل خَطِيبٌ، حَسَنُ الخُطْبَةِ، و (الخَطَّاب) بالتشديد، المتصرف في الخطبة، والمخاطبة مراجعة الكلام و " فَصَلُ الخِطَابِ، الحُكْمُ بالبينة"³.

وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711 هـ) : " الخِطَابُ و المُخَاطَبَةُ مراجعةُ الكلام و قد خَاطَبَهُ بالكلام مُخَاطَبَةً و خِطَابًا، و الخُطْبَةُ مصدرُ الخَطِيبِ، و خَطَبَ الخَاطِبُ على المنبر وَاخْتَطَبَ يَخْطُبُ خِطَابَةً، و اسم الكلام الخُطْبَةُ... مصدر الخَطِيبِ... اسم للكلام الذي يتكلم به الخَطِيبُ" و ذهب أبو إسحاق إلى أن الخطبة عند العرب الكلام المنثور... و الخُطْبَةُ مثل الرسالة التي لها أول و آخر... و رجل خَطِيبٌ حَسَنُ الخُطْبَةِ، و جمع الخَطِيبِ خطباء"⁴.

¹ ينظر "تأصيل الخطاب في الثقافة العربية"، المختار الفجاري، دار الفكر العربي المعاصر، ع100-101، 1993 ص 31.

² ينظر "الخطاب و النص"، عبد الواسع الحميري، ص 28.

³ "القاموس المحيط"، الفيروزبادي، مادة خطب، ص 05.

⁴ "لسان العرب ابن منظور"، دار صادر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت/ لبنان ط1، 2000م مجلد5 مادة خطب ص 98.

وجاء في التهذيب: " الخُطْبَةُ مصدر الخَطِيب... و الخُطْبَةُ اسم للكلام الذي يتكلم به الخَطِيب... و قال اللّيث: الخِطَابُ مراجعة الكلام وجمع الخَطِيبِ خُطَبَاءٌ"¹
أما الزمخشري (ت 538 هـ)، فجاء في تعريفه: "خطب: خَاطَبَهُ أَحَسَنَ الخِطَابِ، و هُوَ المُوَاجَهة بالكلام و خَطَبَ الخَطِيبُ الخُطْبَةَ...، فَتَخَيَّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ ذُو البِيانِ فِي خُطْبَتِهِ"²
وجاء في المعجم الوسيط: " خَطَبَ النَّاسَ و فِيهِمْ و عَلَيْهِمْ خَطَابَةً و خُطْبَةً ألقى عليهم خُطْبَةً... خَطَبَ خَطَابَةً صَارَ خَطِيبًا... خَاطَبَهُ... خِطَابًا عَالَمَةً و حَادَثَهُ و وَجَّهَ إِلَيْهِ كَلَامًا و يُقَالُ خَاطَبَهُ فِي الأَمْرِ حَدَثَهُ بِشَأْنِهِ... الخِطَابُ الكَلَامُ... الخُطْبَةُ: الكَلَامُ المَنْثُورُ يَخاطِبُ بِهِ مُتَكَلِّمٌ فيصيحُ جَمْعًا مِنَ النَّاسِ لِإِقْنَاعِهِمْ"³

هذا ما يعني أن الخطاب عبارة عن فن مواجهة الآخرين بالكلام، أو هو نظام صياغة الكلام وتنظيمه بغرض التأثير في الآخرين، يتوجه به المتكلم إلى المتلقين بطريقة معينة تجعله قادرًا على إقناعهم، بوجهة نظره أو فكرته⁴، و ذلك باتباع مختلف طرق التأثير الظاهرة منها والخفية.

وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت 395 هـ)⁵ الخطاب " الكلام المتبادل بين اثنين يقال: خَاطَبَهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا و الخُطْبَةُ من جنس الخِطَابِ و لا فَرْقَ"
وفي العين للخليل (ت 175 هـ) " الخطبُ: سبب الأمر الذي تقع فيه المُخَاطَبَةُ و الخِطَابُ، مراجعة الكلام وتبادلته بين اثنين أو أكثر، و الخُطْبَةُ مصدر الخَطِيبِ... و الخُطْبَةُ إن شئت في النكاح وإن شئت في الموعدة."⁶

¹ "تهذيب اللغة"، أبي منصور محمد ابن أحمد الأزهرى، تح، أحمد عبد الرحمن مخدم، منشورات دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، المجلد5، 2004، ص 162.

² "أساس البلاغة" للزمخشري، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت/ لبنان، ط1، 1430هـ-2009م، مادة خطب، ص 165.

³ "المعجم الوسيط"، مجمع اللغة العربية، إخراج إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الضواحي، محمد خلف الله أحمد، إشراف حسن.

⁴ ينظر "الخطاب و النص المفهوم، العلاقة، السلطة" عبد الواسع الحميدي " مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، بيروت ط1، 2008، ص 12.

⁵ "معجم مقاييس اللغة"، لابن فارس، دار صادر، بيروت ط1، 1992، ص 167-168.

⁶ "كتاب العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي، دار إحياء التراث العربي، ب ت، ص 252.

انطلاقاً مما سبق و من الدلالات الواردة لمادة خطب، أستطيع القول أنها تضمنت في مجملها عدداً من المدلولات التي شكلت بمجموعها الرؤية اللغوية والبيانية لمفهوم الخطاب والخطابة، و قد بقيت هذه المدلولات ذاتها في الدراسات اللغوية الحديثة.

ب- اصطلاحاً :

عرف الخطاب عند بعض المتقدمين من علماء الأصول أنه " الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيئ للفهم"¹ ومعنى هذا " أنه الكلام الموجه توجيهها مباشراً من مخاطب بعينه إلى مخاطب بعينه في سياق أو مقام بعينه لتحقيق غاية بعينها هي إفهام ما هو متهيئ لفهمه"². كما أن الأصل في الخطاب، كما في الكلام "... قد يراد به العبارة الدالة بالوضع وقد يراد به مدلولها القائم في نفس المتكلم... و هذا يقتضي أن الخطاب قد يطلق على الكلام الحسي، و على الكلام النفسي الموجه نحو الغير بهدف إفهامه"³

و هو من منظور مفكرين آخرين الكلام الموجه إلى الآخرين لتحقيق مقصد ما، أو بمعنى آخر هو اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو مستعد لفهمه، انطلاقاً من هذا المعنى يشترط في الخطاب أربعة شروط:⁴

- أولاً: اللفظية أو التلفظية، إذ يجب أن يكون الخطاب ملفوظاً أي مجرى الكلام اللفظي و ليس الإشاراتي (الكلام المنطوق).
- ثانياً: الاصطلاحية أي أن يكون الكلام الملفوظ جارياً مجرى العادة في التكلم (اللغة المستعملة المتفق عليها).
- ثالثاً: قصدية الإفهام فالقصد من كل كلام خطابي إنما الإفهام، أي تحقيق غرض من الأغراض بإيصال ذلك الكلام الخطابي الموجه إلى المخاطب توجيهها مباشراً، وفق سياق و نظام محدد و في زمن معين.

¹ "البحر المحيط في أصول الفقه بدر"، الدين الزركشي تح محمد تامر، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2000 م، ج1 ص 98.

² "الخطاب و النص، " المفهوم و العلاقة السلطة" عبد الواسع الحميري، ص 29.

³ المرجع نفسه، ص ن.

⁴ "المرجع نفسه، ص 30.

• رابعاً: الحضور المباشري في حضرة المخاطب، و هذا يقتضي أن يكون المخاطب الموجه إليه الكلام جاهزاً و مستعداً و متهيئاً لاستيعاب الكلام المباشر الموجه إليه دون أي لبس أو غموض.

من هنا يمكن القول إنّ الدلالات الواردة التي تسهم في بناء مفهوم الخطاب أربعة عناصر أساسية تتمثل في:¹

1- عنصر التوجيه المباشر.

2- عنصر نظام التوجيه.

3- عنصر الموقف التبادلي أو التفاعلي الذي يقع فيه.

وإذا أردنا المقارنة بين مفهوم الخطاب و الخطابة فإننا سنجد أن عنصر الخطبة أو الخطاب نفسه بما يتضمنه من دلالات بعينها.

إذ من شأن المدلول " الخطب " بالسكون أنه يحيل على مقام التخطب و سياقه و خلفيته المرجعية لكل من الخطبة و الخطاب أي السياق الاجتماعي أو التاريخي أو... الذي استدعى الخطاب أو الخطبة، إذ لا يوجد هذا الأخير إلا لأمر استدعته الضرورة.

أما " الخطبة " بالكسر فهي طلب الرجل إلى وليّ المرأة الزواج منها، إلا أنه يدل على الخطبة - بالضم- بدلالة لزوم الضرورة إذ لا خطبة بدون خطبة، أو دون توفر فن الخطابة بعامّة، بوصفها فن التأثير والإقناع و توجيه الإرادة.²

ومن هنا تبرز العلاقة الوطيدة بين الخطاب و الخطابة إذ أنهما مرتبطان ارتباطاً شديداً ف" الخطابة أو الخطبة بهذا المفهوم، الأصل المرجعي للخطاب الذي نظر إليه في الوعي البياني و البلاغي على أنه هو الآخر مشروط بالإقناع و التأثير، أو الجاري مجرى التأثير والإقناع"³.

¹ "الخطاب و النص، المفهوم، العلاقة، السلطة"، د. عبد الواسع الحميري، ص 13 .

² ينظر "المرجع نفسه"، ص 17، 18.

³ "المرجع نفسه"، ص 14.

ألا ترى أنك تقول: " ألقى خطيب الجمعة حُطبة مؤثرة، كما تقول أيضا ألقى رئيس الدولة خطابًا هامًا، فكلاهما اسم لحدث التَّخاطبِ، الشفهي الجاري مجرى الإلقاء أي مجرى التلفظ المنبري المعبر عن السلطة " ¹.

كما أن الخطابة أو الحُطبة هي أيضا " ... تفيد الكلام الذي يلقي في جمهور الناس للإقناع و التأثير، و حمل السامع على التسليم بصحة القول و صواب الفعل أو الترك " ²، فهي كلام منثور يهدف إلى توضيح أمر أو قضية لإفهام هذا الجمهور وتوجيهه و استمالاته بإثارة عواطفه لاتخاذ موقف ما هو الموقف الذي يرمي إليه الخطيب " ³ و ذلك في بناء لغوي لا يخرج عن إطار الحُطاب اللغوي الإقناعي والإفهامي والإبلاغي والاتصالي في آن واحد ⁴. وهذا يعني أن بناء الحُطبة يخضع لقوانين اللغة وضوابطها و يخضع في الوقت نفسه لعملية تفكير تساير المنطق، و تأخذ وضعية الإقناع و التأثير، مثلها مثل بناء الحُطاب بشكل عام فإن كانت تعني " قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحدة من الأشياء المفردة " ⁵ فإن هذا يعني:

- القوة: الصناعة التي تفعل في المتقابلين و ليس يتبع غايتها فعلها ضرورة.
- التكليف: أن تبدل مجهود في استقصاء فعل الإقناع الممكن.
- الممكن: الإقناع الممكن في ذلك الشيء الذي فيه القول و ذلك يكون بغاية ما يمكن فيه. ⁶

فإن الخطاب بشكل عام هو الآخر يتكلف الإقناع الممكن، و لعل الفرق الوحيد الذي يمكن أن يميز مفهوم الحُطاب عن مفهوم الحُطبة في الوعي البياني المعاصر، هو أن المفهوم الأول أعم و أشمل من المفهوم الثاني وأكثر اتساعا في إنتاج الدلالات، يقول -في ذلك- كمال عمران " إن الانتقال من ظاهرة الحُطابة إلى ظاهرة الحُطاب، انتقال من كون تقليدي إلى آخر حدائي، يتحرك الكون التقليدي في دائرة لغوية لاحظ لها في إنتاج المعرفة، و في تحقيق

¹ "الخطاب و النص"، عبد الواسع الحميري، ص 15.

² "فن الخطابة و إعداد الخطيب"، علي محفوظ، ص 13.

³ "فن الخطابة" أنطوال القوال، منشورات دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، يناير 1996، ص 11.

⁴ ينظر "فن الخطابة و إعداد الخطيب"، علي محفوظ، ص 13.

⁵ "الخطابة أرسطو"، تح عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959، ص 09.

⁶ ينظر "تلخيص الخطابة"، ابن الوليد بن رشد، تح محمد سليم سالم، القاهرة 1387هـ، 1967م، ص 28.

الاتصال إلاحظ الآلة و الوسيلة "1 ، فهو يرى أن الخطابة تستخدم اللغة وسيلة لتعليم الدين الذي يفرض على كل شخص تعلمه، كما أنها مرتبطة خصوصا بالجانب الديني، بينما الخطاب مفهومه أعم و أشمل فهو يشمل كل الأنواع و الوظائف.

والملاحظ أيضا أن مصطلح الخطاب مشتق من نفس مادة الخطابة (خ،ط،ب) يحمل في الفكر النقدي العربي الحديث ما يقابله في دلالة المصطلح الغربي discours، بينما الخطابة هي الكلام المقنع تقابله في اللغة اللاتينية Rhétorique² ، فهي ليست من جنس الاشفاق الغربي نفسه الذي تخضع له اللفظة في العربية، (خَطَبَ - خطاب - خَطَابَة)، حيث يلاحظ أن الجذرين مختلفان في اللغة اللاتينية³. discours-rhétorique .

ولكن هذا لا يمنع إشراكهما في الدلالة الأصلية للمعنى التي تفيد ذلك التركيب اللغوي الذي يتضمن وجهة دلالية، تفيد خدمة الغرض المنشود وفق مستوى من مستويات اللغة التعبيرية التي تفيد الإنباء و التبليغ و تحقيق التأثير بالدرجة الأولى. و "توجيه الكلام نحو الغير للإفهام"⁴. للوصول إلى المراد سواء أكان هذا المراد نصحا أم توجيهها أم إرشادا... إلخ.

2- في الثقافة الغربية:

يحتل الخطاب موقعا محوريا في جميع الأبحاث و الدراسات الغربية، حيث برزت في الوجود دراسات متنوعة منها اللسانية و الفلسفية و الأدبية، جعلت منه ركنا رئيسيا ضمن مقرراتها، و اتخذته عناوين لفروع علمية مختلفة يكون هو أساسها ، و إن اختلفوا في زاوية البحث و التحليل.⁵

فإن كان مصطلح الخطاب قد استخدم في الماضي للدلالة على الصياغة الشكلية للكلام الموجه، فإنه اكتسب خلال العقود الأربعة الأخيرة من القرن العشرين عددا من الدلالات

¹ "في تجديد مفهوم الخطاب"، كمال عمران، المجلة العربية للثقافة و العلوم ، تصدر عن الثقافة و العلوم ، مجلة نصف سنوية ، سنة 14 ، ع 28 ، شوال 415هـ ، مارس 1995 ، ص 62.

² ينظر "تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص"، عبد القادر شرشار منشورات دار الأديب، وهران، ص 12.

³ "المرجع نفسه"، ص ن ، "عن المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنجليزية و اللاتينية"، الشركة العالمية للكتاب، بيروت ، ج 1 ، 1944 ، ص 531.

⁴ "فن الخطابة و إعداد الخطيب"، علي محفوظ ، ص 13.

⁵ فمنهم من يركز على نص الخطاب، و منهم من يهتم باللغة و آخر بالمخاطبين، و هناك من يولي اهتماما لمجال الخطاب و مدى مطابقته لمقتضى الأحوال و المقامات... إلخ ، ينظر "دراسة في تحليل الخطاب"، فرحان بدري حربي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر الدار البيضاء المغرب، 2008 ص 38.

الجديدة انبثقت من الأصلية، و هذا نتيجة لاستخدامه في مجالات معرفية عديدة.¹ فنال بذلك التعدد و التنوع بحسب تنوع الدراسات اللغوية والتواصلية، فهو يطلق إجمالاً على أحد المفهومين، يتفق الأول مع ما ورد عند العرب، أما الثاني فيتسم بجديته في الدرس اللغوي الحديث و هذان المفهومان هما:²

الأول: هو ذلك الملفوظ الموجه إلى الغير، لإفهامه قصداً معيناً.

الثاني: أنه الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة، و هو المفهوم الغالب في الدراسات اللغوية الحديثة.

والحقيقة إن جذوره تعود إلى عنصر " اللغة و الكلام"، "فاللغة" عموماً نظام من الرموز أو مجموعة الألفاظ و القواعد التي يعبر بها الفرد عن أعراضه كما أنها وسيلة للتخاطب و التفاهم... إلخ³ و "الكلام" إنجاز فردي؛ أي هو كل " فعل فردي متعلق بالإرادة و الذكاء"⁴ يوجهه المتكلم إلى شخص آخر يدعى المخاطب.

وقد ميز دي سوسير بين اللغة (Langue) و الكلام (Parole) حيث اعتبر اللغة جزءاً جوهرياً من اللسان، و هي في الوقت ذاته نتاج اجتماعي لملكة اللسان، يتبناها المجتمع لتسهيل ممارسة هذه الملكة عند الأفراد، فاللغة مؤسسة اجتماعية (institution sociale) حركتها التكرار و الثبات، أما الكلام فهو نتاج فرد يصدر عن وعي و إرادة، يتصف بالاختيار، و يتجلى ذلك في الحرية التي يمتلكها الفرد في استخدامه للأنساق التعبيرية. و حسب دي سوسير فإن الخطاب مرادف لـ " الكلام" Parole، و جذوره عنده تعود إلى عنصر اللغة و الكلام.⁵

ويعد هاريس 1952م رائداً في هذا المجال ، فهو أول لساني (قبل دي سويسر) حاول توسيع حدود موضوع البحث اللساني الذي كان قد توقف عند الجملة فقط، بجعله يتعدى حدودها إلى الخطاب بكامله، و لذلك عرف الخطاب من منظور لساني بأنه ملفوظ طويل أو

¹ ينظر "الخطاب و النص"، عبد الواسع الحميري، ص 90.

² ينظر "إستراتيجيات الخطاب"، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، ص 36-37.

³ "المعجم الأدبي"، جبور عبد النور، ط2، يناير 1984، ص 227.

⁴ ينظر "محاضرات في علم اللسان العام" فرديناند سويسير تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2008

ص 23.

⁵ ينظر "المرجع نفسه"، ص 20 و ما بعدها.

عبارة عن متتالية من الجمل، أي عبارة عن وحدة لغوية ينتجها الباث وفق انتظام معين يكشف عن بنية النص¹.

وإن كان هذا الأخير قد حدد الخطاب انطلاقاً من تعريف متتالية من جمل تقدم بنية للملفوظ (الكلي) أي المنطوق، إلا أن إميل بنفينايسيت تجاوز مصطلح الملفوظ بوصفه الموضوع اللغوي المنجز إلى مفهوم (التلفظ) الذي يتيح لنا دراسة الكلام ضمن مركز نظرية التواصل ووظائف اللغة، ويعني "بالتلفظ" الفعل الذاتي في استخدام اللغة، فجاء مفهوم الخطاب عنده بأنه كل تلفظ يفترض متكلماً و مستمعاً، وهدف الأول التأثير على الثاني بطريقة ما² أي بمعنى أن أي منطوق أو فعل كلامي يفترض ملقياً و متلقياً الأول فيه نية التأثير في الآخر بشكل من الأشكال.

وهذا ما اتفق معه الباحث "مانكينو" فبعد معالجة بعض القضايا المتعلقة بطبيعة العلاقة بين التلفظ و الملفوظ، موضحاً أن الملفوظ يمثل خاصية من خواص الاستعمال، والمعنى أما التلفظ أو الخطاب - و هو الملفوظ+ مقام التواصل - فيمثل خاصية من خواص الإنتاج والدلالة، وفقاً لشروط و ملابسات التواصل، فالأصل في الخطاب " فعالية التواصل"³.

أما "ميشال فوكو" فقد طرح نظرة مميزة للخطاب حين ربطه بالسلطة و قال إن هناك ارتباطاً شديداً بينهما، كما ذهب إلى أن ذلك ليس مجرد تخطيط و تنظيم من قبل السلطة فحسب، و إنما علاقة تجمع بين اللغة و أنماط الهيمنة الاجتماعية، فممارسة القوة في المجتمعات لم تعد تعتمد على الإكراه، بل على الإقناع الذي بات أحد العناصر الحاسمة للوصول بالخطاب لمختلف الفئات الاجتماعية يقول في ذلك "إذ أن الخطاب الحقيقي - بالمعنى القوي و القيم للكلمة-.. الذي يحظى من طرفنا بالاحترام و الهيبة،... الذي كان يتعين الخضوع له لأنه هو السائد..."⁴، ويضيف قائلاً: " إن الخطاب شيء بين الأشياء، وهو ككل الأشياء موضوع صراع من أجل الحصول على السلطة"⁵.

¹ ينظر "الخطاب و النص"، عبد الواسع الحميدي، ص 90-91 عن تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين المركز الثقافي العربي، ط1 1989م ص17.

² " المرجع نفسه"، ص 91 عن تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، ص 19.

³ ينظر "المرجع نفسه"، ص 92.

⁴ "نظام الخطاب"، ميشال فوكو تر: محمد سبيلا، دار التنويه للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2007، ص 12.

⁵ "المرجع نفسه"، ص 66.

وأخيرا يمكن تلخيص مفهوم الخطاب بناء على ما سبق من التعريفات اللسانية وغيرها عند الغربيين من خلال وضع الاصطلاح الأكثر عمومية؛ فهو نظام تعبير متقن ومضبوط و هو ليس إلا بناء فكريا يحمل وجهة نظر، و قد تمت صياغته وفق بناء محكم بغرض التأثير و الإقناع، يجرى بين مرسل و متلق ضمن عملية اتصالية مباشرة.¹

II- مراحل تأسيس الخطاب الديني:

هناك الكثير من الفنون و العلوم التي عرفها الإنسان في واقع المجتمعات المختلفة، منذ خلقه على وجه المعمورة إلى يومنا هذا، و القليل منها ما يمكن إرجاعها في النشأة إلى تاريخها على وجه الدقة من ذلك الخطاب بمختلف أنواعه، و الذي تعود البواذر الأولى في نشأته إلى فن الخطابة، التي عرفت منذ عصور غابرة و لا تزال قائمة إلى يومنا هذا ، كونها عملية اتصالية إبلاغية² ؛ عرفها الإنسان القديم قدم المجتمعات التي توالى عليها، إذ عرف وظيفة التماور و التماور، و تبادل المعلومات و طرحها و تفسيرها و مناقشتها و التي استندعتها أغراضه الحياتية، فاستخدم اللغة في إطارها اللفظي و الرمزي العام.³

1/ بواذر نشأة فن الخطابة: (الخطاب)

جدور الخطابة تضرب في أعماق التاريخ البشري"...وترجع نشأتها إلى العهود الأولى...، إذ هي ضرورة يحتاج إليها الناس في معاشهم..."⁴، ولا يمكنهم الاستغناء عنها، باعتبارها وسيلة من وسائل الارتباط بالغير والاتصال معه، لأن "... الاستعداد لها مخلوق مع الإنسان الذي لا غنى له عن الإبانة لغيره عما في ضميره وعن إقناعه بصدق مقاله وسداد رأيه"⁵.

¹ ينظر "الأسلوبية في النقد العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب"، فرحان بدري الحربي، ص 40، 41.
² ينظر "الاتصال و وسائله في المجتمع الحديث"، خيرى خليل الجميلي، المكتب العلمي للنشر و التوزيع، الإسكندرية ص 35.
³ ينظر "الحصيلة اللغوية"، أحمد محمد المعتوق، سلسلة كتب ثقافية شهرته يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت ربيع الأول 1417هـ-1996، ص 83.
⁴ "فرسان المنابر، موسوعة شاملة في فن الخطاب"، الجزء الأول فقه الخطابة، إعداد مكتب التبيان للدراسات الإسلامية و تحقيق التراث، دار ابن الجوزي، القاهرة ط1، 2008م-1429هـ.
⁵ "فن الخطابة و إعداد الخطيب"، علي محفوظ، ص 20.

فقد وجدت الخطابة بوجود بني آدم على المعمورة، فهو الكائن المفطور بعقله والناطق بلسانه للإبانه عما يريد و يبتغي، قال تعالى: " خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ"¹. أي علمه كيف ينطق و يعبرو يتواصل و يتفاهم ويتجاوب مع الآخرين من حوله، أو بمعنى آخر علمه ما يكشف به عن المعنى المقصود².

وفي قوله تعالى: "بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"³، والبيان بمعنى الإيضاح والكشف، ويعني النطق الصحيح، و تسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان و الشفتين⁴، كما أنه " التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة الدلالة واختيار أبلغها أثرا في النفس، و ألّفت إلى المعنى الذي أداه، و هيأ السامع للاستجابة له أو النفرة منه"⁵.

ولقد جسدت الخطابة لسان الإبانه، و الإقناع لدى الأنبياء و المرسلين الذين كان لهم الحظ الأوفى، و المقام الأعلى في سبيل دعوة و إرشاد الناس ، كما قيد التاريخ آثارا بقيت على مر العصور، من ضمنها خطب الثورة دليل لدعوة الرسل لبني إسرائيل، ليحملوهم بها على الاستقامة، ويردوهم عن الشرور... كذلك عثر في كتابة الأشوريين المسمارية، و آثار قدماء المصريين الهيروغليفية على خطب تأديبية جاءت غالبا على ألسنة آلهتهم وملوكهم⁶.
أبدأ بداية في الحديث عن نشأة هذا الفن عند المصريين القدماء، أين كانت تمارس عندهم الخطابة فطريا، إذ ورد في موسوعة "فرسان المنابر"، من إعداد مكتب البيان للدراسات الإسلامية وتحقيق التراث توضيحا بشأنها في هذه الفترة التاريخية، حيث ظهرت بشكل تلقائي بين الجماهير، و ذلك عندما مارسها الكهنة و الأمراء، و الحكماء في توجيه نصائحهم و مواعظهم إلى العامة، حتى الأفراد من الرعية كانوا أحيانا يوجهون خطبا إلى الملوك يشكون فيها أمرا من الأمور أو يسعون إلى استعطافهم ، مراعين الأسلوب النفسي المؤثر

¹ سورة الرحمن، الآية 2، 3.

² ينظر " مختصر تفسير"، ابن كثير، تح هاني الحاج ، دار التوفيقية للتراث ، القاهرة ، ج 3 ، ص 283.

³ سورة النحل، الآية 44.

⁴ ينظر "مختصر تفسير" ، ابن كثير، ج 2 ، ص 257 .

⁵ "المدخل إلى دراسة البلاغة العربية"، السيد أحمد خليل، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت لبنان 1968،

ص 219.

⁶ ينظر "فن الخطابة و إعداد الخطيب" علي محفوظ ص 20، و ينظر، "فن الخطابة"، أنطوان القوال، ص 65.

ببلاغة و دقة¹ ، ثم تأتي بعد ذلك الحضارتان اليونانية و الرومانية لتلعبا دورهما في تطوير هذا الفن.

برزت الخطابة في عهد قدماء اليونان و الرومان، إذ مثلت الحروب الكثيرة و المنازعات السياسية باعثا مهما في تحريك أسنتهم وتحسينها، حتى أن "أثينا" تحولت إلى مركز فني و فكري نشطت فيه التمثيليات و الفنون الأدبية و منها الخطابة، كما أن نظام اليونان السياسي شجع عليها و كذلك النظام القضائي.²

فلطالما أشاد الدارسون بفضل اليونانيين في تدوين أصولها و تععيد قواعدها و في ذلك يقول الشيخ أبو زهرة: " أول من كتب في هذا العلم اليونان، بل هم مستنبطو قواعده، و مشيدو أركانه، و مقيمو بنيانه... و لقد قيل إن أول من وضع هذه القواعد ثلاثة: " برويكوس القوسي و بروتاغوراس و جورجياس"³

و في الإلياذة⁴ هو ميروس خطب كثيرة و ردت على ألسنة الآلهة و الأبطال خلال القرن العاشر قبل الميلاد، أما في عهد برقليس فقد⁵ لقيت رواجاً و تحسناً كبيراً من حيث الأسلوب و طريقة الأداء و الصياغة، ثم ظهر بعده خطباء كثر أمثال ديمستينيس⁶ و بروبيكوس، و بروتاغوراس في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد...

¹ ينظر "فرسان المنابر"، ج1، "فقه الخطابة"، ص 20، 21.

² كان مجلس القضاة يتكون من عدد من القضاة يزيد عن 100، و هذا العدد الكبير يجعل المحامين يسلكون سبل التأثير في عواطفهم، فيهتمون ببلاغة الخطبة أكثر من روحها القانونية، فكان ذلك مدعاة إلى نهضة الخطابة، كما أن النظام اليوناني لاحقاً كان يقتضي بأن يدافع كل شخص عن نفسه، و قد دفع هذا النظام الشعب إلى تعلم الخطابة و التدرب عليها، ينظر فرسان المنابر، ج1 ص 24.

³ ينظر "فرسان المنابر، موسوعة شاملة في فن الخطابة"، مكتب التبليغ، ج1، ص 21.

⁴ و الإلياذة، هي كتاب اليونان المقدس، و كما يقوم العهد القديم بتسجيل تاريخ الإسرائيلين، تقوم الإلياذة بتسجيل تاريخ اليونان، ينظر الخطابة و إعداد الخطيب، عبد الجليل عبده ص 143.

⁵ زعيم أثينا ولد 384 ق م و توفي 322 ق م، أحد خطبائها المحبوبين لدى الشعب اليوناني إبان القرن الخامس.

⁶ كان قبل أن يشتهر في وسط أهل أثينا رجلاً خاملاً ضعيف البنية خافت الصوت ليست لحركته لباقة و لا في لسانه طلاقة، فلما اعتزم الخطابة أخذ يقوي رنتيه و حنجرته بالصياح فوق رؤوس الجبال، و على شواطئ البحار يرفع صوته، حتى تغلب على عاهة النطق بممارسة الكلام و تعلم أصول الرشاقة و الحركة بالوقوف أمام المرأة يخطب على نفسه حتى صار كبير الخطباء"، ينظر، "فن الخطابة و إعداد الخطيب"، علي محفوظ، ص 20، 21.

أما الخطابة عند الرومان فإنها لم تظهر إلا بعد اليونان بوقت طويل لانشغالهم وانصرافهم إلى الحروب، و مع هذا اهتموا بها اهتماما بلغ بهم الحد أن أقاموا مدارس خاصة لتعليمها، و استقدموا لها أساتذة من اليونان حتى إنهم حصروا التربية العالية (الدراسات العليا) في علمها، كما اقتصر أعضاء مجلس الشيوخ على الخطباء فقط، الأمر الذي دفع الرومانيين إلى إنفاق أموالهم من أجل تعلم هذه الصنعة دون غيرها، لأنها توصل أبناءهم إلى مرتبة الشرف و المجد.

وقد برز كاثون ثم يوليوس و تيشرون¹ و كلهم ظهر في القرن الأول قبل المسيح ثم بقيت بعد ذلك حكرا على كبار خطباء الدين و كبار الساسة².

وجاء بعد هؤلاء أرسطو فجمع قواعدها و حدد أصولها في كتابه الخطابة، فكان أصلا لذلك العلم، و مرجعا يرجع الخطباء و المؤلفون إليه³.

من العرض السابق لبوادر نشأة الخطابة أستطيع القول إن هذا الفن – بشكل عام- نشأ بالفطرة بين الأفراد، فمنذ أن تفاهموا بلسان واحد عرفوا الخطاب الذي تجلى فيها، هذا الفن الذي استدعته ضرورات الحياة، من تعاملات تفيد الأنباء والأخبار والإرشاد والاستمالة والتأثير، فالإنسان ميال إلى التعامل مع الغير وكانت الخطاب أولى الوسائل المستخدمة في تحقيق ذلك باعتبارها تعتمد على المشافهة و المجابهة وبذلك التأثير المباشر.

2/ أوليات الخطاب العربي الجاهلي:

إن الخطابة العربية هي من أهم ما يعنيني في هذا الحديث، و الإسلامية بالذات؛ لأنها محور هذه الدراسة التي ترمي إلى الوقوف على الخطاب الديني و آلياته الإقناعية في ضوء عملية التبليغ والتأثير، وهذا لا يمنع من أن أستعرض – بعجالة- مواقفها في أقدم عصورها حتى نتبين مقوماتها و خصائصها في كل عصر.

¹ كاثون (232-174 ق م) وهو المعروف في خطبة بالتحريض ضد قرطاجة.

أما يوليوس (100-44 ق م) القيصر القائد، الروماني الشهير.

وتيشرون أشهر خطباء روما على الإطلاق والذي ولد سنة 106 ق م من أسره ذات مال وثقافة محبة للفنون، درس القانون والبلاغة والفلسفة والأدب اليوناني في روما، كان محاميا وكاتبا وسياسيا، ينظر فرسان المنابر، ج 1 ص 31-33.

² "فرسان المنابر"، ج 1، ص 24-28.

³ ينظر "كتاب الخطابة"، أرسطو طاليس، تح عبد الرحمن بدوي، فهو كتاب جمع أصول الخطابة وقواعدها، فتحدث عن أقسام الخطابة و سلامة أسلوبها و النبرة الخطابية، و أساليب التعبير المهدب، ووسائل تجميل الأسلوب و في أجزاء الكلام... و كيف يؤثر في النفوس...إلخ.

ولي أن أبدأ بالحديث عن فن الخطابة في العهد الجاهلي الذي انتهى بعد ظهور فجر الإسلام ، وهو حديث عن مرحلة ازدهرت فيها عن غيرها من الفنون، وهذا راجع إلى أن العرب في الجاهلية " ...كانت هوايتهم في لغتهم فلم يقتصروا على استخدامها في ضرورات الحياة اليومية ، و إنما كان العربي يتفنن في استخدام لغته".¹

فكانت لهم البلاغة والفصاحة و البيان، مع أنهم كانوا لا يعرفون القراءة و الكتابة، إلا أن حسن أدائها عندهم قريحة مثل الشعر.²

ومن أهم هذه الظروف شيوع الأمية بين العرب فقد عرفوا آنذاك تخلفا شديدا لا مثيل له، وانحرافات في مختلف الميادين مما جعلهم يستعينون بالكلام المنطوق عن المكتوب - أي الخطابة- كما أن ما كان عليه العرب من الحمية و شن الغارات في المدافعة عن النفس و المال و العرض، و المفاخرة بالأنساب جعلتهم يتخذون من الخطابة لسانا مخلدا لآثارهم فكانت فيهم خصلة فطرية.³

ولعل قدرتهم القوية على الحديث، و صياغة الكلام ترجع إلى اللغة العربية و ما تحويه من نعم، و نبر يثير المتكلم و السامع، و يبعث الخطيب على الاستمرار في حديثه و الارتجال، و مواجهة الموضوع دون إعداد مسبق بلسان بليغ و حكمة صائبة.⁴

و الحقيقة أن لا نصوص تمثل مختلف الأطوار التي مرت بها في العصر الجاهلي " لأن الأمية كانت غالبية آنذاك إضافة إلى بعد الزمن، وهذا لا يمنع من القول أن العرب عرفوا الخطابة قبل الإسلام و الشك في صحة بعض ما وصلنا منها في هذا العصر، لا يدفعنا إلى إنكار وجودها".⁵

وقد ورد في حديث سابق- عن نشأة الخطابة- القول بأن نشأتها طبيعية عند جميع الأمم تتبعث في كثير من الأحيان من أثر انفعالات تنشأ عن حوادث تمس الأفراد فيما بينهم فتثير فيهم محاورات شديدة تعرض فيها صناعة ألسنتهم، فيتباهون بما فيها من حكمة و بلاغة

¹ "الظاهرة القرآنية"، ملك بن نبي، تر عبد الصبور شاهين، ص 63.

² لمزيد من المعلومات حول الشعر و جدلية أسبقيته على النثر، ينظر، "دراسات في آداب العصر الجاهلي و صدر الإسلام" زكريا عبد الرحمن صيام، سلسلة اللغة و الأدب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1984.

³ لمزيد من المعلومات حول الأحوال الدينية و السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية عند العرب قبل ظهور الإسلام ، ينظر "السيرة النبوية" علي محمد الصلابي، ص 23-37.

⁴ ينظر "فرسان المنابر"، مكتب التبيان، ج 1 فقه الخطابة ص 34.

⁵ ينظر "فن الخطابة و إعداد الخطيب"، علي محفوظ، ص 21، 22.

وبيان، يقرعون بها أسماع قومهم و يثيرون عواطفهم للدفاع عن كل ما يخصهم من أمر- سواء كان شرفهم أو كرامتهم...- و كثيرا ما كان يقود ذلك الكلام المؤثر إلى شن حروب ومداهمات، كما كان أحيانا يمثل وسيلة صلح و تصالح بين القبائل و العشائر.¹

لقد توفرت عند العرب "...حرية قلماً توفرت لغيرهم، إذ كانت لهم مقدرة قوية على الحديث، وتشقيق الكلام، لأن اللغة العربية ذات مقومات تثير المتكلم و السامع و تدفع الخطيب على الاستمرار في حديثه، وكانت لهم مقدرة على الارتجال و مواجهة الموضوع الذي يطرأ من غير أن يعدوا له حديثاً، فتأتي على ألسنتهم العبارات البليغة..."² و الفصاحة و البلاغة في التعبير عن المقصد دون أي لبس أو غموض، في مواقف تظهر قوة البديهة العربية و القدرة البالغة على الارتجال.³

هذا ما جعلهم قوما فصحاء يحسنون استخدام اللغة في أجمل أساليبها، مما يعكس جمالية فذة، و قدرة على التعبير البليغ، الذي يعكس الإحساس والشعور الصادق والهادف في أن واحد.

وكانت للخطابة في العصر الجاهلي مميزات بمثابة القواعد التي نضبطها، وأقسام متعددة⁴، جعلتها تتنوع بتنوع مناسباتها.

كما كان من عادة الخطباء في ذلك الوقت كما هو حال المسلمين اليوم في إلقاء خطب

¹ ينظر "فن الخطابة العربية في عصرها الذهبي"، إحسان النص، دار المعارف بمصر، ط2، 1969، ص 7.

² "فرسان المنابر"، مكتب النبيان، ج1، ص 34.

³ ينظر "المرجع نفسه"، ج1، ص 34.

⁴ أما فيما يخص أقسامها فلم يعرف الجاهليون من ضروب الخطابة إلا ما اتصلت بحياتهم القبلية السائدة آنذاك، سواء من الجانب العقلي أو السياسي أو الاجتماعي أو...، و الحقيقة أن أكثرها كانت متعلقة بالخطابة الاجتماعية و منها ما يلي:

- المناظرات و المناظرات: و فيها التفاخر بالأحساب و الأنساب و المآثر، يعدد فيها الخطيب مناقبه و يذكر محاسنه.
- خطب الحزب على القتال أو على الأخذ بالثأر: هي خطب تثير الانفعال نحو الاستجابة لغرض الخطيب.
- خطب الإصلاح بين القبائل و حقن الدماء: هي خطب تثير عواطف السماح و العفو بين الخصوم.
- خطب الأملاك: فقد كان من عادة العرب أن يتقدم لخطبة المرأة، شخص من معارف الزوج فيخطب معددا محاسنه، و يجب رجلا من معارف المرأة بمثال مقاله.
- خطب الإرشاد: يتولاها من له منزلة الحكيم من القوم، يدعو أهله إلى نبذ ما هم عليه من مساوئ و عادات غير حميدة.

- خطب المحافل و الوفود: كانت تلقى في المواسم و مجالس الملوك للتهنئة أو التعزية أو غير ذلك

الجمعة أن يلقوا خطبهم على منبر أو ربوة¹، والغرض من ذلك أن يظهر الخطيب "... فيروا شخصه حين يسمعون كلامه، وليستطيع أن يضم إلى كلامه الخطابي إشارات اليد وانفعالات الوجه وحركات الجسم، فيكون ذلك أعون على التأثير والاستمالة..."²، حتى يحدث القصد من كلامه.

وكثيرا ما كان الخطيب أنذاك يظهر للجموع بهيئة مخصوصة كأن يكون متعصبا وعمامة³ و بيده عصا أو قوس يتوكأ عليها أو مخرصة أو قناة يشير بها، أو بيده تأييد للكثير من مقاصده⁴، وفي ذلك إحياء وقوة في التأثير، و قد يكون استئناسا للخطيب يحول دون العبث بيده.⁵

وقد أطل الجاحظ (ت 255 هـ) الوقوف في "البيان والتبيين" عند عادة الإشارة بالعصا، و رد على الشعوبية حين عابوا على خطباء العرب اتخاذهم المخاصر و العصا⁶، فقال في ذلك " كانت العرب تخطب بالمخاصر و تعتمد على الأرض بالقسي، و تشير بالعصي و القنا"⁷

ويعلل الجاحظ اتخاذ العصا بقوله " و أيضا أن حمل العصا و المخرصة دليل على التأهب للخطبة، و التهيؤ للإطناج و الإطالة و ذلك شيء خاص في الخطباء العرب و مقصور عليهم و منسوب إليهم حتى إنهم ليذهبون في حوائجهم و المخاصر بأيديهم إفا لها و توقعا لبعض ما يوجب حملها و الإشارة بها"⁸.

وكانوا يستحسنون من الخطيب رباطة الجأش، و جهارة الصوت و تمكنه من اللّغة متخير اللفظ، قوي البرهان و الحجة، و الحكمة، جميل المظهر و الثياب والوقفة، صادق اللّهجة و النطق، يخلو من أي عيب في النطق، أسرع الناس عملا مما يقول.⁹

¹ ربوة: كل ما ارتفع من الأرض و ربا، "لسان العرب"، ابن منظور، المجلد 6 مادة ربا ص 92.

² "فرسان المنابر"، ج 1، ص 35.

³ و لا تكون سوداء إلا في حالة المطالبة بالثأر، ينظر، " فرسان المنابر" ج 1، ص 35.

⁴ ينظر "فن الخطابة و إعداد الخطيب" علي محفوظ، ص 23.

⁵ ينظر "فرسان المنابر" ج 1، ص 36.

⁶ ينظر "البيان و التبيين" ج 3، ص 5.

⁷ "المصدر نفسه"، ج 1، ص 386.

⁸ "المصدر نفسه"، ص 371.

⁹ ينظر "فن الخطابة و أداء الخطيب"، علي محفوظ، ص 23.

ومن أشهر خطباء العصر الجاهلي، كعب بن لؤي¹ و ذو الأصبع العدواني، وخويلد بن عمر الغطفاني² و عمر بن كلثوم الثعلبي، وقيس بن ساعدة الأيادي³، و أكتم بن صفي⁴ وقد أجمع علماء الأدب على أن قسا و أكتم أشهر الخطباء و أراهما للحقوالأبرز للمكارم.⁵

- 3 ميلاد الخطاب الديني (نزول القرآن):

لقد تعرضت الحياة العربية لانقلاب شامل و تطور كبير المدى، فقد جاء الإسلام فحمل إلى العرب مفاهيم جديدة، و مبادئ ذات مثل عليا مغايرة لما كانت عليه قبله، فالدين جعلهم ينظرون إلى الحياة من زاوية جديدة كونه جاء ليجمع شملهم و يعدل أنظمتهم بمختلف أنواعها السياسية و الاجتماعية والاقتصادية... الخ⁶.

فبعد أن عاش العرب أحوال الجاهلية في درجة كبيرة من التفكك، لكثرة النزاعات والمشاحنات، جاء خطاب الله عز و جل إلى عباده بلسان نبيه و رسوله محمد (ص) مبشرا و نذيرا لخلق الله داعيا إلى التعامل بالحسنى و الصدق، و إقامة العدل، و اجتناب المعاصي والمحرمات و سفك الدماء و تطهير النفس بالأخلاق الفاضلة و الشيم الرفيعة⁷. كما جاء ليرفع من شأن العلم و التّعلم و شأن العقل، وفتح له المجال إلى الدعوة و صحة البعث، كما جاء ليقضي على الجهل و يخرج الناس من الظلمات إلى النور.

وتبرز أهمية الخطاب الديني عند النظر إلى ما آلت إليه الأمور بعد أعوام معدودة من مجيء الدين الإسلامي، إذ اتضحت أوضاع العرب و تغيّرت أحوالهم و اجتمع شملهم لنشر

¹ الجد السابع للرسول (ص) كان يخطب العرب في شؤون مختلفة و يحث على البر و أعمال الخير و كان مهيبا مسموع الكلمة، ينظر "فرسان المنابر" ج1، ص 37

² اشتهر بخطبته في حرب الفجار، و قد نشبت بين قريش و هوازن، و كانت في الأشهر الحرام و قد شهدها الرسول (ص) و كان يقدم النبيل لأعمامه.

³ أشهر خطباء العرب كان يدين بالتوحيد و يؤمن بالبعث، أول من اتكأ على عصا أو غيرها، كان حسن الألفاظ واضح العبارات، و كان الناس يتحاكمون إليه و يرضون بحكمه.

⁴ من الخطباء المولعين بسرد الحكم و ضرب الأمثال، ينظر فرسان المنابر ج1 ص 37.

⁵ ينظر "المرجع السابق"، ص ن.

⁶ ينظر "الخطابة العربية في عصرها الذهبي"، إحسان النص، ص 29.

⁷ ينظر "المستقصى في الأدب الإسلامي"، زبير دراقبي، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، 1998، ص 03 و ما بعدها.

الدين الجديد وتعاليمه في مشارق الأرض ومغاربها بالدعوة إلى توحيد الله وإعلاء كلمته، من هنا تأسس هذا الخطاب.¹

هذا الخطاب الديني الممثل في الإسلام² جاء ليغير كل المقومات التي كانت تبني عليها الحياة الجاهلية، وهو شريعة سماوية موجهة لكافة الناس بتعاليمه القائمة على الإيمان بوحداية الله أولا ثم الإتيان بكل ما أمرهم به من العمل الصالح ونبذ الفواحش، و الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر، و على طلب العلم والمعرفة، فهو خطاب ثار على الجهل والعبودية، و "... استطاع أن يجمع شمل المسلمين و يذهب عاداتهم، و يقوم طبائعهم و يخلق لهم مثلا جديدة تأخذ بيدهم من هذه الوثنية المظلمة ".³

ولم يكتف القرآن الكريم بخطاباته ، من إخراج القوم من ظلمات العقائد المتداولة عندهم، بل اعتنى بالأسس التي يقوم عليها المجتمع الجديد مثل التآخي و التعاون و التساوي في الحقوق و الواجبات و قضى على أساليب الفرقة، و حل محلها سيادة الدين والإخاء في قوله تعالى: " **وَأذْكُرُوا اللَّهَ عَالِمَةً إِنَّكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا** ".⁴

فهو الرسالة الدينية التي نزلت من فوق سبع سموات عن طريق الوحي، على نبينا محمد (ص) لتنظيم علاقات البشر مع الخالق ومع أنفسهم وغيرهم، و ينيير سبيلهم في أمور الدين و الدنيا وهو "... أكثر ارتباطا بحياة المسلم العملية وأكثر ميلا إلى التدفق في الميدان الاجتماعي... فإن الدين الإسلامي لا يقف بالعقيدة عند الحد الذي يتصل بالإلهيات، و الوصايا الخلقية فحسب، بل تجاوز ذلك إلى التشريع المنظم لكل العلاقات الإنسانية في المجتمع الإسلامي"⁵

وتبرز أهمية الرسالة المحمدية فيما أحدثته من انقلاب جذري في حياة العرب، فلما كان مبدأ كل انقلاب عظيم في أمة إنما هو دعوة دينية أو سياسية، كانت تلك الدعوة تستدعي

¹ ينظر "المستقصى في الأدب الإسلامي"، زبير دراقي، ص 3-8.

² الإسلام: معناه لغة الخضوع و الانقياد، ينظر "لسان العرب" ابن منظور، تح ياسر سليمان أبو شادي، ج 6، مادة سلم ص 384، و المعنى ورد في النساء 125، البقرة 112، النحل 81، الحج 34 النمل 44، الفتح 16، آل عمران 19.

³ "الفكر الديني في مواجهة العصر"، دراسة تحليلية للاتجاهات النفسية في العصر الجديد"، عفت محمد الشرفاوي، دار العودة، بيروت، ط2، 1979، ص 104.

⁴ سورة آل عمران، الآية 103.

⁵ "الفكر الديني في مواجهة العصر"، عفت محمد الشرفاوي، ص 98، 99.

ألسنة عن أهلها لتأييدها و نشرها، و ذلك لا يكون إلا بأسلوب مخاطبة تعتمد على صفة المجابهة في المحافل و المنتديات... و هذا ما مثلته الخطابة¹.

كان ظهور الإسلام و بعثة الرسول هو الأمر الهام العظيم الذي أثار فن الخطابة فتنفن فيه الخطباء و أظهروا سحر بيانها أكثر مما كانت عليه في الجاهلية²، فلم يشهد تاريخ العرب الطويل حدثاً أبرز و أبعد أثراً من ظهور الإسلام، إذ كان لا بد للأدب من أن يتأثر بنزول القرآن الكريم، هذه الرسالة اللغوية التي عدت أرقى مستويات الكلام العربي، فهو كتاب اللغة العربية الأول، و قد قدر لها أن ترتبط به في حضارتها و تاريخها، و منه استمدت العلوم العربية أصولها وقواعدها³.

ففيه يجد الخطيب الناجح ما يحتاج إليه، لأنه الدعامة الأساسية والمصدر الأول للثقافة الإسلامية، ففيه العقيدة الصحيحة وفيه " ... يتحسس الموعظة و يتعلم أساليب الحكمة و التنوع في أساليب الدعوة و يستمد المنهج و طريق الهداية...⁴، قال تعالى: " و نُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ، وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا " ⁵ وقال " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِّلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ " ⁶.

هذا هو الخطاب الديني الذي أدى دوره في معالجة كل ما يرتبط بالإنسان و بحياته العملية و الاجتماعية و الاقتصادية و... و الوقاية من العلل و المشكلات المتوقعة بتوجيه المسلمين إلى ما فيه استمرار التطور و الازدهار و المثابرة في اتجاه الكمال⁷.

¹ ينظر "فن الخطابة و إعداد الخطيب" علي محفوظ، ص 24.

² ينظر "المرجع السابق" ، ص ن.

³ ينظر "لغة القرآن الكريم، دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة"، محمد الخان، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين المليحة، ط1، 2004، ص 08.

⁴ "فرسان المنابر"، فقه الخطابة، ج1، ص 129.

⁵ سورة الإسراء ، الآية 2-8.

⁶ سورة الإسراء ، الآية 09.

⁷ "الفكر الديني في مواجهة العصر"، عفت الشراوي، ص 101.

4- مراحل نضج الخطاب الديني: يتجلى نضجه في نضج الخطابة عند الرسول (ص)، النبي المبعث.

أ/ مرحلة صدر الإسلام¹ (المدرسة النبوية و الخلافات المتتالية و مدى تأثيرها في فن الخطابة)

لقد كان ظهور الإسلام- كما سبقت الإشارة- وبعثة الرسول (ص) الأمر الجلل والدعوة العظمى التي لم يعهد لها مثيل في العالم، فتاريخ العرب والبشرية لم يشهد حدثاً أبرز وأبعد أثراً منه إذا أطلقت الألسنة من عقالها وأثارت الخطابة بفنونها وسحرها فأغرت العقول بممارسة صنعتها و التفنن فيها.²

فقد جاء النبي المرسل داعياً إلى الله بإذنه ، سراجاً منيراً "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا"³. أرسله الله في وقت كان الناس يعيشون حالة من الفوضى، فجاء (ص) بما أتاه الله تعالى من فصاحة اللسان وقوة البيان لينير البصائر ويؤلف بين القلوب بما يليق من خطب الوعظ والدعوة والإرشاد من على المنابر.

فالممتنع لسيرة رسول الله(ص) يجد أساليب الدعوة الناجحة فيستفيد منها في اتصاله بالناس ودعوتهم للإسلام، كما يتلمس الجهد الكبير الذي بذله من أجل إعلاء كلمة الله وكيفية التصرف أمام العوائق والعقبات، ففي سيرته دروس تربوية في الإرشاد والتأثير على الناس بخطب بليغة هادفة.⁴

فلقد كانت أحسن الوسائل وأفضل السبل التي اتخذها نبي⁵ الله

¹ تمتد فترة صدر الإسلام من 622م-661 الموافقة لوفاة علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين وهي فترة قصيرة من الزمن حافلة بالحوادث التاريخية الهامة لأنها شهدت ظهور الإسلام وهجرة المسلمين وقيام المعارك ضد المشركين، ينظر "المستقصى في الأدب الإسلامي"، زبير دراقي، ص 8.

² ينظر "فن الخطابة وإعداد الخطيب" ، على محفوظ، ص 24.

³ سورة سبأ، آية 28.

سبق الغرض إلى هذا الموضوع عندما تحدثنا عن العصر الجاهلي.

⁴ ينظر " السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث" علي محمد صلابي، ص 5 وما بعدها.

⁵ النبي و النبوة والنبوة ما ارتفع من الأرض... و النبي: العلم من أعلام الأرض التي يهتدي بها...، ومنه اشتقاق النبي لأنه أرفع خلق الله وذلك لأنه يهتدي به... النبي هو الذي أنبأ عن الله. لسان العرب ابن منظور المجلد 14 الرابع عشر مادة "نبا" ص182، قال تعالى " ورفعناه مكانا عليا (مريم 57) والنبي من النبا : الخبر، قوله عز وجل " عم يتساءلون عن النبا العظيم" النبا، الآية 21 ، وإن لفلان نبأ أي خبر." لسان العرب ابن منظور" المجلد 14، مادة نبا ص 168.

ورسوله¹ (ص) في تحقيق الإرشاد والتوجيه. " كونها الوسيلة المثلى للاتصال بالجماعات و التأثير فيها."²

ولقد حفظ التاريخ أولى المواقف في الخطابة الدينية الإسلامية مع محمد(ص) حين نزل عليه قوله تعالى: " فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ"³، فدعا وخاطب (ص) قومه وهو على الصفا فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أألفتم مصدقي؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك كذبا، فقال: فإني نذير لكم...، ثم دخل الناس في الإسلام بدءا بالمقربين منه ، ثم أمره الله عز وجل أن يدعو الناس أجمع إلى هذا الدين، فظهر للعلن ودعا لوحداية الله وعدم الشرك به أحدا، فواجه ما واجه من تعنت أهل قريش وأسيادها⁴، ولما نزل قوله تعالى " وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ"⁵، جمع أهله من التابعين وخاطبهم قائلا: " إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتهم، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم، والله الذي لا اله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوء، وإنها لجنة أبدا أو نار أبدا".⁶

فكان عمل الدعوة تبليغا للقرآن الكريم وتعاليمه، بشكل لا يمكن أن يتيسر للناس فهما وشرحا واستيعابا إلا عن طريق الخطابة و المشافهة، لافتقار ذلك الزمان إلى سبل الاتصال الأخرى التي نعرفها اليوم، لذلك اتخذها الخطيب محمد (ص) أداة لنشر دعوته وإقناع المشركين و المعرضين عن دينه بصدق رسالته، ثم اتخذها بعد الهجرة لإيضاح تعاليم الإسلام و دعوة المسلمين إلى ما فيه صلاح الدنيا و الآخرة.⁷

¹الرسول مشتق من الإرسال وهو بمعنى" التوجيه، و الرسول الرسالة و المرسل، و... سمي الرسول رسولا لأنه ذو رسالة"، "لسان العرب"، ابن منظور، المجلد السادس، مادة رسل ص 153 قال تعالى: " لقد جاءت رسل ربنا بالحق". الأعراف، الآية 43.

² "الخطابة العربية في عصرها الذهبي"، إحسان النص، ص 30.

³ سورة الحجر، الآية 94.

⁴ ينظر "السيرة النبوية"، أبي محمد عبد الملك بن هاشم المعافري ، تع طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل بيروت ج 11975، ص 237.

⁵ سورة الشعراء، الآية 178.

⁶ ينظر "فن الخطابة وإعداد الخطيب"، علي محفوظ ، ص 24.

⁷ ينظر "الخطابة العربية في عصرها الذهبي" إحسان النص، ص 30.

ولقد ظهرت في عصره ضروب من الخطابة منها تلك التي كانت تلقى على منابر المساجد أيام الجمعة و العيدين ، و منها التي كان الرسول يجمع فيها المسلمين يدعوهم فيها إلى الجهاد في سبيل الله، لنشر الدعوة الإسلامية، و التي ما لبثت حتى ازدهرت باتساع الفتوحات الإسلامية، وازدادت نضجا فأصبحت لها أصول وقواعد ووجدت طبقة من الخطباء، الذين واصلوا في الحث على الجهاد وتذكير المسلمين بما ينتظرهم من جزاء عظيم، كما أصبحت شعار كل إمام في حفل ديني أو سياسي وفي كل أمر جامع لنشر الفضيلة و المعروف.¹

فالخطيب الناجح إذا أراد أن يقتدي فلن يجد أكرم من النبي (ص) قدوة وأسوة له فيما يخص أسس ومبادئ الخطابة الناجحة، فقد كان لهديه (ص) الفعلي و القولي فيها ما جعلته خطيبا بارعا.²

كان يخطب قائما يوم الجمعة خطبتين يفصل بينهما بجلوس، وإذا استقبل الناس بوجهه سلم عليهم، ثم ألقى خطبته بعد الأذان، وكان يقول بعد الحمد والثناء والتشهد: "أما بعد"، وكان يعلم أصحابه قواعد الإسلام ويقرر أصول الإيمان بها، وكان يقطعها للحاجة، ويأمر الناس بالدنو منه ويأمرهم بالإنصات، ويشير بإصبعه السبابة في خطبته عند ذكر الله تعالى ودعائه و يقصر الخطبة.³

لقد كانت خطبه (ص) تحمل من الفصاحة و البيان و دقة المعنى وروعة الأسلوب ما جعلها مدرسة، ورثها الصحابة رضوان الله عليهم، و الخلفاء الراشدون من بعده، فكانوا كلهم خطباء مصاقع.

انتهت خطب الرسول (ص) بانتهاء مهمته الدينية، فكانت خطبة حجة الوداع⁴ سنة عشرة من الهجرة آخرها ، و عرفت " بحجة البلاغ"، و "حجة الإسلام"، "وحجة الوداع"، لأنه بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً و علماً، و لم يكن يعي من دعائم الإسلام وقواعده

¹ ينظر " الخطابة العربية في عصرها الذهبي" إحسان النص "، ص 30.

² ينظر "فرسان المنابر"، فقه الخطابة، ج 1، ص 159.

³ ينظر "المرجع نفسه"، ص 159-162.

⁴ ينظر "خطبة حجة الوداع"، فرسان المنابر، ج2، "جامع الخطب"، ص 236.

شئنا إلا بينه، فأنزل الله عليه بعرفة¹ " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أٰثْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا"².

بعد وفاة الرسول (ص) جاؤا الخلفاء³ ليسيروا على دربه في تبليغ الدعوة إلى الله بالخطابة إذ "... احتاج إليها الخلفاء الراشدون من بعده وقواد الجيش وولاية الأمصار لشرح سياسة الدولة الإسلامية وتبليغ أوامرها إلى كافة الناس، و هكذا كانت ضرورة ملحة أكثر مما كانت عليه في العصر الجاهلي"⁴ أولهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وقد كان هذا الأخير أكثر الخلفاء ممارسة لها، إذ كثيرا ما ظهر أثرها الجمالي في نفسية المتلقين⁵. فقد تناولت خطبه (رضي الله عنه) أغراضا شتى يغلب عليها الطابع الجهادي، نظرا للصعاب والمؤامرات و الحروب التي تعرض لها عهد الخليفة الرابع، فقد حارب الخوارج و طلحة والزبير و بني أمية، و من ثم فإنه من الطبيعي أن تتسم خطباته بالطابع الحربي والجهادي⁶ فكان فذا، من أشهر خطباء هذا العصر بعد الرسول (ص)، يشهد له التاريخ بما صنعه من مجد في طور خلافته، و على المنوال نفسه سار التابعين من الصحابة⁷.

بناء على ما سبق أقول: إن الخطابة عرفت في الصدر الأول من الإسلام أرقى درجات النضوج من حيث البلاغة و البيان، إذ اتخذت في بنيتها أسلوبا مؤثرا مع إحكام في حسن التركيب و الصياغة، و جودة في انتقاء المعاني و الألفاظ، و يرجع هذا الارتقاء إلى عدد من الأسس نحصياها في الأوجه التالية:

¹ و لما نزلت هذه الآية بعرفة، بكى الصحابة و منهم عمر بن الخطاب، و كأنهم فهموا منها الإشارة إلى قرب أجل الرسول (ص)، لمزيد من المعلومات حول حجة الوداع و مرض الرسول (ص) و وفاته، و وصياه في أيامه الأخيرة و الساعات الأخيرة، ينظر "السيرة النبوية" علي محمد الصلابي، من ص 853 - 877.

² سورة المائدة، الآية 03.

³ الخلافة: الإمارة، ينظر "لسان العرب ابن منظور"، مج 5، ص 132.

⁴ "المستقصى في الأدب الإسلامي"، زبير دراقي، ص 65.

⁵ ينظر "وظائف المجاز بين المعيار و الاستعمال في ضوء نظرية التواصل"، شيخ أعمار الهوارية، رسالة الماجستير كلية الأدب و اللغات و الفنون، إشراف أحمد عزوز، جامعة السانبا، 2007، أين تعرضت الباحثة إلى تحليل خطبة له في الحث على الجهاد وتحديد أثرها الاتصالي (درجة الإقناع و التأثير) ص 120-139.

⁶ ينظر "الخطب الواردة في "نهج البلاغة"، الإمام علي تر: الشيخ محمد عبده، دار الفكر العربي، بيروت ط1.

⁷ ينظر "فرسان المنابر"، ج 2، جامع الخطب، ص 285-300.

أولاً- القرآن الكريم:

و إن كان قد نزل بصورة العرب التي يتخاطبون بها وعلى أساليب بلاغتهم¹ إلا أنه بتراكيبه القوية و أساليبه المتينة و معانيه الفذة، تجاوز قدرة المخلوق في الإتيان بمثله، فأى إنس أو جن و مهما بلغ من التيان و الفصاحة و العلم و المعرفة سيبقى عاجزاً أمامه و قد بين الله عز و جل في كتابه هذا الإعجاز فقال: " فُلِّنِ لِنِّ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا"².

فما لا ريب فيه هو أن الآيات القليلة من القرآن، ثم الآيات الكثيرة ثم القرآن كله، عند تلاوته على مسامع العرب يظهر مفارقاً لجنس كلام البشر، وذلك من كل الأوجه سواء المعنى أو الدلالة أو البيان أو النظم³، وهذا ما جعل العرب يفاوتون في فهمهم له والإحاطة بمعانيه ومفرداته وتراكيبه⁴، وذلك أكبر دليل على إعجازه.

فبلاغته ومعانيه و أساليبه تلك صقل ملكة الخطباء، وجعلهم يتبعون أثره وينسجون على منواله، و يقتبسون من آياته في الكثير من الأحيان، كما يستشهدون به فهو المصدر الذي يعترف منه كل خطيب فصيح و "... هو كتاب العربية الأكبر، وأثرها الأدبي الأعظم ..."⁵. وقد كان العرب يستحسنون الخطب التي تذكر فيها أي من القرآن الكريم، الذي يزيد في الكلام بهاء ووقاراً و حسناً و جمالاً تميل إليه النفوس و العقول، و يعيبون على الخطيب إذا خلا كلامه منه حتى و إن كان خطيباً مصقفاً⁶.

ثانياً- الترغيب و الترهيب: وما له من أثر فعال على القلوب و النفوس، فأثر الخطبة يظهر عندما يحدث التأثير النفسي المطلوب في المتلقي فيستدرجه إلى اتخاذ موقف انفعالي معين.

¹ ينظر "المقدمة"، ابن خلدون، تح لؤنان، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 420.

² سورة الإسراء، الآية 88.

³ ينظر "الفكر الديني في مواجهة العصر" عفت الشرقاوي، ص 21.

⁴ ينظر "المرجع السابق"، ص 18.

⁵ "المرجع السابق"، ص 14.

⁶ ينظر "فن الخطابة و إعداد الخطيب"، علي محفوظ، ص 26.

فإضافة إلى الفصاحة وحسن اختيار التراكيب المناسبة (والتفنن في بث الخطاب والوعظ)، فإن إضفاء صفة التّرعيب و التّرهيب تحقق لا محالة تأثيراً فنياً و نفسياً على المستمع، ولقد ساق لنا التاريخ أمثلة عن ذلك مثل صنيع أبي بكر رضي الله عنه وهو يؤلف بين قلوب المهاجرين و الأنصار في خطبته يوم السّقيفة.¹

ثالثاً- الدين الإسلامي: الذي لعب دوراً فعالاً في إعطاء صبغة خاصة للخطابة فقد أزال صبغة الوحشية و الهمجية من العرب، فهدب أخلاقهم ولين قلوبهم، وقوم معتقداتهم و ذلك بما جاء فيه من معان سامية في خطابه المؤثر.

كما وفر لهم الأسباب الداعية إلى التوسع فيها لما كانت تدعو إليه الحاجة في التوسع في الملك و العمران، قال ابن خلدون: " إن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة من كلام الجاهلية في منثورهم ومنظومهم فإننا نجد شعر حسان بن ثابت، و عمر بن أبي ربيعة و الحطيئة و جرير و الفرزدق...ثم كلام السلف من العرب في الدولة الأموية، و صدر الدولة العباسية في خطبهم وترسيلهم ومحاوراتهم للملوك أرفع طبقة في البلاغة بكثير من شعر النابغة و عنتره، بن كلثوم ... من كلام الجاهلية في منثورهم ومحاوراتهم..."². وهذا لأنهم أدركوا القرآن الكريم و الحديث الشريف و نشأوا على أساليبيهما فنهضت طباعهم، و ارتفعت ملكاتهم في الفصاحة و البيان و حسن إدراك مواقع الكلام في نظمهم ونثرهم.³

رابعاً- النظام الديمقراطي: الذي ساد في صدر الإسلام، أعان على ازدهارها في هذا العصر، لأنه فتح المجال أمام من شاء اعتلاء منصة الخطابة و الجهر برأيه مؤيداً أو معارضاً، ضف إلى النظام الشوري⁴ الذي كان سائداً هو بدوره، الذي صار الرسول الكريم (ص) عليه ، فكان كثير الاستشارة في الآراء مع أصحابه فيما يخص الأمور الهامة وكذلك كان شأن الخلفاء من بعده.⁵

¹ ينظر "فن الخطابة و إعداد الخطيب"، علي محفوظ ص 26.

² "المقدمة"، ابن خلدون ، ص 598.

³ ينظر "فن الخطابة و إعداد الخطيب"، علي محفوظ، ص 28.

⁴ لمزيد من المعلومات حول الشورى عند النبي و خلفائه، ينظر "الشورى في العهد النبوي و الخليفين من بعده، طالب عبد الرحمن"، دار الغرب للنشر و التوزيع، ب ط 2001.

⁵ ينظر، "الخطابة العربية في عصرها الذهبي"، إحسان النص 32.

ومن أنواع الخطب في صدر الإسلام ما يلي:¹

1/ **خطب الجهاد و الحز على القتال:** جاء الإسلام و قامت الفتوحات فكان الخطباء يدعون إلى الجهاد، وإلى رفع راية الإسلام في سبيل نشر تعاليم الدين.

2/ **خطب الأملاك (النكاح):** و فيها يخطب الخطيب و يطيل²، ولم يكونوا يخطبون قعودا إلا في النكاح.

3/ **خطب المحافل و الوفود:** عرفت في الجاهلية و كثرت لما جاء الإسلام لكثرة المناسبات الداعية لها، فكان خطباء القبائل يأتون إلى الرسول (ص) و يخطبون ليفاخروا و يعلنوا إسلامهم.

4/ **الخطب الدينية:** و يقصد بها الوعظ، و كانت الأكثر تداولاً، و جل الخطب المأثورة عن الرسول عليه السلام، و عن الخلفاء الراشدين. كانت تهدي المسلمين وترشدهم إلى ما فيه الخير، و تبصرهم بأمور دينهم، فقد كان توافد الناس إلى الدخول في الإسلام مستمرا وهم مفتقرون إلى من يوضح لهم أحكامه و أسسه و شرائعه، فقام الرسول (ص) بهذه الوظيفة و خلفاؤه و الولاة من بعده و كانت الخطابة الوسيلة في تحقيق ذلك.³

5/ **المناظرات:** هي نوع من الخطابة، تقوم على الجدل اعتمادا على نصوص من القرآن الكريم في المرتبة الأولى، و نصوص الحديث الشريف في المرتبة الثانية.

6/ **الخطب السياسية:** جاء الإسلام و نظم شؤون العرب فأصبح القرآن دستورهم يطبقون شرائعه و أحكامه، فكان الحاكم يستهل حكمه بخطبته يوضح فيها خطته في مراعاة و تسيير شؤون رعيته و كذلك كان يفعل الولاة و الخلفاء معرعاياهم، أو من يتولون الحكم بعدهم.

7/ **الوصايا:** كثيرا ما كانت خطب الوصايا رائجة في أوساط العرب خصوصا عند ظهور الإسلام، و كان الآباء فيها يوصون بها أبناءهم قبيل وفاتهم، كما كان يوصي الولاة والخلفاء أيضا من يتولون الحكم بعدهم.⁴

¹ ينظر، "الخطابة العربية في عصرها الذهبي"، إحسان النص، ص 34 و ما بعدها.

² في قول الجاحظ "و البينة في خطبة النكاح أن يطيل الخاطب و يقصر المجيب"، "البيان و التبيين"، ج1، ص 150.

³ "الخطابة العربية في عصرها الذهبي"، إحسان النص، ص 36.

⁴ الخطابة العربية في عصرها الذهبي"، إحسان النص، ص 38-39.

أما عن خصائص الخطابة فكانت كالآتي:

- أخذت وجهة دينية، ومالت إلى الطول أحيانا و لاسيما السياسية منها ، فكانت تستهل بالتحميد والبسمة وتزين بآيات من القرآن والصلاة على النبي وإلا سميت شوهاء¹، وكان الخطباء يختمونها بما يستهلونها به من الدعاء والتمجيد.
 - صفاء الأسلوب و سهولة العبارات، و ذلك محاكاة لأسلوب القرآن الكريم سواء من حيث الأفكار والمعاني أو من حيث الصياغة والتركيب.
 - قوة تأثيرها ونفاذها إلى القلوب و امتلاكها الوجدان و الشعور² اقتداء بأحاديث الرسول (ص) التي يشهد فيها تخير الألفاظ وصياغة العبارة ، فكان كلامه حسن الموقع عذب الإيقاع، شديد التأثير، رائع البيان، قوي الإقناع والأداء.³
 - كانت للخطيب منزلة خاصة في هذا العصر لارتقاء صنعة الخطابة فيه، إذ كانت حاجة الحياة القبلية في الجاهلية تتطلب حاجتهم للشاعر أكثر من حاجتهم للخطيب، أما في العصر الإسلامي فكانت الحاجة إلى الخطابة أكثر كونها تقوم على الجدل والإقناع وإيراد الأدلة و البراهين، هذا ما يفسر كثرة الخطباء في هذا العصر⁴ وعلو مكانتهم⁵.
- ب/ مرحلة ما بعد صدر الإسلام (العصر العباسي و الأموي، الحديث...):

لقد حققت المدرسة النبوية نقلة في تطور الخطابة و ازدهارها، وكان من بعدها اهتمام الخلفاء الراشدين و الأمراء ، إذ كانوا بدورهم نوابغ فيها،و كانوا يقربون كل خطيب منهم و يجزونه العطاء، لأنهم كانوا في أشد الحاجة إليها، للاستعانة بها في إخماد الفتن، و استنهاض الهمم ونشر تعاليم الإسلام.⁶

¹ "البيان و التبيين"، الجاحظ ج 2 ، ص 4

² ينظر "فن الخطابة و إعداد الخطيب"، علي محفوظ، ص 31.

³ ينظر "فن الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير"، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السوطي، دار الكتب العلمية، الطبعة 4 الجزء 1 بت.ص3 و فيه قال المؤلف: " أودعت من الكلم النبوية ألوفاً، و من الحكم المصطفوية صنوفا اقتصرت فيه على الأحاديث الوجيزة ...".

⁴ ومن أشهر خطباء صدر الإسلام بعد الرسول (ص) وأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهم أبو الأسود الدولي والأحنف بن قيس وزيادة بن أبيه، إضافة إلى معظم قادة الجيوش الإسلامية والولاة التي كانت تعرض عليهم مهام تبليغ الناس بأوامر الخلفاء وتحسيسهم بأمور دينهم، ينظر، "المستقصى في الأدب الإسلامي"، زبير دراقى ، ص 68.

⁵ ينظر "فن الخطابة العربية في عصرنا الذهبي"، إحسان النص ، ص 04-07.

⁶ ينظر "فن الخطابة و إعداد الخطيب"، علي محفوظ، ص 28.

ثم جاء العصر الأموي بعد انتهاء عهد الخلفاء الراشدين الأربعة فعرفت شأنًا عظيمًا، حتى سمي هذا العصر بالعصر الذهبي للخطابة¹. إذ كل الأحداث السياسية² التي حفل بها هذا العصر تأثرت بها حياة الفن الخطابي، بالإضافة إلى المؤثرات الدينية³ التي أسهمت بدورها في ظهور ضروب منها لم تكن معروفة من قبل، كالجدل الكلامي و المناظرات الدينية.

لقد كان زعماء الفرق في الغالب من الخطباء الفصحاء البلغاء يستميلون القلوب ويثيرون عواطف و مشاعر الجماهير بشكل يبعث على الدهشة، فقد بلغوا من الفصاحة أن وصل شيخ من المعتزلة أن يخطب خطبة طويلة، لا يأتي فيها بحرف الراء لئلا تظهر لثغته⁴، ضف إلى ذلك المؤثرات الاجتماعية⁵ التي لعبت هي الأخرى دورا لا يقل أهمية في نبوغها ونضوجها، و بعد علو الشأن الذي عرفته إبان أول دولة بني أمية، شهدت في أواسط

الدولة مروانية تراجعًا ملحوظًا بسبب اختلاط العرب بالأعاجم وتأثرهم بهم، وركب في نفوس الخلفاء داء العظمة والفخر والكبرياء، وأصبحوا لا يظهرون للعامة ولا يخطبون إلا نادرا، إذ ترفعوا عن الوقوف موقف المخاطب أمام الجمهور من رعيته⁶.

ولقد أعتبر عهد "الوليد بن عبد الملك" أول الخلافات المنفكة عن أصولها وركودها وضعفها، و ذلك عندما بدأ يخطب على المنبر جالسا، وقد كان من سبقه من الخلفاء يقف في هذا الموضع و لا يجلس، ومن تم فشت الاستهانة بهذا الموقف، فعاب عليه الخلفاء والأمراء ذلك الأمر المشين بأصول الخطابة، عندها بدأت تفقد تأثيرها وأهميتها⁷. ولكن مع هذا بقيت محل عناية الحريصين عليها فخرج منهم خطباء مؤيدون قاموا بالدعوة للعباسيين ومن أشهرهم زياد بن أبيه، و أبو حمزة الشاري وثيب بن شيبه

¹ ينظر "فن الخطابة"، أنطوال القوال، ص 86.

² منها بؤادر انشقاق المسلمين في سبيل الخلافة، و ظهور المعارضة لبني أمية و الثورات الداخلية كثورة ابن الزبير (61-73هـ) و ثورات الشيعة و الخوارج، و ابن الأشعث (81-85هـ) و الصراع بني أمية على الخلافة... إلخ، لمزيد من المعلومات ينظر فن الخطابة العربية في عصرها الذهبي، إحسان النص، من ص 53-73.

³ النشاط القصصي و الوعظ، و كثرة الفرق الدينية الخوارج و الشيعة"، تعدد المذاهب: الإرجاء، القدرية، الجهنمية، المعتزلة... ينظر، المرجع السابق، ص 76-123.

⁴ "للثغة" هي عيب من عيوب النطق السليم.

⁵ كالبيئة الحضرية و البدوية، و امتزاج العرب بالأمم الأخرى و العصبية و المفاخرات و المحافل... ينظر، "الخطابة

العربية في عصرها الذهبي"، إحسان النص، ص 123-142.

⁶ ينظر "فن الخطابة و إعداد الخطيب"، علي محفوظ، ص 28.

⁷ ينظر "المرجع نفسه"، ص 44.

ولقد انتقل الخطاب من محافله الدينية كالجمعة و العيدين و مواسم الحج والدعوة إلى الجهاد والاعتصام بحبل الله، إلى مناصرة الأحزاب وزعمائها مثلما كان الحال مع قيام الدولة العباسية بالمشرق، والإدرسية بالمغرب وغيرها إثر الانقلابات السياسية والمذهبية وتأثيرها على البنى الاجتماعية و الفكرية و التي اتخذت من الخطاب الديني حقلًا للدفع إلى الأطماع السياسية، ودعوة الناس للتشيع لزعماء الأحزاب والإنكار على ما انتهكته الدولة الأموية من تجاوزات لمست حرمة الإسلام¹.

إن الخطابة التي عرفت أنضح مراحلها مع الأمويين تراجعت و تفهقرت و فقدت فاعليتها ودورها في العصر العباسي حتى إن الخطاب الديني بدأ بالخسوف حتى ركد في ق 04هـ لأسباب كثيرة منها²: النزاعات السياسية على الخلافة وتدفق الشعوب الأعجمية على البلاد العربية التي تسببت في انتشار اللحن في اللغة فنشأت لهجات عامية، وضعفت ملكة الفهم و الاستيعاب وانصرف الناس عن هذا الفن إلى فنون أخرى مكتوبة وأبحاث علمية فأصابها "ضعف لما أصاب أدواتها اللغة"³.

لقد عرف المؤرخون في التاريخ السياسي للأمة العربية عصرا من التأخر والانحلال منذ أواخر العصر العباسي، فقد توالى عليهم أحداث كثيرة مليئة بالنزاعات والانقلابات التي انعكست على قرائح الخطباء ومواهبهم "...فسيطر الذل على النفوس وجمدت القرائح، وفسدت ملكة اللسان"⁴، وهذا كله كان له تأثيره الحتمي في تطور المجتمع العربي.

بعدها طال ركود الخطابة في عصور الانحطاط، عادت لتستعيد مجدها في العصر الحديث، يقول في ذلك أنطوال القوال عن أنيس المقدبي: " ولا نعرف عصرا تفنن الناس فيه بالخطابة كهذا العصر و ذلك طبيعي في مثل هذه النهضة الجديدة التي كثرت فيها الجمعيات، وتطورت الحياة السياسية و الاجتماعية، وهكذا فتحت أبوابا شتى لمخاطبة الجمهور ونشأت في الأقطار العربية المختلفة ضروب من الخطب لم يعن بها القدماء"⁵

¹ فن الخطابة و إعداد الخطيب"، علي محفوظ"، ص 29

² ينظر "فن الخطابة"، أنطوال القوال، ص 100.

³ "المرجع نفسه"، ص ن.

⁴ "الفكر الديني في مواجهة العصر"، عفت الشراقوي، ص 46.

⁵ "فن الخطابة"، أنطوال القوال، ص 105.

إن ظهور المذاهب الفكرية الجديدة، وحث الشعوب على الثورة ضد الاستعمار والمطالبة بالاستقلال وإدخال الإصلاحات على مختلف العلاقات في شتى مجالات الحياة، والمطالبة بالعدل والمساواة بين الأفراد، جعل الخطابة تصل إلى درجة من التطور في دور القضاء والمجالس العلمية و الدينية والسياسية المختلفة والمناسبات الوطنية والمحافل الدولية والحركات الإصلاحية و الجامعات و المجامع والنوادي... إلخ¹

وما شاع مؤخرا نوع من الخطابة المرتبطة بوسائل الإعلام وبالالاتصال الجماهيري وهو ذلك الحديث المرسل من الإذاعة و التلفزيون والجرائد... إلى عامة الجمهور بمختلف مستوياتهم ..

¹ " فن الخطابة"، أنطوال القوال،"، ص 105.

المبحث الثاني

I- مفهوم التواصل الخطابي:

إن التواصل الخطابي هو عبارة عن عملية تتضمن تحديد المقصود من الخطاب (أي الرسالة) والسعي إلى تحقيق الإقناع والمعنى، " فمن خلاله تحدث عمليات التغيير المقصودة"¹.

كما أنه يعكس غرض الاتصال اللغوي، إذ "لا يمكن اختبار غرض، أو غاية عملية الاتصال عن طريق آخر غير طريق الاتصال اللغوي ذاته"² و هذا يستدعي الربط بين مجموعة من العناصر، والتي باتحادها وتنسيقها تتحقق العملية الخطابية، وهو مطلب لا بد منه حتى تتجلى على إثره العوامل الاتصالية بشكلها المتكامل.

و الحقيقة أن الغرض الأساسي من هذه الصلة بين هذه العوامل، هو تحقيق عملية تواصل ناجحة، بما يحمله من معان في كونه "عملية أساسية في حياة المجتمع، إذ إن كل ما يتصل بانتقال الأفكار و المعلومات من فرد لآخر أو من جماعة إلى أخرى يدخل ضمن هذه العملية، سواء أكانت هذه الأفكار و المعلومات ذات طبيعة اجتماعية أم ثقافية أم علمية أو سواء أكانت تتصل بالناس أنفسهم أم بالهيئة التي يعيشون فيها أم حتى بتجربة الفرد نفسه مع نفسه..."³.

و الخطابة تختص للاتصال بالسامعين من المتلقين "فن مشافهة الجمهور"، إذ كلما وقفنا على مصطلح الخطاب تبادرت إلى أذهاننا دلالاته على التواصل حيث تخلل كل عملية خطابية بعناصر عديدة للتواصل، كالمخاطب والمخاطبين، و سياق الخطاب و مقاصده... إلخ و كان أرسطو أول من أشار إلى الوظيفة الاتصالية للخطابة عند تأليفه فيها و في أصول صياغتها، عندما اعتبر الإقناع الهدف الرئيسي للريطورية* إذ يرى أن الخطابة هي القدرة على امتلاك كل ما يوصل إلى التأثير في أية مسألة من المسائل بحسن اختيار الكلام.

¹ "أبعاد العملية الاتصالية رؤية عملية و واقعية"، سلوى عثمان الصديقي، هناء حافظ بدوي، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة 1999 ص 4.

² ينظر، "اللغة الإعلامية، عبد العزيز شرف"، دار الجيل بيروت ط 1411 هـ - 1991 م، ص 67.

³ "المدخل إلى وسائل الإعلام، عبد العزيز شرف"، دار الكتاب المصري القاهرة، و دار الكتاب اللبناني بيروت، ط 1989 م، ص 59.

* الريطورية " بمعنى صياغة الخطابة" ينظر "الخطابة"، أرسطو، هامش ص 16.

كما تعرض إلى ذكر أهم عناصر العملية الاتصالية الخطابية فقال : "والكلام نفسه مركب من ثلاثة من القائل، و من المقول منه، و من الذي إليه القول و الغاية إنما هي نحو هذا أعني السامع".¹

هنا تعرض إلى عناصر العملية الخطابية² بمفهوم العملية الاتصالية الحديثة وهي "عملية يستطيع الإنسان من خلالها الإبلاغ عما في ذهنه من أفكار و معلومات تحقق له التفاعل مع غيره..."³ ، والخطابة قوة قادرة على الإقناع⁴ ، و إن دلالة كلمة "عملية" تجسد بدورها جوهر الحدث الاتصالي بما تتضمنه من فعل الحركية و النشاط و الحيوية ، وهو كلمة مشتقة من الأصل اللاتيني *communis* بمعنى المشاركة و تكوين العلاقة، فهو عملية تتضمن (المشاركة- التفاهم) حول (موضوع، فكرة) لتحقيق (هدف، برنامج)⁵.
فالتواصل⁶ هو الغرض الأساسي للعملية الخطابية، التي تهدف إلى التأثير الذي يمكن المستقبل من اتخاذ قرار في أمر يهمه ، وقد ورد معنى التواصل في القرآن الكريم أيضا بمصطلح

¹ "الخطابة"، أرسطو، ص 16.

² و هي العناصر التي يضمها كل حدث لغوي (فعل تواصل لفظي) و المتمثلة في مرسل رسالة، مستقبل، مرجع، قناة، سنن، ينظر، "قضايا الشعرية"، رومان باكيسون، تر محمد الوالي و مبارك حنون، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988 ، ص 27.

³ "نماذج الاتصال في الفنون و الإعلام و التعليم و إدارة الأعمال"، عبد العزيز شرف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2003 ، ص 28.

⁴ ينظر "الخطابة" أرسطو، ص 09.

⁵ ينظر "البيان والتبيين، الجاحظ ، ج 1 ، ص 41 - 42.

⁶ التواصل من وصل و وصلت الشيء وصلا و وصلة، و الوصل صد الهجران، خلاف الوصل و وصله إليه و أوصله أنهاه إليه و أبلغه إياه، ينظر لسان العرب ابن منظور ج15 مادة وصل ص 224 و جاءت مادة وصلة يصله وصلا في القرآن الكريم معنى بره و التودد إليه، و يقال وصل إلى غدا و صولا: أبلغه و انتهى إليه في قوله (فما كان لشركانكم فما يصل إلى الله و ما كان لله فهو يصل إلى شركانهم شاء ما يحكمون) الأنعام الآية 126 بمعنى يصل ينتهي و يبلغ. ينظر لسان العرب، ابن منظور، مادة وصل، ج 15، ص 224.

البيان في قوله تعالى : « هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ »¹ والبيان هنا هو الإفصاح والإفهام، وحكمة الإبلاغ. كما أنه عز وجل أشار في كتابه العزيز إلى ضرورة الاتصال والتفاهم بين الأمم والشعوب في قوله : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا² إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ³ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ »² والتعارف من التفاعل و"التفاعل من المعرفة تبادلهما"³ ، والسبيل إلى تحقيق الإفهام والتفاعل هو الإقناع والإقناع هو الخطابة.

وقد جاء لفظ اتصال communication في معجم اللسانيات لجون دي بوا jean du bois بتعريفين:

1/ **التواصل communication** : هو تبادل كلامي بين متكلم يصدر ملفوظا نحو متكلم آخر يرغب في السماع أو الإجابة الصريحة أو الضمنية (حسب نوع الملفوظ)⁴.

2/ **الاتصال communication** : حسب المعنى الذي وضعه منظرو علم الإعلام والاتصال و اللسانيون، الاتصال هو حدث إرسال معلومة من نقطة إلى أخرى (مكان أو شخص) و يحدث تبادل هذه المعلومة على مستوى الرسالة التي استقبلت بعض الأشكال الموضوعية في سنن.

فالتعريف الأول يمثل الاتصال اللفظي المباشر أين يحدث التبادل الكلامي بين المتكلم والمتلقي بالطريقة المباشرة و بالمواجهة بينهما، حتى إنه يمكن تبادل الأدوار فيكون توأصلا وليس إتصالا.

أما التعريف الثاني، فالإتصال فيه لا يكون بين شخصين فقط و إنما قد يكون بين أفراد و هيئة أو مؤسسة أو غير ذلك، و قد ينعدم عنصر المواجهة فيه فلا يكون الأخذ والعطاء في

² سورة الحجرات، الآية 13.

³ "معجم ألفاظ القرآن الكريم"، مجمع اللغة العربية، المجلد 2، ص 211.

⁴ Voir "dictionnaire de l'linguistique" ,jean du bois , librairie la rousse 1973 p96.

« la communication et l'échange verbal entre un sujet parlant qui produit un énoncé destiné a un autre sujet parlant et interlocuteur dont, il sollicite l'écoute et/ou une réponse explicite ou implicite (selon le type d'énoncé).

الكلام،¹ وقد ارتأيت اعتماد كلمة "التواصل" في عنوان البحث لمناسبتها طبيعة الاتصال الشفوي للفن الخطابي الذي يتسم بالمشاركة بين طرفي "عملية التواصل" وانفتاح الذات على الآخرين، لأن عملية التواصل (الخطيب والمخاطبون) أشمل في معناها من كلمة "الاتصال".²

والتواصل الخطابي هو عملية تتوقف عليها استجابات، و ردود أفعال يحددها ذلك التأثير و التفاعل الناتج من المتكلم و المتلقي، نتيجة لتشابك تلك العناصر الاتصالية التي تولد قوة تأثيرية تستخدم في تحقيق الأهداف المنشودة، يقول في ذلك توماس ستشدل thomas scheidel إنه يشكل "العملية التي تحدث عندما يتفاعل المتكلم و المستمع من خلال الرسائل اللفظية و غير اللفظية في محيطات اتصالية"³.

و هو لدى ديفيد بيرلو David Berlo "يمثل الأحداث و العلاقات الديناميكية المتحركة التي تتفاعل عناصره مع بعضها البعض فيؤثر كل واحد في الآخر"⁴ لأن كل متكلم إنما يساهم في النشاط الاتصالي لكي يؤثر في الآخرين مثلما يتأثر بهم وهو بذلك يسعى إلى تشكيل كيان مستقل قادر على ممارسة إرادته على من يحيط به،⁵ لأن الهدف الأساسي من نشاطه هو التأثير (تأثير المتصل بمن يتصل به من خلال الرسالة التي يوصلها إليه).⁶

ويبقى نشاط التواصل الخطابي يجري عادة حسب نوعيته و ظروفه و دوافعه، وحسب الأغراض التي يرمي إلى تحقيقها، إضافة إلى السياق و الظروف التي يرد فيها: "إذ

¹ ينظر "التشكيل اللغوي و مهارات الإلقاء للخبر التلفزيوني دراسة لسانية"، حميدي زهور، رسالة ماجستير، جامعة السانبا، وهران ، 2005-2006 ، ص 13.

² "تنمية مهارات التواصل الشفوي"، راشد محمد عطية أبو صواوين، ص 30.

³ Thomas .s speech communication and human interaction, Glenview Scott foreman and company 1976 p 5.

⁴ Voir David b. the process of communication. New York. Hot Rinehart. Winston 1960 p 24

⁵ ينظر "الأسس العلمية لنظريات الإعلام، جيهان أحمد رشتي"، دار الفكر العربي، القاهرة ط2 ، مارس 1978 ، ص 64.

⁶ " بين لغة الأدب و لغة الإعلام"، وليد أبو بكر، مجلة الثقافة ع1، 1984م.

إن أي اتصال لا يحترم الحقائق و المعطيات الموضوعية، و بالتالي لا يحترم الأعراف و التقاليد الاجتماعية، هو اتصال محكوم عليه بالفشل مسبقاً".¹

فالخطيب لما يلقي خطابة أمام المتلقين من الجمهور، لابد أن يراعي توفر العديد من الأمور التي تتسجم فيما بينها مشكلة مجموعها الحدث الاتصالي مثل لغة الخطيب والإشارات والحركات، الهدام، المحيط، السياق، الزمان، نبرة الصوت، موقف الجمهور من الخطيب، أثر إلقاء الخطبة من حيث المكان والمساحة، الإضاءة والتصميم... إلخ.²

ولابد من الإشارة إلى أن التواصل بشكل عام يحدث بأساليب و وسائل مختلفة، فقد يحدث بالّلغة الكلامية المنطوقة بنمطها الشفهي والكتابي، كما قد يحدث بالحركات والإيماءات والإشارات، إذ لا يشترط -بشكل عام- أن يكون بالشفرات اللفظية -فحسب- أي تواصلًا لسانيًا- لأن هناك من الشفرات غير اللفظية ما تقوم بدور فعال في تحقيق التواصل.³ ومع هذا يبقى الحدث اللساني - الاتصال اللغوي- هو أفضل و أرقى وسيلة لتحقيق ذلك، لأن الرموز اللفظية تملك من القدرات الصوتية و المعجمية و الدلالية ما يؤهلها لأن تكون أنجع وسيلة للتعبير، إذا قورنت بالرموز غير اللفظية - الاتصال السميائي- التي لا يتم الاتفاق على تحديد قواعدها، بعكس الأولى التي ضبطت في المعاجم و كتب النحو و البيان.⁴ يبقى النشاط الاتصالي الخطابي مرهونا بالّلغة المنطوقة دون غيرها أي التواصل اللساني الذي ينحصر في "...عملية التواصل التي تجري بين البشر بواسطة الفعل الكلامي ولكي يتصل فيه القول لآبد من استعراض منظورات ثلاث عنه، وهي "الدال والمدلول" والقصد لتحقيق دائرة الكلام".⁵ و الملاحظ أن هذا التعريف يولي أهمية للفعل الكلامي، لأنه يشكل الرسالة الخطابية الموجهة التي تبنى على الإلقاء والسماع، و على المجابهة و

¹ "الاتصال الإنساني و علم النفس"، أحمد النابلسي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت 1444هـ-1991م، ص 48.

² ينظر "فن الكلام مدخل إلى الاتصال العام"، أحمد بن راشد بن سعيد، دار جبل الشيخ للإعلام و النشر، الرياض 1998، ص 09.

³ ينظر "الاتصال و السلوك الإنساني"، برنت روبن، تر: نخبة من أعضاء قسم وسائل التكنولوجيا و التعليم، بكلية التربية، جامعة الملك سعود، معهد الإدارة العامة، 1991، ص 177-219.

⁴ ينظر "الاتصال والسلوك الإنساني"، ص 179-180.

⁵ "دروس في اللسانيات التطبيقية"، صالح بلعيد، دار هومتة، الجزائر، 2000م، ص 42.

المواجهة (أحيانا وليس دائما مثلا خطبة الجمعة، و خطبة مذاعة في التلفزيون)، بالدرجة الأولى وعلى عنصر الدال والمدلول والقصد، ولكن هذا لا ينفي أهمية بعض العناصر الأخرى غير اللفظية التي إن صاحبت اللغة المنطوقة زادت من تأثيرها و فاعليتها كالحركات وطريقة الإلقاء ونبرة الصوت ... حتى إنه بدونها قد لا تحصل الفائدة من التواصل الكلامي (الخطابي).

1- أنواعه :

و يحدث الاتصال الخطابي في ثلاث حالات هي¹:

1/ بين الإنسان و نفسه و يسمى اتصالا ذاتيا interpersonal communication ويتم التفاعل فيه بين الفرد و ذاته*، و هو اتصال مبدئي و أساسي في تحقيق الاتصال مع الغير. و لقد عدده الباحثون أيضا اتصالا خطابيا لأنه جوهر عملية الاتصال، و لأن السلوك الاتصالي للفرد منبعه الذات الت تتكون بواسطة الإدراك preception².

2/ بين شخص و أفراد مجموعة صغيرة و يسمى بالاتصال الشخصي interpersonal communication و هو تفاعل يحدث بين نظامين ذاتيين أو أكثر، كل منهما يؤثر على الآخر أو بمعنى آخر هو عملية تبادل الأفكار و المعلومات بين الأشخاص داخل نسق اجتماعي معين معتمدين في ذلك على تعديل الرسائل المتبادلة فيما بينهم على ضوء رجوع الصدى من المستقبل إلى المرسل إذ يكون المرسل و المستقبل وجها لوجه بالمشافهة المباشرة³.

3/ بين شخص خطيب – متكلم- و مجموعة من المتلقين – الجمهور- و يسمى اتصالا عاما public communication، فهو اتصال يشبه الاتصال بين فردين، إلا أنه أكثر تعقيدا، فهو

¹ تعرف بنماذج أو أنواع الاتصال و التي تتعدد بحسب البيئة و الظروف التي يتم فيها الاتصال، والنموذج هو عبارة عن تجسيد لعملية الاتصال الديناميكية المتغيرة، بعزلها عن المتغيرات، ووصف أحداثها إثر مختلف الجوانب المكونة لهذه الظاهرة، بواسطة مخططات ورسوم بيانية قادرة على نقل مختلف الجوانب المكونة لهذه الظاهرة. ينظر "الأسس العلمية لنظريات الإعلام"، جيهان أحمد رشي، ص 70-79.

* أي أن يكون مرسلا و مستقبلا في أن واحد.

² ينظر "المدخل إلى وسائل الإعلام" عبد العزيز شرف ص 59. و ينظر، "الاتصال الإنساني و دوره في التفاعل الاجتماعي"، إبراهيم أبو يعقوب مجدلاوي للطباعة و النشر، بت، ص 113، و ينظر، م ن، ص 121.

³ ينظر "الأسس العلمية لنظريات الإعلام"، جيهان أحمد رشي، ص 121، و ينظر "الاتصال الإنساني و دوره في التفاعل الاجتماعي"، إبراهيم أبو يعقوب، ص 133.

يتميز بخصائص مختلفة أهمها- أحيانا- انعدام طابع المواجهة بين المرسل والمستقبل¹ وافتقاده صفة التخاطب و تبادل الكلام - إن كان بث في وسائل الإعلام كالتلفزيون- و هذا ما جعله يعرف بالاتصال ذي الاتجاه الواحد أو الاتصال الجماهيري² والحالة التي تهمنا في هذه الدراسة هي الاتصال* الخطابي العام (الجماهيري) باعتباره محور ما نحن بصدد دراسته، و هو نوعان:³

• النوع الأول: المباشر و الذي تكون فيه عملية الاتصال موجهة من المرسل فرد (قد يكون خطيبا أو أستاذا أو مسئولا أو...) إلى مجموعة من المتلقين ذات العدد المحدود (المدرج القاعة، المسجد...) فيحدث في قاعة من القاعات الجماهيرية حيث يكون رد الفعل من المتلقين ممكنا (رجع الصدى)، فيكون تواسلا لا اتصالا.

• النوع الثاني: و فيه يكون المرسل شخصا واحدا أو هيئة كالمؤسسة الإعلامية، أما المستقبل فعدده غير محدود (جمهور) هذا ما تمثله الخطابات الموجهة في وسائل الإعلام، وهي من أهم أنواع الاتصال في العصر الحديث. والاتصال الخطابي الجماهيري أثناء سيرورته يهدف إلى إنجاح العلاقة التواصلية بين الخطيب وجمهوره و هذا يستدعي توفر كل الوظائف الاتصالية اللازمة و التي تظهر جليا في نظرية ياكبسون التواصلية.

¹ ينظر "الأسس العلمية لنظريات الإعلام"، جيهان أحمد رشتي، ص 193، وينظر "الاتصال الإنساني و دوره في التفاعل الاجتماعي"، إبراهيم أبو عرقوب، ص 128 و ما بعدها.

* إن مفهوم الاتصال هو مرادف لمفهوم الإعلام (information) لكنه يختلف عنه في كونه أعم من الاتصال لأنه فعل تبليغ الجمهور بواسطة الجريدة أو الإذاعة أو التلفزيون أو أي وسيلة إعلامية أو أي قناة فضائية محددة ينظر:

2-Alain rey, le robert, dictionnaire d'aujourd'hui, paris,1991, p 540.

« l'information, action d'informer le public, l'opinion par la presse, la radio, la télé vision... ».

كما أن الإعلام أصبح مفهومه مرادفا للاتصال الجماهيري وعناصره الأساسية أربعة: مرسل - مستقبل - رسالة - وسيلة إعلام، ينظر، "نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، محمد عبد الحميد، عالم الكتب، ط1، الق اهرة، 1997، ص 36.

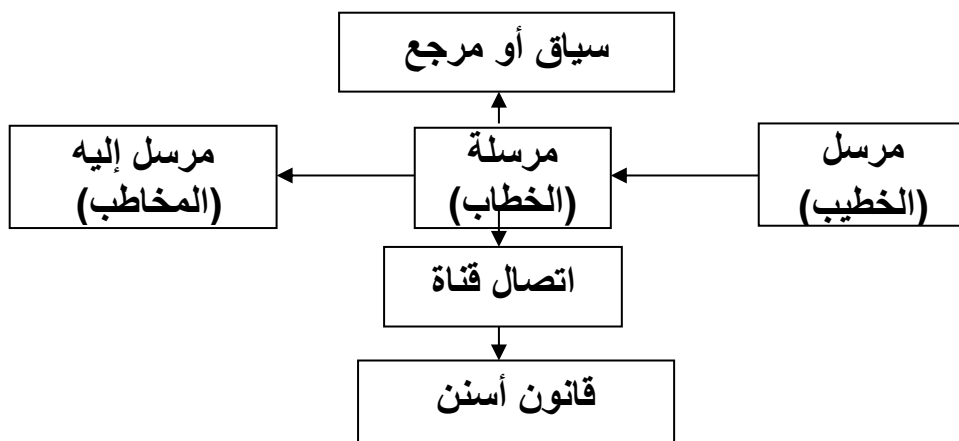
فالإعلام عملية اتصال، إذ لا يمكن أن يتم الإعلام دون الاستعانة بأسس نظرية الاتصال، حتى أن هناك من يرى أن الإعلام هو منتج الاتصال، ينظر، "التشكيل اللغوي ومهارات الإلقاء للخبر التلفزيوني"، دراسة لسانية، حميدي زهور، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، اشراف أحمد عزوز، 2005، 2006، ص21.

³ ينظر "المرجع نفسه"، ص 22.

2- الوظائف الخطابية في نظرية ياكبسون:

لقد سبقت الإشارة إلى أن التواصل الخطابي حدث لساني اجتماعي تقتضيه ضرورات الحياة في كل المجتمعات على اختلاف مرجعيتها الدينية و الثقافية و مؤسساتها الفكرية والسياسية... إلخ.

فهي تشترك في حاجة أفرادها إلى التواصل فيما بينهم و الحوار لهدف من الأهداف وهذا ما يشير إليه ابن خلدون في قوله: "... أنه لا تمكن حياة المنفرد من البشر، و لا يتم وجوده إلا مع أبناء جنسه..."¹ ، ولا يمكن له أن يتفاعل معهم إلا عن طريق التواصل والتفاعل. والحدث الاتصالي اللساني -عموماً - هو حدث لغوي يراه "رومان ياكبسون" أنه كل فعل تواصلي لفظي ضم أربعة عناصر مرتبطة فيما بينها وهي تتشكل من مرسل باث ومنتلق مستقبل لمحتوى رسالة تقتضي سياقاً تحيل عليه (أي المرجع) و سنن مشترك وقناة فيزيقية تضمن نقل الرسالة وقد مثله بالخطاطة الآتية:²



فكل عنصر من هذه العناصر يقابل وظيفة أساسية:³

- 1- المرسل Destinateur ← الوظيفة التعبيرية (الانفعالية) وهي متعلقة بالمتكلم.
- 2- المرسل إليه Destinataire ← الوظيفة الندائية، وتتعلق بما يتلقاه الشخص الذي يوجه إليه الكلام.
- 3- السياق أو المرجع Conte xte ← الوظيفة المرجعية - الإخبارية.
- 4- الرسالة Message ← الوظيفة الشعرية.

¹ "المقدمة"، ابن خلدون، ص 450.

² "قضايا الشعرية"، رمان ياكبسون، ص 27.

³ "المرجع نفسه"، ص 28-33.

5- الاتصال أو القناة Contact ← وظيفة إقامة اتصال.

6- القانون أو السنن Code ← وظيفة تغذي ما وراء اللّغة.

وتتم عملية التواصل الخطابية عبر أكثر من مرحلة، هذا ما يفرض ضرورة توافر العوامل اللازمة لذلك، وقد حددها ياكبسون في ستة عوامل¹، تبنى على أساسها العلاقة القائمة بينها نظريته التواصلية، وفيها يوجه المرسل رسالة إلى المرسل إليه، ولكي تكون فاعلة فإنها تقتضي في البدء، سياقاً تحيل عليه (مرجع)، وهو إما أن يكون لفظياً أو قابلاً لأن يكون كذلك، كما تقتضي سننا مشرّكة، كلياً أو جزئياً بين المرسل والمرسل إليه (أو بعبارة أخرى بين المسنّن ومفكّك سنن الرسالة)، وأخيراً، قناة فيزيقية وربطاً نفسياً بين المرسل والمرسل إليه، يسمح لهما بإقامة التواصل والحفاظ عليه².

ولم يكتف ياكبسون بتحديد عوامل التواصل الخطابي بل ربط كل عامل منها بوظيفة خاصة تحقق الموقف الاتصالي وهي التي يمكن إجمالها في الآتي³:

القيمة	الوظيفة	قطب التواصل
الصدفة	تعبيرية	المرسل
المشروعية	إيعازية	المرسل إليه
الجمال	شعرية	الرسالة
الحقيقة	مرجعية	المرجع
موافقة القواعد	فوق قولية	القواعد(السنن)

¹ ينظر "قضايا الشعرية"، رومان ياكبسون، ص 27.

² ينظر "المرجع نفسه"، ص ن.

³ ينظر "اللغة"، دفاتر فلسفية، إعداد وترجمة محمد سبيلا، وعبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ص 55.

1- **الوظيفة التعبيرية: (la fonction expressive)** وهي ما تعرف بالوظيفة الإنفعالية التي تتمحور على المرسل الذي يضع الرسالة، أو بمعنى آخر على ذات المتحدث، إذ يعبر فيها عن موقفه تجاه الموضوع الذي يتحدث عنه بأسلوب خاص يترك انطبعا في المتلقي كأن يبرز انفعالا معيناً (غضب، سرور، ألم ... إلخ) بطريقة معينة (صوت مرتفع أو منخفض، بتتغيم أو نبر، بحركات أو بهوء...) ¹، ومثال ذلك قول الخطيب " من الذي خلق لك عينين براقيتين تدركان المبصرات بألوانها وأشكالها،... أليس هو ربك...". *

كما قد تبرز هذه الوظيفة في أسلوب خاص، وبخاصة في صيغ التّعجب، إذ يقول ياكسون: "وتمثل صيغ التّعجب في اللغة الطبقة الانفعالية الخالصة" ². "عجبا لكم أيها العاقلون كم تفهمون وكم تخطنون". **

وجاء في توضيح هذه الوظيفة عند خولة طالب إبراهيمي قولها: "يبرز من خلالها المخاطب (المرسل المتكلم) حيث يبوح عن مشاعره ويعبر عن أفكاره، ويستعمل اللغة للتعبير عن أحاسيسه وأغراضه ...". ³

2- **الوظيفة الأفهامية: (fonction conative)** وهي تتمحور حول المرسل إليه الذي يستقبل الرسالة "وبواسطتها تأخذ الرسالة قيمتها التداولية، كما يتجلى ذلك في النداء والأمر أو الاستفهام، أو التمني أو في الأساليب الخبرية والإنشائية عموماً" ⁴ لأن هذه الأساليب كثيرا ما تثير وجدان المتلقي فينتج عنها ردود أفعال معينة سواء كانت حركية أو ذهنية أو لغوية. ⁵

¹ ينظر "المدارس اللسانية"، أحمد عزوز، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ص 121، وينظر "اللغة والخطاب"، عمر أوكان، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2001، ص 49-50.

* خطبة 2013/06/14، قناة الجزائرية.

² "قضايا الشعرية"، رومان ياكسون، ص 28.

** خطبة 2013/07/19، قناة المغربية 2M

³ "مبادئ في اللسانيات"، خولة طالب إبراهيمي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000م، ص 31.

⁴ "اللغة والخطاب"، عمر أوكان، ص 50.

⁵ ينظر "مبادئ في اللسانيات"، خولة طالب إبراهيمي، ص 31.

مثل قول الخطيب " ألا تعلمون أن الذي لا يملك زمام المبادرة في أموره الدنيوية سيكون بالطبع متهاونا في أموره الأخروية... " *

3- الوظيفة المرجعية: (*fonction référentielle*) وتعتبر الأساس في كل عملية تواصلية، لأنها تحدد العلاقة بين الرسالة والموضوع، أو بمعنى آخر "تجسد العلاقة بين الدليل والموضوع الخارجي الذي نملك عنه صورة ذهنية ونفسية يسميها سوسور بالتصور"¹، مثال ذلك قول الخطيب " ذلك أنهم معجبون بحاجاتهم ، والمعجب بنفسه هالك لا يساوي عند الله جناح بعوضة"^{**}، فالوظيفة المرجعية في هذا الخطاب متعلقة دلالتها بالمرجعية الدينية الثابتة و الراسخة في المتكلم.

ولهذا نجد أن الكثير من العلماء اهتموا بدراسة اللّغة داخل السياق الاجتماعي، لأنه هو الذي يوفر مختلف الظروف التي تجعل منها لغة تواصلية تحقق الفهم والإدراك في مختلف الميادين.

يقول عبد الفتاح عفيفي: "كما أن اللّغة هي سلوك اجتماعي مكتسب من المجتمع ولا يمكن تصور دراستها دراسة علمية في معزل عن هذا السياق الذي انبثقت منه"².

4- الوظيفة الانتباهية: *fonction phatique* تربط بالقناة التي "تهدف إلى إقامة التّواصل والحفاظ عليه ، والتأكد من اشتغال دورة الكلام، وإثارة انتباه المتلقي، أو التأكيد من انتباهه"³، ويكون ذلك ببعض المؤشرات مثل أدوات التنبيه، وافتتاح الكلام واختتامه بعبارات خاصة يستعملها كل من المتكلم والمتلقي على حد سواء، للتأكد من صيرورة الاتصال بينهما⁴ في قول الخطيب " أما بعد فإن الأثر يدلّ على المؤثر..."^{***}.

5- الوظيفة الميتالسانية: وهي عند ياكسون تمثل الوظيفة اللسانية الواصفة، إذ يقول أن هناك مستويين للّغة، اللّغة الموضوع التي تتحدث عن الأشياء واللّغة الواصفة التي تتحدث

* خطبة 2013/09/27، قناة أزهر.

¹ "اللغة والخطاب"، عمر أوكان، ص 50.

** خطبة 2013/09/27، قناة أزهر

² "علماء الاجتماع اللغوي"، السيد عبد الفتاح عفيفي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995م، ص 15.

³ "اللغة والخطاب"، عمر أوكان، ص 50.

⁴ ينظر، "مبادئ في اللسانيات"، خولة طالب الإبراهيمي، ص 30-31.

*** خطبة 2013/06/14، قناة الجزائرية.

عن الكلمات، وهي أداة ضرورية في خدمة المناطقة، وفي نقل اللّغة واكتسابها¹ "وهي تمارس في كل مرة يلجأ فيها أحد طرفي التواصل (المرسل أو المتلقي) إلى التأكد من استعمالهما السنن نفسه"².

6- الوظيفة الشعرية: *fonction poétique* أو الجمالية وهي تركز على الرسالة

ذاتها وتتمحور حول بلاغتها وأسلوبها، فالاهتمام هنا يكون منصبا على الخطاب نفسه، ليس الشعري وحسب، وإنما النثريّ أيضا³، لأن المرسلات تتفاوت فيما بينها، ولكل خصائصها وميزاتها "فالمرسلة القانونية غير المرسلة السياسية، وغير الشعرية، فكل واحدة لها شكلها وطريقة بنائها"⁴.

هذه هي الوظائف الست التي تتفاعل فيما بينها في العملية التواصلية الخطابية، مع هيمنة إحداها على الأخرى بحسب خصوصيات وأغراض الخطيب⁵، كأن تكون الوظيفة الشعرية هي المهيمنة في الخطاب الشعري، لأنها البؤرة التي يبني عليها النص، فالمتكلم يسعى إلى إبراز المعنى في رسالة جمالية وإبداعية بالدرجة الأولى، فلا يهتم إلا بالإبداع في الأسلوب وتحقيق البيان وممارسة الإنزياح (المجاز)، وهذه الخصوصيات مرتبطة بالرسالة، لذا نقول إن الوظيفة المهيمنة هي الوظيفة الشعرية⁶ أو بمعنى آخر الوظيفة التخيلية⁷.

أما إذا عدنا إلى الخطاب الديني، فإننا كثيرا ما نجد هيمنة الوظيفة التعبيرية الإنفعالية التي تعكس وتعبر عن ذات الخطيب وموقفه تجاه الموضوع الذي يتحدث فيه بذلك الأسلوب والهيئة والنبرة والحماس الذي يترك أثره في المتلقي.

¹ ينظر "قضايا الشعرية"، رومان ياكسون، ص 31.

² "اللغة والخطاب"، عمر أوكان، ص 51.

³ ينظر "قضايا الشعرية"، رومان ياكسون، ص 32-33.

⁴ "سميائيات التواصل وفعالية الحوار"، المفاهيم والآليات، أحمد يوسف، ص 125.

⁵ ينظر "اللغة والخطاب"، عمر أوكان، ص 49.

⁶ ينظر "المرجع نفسه"، ص 53.

⁷ ينظر "المرجع نفسه"، ص 118.

3- عناصر التواصل الخطابي:

إن الاتصال الخطابي هو مثل غيره من العمليات التي تجري عادة ويوميا بين أفراد المجتمع الواحد أو بين أعضاء المجتمعات بشكل عام (و نعني بذلك تلك الخطابات التي تبث في وسائل الإعلام).

فهو أثناء سيرورته يستدعي مجموعة أسس تضمن حركيته وتحول دون انقطاعه أو حدوث الخلل، إذ بتوافر هذه الأسس تسير عملية الاتصال وفق خط يحمل مجموعة عناصر تتكامل، وتتسلسل فيما بينها لغرض إنجاح العلاقة التواصلية بين الخطيب وجمهوره، فيصل إلى تحقيق التأثير على سلوكهم ، لأن الوظيفة التأثيرية هي المحور الأساسي والغرض الرئيسي الذي تبنى على أساسها وحدة التواصل للخطاب الملقى، من منطلق أن الغاية لا تقتصر على إفادة المتلقي بالمعلومة أو الخبر فقط، وإنما تتجاوز ذلك إلى إحداث أثر أو تغيير في نفسية أو فكره أو رأيه تبعا لمضنون الخطاب وغرضه.¹ وهذا ما ينطبق على مختلف الأنشطة في الحياة حيث نجد دائما أن هناك من لديه القدرة على التأثير والإقناع.²

والخطابة تشكل سلسلة حلقات مرتبطة ببعضها، وإذ نقصت حلقة منها أوعتراها ضعف أو شلل ما يفشل العمل الاتصالي برمته.

وعلى هذا الأساس فإن عملية الاتصال بشكل عام و من ضمنها الاتصال الخطابي يقوم على جملة من الأسس تتجلى في النموذج الشهير لهارولد لازويل عام 1948 هذا الأخير الذي رأى أن تحديد وصف النشاط الاتصالي عند الإنسان يكون بالرد على خمسة أسئلته وهي:³

من ؟

ماذا يقول ؟

لمن يقول ؟

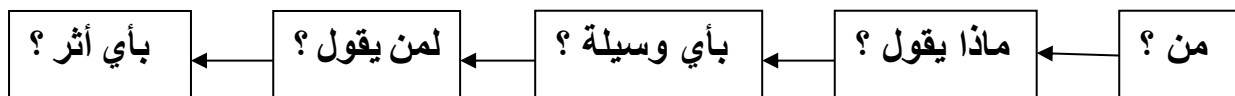
¹ ينظر "الخطاب الديني و إستراتيجية التواصل دراسة في فن الإلقاء"، بلحضري بلوفة، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران السانبا، إشراف : بن شهيدة أحمد ، سنة 2005-2006 ، ص 65.

² ينظر "سيكولوجية الاتصال و ضغوط العمل" ، علي حمدي ، دار الكتاب الحديث ، 2008م، ص 153.

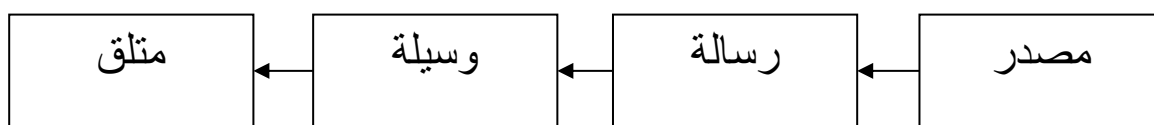
³ ينظر، "مدخل إلى وسائل الإعلام"، عبد العزيز شرف، ص 180.

بأي وسيلة ؟

و بأي أثر ؟



وهو شبيهه باقتراح ديفيد برلو BERLO 1960 الذي اهتم بتصوير عملية الاتصال وتحليلها ووصف أبعادها فكان لفظا شبيها بتصوير أرسطو¹ إذ بناه على أربع عناصر أساسية و هي²:



من ← ماذا يقول ← بأي وسيلة ← لمن يقول
حيث جاء بأهم العناصر التي تتطلبها العملية الإتصالية³ (الخطابية) لتتم بنجاح⁴ وهي كالاتي:

1/ من المرسل: (المتكلم، المتحدث، البات، المخاطب) يمثل الطرف الرئيسي و الأساسي أو بمعنى آخر هو "... النقطة التي تبدأ عندها عملية الاتصال عادة..."⁵ كما أنه المصدر الذي يضع الرسالة التي تتشكل وفقا للكلمات التي ينطق بها و التي تتلقاها أذن السامع أي المستقبل.

المرسل - في الخطاب الديني- يمثله الخطيب القائم بعملية الإبلاغ الذي يحمل على عاتقه مسؤولية إنجاحها، فهو المسؤول الأول على قبول أو رفض مضامين الرسالة التي

¹ ينظر "الخطابة"، أرسطو طاليس، تر عبد الرحمن بدوي ، ص 16.
* عندما ذكر أهم عناصر العملية الإبلاغية و قال "الكلام نفسه مركب من ثلاثة من القائل، و من المقول منه، و من الذي إليه القول، و الغاية إنما هي نحو هذا أعني السامع"، ، الخطابة، أرسطو، ص 16
² ينظر "الأسس العلمية لنظرية الإعلام ، جيهان أحمد رشي ، ص 142.

³ لمزيد من المعلومات حول نماذج عملية الاتصال ، ينظر "وظائف المجاز بين المعيار والاستعمال في ضوء نظرية التواصل - رسالة ماجستير ، شيخ أمير الهوارية ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة وهران - السانيا - اشراف : أحمد عزوز ص 12 - 20.

⁴ ينظر "مدخل إلى علم الإتصال" ، منال طلعت، المكتب الجامعي الحديث، "الأزاريطة ، الإسكندرية ، 2001 ، 2002 ، ص 77.

⁵ "أبعاد العملية الاتصالية رؤية نظرية وعملية وواقعية"، سلوى عثمان الصديقي وهناء حافظ بدوي، ص 26.

يتلقاها المستقبل¹ ، لأنه يستطيع تحقيق التغيير بطرق متنوعة تمكنه من "... أن يفرض الانتباه مقويا بصورة كبيرة جدا فعالية الرسالة"² ، وما تحمله من مضمون وحتى يتأتى له ذلك ، لا بدّ من أن تكون له من المقومات الإقناعية والإلقائية ما يؤهله إلى تحقيق ذلك.

2/ يقول ماذا؟ (الرسالة ، الخطاب) message: تمثل في العمل الاتصالي تلك الرموز المشفرة التي تشكل مجموعة من المتغيرات يضعها المصدر أو بمعنى آخر "هي مجموعة الرموز التي إذا وضعناها في ترتيب معين يصبح لها معنى عند المتلقي"³ كما أنها "الهدف الذي تهدف عملية الاتصال إلى تحقيقه"⁴، وهي تمثل في العمل الخطابي ذلك النسيج الذي يتألف من الكلام المنطوق⁵ الذي يحمل مضمونا معيننا يسعى المرسل الخطيب إلى إيصاله للمتلقين في شكل معين وصيغة أدبية خاصة ومحدودة من الرموز والكلمات.

هذه الرموز التي تحقق نوعا من الاشتراك بينه و بين مستقبل الرسالة الذي يترجم أفكاره و نواياه إلى شكل منظم يمثل لغة مفهومة يستطيع استقبالها و فهم مقصودها.

فالرسالة تفيد" نقل عرض من أعراض المتكلم، كما أنها تعكس حالته الذهنية والنفسية لأنها محصلة وضع فكر المتحدث في رمز و تمثل النتاج المادي والعقلي للمصدر"⁶ فهي رموز يضعها المتحدث (المخاطب) و يفككها المتلقي (المخاطب) ليخرج ما تحمله من معنى والقائم بالاتصال و نقصد به الخطيب – بشكل خاص- عندما يرغب في استثارة موضوع ما، فإن حاجته إلى إصدار خطابه على أكمل وجه همه الأول والأخير، إذ يعمل على إيجاد كل ما يناسب مضمون خطابه(الذي ينعكس في الرسالة) من مؤثرات تجسيدا لما يقوله حتى تتجلى الرسالة بالقدرة الذي يمكنها من أن تمحو أي فاصل أو عائق بين الخطيب وجمهوره.

¹ ينظر "تقنيات الإقناع في الإعلام الجماهيري"، فريال مهنا، دار طلاس، دمشق، ط 1 ، 1989، م 1، ص 137.

² "المرجع نفسه"، ص 138.

³ "الأسس العلمية لنظريات الإعلام"، جيهان أحمد رشتي، ص 105.

⁴ "أبعاد العملية الاتصالية"، سلوى عثمان، هناء حافظ بدوي، ص 28.

⁵ فالحقيقة أنه في حالة الاتصال الشفهي يعتبر الحديث أو الكلام المنطوق هو الرسالة أما المعاني التي ينقلها المتكلم يمثل الكلام المنطوق جزء منها، أما باقي المعاني فتكمن خارج الكلمات المنطوقة (اللغة الغير لفظية)، ينظر الفصل الرابع المبحث الأول.

⁶ "مهارات الاتصال للإعلاميين و التربويين و الدعاة"، محمد منير حجاب، دار الفجر بمصر، ط 1 ، 1999، ص 34.

3/ لمن؟ المتلقي: (المخاطب ، السامع ، المستقبل): هو الشخص المعني الذي توجه إليه الرسالة فيقوم بحل رموزها بغية التوصل إلى تفسير محتواها وفهم مضمونها¹ ، وهو يمثل بدوره عنصرا فعالا في العملية الخطابية ، إذ تحكم ردود أفعاله على الرسالة و بالتالي نجاح العملية أو فشلها حتى إنه " ... لا تقاس نجاح عملية الاتصال بما يقدمه المرسل، و لكن بما يقوم به المستقبل سلوكيا، فالسلوك هو المظهر والدليل على نجاح الرسالة و تحقيق الهدف"² يعني تلك الردود التي يبديها المتلقي بعد تلقيه الرسالة الخطابية مباشرة (رجع الصدى) سواء بالقول أو الفعل أو الحركة³.

لأن المتلقي هو المجرى على إدراك محتوى الرسالة " والإدراك هو عملية معقدة، وهو محصلة مجموعة كثيرة من العوامل الموضوعية التي تتمثل في الأشكال الخارجية ومجموعة أخرى من العوامل الذاتية التي تنبع من نفسية المستقبل وعلاقته بالجماعة التي يعيش بينها"⁴.

وقد يفهم المتلقي من الجمهور مقصد الخطيب المتكلم، و يكون ذلك كافيا للحكم على نجاح الاتصال، لأنه استطاع فك رموز المرسل و الوصول إلى المعنى المراد، فيكون بذلك المسؤول الوحيد في تحقيق التجاوب من عدمه، وهو ما يعرف بعملية "رجع الصدى" التي تعكس أثر الرسالة على المتلقي⁵ ، إذ "تتوقف أساسا عملية الإرسال ذاتها من خلال الإصغاء والاهتمام بالمتحدث أو الانصراف عنه"⁶.

فالمتلقي هو الذي يضيف معنى معيناً على الرسالة بعد تمييزها و إدراكها و فهم محتواها وحتى يكون ذلك المعنى المدرك هو المقصود، لابد من أن تتوفر فيه الكثير من المقومات، والشروط⁷.

¹ ينظر "أبعاد العملية الاتصالية رؤية نظرية علمية و واقعية"، سلوى عثمان الصديقي، هناء حافظ بدوي، ص 28.

² "تكنولوجيا الاتصال و الخدمة الاجتماعية"، محمد سيد فهمي، هناء حافظ بدوي، 1991م، ص 13.

³ ينظر "الإعلام و الاتصال بالجمهير"، إبراهيم إمام ص 75.

⁴ "المرجع نفسه"، ص ن.

⁵ ينظر "المدخل إلى وسائل الإعلام"، عبد العزيز شرف ص 127.

⁶ "مهارات الاتصال للإعلاميين و التربويين و الدعاة"، محمد منير حجاب، ص 38.

⁷ "الإقناع الاجتماعي، خلفيته النظرية، و آلياته العملية"، عامر مصباح، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، ط2، 2006، ص 18.

4/ بأي أثر؟ (التأثير و الاستجابة): في معرض الحديث عن التأثير يتعلق الأمر بنوع الخطاب من جهة ومضمونه من جهة أخرى و الأسلوب والأداء من جهة ثالثة، فكلها تتكامل لتحقيق التأثير المرجو، وعلى العموم فإن هذه الأمور لا تتفصل في مجملها عن الموقف العام الذي يذكر فيه الخطاب (أي الموقف العام الذي دارت فيه تلك العملية الاتصالية).

ولعل أول سؤال يتبادر إلى ذهن الخطيب وهو بصدد تقديم خطابه هو كيف يمكن

تحقيق التأثير؟ و التأثير "...يشير إلى الحالة التي يكون عليها الفرد بعد التعرض لعملية الإقناع واستقبال الرسائل و تفاعله معها"¹. وهو لا يحدث إلا بتحقيق الإقناع الذي يعرف على أنه " عملية إيصال الأفكار والاتجاهات والقيم و المعلومات إما إحياء أو تصريحا عبر مراحل معينة، أو في ظل حضور شروط موضوعية و ذاتية مساعدة أو عن طريق عملية الاتصال"² إذ بحسب درجة تحقيق الإقناع يتم تأثير عملية الاتصال " ويقصد بتأثير عملية الاتصال حدوث الاستجابة المستهدفة من هذه العملية والتي تتفق مع مفهوم الهدف* من الاتصال " ، فالاستجابة (التغذية الراجعة) هي مدى قبول الرسالة أو رفضها وهي ردود فعل المستقبل على ما سمع من رسالة بعد استقبالها وتحليلها وفهمها.

والحقيقة أنه ليس من السهل الحصول على استجابة، وقد يكون هذا ناتجا عن خطأ من المرسل أو المستقبل فان لم يكن، فعلى المرسل أن يراجع رسالته و يعدلها في قالب جيد علها تنثير المتلقي فيرد عليها باستجابة تحقق الهدف والتأثير.

لأن التأثير يعد المحصلة النهائية للعملية الخطابية و الغرض المنشود و "... التأثير الفعال و الناجح يعتمد بشكل رئيسي على المعنى الكامل للرسالة الاتصالية التي تحمل مقصد الرسالة من الاتصال"³.

ولا يشترط في العملية الخطابية حدوث الأثر بشكل فوري و متساو بين الأفراد، فلأن كل واحد بحسب قدراته المعرفية و النفسية و الاجتماعية... إلخ فإن هذا سيؤدي حتما "... إلى

¹ الإقناع الاجتماعي، خلفيته النظرية، و آلياته العملية، عامر مصباح، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، ط2، 2006 ص 18.

² نظريات الإعلام و اتجاهات التأثير"، محمد عبد الحميد، ص 29.

³ "الاتصال الإنساني و دوره في التفاعل الاجتماعي"، إبراهيم أبو عرقوب، ص 165.

حدوث الأثر بنسب متفاوتة بين الأفراد و المتلقين أو عدم حدوثه نهائيا بين آخرين أو تحقيق أثر سلبي لا يتوقعه المرسل أو القائم بالاتصال نهائيا¹.

والاستجابة والأثر، السمة المميزة للتواصل الخطابي، ومتى رأى الملقى تجاوب المتلقين مع رسالته، بالإقبال وشدة التركيز أثناء خطابه، أدرك حينها أنه على مقربة من طرق باب الاستجابة والتأثير وهذا يعد له حافزا قويا في السعي إلى العطاء الأكثر.

5/ بواسطة ماذا؟ (القناة، الوسيط أو الناقل) : لنجاح أي عملية اتصالية لابد أن تكون هناك قناة تستعمل في نقل هذه المادة اللغوية، وكلما كانت أفضل كان الاتصال أنجع، وهذا ما يسمى بالعامل التقني² لأنها "الوسيط الذي تنتقل به الرسالة، وقد تكون أي قوة محسوسة يمكن أن تؤثر على المركز الحسي لمكونات مستقبل الرسالة، أو أي شيء يمكن أن يؤثر على حاسة النظر أو السمع أو اللمس أو الشم، يمكن أن يستعمل كوسيط للاتصال أو التوصيل"³ ولا يمكن أن تتم عملية تواصل في غيابها⁴.

وهناك من أعطى لناقل الرسالة أهمية أكثر من مضمونها لما لها من تأثير عليها، منهم ماك لوهان* (MAK LOHAN)، الذي يقول إن طرق نقل المعلومات هي المسؤولة عن تنوع السلوك البشري، فمضمون الرسالة عنده ليس بأهمية نوعية القناة أو الوسيلة التي يستخدمها المتكلم لأجل توصيلها إلى المتلقي، ومن هنا جاءت عبارته الشهيرة "الرسالة هي الوسيلة".⁵

وقد تتسبب القناة في إضافة التشويش و بذلك عرقلة العملية الإبداعية بتخريب الرسالة، لهذا على المرسل أن يحسن اختيار المناسبة منها للموقف الاتصالي فنقل الرسالة الخطابية مثلا، عبر قناة التلفزيون تختلف عن القناة الإذاعية أو المنطوقة مباشرة، فالموقف الاتصالي هو الذي يتحكم في شكل القناة و نوعها؛ لأن ما يصلح لهذا الموقف قد لا يصلح لآخر.⁶

¹ "نظريات الإعلام و اتجاهات التأثير"، محمد عبد الحميد ، ص 30
² ينظر "الاتصال الإنساني و علم النفس" أحمد النابلسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1991م، ص 40.

³ "المدخل إلى وسائل الإعلام"، عبد العزيز شرف ، ص 131.

⁴ ينظر "أبعاد العملية الاتصالية رؤية نظرية و علمية و واقعية"، سلوى عثمان ، هناء حافظ بدوي، ص 29.

* مارشال ماك لوهان ولد في مدينة أموندنون بكندا عام 1911م، أصدر في 1962 كتابه المشهور "مجرة جوتنبرج".

⁵ "كيف يفهم وسائل الاتصال"، مارشال ماك لومان، الفصل الأول بعنوان (الرسالة هي الوسيلة).

⁶ ينظر "المدخل إلى وسائل الإعلام"، عبد العزيز شرف، ص 131.

كما يذهب ماك لوهان إلى أن بناء الوسيلة ذاتها مسؤولة عن نواحي القصور ومقدرتها في توصيل المضمون، فهناك وسيلة أفضل من أخرى في إثارة تجربة معينة، فخطاب ديني مبعث عبر التلفزيون أحسن من تقديمه عبر الراديو¹ لأن التلفزيون يملك من المؤثرات ما لا يوجد في الراديو (الصورة)، و بثه من الخطيب إلى الجمهور مباشرة باستخدام الهواء كناقل - في خطبة الجمعة في مسجد -مثلا- ربما تكون أكثر تأثيرا و فاعلية لتواجد عنصر المواجهة بين الخطيب و المتلقين من جهة وتوفر ناقل طبيعي من جهة أخرى (الهواء) وناقل فزيائي (المكروفون)، وهذا ما لا يتوفر في التلفزيون.

6/ السنن: وهو اللغة المشتركة المتمثلة في ذلك النظام من الرموز المشتركة بين المرسل "الخطيب" و بين المرسل إليه "المخاطب" فهما تفاوت الأفراد في شخصياتهم و اختلفوا في قدراتهم و مشاربهم، فلا بد من أن يعتنقوا مبادئ معينة، و يؤمنوا بمعتقدات محددة و يتخذوا لهم قيما راسخة تتشابه مع ما يعتنقه الآخرون من مبادئ و ما يؤمنون به من معتقدات²

فهذه المرجعية المشتركة بينهم من شأنها أن تتيح التغلب على مخاطر عدم الفهم والاستيعاب إثر ممارسة العمليات الإقناعية المتتالية التي تفرضها الحاجة³.
إذ لا بد من وجود شيء مشترك بين طرفي الاتصال عند مباشرة العملية الخطابية حتى يكون الفهم، فلا يتكلم الخطيب إلا بلغة يفهمها المتلقي. وهذا ما تحدث عنه ول برشرام Wil Barchram في نموذج الاتصال الذي سماه "تشابه الإطار الدلالي، بين المرسل و المستقبل"، و يعني وجود معنى متعارف عليه بين المصدر والمستقبل لكل رمز يرد في مضمون الرسالة⁴.

7/ السياق أو المرجع:

إن الأفراد يتواصلون بإنشاء معان في النص ثم يظهرها بعضهم لبعض بألفاظ، منطوقة ويفترض ذلك "... وجود قائمة من الكلمات المشتركة بينهم يفهمون معانيها بكيفية متشابهة أو متقاربة...، وأحسن طريقة لفهم و استيعاب معنى هذه الكلمة أو تلك هو وجودها في

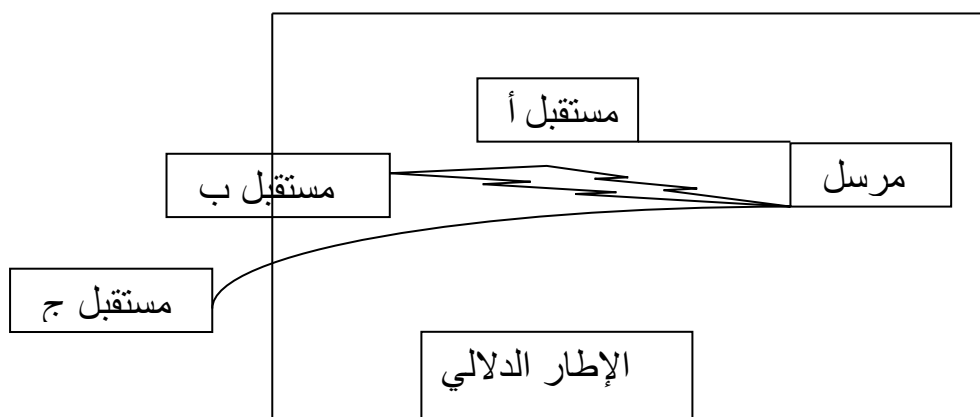
¹ ينظر "نحو بلاغة جديدة"، محمد عبد المنعم خفاجي، عبد العزيز شرف، مكتبة غريب، الفجالة، ص 25.

² "الإعلام و الاتصال بالجمهير"، إبراهيم إمام، ص 82.

³ ينظر "تكنولوجيا الاتصال و الخدمة الاجتماعية"، محمد سيد فهمي و هناء حافظ بدوي، ص 141.

⁴ ينظر "الإعلام التطبيقي و استخداماته في تطوير الإدارة"، فرنسيس ج برجين، اتحاد كتاب العرب، دمشق 2000م،

التركيب الذي يسهم في إبراز معناها ويجعلها متباينة عن تلك التي تقاربها أو تبدو متشابهة لها¹ بالإضافة إلى الاشتراك في الخبرات، فكلما كان المرسل والمستقبل يتفاهمان في إطار دلالي واحد كلما كان ذلك أقرب إلى الفهم على النحو التالي:²



فالمستقبل (أ) يحقق اتصالا ناجحا (100%) لأنه ينتمي كليا إلى الإطار الدلالي للمرسل، والمستقبل (ب) يحقق اتصالا ناجحا نسبيا (50%) لأنه يكاد يقع داخل الإطار الدلالي، فهو يقع وسيطا بين الفهم و الا فهم، بينما المستقبل (ج) يقع خارج الإطار الدلالي تماما فهو لا يحقق اتصالا (0%) لأنه لا يفهم شيئا.³

بناء على ما سبق نقول أن الاشتراك في السنن هو اشتراك في الأفكار والرموز اللغوية، والخبرات، و هذا ينتج عنه ترابط دلالي يوافقه ترابطا صوتي، يوافقه تواضع بينهما (المرسل و المرسل إليه).⁴

يقول ابن خلدون (ت808 هـ) في كتابه: "أعلم أن الكلام هو العبارة و الخطاب إنما سره وروحه في إفادة المعنى و كمال الإفادة هو البلاغة على ما عرفت في حدها عند أهل البيان لأنهم يقولون هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومعرفة الشروط والأحكام التي بها تطابق التراكيب اللفظية مقتضى الحال...".⁵

¹ "مهارات الاتصال للإعلاميين و التربويين و الدعاة"، محمد منير حجاب، ص 34.

² ينظر "الإعلام و الاتصال بالجمهير"، إبراهيم إمام ص 35.

³ ينظر "المرجع نفسه"، ص 135.

⁴ ينظر "اللغة و التواصل"، عبد الجليل مرتاض، ص 40.

⁵ "المقدمة" ابن خلدون، ص 599.

III- نموذج الاتصال الإسلامي (الخطاب القرآني نموذجاً)

إن نموذج الاتصال الديني – الإسلامي- هو نموذج شامل و يمكن استخدامه في تحليل جميع أنواع عمليات الاتصال¹ و هو كالآتي:

• المرسل: الله عز وجل قال تعالى: "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ

فِيهَا مِصْبَاحٌ مِّمَّ الْمِصْبَاحِ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ..."²

• الرسالة: القرآن العظيم قال: " فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا..."³

• المستقبل (1): الرسول محمد (ص) قال تعالى " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا

وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا..."⁴

• المستقبل (2): كل الناس قال تعالى: " وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بِشِيرًا

وَنَذِيرًا..."⁵

• الاستجابة: قبول الرسالة أو رفضها قال تعالى: " وَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ..."⁶

• التأثير: تحقيق هدف الاتصال، تغيير المعلومات و الاتجاهات و السلوك قال تعالى:

"كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُوْمِنُونَ

بِاللَّهِ"⁷

• أ - القناة: الاتصال المباشر (المشافة) ، الناقل الهواء.

• ب- الكتابة: عن طريق كتابة الوحي إلى الملوك و الحكام في عصره.

فالاتصال الإسلامي و الدعوة الإسلامية هو تبليغ أو إيصال الرسالة الخطابية إلى كافة

الناس لعالميتها.

ولقد بلغ الرسول (ص) هذه الدعوة في المرحلة السرية والعلنية، و توالى العصور

ولأن العلماء اليوم هم ورثة الأنبياء فهم مطالبون باستخدام أحدث الوسائل والأساليب

المتوفرة من صحف و إذاعات و أقمار صناعية لتبليغ الدعوة الإسلامية إلى كافة الناس، أما

¹ ينظر "الاتصال الإنساني و دوره في التفاعل الاجتماعي"، إبراهيم أبو عرقوب ص 71 ، 73.

² سورة النور، الآية 35.

³ سورة التغابن ، الآية 08.

⁴ سورة الأحزاب ، الآية 45-46.

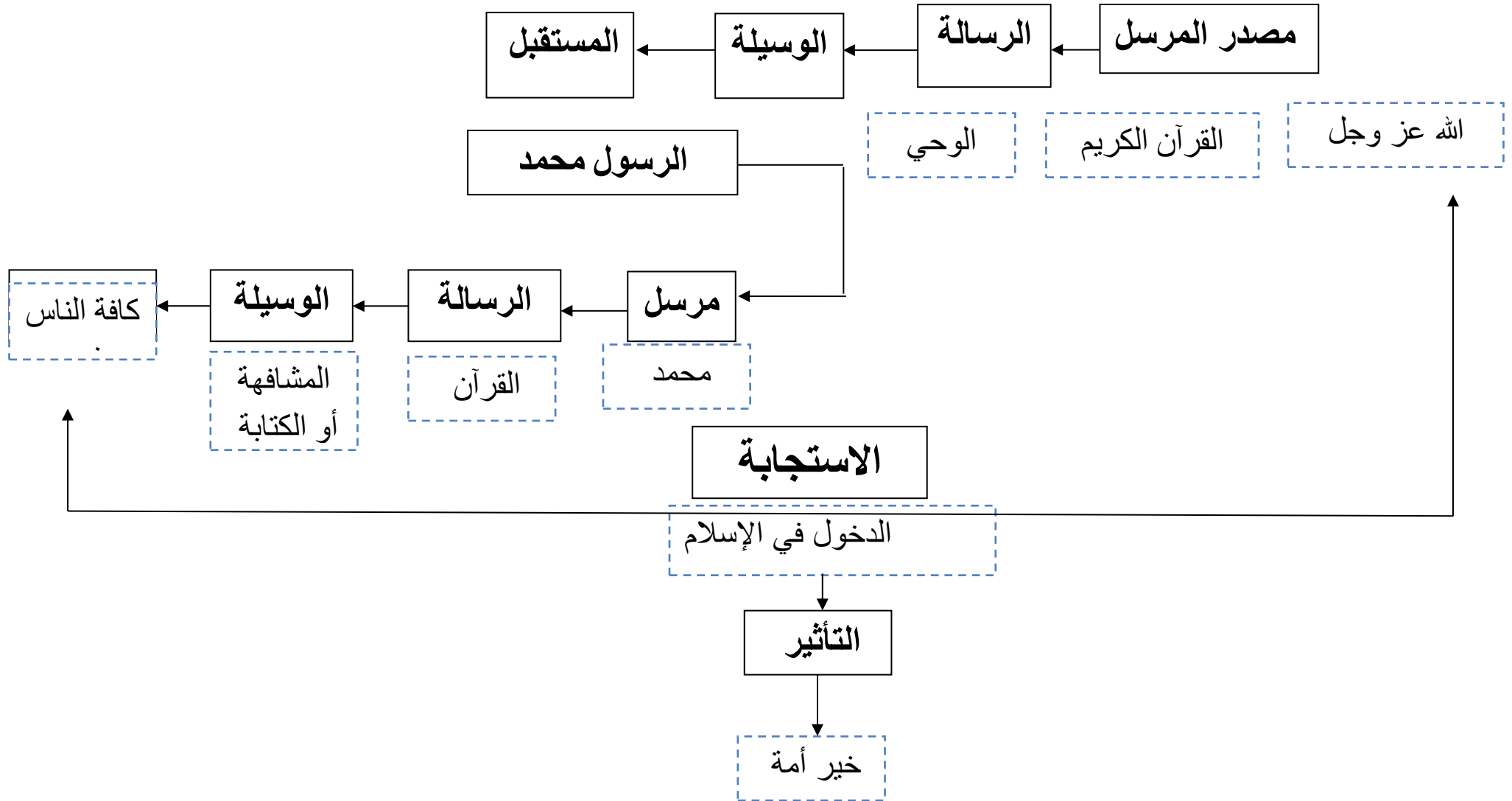
⁵ سورة سبأ ، الآية 28.

⁶ سورة الشورى، الآية 38.

⁷ سورة آل عمران ، الآية 110.

بالنسبة للإستجابة فهي الدخول في الإسلام وإعلان الولاء لله وحده لا شريك له، وأما التأثير فهو الالتزام بالإسلام قولاً وفعلاً وتطبيق أحكامه و شرائعه.ولنا أن نمثله بالشكل الآتي:

نموذج الاتصال الإسلامي



❖ الفصل الثاني

في أساليب الخطب الدينية ومضامينها

❖ المبحث الأول :

I- مراحل الخطبة

- 1- تحليل الجمهور.
- 2- تحليل المحيط 1-2 الزمان والمكان
2-2 تحديد الهدف

3- اختيار الموضوع

II- مراحل الخطبة

- 1- مقدمة
- 2- الموضوع
- 3- الخاتمة

❖ المبحث الثاني :

I- طبيعة الخطبة الدينية ودرجة تأثيرها

- 1- الإبداع والتقليد
- 2- التكرار والتجديد
- 3- الخطبة الارتجالية
- 4- الخطبة المعدة مسبقا
1-4 المكتوبة
2-4 المحفوظة

❖ المبحث الثالث :

I - طرق جلب الانتباه

- 1- الاستدلالات
1-1 القرآن الكريم
2-1 الحديث الشريف
- 2- القصص
- 3- المثل
- 4- الأقوال المأثورة
- 5- الطرائف
- 6- الأشعار
- 7 - المعلومات الرقمية

المبحث الأول

(I) - مراحل الخطبة :

إن العملية التواصلية المتعلقة بالرسائل - بصفة عامة - تهدف إلى إقناع المتلقي بتبني اتجاهات وأفكار جديدة، أو القيام بسلوك معين يبنى أساسا على مقاصد المتكلم. ولأن العملية الخطابية - الاتصال اللساني - هي « فن مشافهة الجمهور للتأثير عليهم واستمالتهم»¹، فإن هذا يجعل الجمهور المتلقي أحد أهم عناصرها إذ «... يجب على المرسل أن يضع نفسه مكان الجمهور حتى يخاطبه بلغته آخذا بعين الاعتبار دينه وثقافته ورغباته وحاجاته وأذواقه ولغته وبنيته ...»² وكل ما هو متعلق به، لهذا يجب التعرض إليه ودراسته من مختلف الجوانب.

فالخطابة توجه إلى المستمعين من غير واسطة والأصل فيها الارتجال المباشر³ وجها لوجه مع المتلقين لغاية ما ، كما جاء في قوله تعالى: « وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بليغا »⁴، هذا يجعلها عملية تبنى على ضرورة تلقي الطرف الباث ردا فوريا أو مؤجلا على رسالته ولا يكون ذلك إلا بوجود جمهور متلق⁵.

لذا فإن من أهم الأولويات التي على الخطيب مراعاتها قبل إلقاء خطابه الموجه هو المتلقي، فيحلل كل الخصائص المتعلقة به، إضافة إلى ضرورة أخذ بعين الاعتبار مجموعة من الجوانب الأخرى التي لا تقل أهمية عن الأولى كتحليل المحيط ، من حيث الزمان والمكان، تحديد الهدف، حسن اختيار الموضوع...

فالإمام بهذه الجوانب تجعل الخطيب قادرا على تسخير كل العناصر والدعائم الأولية المناسبة التي تسهل له العملية الخطابية، فيستخدم كل ما يوافق ذلك من طرق جلب

¹ " فن الإلقاء الرابع" ، طارق السويدان، شركة الإبداع الفكري للنشر والتوزيع، الكويت، ط 7، 2012، ص 18
² " الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، إبراهيم أبو عرقوب مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، 1993، ص 151-152 .

³ ينظر " فن الإلقاء الرابع" ، طارق السويدان ص 18

⁴ سورة النساء، الآية 63

⁵ ينظر "الاتصال ونظرياته المعاصرة"، حسن عماد، مكاوي ليلى حسين السيد، الدار المصرية اللبنانية، ط10، مارس 2012، ص 23 .

الانتباه والتأثير على المستمعين، واختيار المضامين التي تحقق أهدافه، لأن ما ينفذ في هذا الموقف والظرف والزمان والمكان والجمهور قد لا ينفذ في ذلك¹.

بناء على هذه المعطيات فإن أي عملية خطابية يباشر الخطيب في توجيهها – مهما كان نوعها- دينية أو غيرها يجب أن تتبنى دعائم، وهي وسائل وإجراءات يأخذها بعين الاعتبار حتى يحقق مقاصده ، من أهمها ما يلي :

1- تحليل الجمهور:

يعد الجمهور العمود الذي تبني عليه العملية الخطابية باعتباره يشكل كيان المتلقي الذي بغيابه تغيب العملية برمتها، فهو محدد الأهداف التبليغية، حتى أن المتلقي يعتبر الشريك في الخطاب، والعجز عن مسابته يفضي أساسا إلى فشله في إدراك مراميه، فـ « هو الطرف الآخر والمتلقي للرسالة والمتأثر بعمليات الإقناع فيها، فقد يكون الضحية حينما تكون الرسالة غير نزيهة، وقد يكون المستفيد عندما تكون نظيفة وشريفة...»²

فالعلمية الخطابية عملية معقدة وشائكة، وفي كثير من الأحيان يواجه الخطيب صعوبات جمة ، كصعوبة اختيار الفئة التي تتلقى خطابه ، خصوصا إن كان عبر إحدى وسائل الاتصال الجماهيري أين يكون المتلقون بأعداد لا تحصى، متعدد الأعمار والمستويات والتركيبات..... إلخ

هنا طرح إشكالية من هم المستمعون؟ ولماذا حضروا؟ وماذا ينتظرون مني؟ تعد أكثر الإشكاليات خطورةً، لهذا فإنه « عندما تلقي خطابا..... فإن عليك أن تأخذ المستمعين بعين الاعتبار»³ إذ لا يصح أن يطرق موضوعا لا يناسب ثقافتهم ولا ظروفهم وأحوالهم لأن الوسط العمالي غير المدرسي ، والحديث إلى المثقف غير العامي.....حتى إن هذا يفرض تحديدا عملية اختيار الموضوع⁴، «.....فينزل في العبارة مع العامة على قدر عقولهم...ويتوسط مع الأوساط، ويتأنق مع الخاصة فيكون مع جميع الطبقات حكيمًا»⁵.

¹ ينظر "كيف تقنع الآخرين"، عبد الله الغوشن، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، ط4، 2004، ص 179.

² ينظر "سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي"، خديجة غفيري، إفريقيا الشرق، المغرب، 2012، ص 118.

³ "المرشد إلى الخطابة"، كريس ستيوارد ومايك، ترجورج خوري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1990، ص 48.

⁴ ينظر "الخطابة بين النظرية والتطبيق"، محمود محمد عمارة، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط1، 1997، ص 178.

⁵ "فن الإلقاء"، محمد علي، مؤسسة طيبة للطباعة والنشر، ط2، 2009، ص157.

كما أن القدرة في الحكم على مزاج المستمعين وتقدير حالتهم النفسية*، تشكل مهارة حيوية للخطيب تجعله مميزاً عن غيره من الخطباء¹، لأن «الوضع النفسي لمتلقي الرسالة والمعلومة يحدد الاستعداد النسبي لتقبل الرسالة والافتناع بها أو عدم الافتناع»² ولا يمكن لهذا الأخير أن يمتلك تلك المهارة ويتحكم في زمام الأمور إلا إذا عايش الجمهور في حياته وفي قضاياها بدقة وتمعن³.

في هذا الإطار أقول إن الخطيب وإن حصل على "الشهادة القولية" من الجامعة التي تخرج منها والتي تفيد صلاحية أدائه وظيفته البلاغ، إلا أن "الشهادة العملية" التي لا تنال إلا من الجمهور تبقى الأكثر فاعلية وصدقا، فهو الحكم الذي لا حكم بعده⁴، ف «... هو الناقد البصير الذي لا يعطي قلبه وروحه إلا لمن كان على مستوى المسؤولية قولاً وعملاً»⁵ فهو طرف ثابت في العملية الخطابية، يكسبها الحياة والحيوية والحركة وهو من يحدد أهدافها بما يكتسبه من مقومات وردود أفعال تحكم عليها إما بالنجاح أو الفشل.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تحليل الجمهور يعني مراعاة مقتضى حال المدعو إلى ما يعرف في البلاغة بـ "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"، والقصد هنا "بالحال" حال المتلقي إن صح التعبير، فالخطابة الدينية «...تقسم إلى ثلاثة أصناف وذلك حسب المتلقي وحسب الرسالة الموجهة إليه، فهو إما أن يكون خالي الذهن يتقبل المعرفة الملقاة إليه وفي هذه الحالة اقتضت خطابة تعليمية، وإما أن يكون متناسياً لما تعلم، غافلاً عما ينتظره فيتطلب حاله الحث على العمل والتخويف من العقاب وتلك هي الخطابة الوعظية، وإما أن يكون عالماً مخالفاً وجاحداً لوجهة نظر الخطيب وفي هذه الحالة لابد من المحاجبة والبرهنة»⁶.

¹ "المرشد إلى الخطابة"، كريس ستوارد نومايك ص 48-52.

* النفسية بمعنى كل ما يتعلق بحاجاته الفيزيولوجية.....

² "كيف تقنع الآخرين"، عبد الله محمد العوشن، ص 39

³ ينظر "الخطابة بين النظرية والتطبيق"، محمود محمد عمارة ص 185.

⁴ "المرجع نفسه"، ص 112

⁵ ينظر "المرجع نفسه"، ص ن.

⁶ "فن بلاغة الخطاب الإقناعي"، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، محمد العميري إفريقي الشرق، المغرب، ط 2، 2002، ص 40-41.

هذا يستلزم على الخطيب مراعاة حال المدعويين في إرشاده.¹ فلا « يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة »،² على حد تعبير الجاحظ الذي أولى في كتابه أهمية كبيرة لهذا الموضوع في مواضع كثيرة، إذ يضيف قائلاً : « ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم...».³ وقصده ألا يتحدث الخطيب مع الناس على اختلافهم بنفس الطريقة، فما قد يستحسنه منه ذلك الفرد، قد لا يلقي قبولا عند الآخر، وهذا ما أشار إليه العسكري في قوله: " وإذا كان موضوع الكلام على الإفهام فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوقة، والبدوي بكلام البدو ولا يتجاوز به ما يعرفه إلى ما لا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام وتعدم منفعة الخطاب".⁴

فالكلام لا يلقي دون دراية بأوضاع وحال المتلقين لأن ليس كل مقال يصلح لكل مقام هذا يلزم على الخطيب ضرورة الارتكاز على نقطة أساسية وهي، مدى ارتباط فحوى كلامه باهتمام المخاطب ولن يدرك ذلك إلا بمعرفته معرفة حقيقية على حد قول عبد الله بن محمد : «إن أية رسالة اتصال، الهدف منها إقناع المتلقين بمضمونها تحتم على القائمين بها... جميعا إدراك الفروق الفردية بين البشر... وذلك من أجل ضمان كون الرسالة الموجهة مؤثرة ومقنعة...».⁵

وهذا يعد مظهرا من مظاهر التيسير كما نص عليها القرآن الكريم في قوله تعالى :
« يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ». ⁶ وتتجلى أعلى صور التيسير في أن يرقى الخطيب بموضوع يدخل في دائرة وإمكانية فهم واستيعاب المتلقين، فلا يتجاوزها إلى ما يسبب عندهم اللبس والغموض سواء أكان في المعنى أم في التركيب أم الإلقاء... الخ.⁷

¹ ينظر "الخطابة بين النظرية والتطبيق"، محمود محمد عمارة، ص 101.

² "البيان والتبيين"، الجاحظ، تقديم نهاد نور الدين جرد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2001، ج 1، ص 129.

³ "المصدر نفسه" ج1، ص130.

⁴ "كتاب الصناعيين"، أبي الهلال العسكري، ص 26.

⁵ "كيف تفتح الآخرين"، عبد الله بن محمد الغوشن، ص 179.

⁶ سورة البقرة، الآية 175.

⁷ ينظر "الخطابة بين النظرية والتطبيق"، محمود محمد عمارة، ص 179.

فما هو معلوم أن « فرض موضوع صعب على وعي لم يرتق المستمع إلى تناوله... يحدث ردا يفر منه المستمع ، بل وقد يتمرد عليه، لأن الأمر حينئذ أشبه أن يكون تيارا قويا سلط على مصباح ذي قوة ضعيفة فيحترق.»¹

ولعل تجاوز اللبس والغموض يكون بالارتكاز على زاويتين أساسيتين هما:²

1- نفسية المخاطبين (الوضع النفسي) : فالخطيب الذكي هو الذي يعرف كيف يتعامل مع جمهوره ، فهم بشر يتأثرون بمجموعة من المؤثرات منها فطرية والأخرى مكتسبة، وهي التي تدفعهم إلى اتخاذ سلوك معين.

فملاحظة ومراعاة الجانب النفسي للجمهور وما يعتريه من أحداث ووقائع أمر ضروري في بناء موضوع الخطاب، فلا يمكن أن تتصور خطيبا يخطب في أهل قرية فقيرة عن الإسراف والتدبير وعاقبته، هنا خطأ ولم يصب، على خلاف ذلك إذ تعرض إلى موضوع الصبر على الفقر وجزائه عند الله.

2- عقلية المخاطبين ، (الانفتاح الذهني): وفي مراعاة عقليتهم سبيل إلى تناول مستواهم العلمي والمعرفي الذي يحكم من خلاله الخطيب على الآليات التي لا بد من أن يوفرها في خطابه وفقا لذلك المستوى «لأن الانفتاح الذهني يساعد على تقبل الأفكار الجديدة والاقتران بها، في حين أن الفكر المنغلق أو الجامد عكس ذلك ، لا يملك الاستعداد القوي للاقتناع وتقبل الأفكار والاستجابة للآراء.....»³.

وضبط الجمهور وفقا لهاتين الزاويتين يكون صعبا، إن لم نقل مستحيلا بالنسبة لجمهور وسائل الإعلام (المرئي والسمعي)، لأنه في هذه الحالة هو عام يمثل الجمهور القومي، الذي من الصعب ضبطه وتصنيفه بعكس جمهور الخطب التي تبتث في المحافل والمساجد وقاعات المؤتمرات أين يكون محدودا، وتحليله وضبطه أيسر وأقل صعوبة، كون الاتصال هنا مباشر بين الخطيب والأعضاء المخاطبين .

¹ ينظر، "الخطابة بين النظرية والتطبيق"، محمود محمد عمارة، ص 179.

² ينظر "فرسان المنابر"، "موسوعة شاملة في فن الخطابة، فقه الخطابة"، مكتبة التبيين للدراسات الإسلامية والعربية، ج1، ط1، 2008 ، ص 64:65.

³ "كيف تقنع الآخرين"، عبد الله بن محمد الغوشن، ، ص 41.

وخلاصة يمكن القول : وحتى تفك إشكالية الجمهور، على الخطيب أن يكون قادرا على الإجابة على مجموعة من الأسئلة التي تساعد على التعامل معه وفقا لطبيعته - بشكل عام -، والتي جاءت عند طارق السويدان بحسب النموذج الآتي :¹

¹ " فن الإلقاء الرائع " ، طارق السويدان ، ص 38، 39.

السؤال	أمثلة	إجاباتك
- ما هو جمهوري الأساسي ؟ - إلى من سيكون معظم الحديث؟	رجال أعمال ، طلبة، شباب جامعي ، موظفون ، أميون.....	
ما هي معلوماتي عنهم ؟	العمر، الجنس، المستوى التعليمي المستوى الوظيفي معلوماتهم عن موضوع الخطاب.....	
ما هي نظرتهم لي ؟	لا يعرفونني ، معرفة سطحية، يشكون في قدراتي	
ما هي معلوماتهم عن الموضوع ؟	معلوماتهم متفاوتة، لافكرة لديهم، معرفة سطحية.....	
ماذا يريدون أن يعرفوا عن الموضوع؟ (أهم العناصر)	- معلومات محددة هي..... - مهارات معينة هي - كيف ستغير حياتهم إذا طبقوا الموضوع ؟	
ماذا يريدون أن يتعلموا؟	- معلومات..... - مهارات..... - تغير مفاهيم وقناعات سابقة.....	
ما هي أهم مشكلة تواجه الجمهور في هذا الموضوع ؟	- الخوف من..... - عدم التمكن من..... - الأثر السلبي على حياتهم إذا.... - خسارة.....	
ما هو أثر حجم الجمهور ؟	(1)- جمهور صغير أقل من (25) انتباه أكثر أسئلة مباشرة (2)- جمهور كبير أكثر من (25) سرحان أكبر همس مع الجار تشئت في الانتباه	- اتصل بالجميع عن طريق العين، أنظر إليهم فهذا يساعدك على جذب انتباههم. - تأكد من قدرة الجميع على رؤيتك وسماعك. - اربط ، لخص، كرر النقاط المهمة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه - وقبل طرح هذه الأسئلة - على الخطيب أولاً أن يكون على معرفة بطبيعة الجمهور من حيث اللغة والدين والجنس والعادات والتقاليد حتى تتسنى له فرصة «...استقطابه وشده و تشويقه ، وبلوغ تعاطفه وإقناعه، ليغير تفكيره وسلوكه ...»¹ . كما يجب التركيز - أيضاً - على الأشياء المشتركة بينهم مع مراعاة الفروق والخصائص السيكوغرافية التي « تكون أساسية لتوجيه الرسائل الملائمة إليهم...وتشمل متغيرات مثل الذكاء والسلوك والآراء والقلق والانفتاحية والثقة بالنفس...»² ، وحتى مستوى الفهم.

فالجمهور يختلف في درجة تأثره بالرسالة الملقاة بحسب مجموعة من المحددات يرتبها محمد عبد الحميد كالاتي:³

1- أن الأفراد يختلفون بحسب تأثير البناء المعرفي الخاص بكل فرد ، وذلك بحسب تجاربه المورثة والمكتسبة خلال مختلف مراحل نموه.

2- هذا البناء يتشكل من خلال المعتقدات والآراء والأفكار والعادات والتقاليد والقيم الجماعية، و التي تشكل إطاراً مرجعياً للفرد في إصدار أحكامه وتكوين اتجاهاته.

3- أن الفرد إذا لمس التناقض بين هذا البناء وما يتعرض له من معارف أو أفكار أو موضوعات فإنه يشعر بالتوتر الذي يجعله إما يخزن تلك المعرفة التي تعرض لها، وإما أن يتجنبها ولا يطبق منها شيئاً.

من هنا أستطيع القول إن هناك نمطين من الجمهور المتلقي أحدهما عام وهو الذي نعنيه بمفهوم الحشد، والثاني خاص والذي يجمع أفراداً بعضاً من الاهتمامات والحاجات أو الاتجاهات المشتركة، والتعامل مع الأول يستدعي ما يخالفه مع الثاني.⁴

¹ "إستراتيجية الاتصال مع الآخر"، فاروق ناجي محمود ، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010، ص48.

² "الاتصال ونظرياته المعاصرة"، حسين عماد مكاوي، ليلي حسين السيد ، ص59.

³ ينظر "نظرية الإعلام واتجاهات التأثير"، محمد عبد الحميد ، عالم الكتاب ، ط1 ، 1997، ص188.

⁴ ينظر "دراسة الجمهور في بحوث الإعلام" ، محمد عبد الحميد ، عالم الكتاب ، القاهرة ، ط1 ، 1993 ، ص 26.

كما أنه وحسب طريقة تلقيه لمضمون الرسالة فإنه بحسب رأي " دينيس هويت" يصنف إلى نوعين هما :¹

أ- **الجمهور العنيد** : الذي لا يستسلم للرسالة الاتصالية التي تسعى إلى تغيير آرائه ومواقفه بسهولة.

ب- **الجمهور الحساس** : الذي كثيرا ما يرتبط بأفراد هم أكثر حساسية من غيرهم لحاجتهم أكثر إلى الحماية والتوجيه والانقياد، كالمراهقين والنساء وكبار السن مثلا. وهذا يعكس نوعين من التأثير :²

* **التأثير الإيجابي** : وهو في غاية الأهمية لأنهم يشعرون بالتفاعل والاهتمام وبقيمتهم المعنوية ودورهم في البناء والتغيير، مما يزيدهم ارتباطا بالخطباء ويحفزهم على الإصغاء والتجاوب.

* **التأثير السلبي** : حيث ينساق الخطيب وراء عواطفهم ، ويصبح كلامه مرتبطا برغباتهم وأهوائهم ، فيصبح هو المنقاد وليس الجماهير.

2- تحليل المحيط :

1-1- الزمان والمكان :

إذا كان نجاح أي خطاب اتصالي - ديني أو غير ديني - يبنى أساسا في أسلوبه على البعد التحليلي للجمهور المتلقي الذي يعد من أهم مراحل بناء الخطبة ، فإن تحليل المحيط المرتبط بالعملية الخطابية أيضا يعد من المقومات الأساسية التي لا تقل شأنًا عن غيرها في تحقيق أهداف الخطيب ، فهو بصدد تقديم وتوجيه خطابه، عليه أن لا يغفل عن هذا الجانب لما يكتسبه من أهمية في ترجيح ميزان العملية الخطابية سواء بالإيجاب أو السلب من حيث تسهيل أو تعقيد العملية الاستقبالية للرسالة الموجهة.

¹ "الاتصال ونظرياته المعاصرة"، حسن عماد مكاي ، ص 60.

² "فن الإلقاء"، محمد على ، ص 84

و المحيط الاتصالي بعاملَي الزمان والمكان له الأثر البارز على الخطاب في تقريب وجهات النظر، وإيضاح الحقائق وتوجيه الناس صوب الوجهة التي يرتضيها في المكان المناسب وإثر الساعة المناسبة ، فكل كلام له وقته ومكانه، وما قد ينفع في هذا المكان والوقت ، قد لا يجدي نفعاً في ذلك.¹

حتى إن حسن اختيار الزمان² والمكان³ يندرج في إطار عناصر تحديد السياق الذي يسمي بالعنصر الموضوعي ، وهو ما يمثل «.....الوقائع الخارجية التي يتم فيها القول، ويعني الظروف الزمانية والمكانية»⁴ التي وردت فيها العملية الاتصالية.

فالمعروف أن « كل اتصال يحدث في مكان ما لا بدّ أن يعبر عن سياق ما...والسياق هو البيئة الاجتماعية التي تمدنا بقواعد وأحكام للتفاعل معها، وتمثل البيئة الاتصالية في المكان والزمان والأشخاص وكل ذلك يؤثر في عملية الاتصال.»⁵ ، تأثيراً فورياً ومطلقاً.

فتعدد السياقات مدعاةً لتعدد أنواع الخطابات اللغوية من حيث الموضوع وطريقة البث، إذ لكل منها مزايا وآثار تختلف باختلاف زمان ومكان صدورهما، لأنها تشكل الإطار العام الذي يسهم في ترجيح استخدام أدوات بعينها واختيار آليات مناسبة لتحقيق الإفهام.

ولأن الخطاب يسعى من خلال وظيفته التفاعلية والتفاعلية إلى التعبير عن مقاصد معينة، فإن حسن اختيار عاملَي الزمان والمكان يفي بذلك الغرض فيكسبه سلطة مطلقة على

¹ ينظر، "الخطاب الديني وإستراتيجية التواصل دراسة في فن الإلقاء" ، بلحزري بلوفة ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم علم الاجتماع ، إشراف بن شهيدة أحمد ، 2005 - 2006.

²الزمان : من مادة " زمن" ، الزمن والزمان، اسم لقليل الوقت وكثيره، "لسان العرب" ابن منظور، تح ياسر سليمان ومجدي فتحي، المكتبة التوقيفية للطباعة ، القاهرة، مصر، ب ط، ج 6 مادة زمن ص 93 .

وجاء " الزمّن العَصْرُ ، اسم لقليل الوقت وكثيره، ج أزمانٌ وأزمنةٌ " ، القاموس المحيط ، الفيروز أبادي ، تر خليل مأمون شيخا، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، ط 5، 2011م/1432هـ ، ص 573.

³المكان " المَوْضِعُ والجَمْعُ أمكنةٌ " لسان العرب ، ابن منظور ، ج 13 مادة مكن ، ص 176 ، وجاء في القاموس المحيط المكان المَوْضِعُ كالمكانة ، ج أمكنةٌ وأماكنٌ ، مادة كون ، ص 157 .

وجاء في تعريف الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض « هو كل ما عنى حيزاً جغرافياً حقيقياً من حيث نطلق الحيز في حد ذاته، على كل فضاء خرافي أو أسطوري، أو كل ما يند عن المكان المحسوس»، " تحليل الخطاب السردى معالجة تفكيكية

سميانية مركبة لرواية زقاق المدق"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 ، ص 245.

⁴ استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية)، عبد الهادي بن ظافر الشيهري ، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، مارس 2004، ص 45.

⁵ "الاتصال ونظرياته المعاصرة"، حسن عماد مكاي، ص 53.

المخاطبين¹ لأنهما عاملان يدخلان في تحديد المقام الهام له ، و « ... إذا أعطيت كل مقام حقه وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك...»² على حد قول الجاحظ ، خصوصا إذا كان الاتصال مباشرا والاستجابة فيه فورية ، تظهر من خلال الأخذ والعطاء في المكان والزمان نفسه³ ، حتى إن المكان في التجربة الخطابية الإبداعية بوجه أخص هو الذي يجعلنا نحس فيه بأثر الكلام ودرجة وقعه على أنفسنا. و"أين"؟ تمثل استثارة لمعرفة مكان التلّفظ الذي يلعب دورا في تشكيل الخطاب خصوصا الذي يملك نوعا من الخصوصية والقداسة مثل المسجد مثلا....إلخ ، لأن مكان الخطاب يحدد استعمال شكل خاص من الأشكال اللغوية، ومرد ذلك إلى نوعية المتلقين وخصائصهم، إذ كل مكان يتوفر على نوع من الناس فأناس المسجد غير السوق أو الجامعة أو الشارع أو الملهى...⁴

كما ينعكس المكان أيضا على نفسية الخطيب المتكلم في حد ذاته سواء كان إيجابا أو سلبا، إذ كلما توفرت فيه إمكانيات البث المريحة كلما كان ذلك لصالحه ، فهو حكم رئيسي لما له من تأثير في نفس الخطيب.⁵

كما له نكهة خاصة تولد في المتكلم إحساسا مميزا يجعله يبني خطابه وفقا لما يلامسه من إحساس وشعور وهو فيه ، فمثلا الخطاب الذي يلقي في المسجد لا يعادل الذي يلقي في مكان عام لما لهذا المشهد المكاني من أثر في نفسية الخطيب لارتباطه بالقداسة والعبودية. فكما هو معلوم فإن للمكان أبعادا دلالية، على حد قول أحد الخطباء، « وللمكان علاقة بالخطاب خفية لا أقدر أن أصفها ولكنها موجودة »⁶ ، وزيارته مسبقا. - إن كان ممكنا - أمر مهم للخطيب في تحقيق خطاب بناء.

¹ ينظر "الخطاب والنص المفهوم، العلاقة، السلطة"، عبد الواسع الحميري ، ص 150 - 195 .

² "البيان والتبيين"، الجاحظ ، ج1، ص 150.

³ ينظر "الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي" ، إبراهيم أبو عرقوب، ص 163.

⁴ ينظر "استراتيجيات الخطاب" ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري ، ص 65 ، 66.

⁵ ينظر "فن الخطابة"، أنطوال القوال. ، ص 23 - 32

⁶ "المرجع نفسه"، ص 32

أما الزمن فله أيضا بعد دلالي يختلف باختلاف البنية الفكرية للفرد والجماعة، فالسؤال "متى؟" يعبر عن خصوصية التطور والحركة، هذه الأخيرة التي تؤثر بشكل فعال في التخطيط والإنتاج والإبداع¹، كما أن «الإحساس بالزمن شعور مشترك يتقاطع في التجاوب مع تأثيره كل الناس، وإنما الذي يتفاوتون فيه هو نسبة درجة تلقى هذا الإحساس»². فنظرا لأهميته في حياة الشعوب ، أقسم تبارك وتعالى به في العديد من الآيات لما يكتسبه من قيمة عظيمة تتجلى في علاقة العبد بربه ووظيفته المنوطة به في الحياة الدنيا³

قال تعالى: «وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4)»⁴.

« وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (2)»⁵

«وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)»⁶

« وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2)»⁷

فالملاحظ أن أسماء السور الأربع تضمنت معاني زمنية ، فهي مقاييس لكل الأوقات الكبرى من الليل والنهار والفجر والضحى والعصر، وإن هذا التكرار للتسميات الزمنية ، إنما هو دليل واضح من المولى عز وجل على قيمته وأهميته.

فعدم إرسال الرسالة الخطابية في الوقت والمكان المناسبين يجعل المستقبل يتجاهلها ، ويصرف تركيزه عنها، فمثلا إذا حياك أحد صباحا قائلا: "مساء الخير" فإنك لا ترد عليه ، وتستغرب أمره، وقد تفهم أنه يسخر منك لأن مثل هذه التحية وإن كانت طيبة فإنها طرحت في غير وقتها⁸ ف «...من الضروري جدا تخير الوقت المناسب لإرسال الرسالة للمستقبل المناسب في المكان المناسب.»⁹، حتى تحقق فعاليتها وأثرها وتوصل الخطيب إلى مقاصده بكل يسر وراحة .

¹ ينظر " استراتيجيات الخطاب " ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري ، ص 65.

² "الزمن والمكان في الشعر الجاهلي"، باديس فوغالي عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص 49.

³ ينظر " استراتيجيات الخطاب " ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري ، ص 65.

⁴ سورة الفجر، الآية 1-4.

⁵ سورة الشمس، الآية 1-2 .

⁶ سورة العصر، الآية 1-2.

⁷ سورة الضحى، الآية 1-2.

⁸ ينظر "الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي" ، إبراهيم أبو عرقوب، ص 177

⁹ ينظر "المرجع نفسه"، ص 157.

2-2- تحديد الهدف :

إن كلّ خطاب موجه مهما كان شكله ونوعه إنما يبني أساسا لهدف معين « هو الذي لأجله قامت عملية الإقناع وتحركت فعاليتها ». ¹، أو بمعنى آخر إن لكل عملية اتصالية غايات يرمي إليها المتكلم وهي إما: ²

1- زرع قناعة جديدة في ذهن المخاطب.

2- مسح قناعة قديمة.

3- استبدال قناعة قديمة بأخرى جديدة.

كما قد تتعدى الأغراض من أهداف إقناعية إلى ترفيهية أو إرشادية أو إخبارية بحسب

نوع الخطاب الموجه ديني ، سياسي، ترفيهي... الخ.

فالإنسان لا يتكلم عشوائيا وإلا أصبح كلامه مجرد هذيان بلا معنى ولا فائدة كما جاء

في قول الجاحظ: « فإنه لا خير في كلام لا يدل على معنك ولا يشير إلى مغزاك ، وإلى

العمود الذي قصدت والغرض الذي إليه نزلت. » ³، إذ إن « مدار الشرف على الصواب

وإحراز المنفعة مع موافقة الحال ». ⁴، حتى إننا نستطيع القول أن معظم نشاطات الفرد في

حياته إن لم نقل كلها موجهة لغرض ما ، إذ أننا لا نتكلم ولا نمارس العديد من النشاطات

الإقناعية لمجرد رغبة شخصية في ذلك وإنما من أجل تحقيق هدف ⁵ لدافع ⁶ ما ⁷، «لأن الإنسان

¹ كيف تقنع الآخرين"، عبد الله بن محمد الغوشن ، ص 42.

² ينظر " إستراتيجية الاتصال مع الآخر " ، فاروق ناجي محمود ، دار التفانس للنشر والتوزيع، الأردن ، ط1 ، 2010، ص52، وينظر " الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي ، إبراهيم أبو عرقوب ، ص44.

³ "البيان والتبيين"، الجاحظ، ج1، ص 150

⁴ المصدر نفسه ، ص 163.

⁵ هنا في خضم الحديث عن أهمية الهدف بالنسبة للقائم بالعملية الاتصال والإقناع لا بد من الإشارة إلى أمرين :

الأول : يتمثل في أهمية الهدف بالنسبة للمصدر والذي يحدد رغبة ما يريده من المستقبل.

الثاني : هو أن هذا الهدف وهذه الرغبة يجب أن تكون متلائمة مع طبيعة التأثير الذي يريد المصدر القيام به كأن تكون وسائل التأثير مناسبة ومؤدية للغرض والأهداف المرجوة. ، ينظر، "الإقناع الاجتماعي ، خلفيته النظرية وآلياته العملية"

، عامر مصباح ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، ط2 ، 2006 ، ص 85.

⁶ « يطلق مفهوم الدافع على كل ما يدفع الإنسان إلى القيام بسلوك ما يستمر إلى تحقيق الهدف، ويعنى ذلك أن الدوافع هي القوى المحركة التي تدفع الكائن الحي إلى القيام بنشاط معين على شكل سلوك لتحقيق هدف معين » ينظر "علم النفس

العام"، رمضان محمد القدافي ، المكتب الجامعي الحديث، بط 2010، ص 148.

⁷ ينظر "الخطاب و النص، المفهوم، العلاقة، والسلطة"، عبد الواسع الحميري ، ص162

لا يفكر أو يتفلسف ويكتب أدبا أو غيره بمعزل عن العالم.....إنه في تواصل مستمر وفعال مع محيطه الخارجي وما يحتويه من مؤثرات ومحفزات وإكراهات.....¹

والخطاب هو شرط تحقيق الهدف وضرورته وأساسه، إذ يستحيل الحديث عن أهداف خالية من نسقه تمثله الرسالة، فكل عملية خطابية هي بمثابة تبادل للدلائل بين مرسل وملتق²، وهي لا تمثل مجرد أقوال تصدر من المتكلم فقط، وإنما هي أفعال لها أبعاد اجتماعية، أو بمعنى آخر هي ليست بنى تحمل دلالات ومعاني فقط وإنما هي «... عمل يطمح المتكلم من خلاله إلى إحداث تغيير معين في سلوك³ المخاطبين بالفعل أو بالكلام»⁴.

والخطاب الديني الموجه - بكل مقاماته- ، يحمل أهدافا مسطرة لذلك إذ أنه وبمجرد أن يتمكن المتحدث من تحديد المرحلة القبلية المتمثلة في تحليل الجمهور، واختيار المكان والزمان المناسب من أن يدرك ما الذي يريد إيصاله من كلامه، الذي يبني وفقا له نشاطا ديناميكيا متبادلا ومشاركا بينه وبين ذوات متعددة يصنع من خلاله رسالة للآخرين ، يشرح ويؤكد فيها ويمارس أمورا عديدة ومتنوعة بحسب تنوع المتلقين.⁵

ولن يتسنى له ذلك إلا بعد أن يجيب عن السؤال: ماذا؟

¹ "عندما نتواصل بتغيير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج"، عبد السلام عشير، إفريقيا الشرق المغرب ط2، 2012، ص 17.

² ينظر " الخطاب والنص، المفهوم، العلاقة والسلطة"، عبد الواسع الحميري، ص 162

³ السلوك : هو استجابة لمثير سواء كان داخليا أو خارجيا وهو أنواع :

- السلوك الدافعي : وهو نتاج الدوافع التي تهدف إلى تحقيق غايات منه ، وقد يكون ظاهرا أو باطنا.

- السلوك الظاهري : ويأخذ شكل نشاط واضح وظاهر يمكن ملاحظته مثل حالات الاستثارة الانفعالية التي تبدو في شكل غضب أو فرح أو ضحك أو على شكل نشاط عضلي حركي تبعا لنوع المثير.

- السلوك الباطني : ويأخذ شكل انقباضات عضلية داخل الجسم مثل سرعة أو بطئ دقات القلب، اختلاف معدلات التنفس... وغير ذلك من التفاعلات الداخلية التي يمكن استنتاجها عن طريق بعض المظاهر الخارجية.

- السلوك الفطري : وهو الذي يكون تلقائيا يظهر على شكل استجابة لمثير خارجي كما يحدث في حالة استجابة العين للضوء القوي بإغماضها.

- السلوك المكتسب : وهو ناتج عن الخبرة والتعليم ويظهر على شكل عادة سلوكية أو في شكل سلوك هادف يعتمد على عاملي التفكير وبعد النظر، ويكون إراديا. ينظر، " علم النفس العام"، رمضان محمد القذافي ، ص 97 - 99.

⁴ " مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية (الخطاب المسرحي نموذج) ، عمر بلخير، مجلة إنسانيات ، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية " ، ع 14، 15- ماي ديسمبر 2001 ، (مجلد 2-3) ، ص 105.

⁵ ينظر " الخطاب والنص ، العلاقة والسلطة " عبد الواسع الحميري ، ص 154.

فهو من الأسئلة التي تؤثر إيجابتها تأثيرا مباشرا في إنتاج الخطاب وفيه يسأل المتكلم نفسه ، ماذا أريد من هذا الخطاب ؟ ما هو الهدف الذي أروم تحقيقه ؟ أهو السيطرة أم الإيضاح أم الإقناع أم الامتناع أم.....¹.

لأنه وإن لم يجد جوابا لسؤاله فمعناه أنه عاجز عن أداء مهمة التبليغ ، فمن علامات العجز في تأليف الكلام «....أن يستعصي على المؤلف إدراك الغاية التي يمارس الكتابة من أجلها»²، وذلك شأن الخطيب نفسه في كلامه، إذ يقول الجاحظ « فأما من أراد الإبانة في مديح أو غزل أو صفة شيء، فأتى بإغلاق ، ذل ذلك على عجزه عن الإبانة وقصوره عن الإفصاح »³.

حتى إن ضروره تنعكس على اختيار الموضوع «....بل وعلى الكيفية التي يتبلور بها الخطاب، وذلك لأن استحضر الهدف في ذهن المرسل أمر ضروري بوصفه الغاية التي توجه عمله في خطابه »⁴، حتى يسخر كل ما يخدمه من آليات واستراتيجيات مواكبة، تجعله محققا في نهاية المطاف ، إما بالإقناع أو الإيحاء.⁵

أما عن الطريقة العلمية في تحديد الهدف، فقد جاءت عند طارق السويدان في كتابه فن الإلقاء، في قوله:

« أكتب جملة من 25 كلمة أو أقل تشرح موضوع حديثك...مرتبطا بهدفك، وإذا كنت أنت غير واضح في هدفك، فكيف يستطيع المستمع أن يتبين هذا الهدف؟ »⁶

¹ ينظر " إستراتيجية الخطاب " ، عبد الهادي بن طافر الشهري ، ص 64.

² "سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي" ، خديجة غفيري ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2012 ، ص 123.

³ "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ص 1 ج ، ص 168.

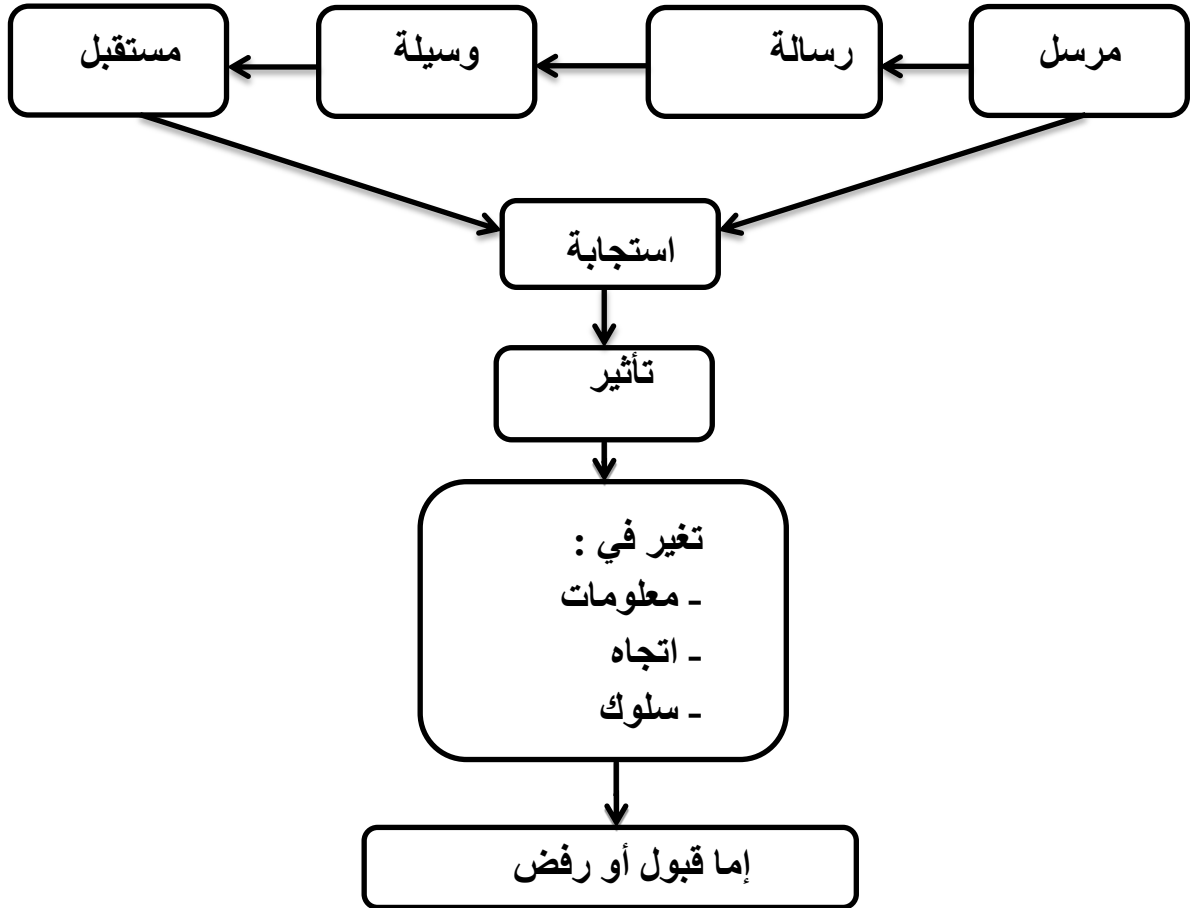
⁴ " إستراتيجية الخطاب " ، عبد الهادي بن طافر الشهري ص 64.

⁵ ونقصد به الاستهواء ، أي التأثير دون إقناع منطقي ، ودون أمر ، أو قسر لقبول رأي معين أو إحتضان اتجاه معين ، أو أداء فعل معين ، ينظر، "أساسات في علم النفس" ، جنان سعيد رحو ، الدار العربية للعلوم ط1 2005م / 1426هـ ، ص 79

⁶ فن الإلقاء الرابع " ، طارق السويدان ، ص 42. ونقصد به الاستهواء ، أي التأثير دون إقناع منطقي ، ودون أمر ، أو قسر لقبول رأي معين أو إحتضان اتجاه معين ، أو أداء فعل معين ، ينظر، "أساسات في علم النفس" ، جنان سعيد رحو ، الدار العربية للعلوم ط1 2005م / 1426هـ ، ص 79.

فتحديده يجعل كل الأمور تناسب بعدها سهلة ويسيرة، سلسلة واضحة ومسترسلة بطريقة

منظمة¹ بحسب المخطط الآتي: ²



ولعل تحقيق الهدف من عدمه يبرز من خلال الاستجابة التي تظهر عند المتلقي باعتباره

الحكم على حد قول أرسطو: «... فالسامع لا محالة... حاكم»³، وتظهر عنده هذه الاستجابة

على شكلين هما⁴:

- 1- استجابة عقلية: مرتبطة بمدى تقبله وقابليته لتطبيق ما تم تلقيه من أفكار ومعلومات.
- 2- استجابة جسدية: مرتبطة بمختلف الحركات وردود الأفعال الظاهرة والتي تحدد للخطيب نسبة تحقيق الهدف من عدمه، أو بمعنى آخر تساعد في تقييم العملية الاتصالية ومدى نجاحها.

¹ ينظر " فن الإلقاء " ، محمد علي ، ص 66.

² ينظر "الاتصال الإنساني ، ودوره في التفاعل الاجتماعي" ، إبراهيم أبو عرقوب ، ص 45.

³ " الخطابة " ، أرسطو ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، 1959 ، ص 16.

⁴ " "الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي" ، إبراهيم أبو عرقوب ، ص 163.

وقد جاءت عند طارق السويدان قراءة لبعض حركات الجمهور والتي تعكس معنى استجابة معينة وهي كالاتي :¹

<u>المعنى</u>	<u>الحركة</u>
- الموافقة	- هز الرأس للأعلى و للأسفل
- عدم الفهم	- حك الرقبة
- الملل	- اللعب بشعر الرأس
- عدم التصديق	- اليدان متقطعتان خلف الرأس
- التفكير	- الأصبع على الخد
- التوتر	- هز الرجل
- الانتباه	- ميل الجسد إلى الأعلى
- التأمل	- اليد على الحنك
- عدم التأييد	- اليدان متقطعتان على الصدر
- عدم الارتياح لما يقال	- العبوس في الوجه

وحتى يتأكد المتكلم من تحقيق هدفه عليه أن يشجع المستقبل ويعطيه فرصة حتى يرد على رسالته ويظهر موقفه منها، لأن هذه الأخيرة ما هي إلا مؤشر على مدى حصول الفهم أو الاتصال أو النقاء العقول بين أطراف الاتصال² وهي تكون إما مباشرة أو غير مباشرة، سريعة أو بطيئة، نفسية أو جسدية ، تعكس مدى استفادة الجمهور المتلقي.³ ، و ظهور الاستجابة معناه حدوث التغيير والتعديل الذي يكون إما ب:⁴

1- تغيير أو تعديل في المعلومات بتزويد المتلقي إما بمعلومات صحيحة أو جديدة.

¹ " فن الإلقاء الرائع " ، ص 195 – 205.

² "الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي" ، إبراهيم أبو عرقوب ، ص 164.

³ ينظر " المرجع نفسه" ، ص 180 .

⁴ ينظر " نظريات الاتصال والإعلام ، المفاهيم ، المداخل النظرية" ، الفضاييا ، محمد أبو شنب ، ص 23 ، 24.

- 2- تغيير أو تعديل في الاتجاه سواء من الجانب المعرفي (اعتقادات ، معلومات)
أو العاطفي(الحب ، الكراهية) ، أو السلوكي (العمل ، العلاقات الاجتماعية ، الأسرية....).
- 3-تغيير في السلوك العلني للمستقبلين ، علما أن « السلوك الإنساني بكافة تشكيلاته هو بمثابة تحقيق لبرامج خطابية منجزة سلفا، ذلك أن الفرد الإنساني ليس سوى جزء من تنظيم اجتماعي خطابي واسع»¹.
- 4- وبظهور التأثير تبرز الخبرة الخطابية التي تعد « خبرة اجتماعية في استنباع الآخرين أو في قيادة الآخرين والسيطرة عليهم »² لأنها تتيح للمتكلم فرصة فرض حضوره في الآخرين وهذا ما يجعلنا نفهم سر ارتباط هذه الخبرة بخبرة ممارسة التأثير والسلطة على الغير³.
ولطالما كانت الخطابة من أهم أشكال وأوجه تحقيق السلطة⁴ لما لها من سمات وخصائص ومقومات تأهلها دون غيرها من أشكال التواصل والتبليغ ، إلى تحقيق الهدف لا محالة⁵.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الغرض من أي خطاب موجه لا يكون إلا بتحويل الكلمة الباردة إلى حياة نابضة تعكس صدق الخطيب من جهة وتظهر انفعاله تجاه هذه الكلمة من جهة أخرى، فلا يظهر أثره على المتلقين إلا إذا عايش تفاصيل موضوعه من جهة وراعى أهدافه من جهة أخرى، فكان الكلام كلامه والفعل فعله.

فالخطاب هو تراص من الكلمات، كل واحدة تحمل من التصورات ما تكون قصدية من الخطيب، تهدف إلى أمر بعينه، ولن يتحقق له ذلك إن لم يحسن استخدامها وفقا لما يواليتها من سياق وأداء لغوي وغير لغوي ، حتى يحقق وقعا على نفسية المخاطبين وعقليتهم وفكرهم ، وحتى أحاسيسهم لما تحمله من تصور ومشاعر مشبعة، خصوصا إذا كان الخطاب دينيا مرتبنا بالقواعد الشرعية والسنن التي سنّها الله لخلقه في حياة الدنيا والآخرة،

¹ " الخطاب والنص "، المفهوم ، العلاقة ، السلطة ، عبد الواسع الحميري ، ص 163.

² "المرجع نفسه" ، ص 160.

³ "المرجع نفسه" ، ص 161

⁴ ونعني بها القوة التي يمتلكها المخاطب عبر خطابه ، أو أنها قوة الحجة والدليل الذي يعبر عنه الخطاب ، أو قوة الخطاب نفسه من حيث طريقة البناء والصيغة والتصوير ، ينظر ، "الخطاب والنص ، المفهوم ، العلاقة ، السلطة" ، عبد الواسع الحميري ، ص 161.

⁵ ينظر " الإلقاء العربي الخطابي والتمثيلي " فاروق سعد ، الشركة العالمية ، للكتاب ، ط 1 ، 1987م ، ص 29.

ف « الداعية الذي يبغى الوصول إلى تحقيق مراميه يحرص كل الحرص على تصوير المعاني المختصرة في ذهنه ، وتجسيد الأفكار المختزنة في عقله تصويرا وتجسيدا يجذب المدعويين إليه ويشد انتباههم نحوه، حتى يظل كل مدعو يقضا دائم الانتباه ، وحتى تظل أجهزة الاستقبال المدعوة فيه من قلب وعقل في حالة نشاط تام لاستقبال ما يرسله الداعية من تعبير بلاغي وأسلوب بياني يطرب الأذان ويأخذ الألباب ويعجل بالإمتاع والإقناع»¹ .
وأخيرا يمكن القول : أن عملية تحديد الهدف² هي من الضروريات القبلية للخطاب والتي على الخطيب أن يأخذها بعين الاعتبار، لأنها الركيزة التي سيني عليها هذا الخطاب. ثم إن تحديد الهدف* بالضرورة يعني تسخير وتجهيز كل الآليات الإقناعية والإلقائية اللازمة لتحقيقه، فلا وجود لهدف محقق دون آليات تخدمه.

3- اختيار موضوع:

بعد أن يحلل الجمهور ويحدد مكان وزمان إلقاء خطبته وأهدافها، عليه أن يفرغ إلى التفكير في الموضوع الذي يتناسب مع ذلك السياق المحيط به، لأن «...معرفة طبيعة الموضوع تقتضي معرفة اهتمام الخاطب به، ومصالحته في ذلك، ونوع المعرفة التي كونها حوله... ومدى استفادته من هذا الموضوع، والأهداف التي يتوخاها والحوافز التي يقدمها والمعتقدات التي يتضمنها، والمواقف الإيديولوجية والثقافة والثوابت المبدئية التي ينطلق منها، ودرجات اهتمام المخاطب بمكونات ومضمون هذا الموضوع ومدى مصداقية الخطاب في عملية التخاطب.....»³.

فالموضوع هو اللبّ والعمود الفقري وكيان أي خطاب باعتباره " فنا لسانيا " ونمطا قوليا" ، وفي هذا المضمار يجب أن يكون قصد هذا المظهر الكلامي سبيله حسن اختياره⁴،

¹ " توظيف الإلقاء في الدعوة إلى الإسلام " ، مصطفى أحمد ، مجلة الفيصل ، المملكة العربية السعودية ، ع 246 ذو الحجة 1417هـ - أبريل ، ماي 1997 ، ص 76.

² الهدف بأنواعه الثلاث : - أهداف عامة وهي إجابة عن السؤال لماذا يسمعك الجمهور؟

- أهداف خاصة ويعتمد على حاجات المتحدث أو الجمهور ويكون إجابة عن السؤال ماذا تريد من هذا الجمهور.

- أهداف خفية : وهي أهداف غالبا ما تكون شخصية متصلة بالخطيب ، باعتباره متحدث له طموحه الشخصي ،

(الشهرة ، المال ، إقناع الغير بقدراته.....) ، ينظر ، " فن الإلقاء الرائع ، طارق السويدان ، ص 43.

³ " عندما نتواصل نتغير " ، عبد السلام عشير ، ص 127.

⁴ " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 7

لأن الخطيب حينما يؤمن بفكرة ما فإنه يبني موضوعه عليها بشكل لا يتيح فيه أي مجال للخروج عن هدفه المسطر.

كما أن القائم على العملية الاتصالية مطالب بـ « أن يكون عمله على علاقة مباشرة مع الموضوع الذي يريد الإقناع به من خلال الملاءمة بين أداة وآليات الإقناع المستعملة وطبيعة الموضوع. »¹، فهو بيت القصيد، والخطيب الذي لا يسطر حديثه مسبقاً قد لا يعرف ما سيتحدث عنه إذا حضر وقت الخطاب، إلا في بعض الحالات التي يدعى فيها ليخطب في الناس فجأة دون سابق إنذار ، في هذه الحالة تلعب سرعة البديهة دورها في الاستعداد لمثل هذه المواقف الفجائية أين تبرز قدراته وكفاءته الخطابية من عدمها.

فعدم معرفته بموضوعه أو قلة اطلاعه عليه يجعله غير قادر على الإقناع، ومعرفته الجيدة به وتوفير كل الأدلة حول صحته ومصداقيته أمر ضروري²، لأن الموضوع يشمل الفكرة التي يدعو إليها ، والتدليل عليها بالحجة والبرهان، وإتباع طرق الإقناع هي من أهم إجراءات أي خطاب بلاغي³ مهما كان نوعه وشكله، فلا يبني خطاب دون موضوع تراعى فيه الأمور الآتية :

1- أن يختار الموضوع في وقت مبكر عن موعد إلقاءه ، حتى لا يكون اختياره بغير قناعة تامة.

2- التفكير الجيد فيه بطرح كل الأسئلة الممكنة والمتعلقة به.

3- أن يكون عن قناعة تامة، لا يراوده شك في أي عنصر أو أي فكرة من أفكاره.⁴

4- التنوع فيه ، إذ لا يجب أن يشمل قضايا الناس وحلولها وبيان واقع الأمة وكل ما يحتاج المسلم أن يعرفه.⁵

¹ "الإقناع الاجتماعي خلفيته النظرية وآلياته العملية"، عامر مصباح، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر، ط2 ، 2006 ، ص 85 – 120.

² " المرجع نفسه "، ص 85 – 120 .

³ وذلك عندما قال الجاحظ في البلاغة أنها " اسم جامع ، لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكون ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج....." ، "البيان والتبيين" ، الجاحظ ج 1 ، ص 149.

⁴ ينظر "فرسان المنابر" ، فقه الخطابة ، ج 1 ، ص 88 ، 89.

⁵ ينظر "الخطابة بين النظرية والتطبيق" ، محمود عمارة، ص 184.

5- التحضير الجيد والمتكامل له ، إذ يجب أن يعده إعدادا كاملا، بالرجوع إلى كل المصادر والمراجع التي تحدثت عنه سابقا ، حتى يبني خطابا مشبعا بخلفية ورصيد معرفي غني تجعله شاملا لكل الجزئيات ، لأن « الخطيب الذي يركز على قاعدة جيدة من العلم والمعرفة والثقافة يتمكن من الوقوف على منصة الخطابة بقوة وثبات »¹ أما إذا اعتمد على معارفه الشخصية فسيكون موضوعه ناقصا دون شك.

6- أن يكون مصاغا بألفاظ المتكلمين على حد قول الجاحظ «...كما أنه إن عبر عن شيء من صناعة الكلام...كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين، إذ كانوا لتلك العبارات أفهم، وإلى تلك الألفاظ أميل»²

7- أن يكون حول ما يحتاجه الناس وما يناسب مجتمعهم، فالعالم الإسلامي اليوم يمر بأحداث متسارعة ومتنوعة، والقضايا كثيرة و«...الخطيب الناجح هو الذي ينظر إلى واقع الناس ليتحدث عنه...»³ ، كما أنه « لن تستحيل الأفكار بما يجري في عروق الخطيب إلا إذا مارس الحياة ، وذاق حلوها ومرها، وعاش التجربة التي يحكيها...عندئذ يمكنه أن ينقل الأفكار إلى الآخرين...بكل ما حولها من انفعالات إيجابية تحمل على تقيدها في دنيا الواقع.»⁴

لأن التجربة المستمدة من صفحات الكتب تظل جامدة بلا روح ، أما المستمدة من أحداث ووقائع الحياة، تجعل الموضوع كله حيوية وقيمة لما يحققه من تأثير في نفسية المتلقين لأنهم يجدون فيه متنفسا لأفكارهم وما يختلجهم من شعور وأحاسيس تجاه تلك الوقائع الواقعية التي تصادفهم في يوميات حياتهم* .

8- العمق العلمي في الموضوع وذلك اعتمادا على الاستشهاد بالنصوص الشرعية والتأصيل العلمي له و الذي يعطي المستمع الثقة والقناعة فيما يسمع.

9- دقة المعلومات المتناولة فيه، مع التأكد من صحتها من الأحكام الشرعية والأحاديث النبوية أولا ، ثم الأخبار والكتب التي تناولتها ثانيا، فلأنه يتكلم من منبر شرعي، عليه أن يتقي الله فيما يطرح ، فلا يخوض في القضايا دون تأصيل وعلم وسبق تحر، وألا يكون طرحه

¹ " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 60.

² " البيان والتبيين " ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 167.

³ " فن الإلقاء "، محمد على ص 136، وينظر، فرسان المنابر، ج1، ص، 87، 88.

⁴ " الخطابة بين النظرية والتطبيق "، محمود عمارة، ص 103.

* كمعالجة قضية الطلاق، خطبة 2014/03/07 ، قناة النهار، وعقوق الوالدين ، خطبة 2013/07/26 ، قناة المجد.

للقضايا مبنيا على وجهة نظر شخصية خالية من التحقيق، ومهما كانت درجته العلمية والبلاغية فهذا لا يغنيه عن التأصيل العلمي والرجوع إلى المحكمات دون المشتبهات¹.

10- الوحدة الموضوعية، فلا تكون الخطبة ملخصا لمجموعة من القضايا المتناثرة في وقت واحد، فهذا - على الغالب - يسبب التشتت ويدفع المستمعين إلى النفور، « وربما كانت الفكرة الواحدة والتي تنال حظها من التوضيح والتقرير أبقى في ذهن المستمع وقلبه من هذا الخليط الذي يذهب آخره بأوله »².

يقول محمد الغزالي إن من شروط الخطب الناجحة موضوع واحد غير متشعب ولا متعدد الأطراف والقضايا، لأن الخطيب الذي يخوض في أحاديث كثيرة يشتت الأذهان وينتقل بالسامعين في أودية تتخللها فجوات نفسية وفكرية بعيدة، ومهما كانت عباراته بليغة، ومهما كان مسترسلا متدفقا، فإنه لن ينجح في تكوين صورة واضحة لملامح وتعاليم الدين الإسلامي³.

11- توضيح الموضوع بأحسن الصيغ والتراكيب إذ يرتبط نجاح الخطبة وأثرها بحسن إعدادها وتناسق أجزائها وترابط أفكارها، مع الاستعانة بضرب الأمثلة وعرض القصص الوجيهة... والتي تعد من سبل الاتعاض وجلب الانتباه، وهي ما تسمى بالأمور الاستدلالية

« فالخطبة المؤثرة هي التي يزينها الخطيب بكثرة الأدلة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ليربط السامعين بمصادر التلقي الشرعية أولا وليثبت القضية المطروحة ثانيا.....»⁴

12- أن يكون الخطيب على ثقة بأنه المراد تناوله يندرج في إطار الوقت المحدد والمتاح له « فالجمهور إذا شعر بأن الخطيب قد جاوز الوقت المحدد، انصرف عنه شعوريا إن لم ينصرف عنه جسديا. »⁵، فإن لم يختار موضوعا ينحصر إلقاؤه في الوقت المحدد فإنه سيقع في أمرين:⁶

¹ ينظر " فن الإلقاء " محمد علي ، ص 93.

² " الخطابة بين النظرية والتطبيق "، محمود محمد عمارة ، ص 185.

³ ينظر " خطب الشيخ محمد الغزالي ، في شؤون الدين والحياة "، قطب عبد الحميد قطب ، مكتبة رحاب الجزائر ، ط1، 1981م، ص 98.

⁴ " فن الإلقاء "، محمد علي، ص 93.

⁵ " فن الإلقاء الرائع " ، طارق سويدان ، ص 64.

⁶ ينظر " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 59.

- إما أن يتجاوز الوقت المحدد له ليكمل أفكار موضوعه، فيسبب ذلك الملل.
- أو أن يضطر إلى ترك بعض منها، فيخرج كلامه ناقصا ، لا يؤدي المعنى كاملا، فلا يأتي بذلك التأثير كاملا.

13- الوعظية : يجب أن تشتمل الخطبة على عنصر الوعظ، والذي لا يقتصر على الجانب التخويفي أو الترهيبى أو الترغيبى فقط، وإنما بمفهومه العام الذي جاء في اصطلاح القرآن بمعنى القرآن كله في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ»¹، فالموعظة «...وعاء ومركب وقالب لجميع الموضوعات الإيمانية... أو الأخلاقية أو الاجتماعية»² ، فهي جامعة لكل ما يخص الفرد في حياته.

14- الاستباقية : من المهم أيضا - أحيانا - أن يعالج موضوع الخطبة مواضيع وقضايا ليست بالراهنة وإنما يتوقع حدوثها مستقبلا خشية الوقوع في الفتن، وذلك بتوضيح أحكامها أو التحذير من فتنها وأثرها³.

هذه هي أهم الأمور التي يجب أن تراعى في بناء الموضوع حتى يكون ذا فعالية إيجابية، وحتى يرتقي القائم على الوظيفة الخطابية بمستوى خطابه إلى ما يحقق له ذلك، فإنه وبعد مراعاة كل الأمور السابقة، يكون بذلك قد التزم بالأسس الثلاثة التي تلتزم بها سائر الأعمال العلمية منها والأدبية والتي تتمثل في :⁴

1- **قلب مفكر** : باختيار الموضوع وابتكاره وتوليد أفكاره بجدية في الطرح مع مراعاة السامعين ومختلف الظروف المحيطة به والأهداف المسطرة.

2- **بيان مصور**: وهي طريقة البناء في تلبيس الأفكار والمعاني اللباس اللغوي المنطوق الذي يظهر في جمال الأسلوب وحسن التنسيق والترتيب لعناصر الموضوع ، حتى ما إن طرقت على الأسماع إلا وأحدثت وقعها وأثرها في السامعين.

¹ سورة يونس ، الآية 57

² "فن الإلقاء" ، محمد علي ، ص 95.

ينظر "فن الإلقاء"، محمد علي، ص 95

⁴ ينظر " المرجع نفسه " ، ص 6.

3- لسان معبر : وهي طريقة عرضه والتعبير عنه والمتجسدة في طريقة إلقائه من جهارة في الصوت وتغيير في الطبقات الصوتية ، وما يناسبها من حركات التعبير غير اللفظية.... الخ.
هذه الأسس الثلاثة السابقة الذكر تجعل الموضوع ذا مستوى سواء من جانب المعاني والأفكار أو من جانب الأسلوب والتنسيق أو من جانب طريقة الإلقاء والتعبير مما يجعله ذا أثر وفائدة، وهذا سينتج عنه نجاح العملية الإقناعية والتي هي غرض أي خطيب منبري.

II- مراحل الخطبة :

إن لكل خطاب بناء يضم عناصر الموضوع من جهة ، وكل وسائل الإبداع والإقناع الموازية له من جهة أخرى، إذ يذهب الخطيب بصيغ من الكلام إلى أساليب متنوعة، ويكسو غرضه دلالات مختلفة من الجمل والتراكيب، وهذا ما يسمى في اللغة بالتنظيم والترتيب وينعكس هذا جليا في الخطابة الدينية بكل مضامينها¹ ، إذ أن «سياق أجزاءها وذكر أدلتها هو من أعظم أركان البلاغة ووسائل التأثير.... فلا قوة للخطبة ولا أثر لها إذ لم ترتب ترتيبا حكيما بحيث تكون أبين غرضا وأحسن في النفوس وقعا»².

وتقسيم الخطبة إلى أجزاء تفصيلا للمقصد وبيانا لأجزائه وتفصيله بعد ذكره مجملا أمر ضروري ، يقول في ذلك أرسطو في كتابه "فن الخطابة" : « فهذا هو الملائم حقا للكلام وقصارنا السماح بالاستهلال والعرض ، والدليل ، والخاتمة....»³.

¹ إن الخطب الدينية من حيث مضمونها يمكن أن تقسم إلى فرعين
أ- الخطب الإقناعية والخطب الإعلامية : - أما الإقناعية فمنها : - خطب القيم التي تهدف إلى تعزيز القيم الفردية والاجتماعية التي لا تتنافى مع تعاليم الشرع الإسلامي، فهم بحاجة دائمة إلى التذكير، وهذا دور الخطيب الذي يجعل من خطبة مرجعا أساسيا للأفراد.

ب- خطب التنشئة الاجتماعية: بما أن المسجد هو مؤسسة دينية اجتماعية، فإن الخطاب الموجه من الدعية يعمل على تعديل العلاقات الاجتماعية القائمة بين الأفراد كصلة الرحم مثلا... الخ

ج- خطب السلوك: والتي تهتم بتعديل سلوكيات الأفراد المختلفة والممارسة في حياتهم اليومية.

د- خطب المواقف: والتي تفيد معالجة المواقف والأحداث التي يمر بها الأفراد داخل نطاق المحيط الخاص بهم.
- وأما الإعلامية فمنها : 1- خطب الأحداث والوقائع، والتي تفتح عقول المستمعين حول أهم الأوضاع المحيطة بهم خصوصا ما هي من مستجدات الحاضر.

2 - خطب المفاهيم : التي تحمل تحليلا لدوال المرادفات والكلمات والوقوف عند مدلولاتها ومعانيها الصحيحة ، ينظر الخطيب الديني واستراتيجية التواصل ، بلحضري بلوفة ، ص 134-145

² "فن الخطابة وإعداد الخطيب"، علي محفوظ، ص 51.

³ "الخطابة"، أرسطو ، ص 299.

والقصد بالاستهلال المقدمة، أما العرض والدليل فهو الموضوع بمعنى طرح الأفكار بالأدلة والحجة المقنعة، والخاتمة هي آخر الكلام من الخطبة.

ولهذا التقسيم فوائد ، منها ما تعود على الخطيب من حيث إنه يمنعه من الخروج عن الموضوع وتكرار الأفكار والمعاني ،ومنها ما يعود بالإيجاب على السامعين من حيث تسهيل إدراك المعاني عند الانتقال من قسم إلى آخر دون إفراط في الكلام أو في تجاوز الوقت المحدد للخطاب.¹

وأقسام الخطبة ترجع إلى ثلاثة لا غير :

1- المقدمة : وهي فاتحة الكلام وبدائته، كما تعرف بالاستهلال والافتتاحية و« كلها بدايات كأنها تفتح السبيل لما يتلو »²، فهي الجزء الذي يتصدر الكلام إذ « تعد المقدمة مفتاح الخطبة وصدرها وعنوانها »³، واهتمام الخطيب بها يعني اهتمامه بالخطاب كله فهي بمثابة الأساس من البناء، والرأس من الأعضاء، إذ يقول أبو الهلال العسكري « أحسنوا...الابتداءات، فإنهنّ دلائل البيان »⁴

وبحسب بنائها يكون قدر البيان والتأثير في النفوس، لأنها «... أول ما يلقي الخطيب به الجماعة، فإن وقع من نفوسهم موقع القبول كانت الخطبة غالباً على غرارها واستطاع أن يصل إلى قلوبهم»⁵ ، لأن مقصده الأساسي منها «جلب انتباه السامعين إلى ما سيلقيه إليهم من تلك الأفكار والمعاني»⁶ ، كأن يبدأ الخطيب خطبته في "فضل العلم" قائلاً: * "الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وجعل تكامله بحسن التنشئة والتعليم، وهداه بعقله وعمله إلى الصراط القويم، وحباه في حياته هداية وتكريماً، ليزداد في مجتمعه ترقياً وتنظيماً"، في قوله تعالى : " وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا"⁷.

¹ ينظر " فن الخطابة وإعداد الخطيب " ، علي محفوظ ، ص 55.

² " الخطابة " أرسطو ، ص 130.

³ " فن الإلقاء الرائع " طارق السويدان " ص 124.

⁵ " كتاب الصناعيين " ، أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، (ت 395هـ)، تح علي محمد البجاوي ومحمد

⁴ أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط 2 ، ص 451.

⁵ " فرسان المنابر ، فقه الخطابة " ، ج 1، ص 85.

⁶ " خصائص الخطبة والخطيب " ندير محمد مكتبي ، ص 56.

* خطبة 2013/07/05، قناة الجزائرية 3.

⁷ سورة النساء ، الآية 113.

فالخطيب إنما يهدف من مقدمة كلامه إلى بناء علاقة ودية مع الجمهور بكسر الحاجز النفسي بينهما، وإثبات مصداقيته وإثارة اهتمامهم ، إضافة إلى إعطاء لمحة عامة عن موضوع خطابه الذي سوف يقدمه¹.

وهناك من يحصر أهميتها ودورها في الكلمات العشر الأولى ، باعتبارها الحكم الذي يحكم على السامع إما بالبقاء لسماع ما سيلقى بانتباه ورغبة، وإما بالانصراف والامبالاة إذ يجد الخطيب فرصته فيها لإبراز موهبته وقدراته في جذب المستمع وإرغامه على البقاء والإصغاء إن صح التعبير منذ أول الكلام.²

وحتى يتأتى له ذلك عليه أن يكون فطنا يحسن اختيار المدخل الموافق لقصده لأن « الدخول للقلوب كالدخول للبيوت، ولذا فمن الأفضل البحث عن مدخل مناسب لما يراد الحديث عنه...»³ ، وهذا المدخل إنما يبرز في:⁴

- 1- تنبيه الغافل ليفتح بصره ويجند اهتمامه وانتباهه لما سوف يطرح من أفكار وقضايا.
- 2- ترغيب المستمع وتشويقه لمتابعة الإصغاء باللعب على أوتاره الحساسة (الجانب النفسي العاطفي و.....)
- 3- إعداد الذهن للإقناع والاستفادة وتحقيق الفائدة.

فإن وفق الخطيب في اختيار الافتتاح المناسب لخطابه (المقدمة) وجد ذلك ظاهرا وجليا في ملامح المتلقين، هذا ينعكس إيجابا على نفسيته مما يشجعه في الانطلاق مسترسلا واثقا من نفسه، في صحبة مع ذاك الانسجام الحاصل بينه وبين جمهوره.⁶ وإذا عدنا إلى الخطاب الديني فهو كثيرا ما يتصف بمعالم تدل على امتيازته وقيمته

¹ «فن الإلقاء الرابع» ، طارق السويدان ، ص 125

² ينظر " فن الإلقاء " محمد علي ، ص 54.

³ الخطابة بين النظرية والتطبيق ، محمود محمد عمارة ، ص 186.

⁵ «المرجع نفسه» ، ص 188.

⁶ « المرشد إلى الخطابة » ، كريس ستيوارد ذ ومايك ولكنسون، تر جورج الخنوري ، ص 11، 12.

المنوط بها لارتباطه بالقداسة والشرعية الإلهية، فمن أهم مواصفات المقدمة فيه ما يلي :

1- استفتاحها بالحمدلة والصلاة على سيد الخلق ، مع توشيحها بآيات من القرآن الكريم كما يقول الجاحظ « إن خطباء السلف الطيب وأهل البيان من التابعين بإحسان مازالوا يسمون الخطبة التي لم تبدأ بالتحميد وتستفتح بالتمجيد "البترء"¹ ويسمون التي لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي (ص). الشوهاء²». ³ وقال على لسان سهل بن هارون: « وجب على كل ذي مقالة أن يبتدئ بحمد الله قبل استفتاحها كما بدئ بالنعمة قبل استحقاقها»⁴، وقول العسكري: " ولهذا جعل أكثر الابتداءات بالحمد لله، لأن النفوس تتشوق إلى الثناء على الله، فهو داعية إلى الاستماع"⁵، كقول الخطيب " الحمد لله الخالق الحكيم، المصور العليم رب السموات والأرض وربّ العرش العظيم...وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، اختاره الله من الأطهار واصطفاه من الأخيار...صلى الله عليه وعلى آله وصحبه..."^{*}

2- اقتران أجزاء الافتتاح بعبارات تشير إلى موضوع الخطبة^{*} وترشد المستمعين إلى فكرتها فيكون القصد واضحا لأن «...الغرض إذا كان خفيا بعيد المأخذ تبرم منه السامع...»⁶، ويقول الجاحظ عن ابن المقفع في ذلك وهو في صدد تعريف البلاغة «...وليكن في صدر الكلام دليل على حاجتك...»⁷ ويضيف الجاحظ قائلا: « كأنه يقول فرق بين صدر خطبة النكاح وصدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة التواهب...فإنه لا خير في

¹البترء : يُقال البترء القطع بترء رجمه ، يبتترها بترءا قطعها ، الأبتتر الحاسرُ ، لسان العرب ، ابن المنظور ، ج 1 ، مدة بترء ص 376.

²الشوهاء : شأهت الوجوه نشوؤه شوها فبحت، ورجل أشوه وامرأة شوهاء إذا كانت قبيحة ، لسان العرب ، ابن المنظور ج 7 ، مادة شوّه ، ص 261.

³ "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 2 ، ص 4

⁴ ينظر "المصدر نفسه" ، ج 2 ، ص 4.

*خطبة ، 2013/06/14 ، قناة الجزائرية

⁵ " كتاب الصناعيين" ، العسكري ، ص 457.

^{**} كما أشار الخطيب إلى موضوع خطبته في "السعي والعمل" ، قائلا : " الحمد لله... ونحمده تعالى أن خصنا على الجد في البكور ، وعلى العمل الدائب بلا فتور... " خطبة 2013/09/20 ، الجزائرية³.

⁶ " فن الخطابة وإعداد الخطيب " ، على محفوظ، ص 54.

⁷ "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 149.

كلام لا يدل معناه ولا يشير إلى مغزاه ، وإلى العمود الذي إليه قصدت والعرض الذي إليه نزلت»¹.

3- أن تكون مقدمة الكلام مشوقة تثير الفضول²، فيها من الإبهام ما يشد انتباه المستمعين ويعيد من هم بالانصراف عنها، بحسن الكلام وهذا ما يعرف " ببراءة الاستهلال " ³.

4- لكي يصل الخطيب إلى تحقيق هدفه يجب أن يبدأ مقدمته بألفاظ واضحة وأفكار سهلة المنال لا تحتاج إلى تفكير، وبعد أن يطمئن إليه الجمهور ويوجهون نحوه اهتمامهم يستطيع أن يدخل في طرح أفكاره مستندا في ذلك على قدراته الكلامية التي تقرب البعيد وتبسط المعقد.⁴

5- أن لا تكون المقدمة طويلة حتى لا تستنفد قوة الخطيب، ولا موجزة جدا حتى تذهب فائدتها حتى وإن كان ذلك في صيغة الحمد والصلاة على النبي.^{5*}

6- أن لا يبدأها باعتذار فهو خطأ فادح كأن يقول مثلا: أنا لست بخطيب...أعتذر منكم مسبقا...لأن ذلك سيحط من قيمته في أعين الجمهور فيحكمون على ضعفه مسبقا قبل الدخول في صلب الموضوع.⁶

وإذا عدت إلى موضوع طرق افتتاح الخطبة فإن للخطيب سبلا شتى في افتتاحها وذلك بحسب حسن تصرفه، وجودة تقديره للظرف والمكان والزمان والموضوع الذي هو بصدد طرحه ، وهو ما يعرف بـ " بيان المقصد " ⁷.

إذ هناك من الخطباء من يفتح بآيات قرآنية مناسبة ،-كما سبق الذكر- يحرك بها المشاعر، كأن يبتدئ خطبته في خير زاد المؤمنين بقوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ

¹ " المصدر نفسه " ، ج 1 ، ص 149 ، 150.

² ينظر " فن الإلقاء " ، محمد علي ص 54.

³ ينظر "فرسان المنابر " ، فقه الخطابة ، ج 1 ، ص 87.

⁴ ينظر " المرجع نفسه "، ص ن .

⁵ ينظر " فن الإلقاء " محمد علي ، ص 54.

* إذ في الغالب ما تتراوح بين 5 إلى 8 أسطر (قياسا على الخطب المدروسة).

⁶ ينظر " فن الخطابة ، ديل كارينجي ، ص 107

⁷ ينظر " فن الإلقاء " محمد علي ، ص 100.

عَفُورٌ رَحِيمٌ»¹ ، أو بحديث نبوي شريف يستميل به القلوب أو بحكمة مأثورة يتخذها الخطيب مطية للدخول في موضوعه، أو يعطي فكرة عامة حوله بذكر ما سيلقى بعبارة جامعة تبين المقصد كعنوان لموضوع خطابه²، أو أن يستهل كلامه بقصة مثيرة خصوصاً إذا كانت عن تجربة شخصية³، أو أن يبدأ بذكر المناسبة التي كانت السبب في اختياره لهذا الموضوع دون سواه⁴، أو البدء بمثل محدد إذ «يصعب على المستمع العادي أن يتبع العبارات المجردة طويلاً، لكن من السهل عليه الاستماع إلى الأمثلة»⁵.

بناء على ما سبق أخلص إلى القول إن المقدمة هي مفتاح الكلام والسبيل إلى الدخول في لبه، وحتى تكون ناجحة يجب أن يلتزم الخطيب فيها بشروط معينة تدور كلها في أمرين وهما الافتتاح ويكون إما بآية أو حديث شريف أو حكمة أو...، والمقصد وفيه يوضح حقل الخطبة وطبيعتها وغرضها.

(2)- الموضوع*:

إن استغنى الخطيب عن المقدمة أو الخاتمة، فإنه لا يستطيع الاستغناء عن عرض الموضوع لأنه يمثل الخطاب ذاته، فهو فحواه يتناول الخطيب فيه تفاصيل أفكار موضوعية بالشرح والاستدلال والحجج، فيطرح العناصر ويأتي بما يواتيها من تحليل وشرح وبيان لتحقيق المقصد، يقول أرسطو «الكلام يتضمن جزأين، إذ لا بدّ من ذكر الموضوع الذي نبحث فيه ثم بعد ذلك نقوم بالبرهنة، ولهذا فمن المستحيل بعد ذكر الموضوع أن نتجنب البرهنة»⁶، فهو المادة التي يبني المتكلم عليها كلامه⁷، أو بمعنى آخر هو كيان الخطابة ذاته، فهو أحد أهم أجزائها لأنه أساس بقية الأجزاء، التي إنما تجيء لأجله (المقدمة والخاتمة)، إما لتمهد له وإما لتختمه، وهدفها الأساسي إنجاحه وتحقيق ما جاء فيه من فائدة وأثر على المتلقين⁸.

¹ سورة الحديد ، الآية 28، خطبة 2013/09/06، المغربية M 2

² ينظر " فن الخطابة وإعداد الخطيب " ، علي محفوظ، ص 54.

³ ينظر " فن الخطابة " ، ديل كارينجي ، ص 111.

⁴ ينظر " خصائص الخطبة والخطيب " ندير محمد ، ص ، 56 ، 57

⁵ " فن الخطابة " ، ديل كارينجي ، ص 111.

* سبق التعرض له عند تناول عنصر اختيار الموضوع في المبحث الأول من الفصل الثاني .

⁶ " الخطابة " أرسطو ، ص 228.

⁷ ينظر " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 57.

⁸ ينظر، "فرسان المنابر" ، ج 1 ، ص 88.

لذا على الخطيب أن يجمع عن موضوعه أكثر ما يمكن جمعه من المعلومات وذلك بالبحث في الكتب والاتصال بالمختصين وزيارة المكتبات للحصول على ما يكفي للكتابة فيه، مشبعا بالأفكار المثبتة بالحجة المقنعة والاستدلال الواضح الذي يبني وحدة موضوعية تكون واضحة بينة لدى المتلقين.

(3)- الخاتمة :

لكل كلام ختام، وخير الكلام ما كان " ختامه مسك"، إذ له أثر عظيم في النفوس وذلك جاء جليا في قوله تعالى : « يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خَتَامُهُ مِسْكٌ »¹.

هذا الوصف الإلهي الكريم يشعرونا بما للختام من أثر عظيم في النفوس « وذلك لأنها آخر ما يسمعه المستمعون من الملقى، وهي أقرب الكلام إلى التذكر.»²، لذلك يجب إعطاء آخر الكلام أهمية لا تقل عن بقية أجزاء الخطاب لأنه «...الأثر الباقي في نفوس السامعين بعد الإتمام، وآخر ما يتردد صدهاء في قلوبهم وبه تتم الفائدة.»³

فالخاتمة جديرة بال العناية، لأن مهمتها الأساسية تكمن في تركيز المعاني السابقة الذكر في الفكر واستمالة المستمعين إلى تحقيق النفع المقصود فهي « تحوي تلخيص النقاط الرئيسية »⁴، والتي بها يتحقق تمام الموضوع لهذا فهي «...أكثر النقاط إستراتيجية في الخطاب»⁵.

فالأفكار واضحة جلية في ذهن الخطيب لكنها جديدة بالنسبة للمستمع، فبعضها يعلق في الذهن والبعض الآخر يتدحرج باضطراب، والمستمع هو عرضة « لأن يتذكر مجموعة أشياء ولكن ليس شئ واحد بوضوح »⁶، هذا ما يستلزم إعادة تلخيص الأمور المهمة في الخاتمة، كأن يختم الخطيب خطبة في الصبر بحديث شريف " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً ، فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَتَبَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً " رواه البخاري ومسلم.*

¹ سورة المطففين ، الآية 25 – 26 .

² " فن الإلقاء " ، محمد علي ، ص 55.

³ " فن الخطابة وإعداد الخطيب " ، علي محفوظ ، ص 57

⁴ الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي ، إبراهيم أبو عرقوب ، ص 240 .

⁵ " فن الخطابة " ، ديل كارينجي ص 119.

⁶ المرجع نفسه ، ص 125

* خطبة ، 2014/08/09، قناة الجزائرية.

فهي أمر واجب في كل خطاب ملقى لأن الذي يخلو منها «...يجبى مبتورا فاقتا لسمات الكمال، فلا يعطي أثره الكامل في تأمين النفع للجمهور المستمعين وتحقيق الغاية الموجودة من ذلك»¹.

يشير محمد علي في كتابه "فن الإلقاء" إلى وجود فرعين للخاتمة (بشكل عام):

أما الأول: علمي منهجي يشمل على:

- تلخيص أساسيات الموضوع في نقاط محددة ومختصرة.

- أهم النتائج العلمية التي تمخضت عنها الخطبة.

- فتح آفاق جديدة للبحث في الموضوع والاجتهاد فيه.

أما الثاني: فهو تربوي ويتمثل في أن يختم الخطاب بـ:

- التواضع وهو تاج الحكمة، والاعتراف بالقصور العلمي البشري مهما اتسع.

- التفاعل والتأكيد على أن الله سبحانه وتعالى، قد جعل لكل شيء سببا، ولكل داء دواء،

وأن الأمة قادرة على اكتشاف تلك الأسباب والأودية.

- التقدم بالشكر والتحية للمستمعين².

ولعله في هذا الموضوع لي أن أذكر أن الخاتمة أنواع منها:

1- أن يختم الخطيب كلامه بتأكد الفكرة الرئيسية التي ناقشها في موضوعه والأخذ بكل جزئياته، كأن يختم الخطيب خطبة في الاعتبار بالموت قائلا " فإن الجنازة عبرة للبصير وتذكير لأولي الغفلة"^{*}.

2- أن يؤكد للجمهور ضرورة الالتزام والعمل بما يحثه في موضوعه والأخذ بكل جزئياته كقول الخطيب في خاتمة خطبته في "السعي والعمل"، " الإسلام دين العمل والإتقان، دين الجد والإحكام فمن عمل بجد، فقد عمل بدينه، ومن تباطأ عن العمل فقد خالف دينه..."^{**}

¹ " الخطابة والخطيب "، محمد سمير الشاوي، دار العصماء، دمشق، سوريا، ط1، 2009، ص 62.

² ينظر " فن الإلقاء"، محمد علي، ص 59.

* خطبة، 2013/09/06، قناة إقرأ.

** خطبة، 2013/09/20، قناة الجزائرية 3.

3- أن يختم بنص قرآني أو حديث شريف يرتبط ارتباط مباشرًا بموضوع كلامه تذكرة للمؤمنين¹، كأن يختم خطبة في "مكاسب المال الحلال" بقول النبي ص " **إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ سَتَبِرَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ...**"* رواه البخاري ومسلم.

4- وأن يختم بمقتطفات شعرية ملائمة لنهاية كلامه تمنح الخطاب النكهة المطلوبة وتمنح الخطيب الوقار والجمال.²

وتحقيق الفائدة من الخاتمة يكون بـ :

- أن يكون فيها جمال التعبير وحسن الانسجام، وجودة المعنى وإصابة الغرض.
- أن تكون قوية في تعبيرها وفي إلقائها ونبرها لأنها آخر ما يطرق في الأسماع.
- أن تكون قصيرة ومشوقة حاسمة³، «...فالخطيب الذي لا يصنع خطابه ليتناسب مع روح العصر السائدة والتميزة بالسرعة، لن يكون موضع ترحيب، وفي بعض الأحيان يثير كراهية الآخرين...»⁴

- أن تحمل كلمات جامعة لكل ما تفرق في الخطبة وموضوعها⁵.
- أن تكون في منتهي الدقة والوضوح، وقصيرة بالنسبة لموضوع الخطبة.⁶
- أن تكون حاسمة تحمل معنى الخطبة ولبها، لأن الغاية من حسنها «...أن يتم إقناع السامعين حتى لا يبقى للنفوس بعده تطلع...»⁷.
- أن يستخدم فيها بعض العبارات كخلاصة القول... "وفي الأخير"،.... أو "هذه النتيجة فقد".... "وقد ينبغي أن تكون".... "ولم يبق إلا أن نلخص ما".....⁸، فهي توظف الحضور من

¹ ينظر " خصائص الخطبة الخُطيب "، نذير محمد ، ص 64، ينظر "الخطابة والخطيب"، محمد سمير الشاوي، ص 63 ، 64 .

*خطبة 2013/09/27 ، قناة أزهر المصرية.

² " فن الخطابة " ، ديل كارينجي ، ص 126.

³ ينظر " فرسان المنابر " ، ج 1 ، ص 94.

⁴ " فن الخطابة " ديل كارينجي، ص 128

⁵ ينظر "خصائص الخطبة والخطيب" ، نذير محمد ، ص 105.

⁶ ينظر " المرجع نفسه"، ص 63

⁷ " فن الخطابة و إعداد الخطيب " ، علي محفوظ ، ص 58، 59.

⁸ ينظر " الخطابة"، أرسطو ، ص 252، 253.

غفلتهم، وقد يتوقف الخطيب بعد هذه العبارات للحظة، لإتاحة الفرصة لهم لتجميع أفكارهم.
- إنهاء الكلام بنبرة إيجابية لأن ذلك «...هام جدا ودائما خاصة عندما يكون القصد من الخطاب إقناع المستمعين بوجهة نظر أو باتخاذ قرار يميل إليه الخطيب...»¹.
فأخذ الخطيب بهذه العناصر في خاتمة الكلام تجعل الموضوع إيجابيا يحقق الإفادة، لأنه سيسعى بذلك وهو في آخر دقائق كلامه إلى ترك الأثر في نفوس وأذهان المتلقين.

¹ ينظر "المرشد إلى الخطابة"، كريس ستيوارد ، ص 14.

المبحث الثاني

I- طبيعة الخطبة الدينية ودرجة تأثيرها :

1- الإبداع والتقليد:

إن في تنوع المواضيع الموجهة، تنوع في شخصية وقدرات القائمين عليها (الخطباء)، فهناك من يعتمد إلى الإبداع ومنه ما يعتمد إلى تقليد أسلافه في طريقة صياغة الخطابات، سواء من حيث البناء أو المضمون، أو حتى طريقة الأداء بغية الارتقاء بمستواها فيقطعون الصلة بذاتيتهم وشخصيتهم بما تضمه من ميزات، جسدية وروحية وفكرية ورغبات وميول وتجربة¹، ليتقمصوا شخصية ذلك الخطيب القدوة².

فيحرص الخطيب في هذه الحالة على أن يلم بكل ما يعرف عن الشخص الذي يقلده ابتداء من أفكاره وطريقة صياغة العبارات، وانتهاء بحركاته ومختلف الأوضاع التي يعتمدها في خطاباته، هنا يصبح غائبا بفكره وعقله حاضرا بجسمه وهيئته لا غير، لأن الكلام ليس كلامه و«...أفكاره ومشاعره وقريحته خاضعة في حركاتها واتجاهها لمن يقلده من الخطباء، فتأتي خطبته ضعيفة التأثير لأنها لم تشع من مشكاة فكره...»³، ولم تبين من مصداقية قوله وشخصيته وأفكاره⁴.

فهو في هذه الحالة لا يركز فكره إلا على تذكر ما هو في ذهنه من أفكار وحركات وأساليب قد سطرها وفقا لذلك الخطيب المقلد، وطمس معالمه وقدراته، ولم يعط لنفسه فرصة إبراز مهاراته الإقناعية التي «...تساعده على الحصول على ما يريد من الآخرين بأسلوب لبق...، ومن خلال استعمال لغة اللسان وأعمال القوة الذهنية له»⁵، المتعلقة بذاته لا بذوات الغير.

لكن هذا لا يعني أن نستنكر التقليد استنكارا قطعيا، لأنه قد يكون ذا فائدة في المرحلة الأولى بالنسبة للخطيب الناشئ الذي ما زال يخطو خطواته الأولى في هذا المجال فقد لا نسميه هنا تقليدا وإنما احتذاء وهو «...أن يعتمد الطالب إلى أساليب المتقدمين فيقتفي أثرها

¹ ينظر " فن الخطابة، ديل كارينجي، ص 87.

² " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمود ، ص 151.

³ "المرجع نفسه" ، ص ن .

⁴ "قوة الإقناع" ، على الحمادي ، ص 105.

⁵ "كيف تكون متحدثا ومفاوضا ومقتعا" ، طه كاسب الدروسي ، دار جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 2009 ، ص5.

وينسج على منوالها، فلا غنى له عن الاقتداء بالسابقين والاقتباس من الأولين فيما اخترعوه من معانيهم وسلوكه من طرقهم...»¹.

فالتقليد هنا يساعده على كسب الثقة في نفسه وتمارينها على المواجهة وصياغة الكلام بثقة، حتى تصير له سجية يدفع بها إلى الأمام فيرتقي بمستواه، وتأتي اللحظة التي يتجاوز فيها مرحلة التقليد والاحتذاء إلى مرحلة الإبداع، وعذره في ذلك أنه في المرحلة الأولى بحاجة إلى الأخذ بالخطباء والاستعانة بهم، حتى يتمكن من تجاوز المرحلة الابتدائية و«...يمكن من الوقوف على قدمه وقوفا يشع عزيمة وحيوية وتماسكا وقدرة»².

وفي بعض الأحيان قد يقتدي حتى الخطيب المتمرس بخطباء عصره أو السابقين، حتى ينتفع بأفكارهم وآرائهم وأساليبهم وطريقة نسجهم لأفكارهم ومعانيهم، هذا أمر جائز ما دام هو اقتداء وليس تقليداً ، لأنه يعني بقاء الخطيب مستقلاً بفكرة وأسلوبه، وإنما يأخذ من هذا ذاك حتى يزيد خبرة، فيأتي بجديد لم يسبقه إليه أحد³.

أما أن يقتدي بهم لدرجة كاملة «...بحيث يقول قولهم نفسه، يؤدي خطبته مثلما يؤديون لهجة ولفظاً وهيئة، فينسخ من نفسه نسخة عنهم في كلامه وحركاته ونبرة صوته وحتى في حركاته، فهذا ما لا يجوز، لأنه يؤدي إلى قتل الإبداع عند ذاك الخطيب المقلد، وتقضي على قدرته على العطاء والتجديد....»⁴.

هذا العطاء الذي يجعل منه مبدعاً متفرداً بطريقته في الإلقاء، وفي توفير آلياتها الإقناعية الخاصة به، فيخرج المعاني من قلبه قبل فكره، متجلية بـ «...الشجاعة النفسية والجرأة القلبية في تبليغ الدعوة...»⁵.

¹ " فن الخطابة و إعداد الخطيب " ، على محفوظ ، ص 18

² " المرجع نفسه " ، ص 151.

³ ينظر " المرجع نفسه " ، ص 152.

⁴ " خصائص الخطبة والخطيب " ، نذير محمود ، ص 152.

⁵ " فرسان المنابر " ، فقه الخطابة ، ج 1 ، ص 262.

هذا الإبداع الذي يجعل الخطيب «...يملك زمام من يتحدث إليهم، فتحقق على يديه الفائدة لمستمعيه، طالما استشعر الجمهور أنه جدير باعتلاء المنبر، وأنه كفء لهذه المهمة»¹. من هنا يمكن القول إن أحسن الخطباء هو ذلك المبدع المستقل بذاته وأفكاره، الوثائق في قدراته ومقوماته وأسلوبه، وإن كان هناك تقليد، إنما يكون في حدود معينة بغية إثراء خطابة فحسب، وليس القصد تقمص شخصية الغير من الخطباء حتى يكون لكلامه الأثر والنفع.

2- التكرار والتجديد :

يعد التجديد في الخطاب الديني – بصفة عامة- ملحا وضروريا خصوصا بعد المستجدات والتطورات التي عرفها العالم اليوم، وبعد كثرة الأحداث التي تتوالى في يوميات الإنسان المسلم، وضرورة الإتيان بما يوفقها من تحليل شرعي وفقا لكتاب الله عز وجل. والتجديد هنا نقصد به الإتيان بما هو مستجد من مواضيع الخطب الموجهة، وفقا لما تقتضيه تطورات الحياة المستمرة وما يطرأ على الناس من وقائع ، لأن « موقع الخطيب في الناس يقتضي التصاقه بمختلف ظروف حياتهم، وأن يكون قريبا من واقعهم الذي... تكثر فيه المتغيرات...»²، هذا يفرض عليه بالضرورة طرح مواضيع متعلقة بمقتضيات أحوالهم* . هنا يبرز التجديد في كل خطبة وموضوعها وفقا لظروفها وزمانها الذي أعدت لأجله أما تكرار مواضيع الخطب ذاتها فهو « خصلة لا تحمد إلا في ضرب معين من الخطب لأنه يورث المستمعين السامة من جهة ، والشعور بعدم الاستزادة من النفع من جهة أخرى»³ ، كما أنها تعكس عجز الخطيب وضيق أفقه العلمي والإبداعي الذي يمنعه من مواكبة جمهوره.

¹ «فرسان المنابر» ، فقه الخطابة ، ج 1 ، ص 270.

² ينظر ، "خصائص الخطبة والخطيب" ، ندير محمد مكتبي ، ص 154
*خطبة ، 2013/11/15، قناة السنة النبوية التي تناول فيها الخطيب موضوع جرائم القتل والطائفية وما يجتاح اليمن، ودول الوطن العربي كسوريا ،و العراق ولبنان من طائفية باسم الجهاد.

وخطبة 2013/11/15 ، قناة أزهري التي تناولت موضوع الاعتداءات الممارسة بين أفراد الشعب والجيش المصري، وهي كلها مواضيع مرتبطة بالواقع المعاش وبالأوضاع الانية .

³ ينظر "خصائص الخطبة والخطيب" ، ندير محمد مكتبي ، ص 154.

فهناك من الخطباء من يتقيد بكتابة مجموعة خطب للمناسبات والأعياد الدينية، وخطب أحداث ووقائع ، لتبقى ثابتة تكرر في كل عام هي ذاتها بأسلوبها وأفكارها و عباراتها غير مبال بما حدث من مستجدات فكرية ونقلات عملية.....من حوله.

وهذا خطأ فادح إذ«...لا يحسن بالخطيب أن يعيد ذات الخطبة بمادتها وشكلها وأسلوبها وهو من أعظم عوامل الزهد فيما يقوله، والحد من تأثير كلامه في المستمعين»¹.

و هذا لا يعني أن التكرار لا ضرورة له، فأحيانا من شأن بعض الخطب أن تكرر، لأن في ذلك ضرورة كخطب المناسبات مثلا : (رمضان ، فضل ليلة القدر الخ،.....) وخطب الأخلاق (الحث على التقوى والأمر بالمعروف، وحفظ اللسان و.....) وخطب الحقوق والمعاملات (كوجوب العدل، ...) ، وخطب الآداب (كالبدء باليمين وآداب السلام والتحية وآداب الأكل واللباس).... الخ).

ولكن عند التكرار يجب على القائم عليها أن يغير من أسلوب عرضه لعناصر الموضوع الواحد فيخرجه كلّ مرة بثوب جديد يجعله يظهر بصفة جديدة، كأنه لم يطرح من قبل ، « فلا تملء الأسماع، ويبقى المستمعون في حالة تنبه دائم وتشوق مستمر لما يلقى عليهم من الوعظ والإرشاد»²، هذا ما نلحظه ونلمسه في مواضع القرآن الكريم، إذ تظهر فيها المعاني مكررة لمرات عدة بصور مختلفة تحقق الأثر في النفوس، مثلا في موضوع الأمر بالمعروف ورد في سورة آل عمران في قوله تعالى : « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »³.

وقوله : في نفس السورة « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ »⁴.

وورد في سورة التوبة في قوله تعالى:« الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»⁵، قوله في نفس السورة « التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ

¹ "فرسان المنابر" ، " فقه الخطابة ، ج 1 ، ص 90.

² " خصائص الخطبة والخطيب ، محمد ندير ، ص 156.

³سورة آل عمران، الآية 104.

⁴سورة آل عمران، الآية 110.

⁵سورة التوبة، الآية 71.

الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ»¹.

وجاء في قوله تعالى في "سورة لقمان" « يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ »².

فالملاحظ أن موضوع كل الآيات هو واحد وفي ذلك تكرار في معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن في كل مرة جاء ضمن أسلوب مخالف جديد يحمل، معنى أكثر تأثيراً وشدّة من سابقه، هذا هو التكرار المحمود الذي يجب على الخطيب الإقتداء به حتى يحقق به المنفعة لا الملل والسأم.

والتجديد أيضاً يكون في طريقة الاستدلال على مختلف المواضيع المطروحة، إذ لا يستحسن أن تكون بنفس الأحاديث والقصص والأمثلة المطروحة بكثرة، وليس هذا تقليلاً من شأنها وإنما القصد هنا بالتحديد، أننا ربما نجد من الخطباء من يتحدثون في موضوع ما يتفقون على أحاديث واستدلالات معينة يكثر طرحها، مع أن هناك أحاديث أخرى لا تقل عنها صحة غير أن كثيراً من الناس يجهلها ولا يعرفها، فاختر ما يخفى منها ليجعل المستمعين أكثر إفادة وعلماً³.

3- الخطبة الارتجالية :

إن الارتجال هو إلقاء الخطبة دون استعداد مسبق، ونقصد دون تحضير مسبق «...هو التدفق بالكلام عفو الخاطر...»⁴، ففيه يعتمد الخطيب إلى إلقاء كلامه ارتجالاً بالمشافهة والمجابهة، مما يجعل نفعها أبلغ وتأثيرها أشد.

وليس ذلك بالأمر اليسير عليه، لأن ذلك يعتمد على العفوية والتلقائية المباشرة، التي تتطلب الثقة بالنفس وبراعة الأداء، وتسخير كل الإمكانيات والقدرات الفكرية و اللغوية والأدائية في ذلك الموقف⁵.

¹ سورة التوبة، الآية 112.

² سورة لقمان، الآية 17.

³ ينظر "فرسان المنابر"، ج 1، ص 785، 786.

⁴ "الخطابة والخطيب" محمد سمير الشاوي، ص 48.

⁵ ينظر "الاتصال الإنساني، دوره في التفاعل الاجتماعي، إبراهيم أبو عرقوب، ص 241.

* كخطبة 2013/08/02، الشروق نيوز، أين ارتجل الخطيب خطبته في موضوع "الأخلاق" بطريقة عكست ثقته بنفسه فكان لها الأثر في نفس السامع.

فهو يعتمد اعتمادا كلياً على مخزونه المعرفي والديني، والثقافي، واللغوي وعلى قدراته الفائقة في استحضر المعاني وما يناسبها من كساء لغوي يخدم مضمون خطابه، لأن «الأقوال التي ينتزع معناها بنفسه ويسبك عباراتها بطبعه، تكون أبلغ أثراً في نفوس السامعين، وأملك لعواطفهم من أقوال صنعت من قبل...»¹. لذلك فإنه «... لا يحسن هذا الضرب من الخطب إلا من كانت له تجربة عميقة وخبرة دقيقة في مجال الخطابة فكان جريء القلب، غزير الاطلاع سريع البديهة، ثري اللّغة واثق النفس»².

أما من كان بعكس ذلك «... فإنه لن يجرؤ على الارتجال، لأن رفعة الموقف وهيبة المقام يجعلان الأفكار تتأتى عن ذهنه، والكلمات تعرب عن لسانه فيتلجلج في موقفه ويخفق في حديثه»³. فيتلقاه الجمهور بالتصدي والسخرية والاستهزاء .

كما أن الارتجال مرتبط بظاهرة الانفعال النفسي والأثر العاطفي لأن الخطيب المرتجل يستمد أفكاره ويشحنها، بما يواتيها من شعور نفسي وفقاً للمقام الذي يقوم فيه، وتبعاً لظروفه السياقية والحالية التي تحيط به⁴.

هذا ما يجعل الكلام المرتجل «... له سحر في قلوب الآخرين الذين يعيرونه أسماعهم وقلوبهم فيندمجون في موضوع كلامه، ويسرون في نفس الاتجاه الذي أراده الخطيب»⁵. ولعل محاسن الكلام المرتجل تبرز في:

1- أن الخطيب يستطيع أن يغير مجرى خطابه متى استدعت الضرورة ذلك من أحوال المستمعين، فقد يكون كلامه في اتجاه فيلاحظ من المستمعين ما يدعوه إلى اتجاه آخر فيتحول إليه⁶ لأن «... مقدرته على الارتجال تسعفه في موقفه هذا، فيؤدي خطبته على أكمل وجه دون حرج أو إرهاق»⁷.

¹ " الخطابة بين النظرية والتطبيق " ، محمد عمارة ، ص 101.

² " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكنبي ، ص 169.

³ " المرجع نفسه " ، ص ن

⁴ " المرجع نفسه " ، ص 170.

⁵ " الخطابة بين النظرية والتطبيق " ص 104.

⁶ " فرسان المنابر " ، فقه الخطابة ، ج 1 ، ص 97.

⁷ " خصائص الخطبة والخطيب " ندير محمد ، ص 170.

- (2)- وقد يخطب فيعترض عليه الناس في كلامهم، فإن لم يكن له من الفطنة والذكاء ما يرد به على الاعتراض بالحجة القوية، ذهب أثر خطابه لأنه لم يستطيع مواجهة الموقف والرد عليه¹.
- (3)- أن الخطاب المرتجل خلال عملية الأداء يسمح لصاحبه من أن يعدل في بعض الأحيان وأن يقطع وينسق في أحيان أخرى ليناسب التطورات المرتقبة ويتمشى مع انفعالات المستمعين².
- (4)- أن الارتجال يجعل الخطيب أكثر انفعالا وحماسا لأنه يوجه اهتمامه إلى ما يقول لا إلى ما يقرأ، ولا يخفى أن التأثير في المتلقين يشتد ويزداد بمقدار تأثر الخطيب وانفعاله الذي يوفر له الحرية المطلقة في استخدام لغة الجسد والتوزيع البصري المتكامل³.
- (5)- أن المستمعين يثقون أكثر في الخطيب المرتجل مما يساعد على تقبل ما يقول وتصديقه أكثر من غيره، ، هذا ما يدعم التفاف الجمهور في العديد من المساجد حول الخطيب الذي يلقي خطبه بصفة ارتجالية أكثر من غيره، لأن ثقته بنفسه تدفعه إلى اختراق القلوب والعقول فيتأثر كل التأثير⁴ لأن، «...حيث وجد الظرف الذي يستثير المشاعر ويؤجج العواطف كان الارتجال أصح وأبلغ...»⁵
- (6)- أن الارتجال يؤدي بصاحبه إلى اعتياد الفصاحة والضبط النحوي وفك عقد النطق، كما يساعد على توسع مدارك الفكر وإجادة الحديث في كل محفل ومجمع⁶.
- ولكن ومع كل هذه الإيجابيات فإن هذا لا ينفى احتواءه على بعض العيوب والنقائص، مثل إمكانية حدوث تشتت للأفكار عند النقاش، وصعوبة إدارة الوقت، وإمكانية الاسترسال في المواضيع الجانبية⁷، و« أن التركيز العاطفي يكون فيه أظهر وأهم من التركيز الفكري

¹ " فن الإلقاء " ، محمد على ، ص 46.

² ينظر " فن الخطابة " ، ديل كارينجي ، ص 122.

³ ينظر " فرسان المنابر " ، ج 1 ، ص 97.

⁴ ينظر " الخطاب الديني وإستراتيجية التواصل " ، دراسة في فن الإلقاء ، بلحضري بلؤفة ، رسالة لنيل شهادة الماجستير كلية العلوم الاجتماعية ، قسم علم اجتماع ، المشرف : بن شهيدة أحمد ، السنة الجامعية 2006-2007. ص 119-120.

⁵ " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 170.

⁶ ينظر " فرسان المنابر " ، ج 1 ، ص 99.

⁷ " فن الإلقاء " ، محمد على ، ص 46.

الذي يحتاج إلى روية وهدوء وتأمل... لهذا كثيرا ما نجد الخطبة المرتجلة قصيرة النفس قليلة الأفكار مفعمة بالعاطفة، يسيطر عليها بركان الحماسة وحرارة الموقف»¹.

ولكن هذا لا يحط من قيمة هذه الطريقة في بث الخطاب لأن محاسنها وأثرها أكبر وأكثر من أن تؤثر عليه بعض هذه السلبيات، فهي الطريقة الوحيدة التي يكون فيها الخطيب متمتعا بقوة نفسية كافية واثقا كل الثقة من حسن التعامل مع كل ما يقتضيه الموقف من متغيرات، فتجعل منه خطيبا فذا وناجحا.

4- الخطبة المعدة مسبقا:

هناك من يجدون في إلقاء خطابهم المعد مسبقا أفضل الطرق وأنجعها في تحقيق التأثير من سابقتها الارتجالية، سواء أكانت محفوظة أو مكتوبة، فإن كانت الأولى مبنية في الأساس على قدرات وإبداع الخطيب، فإن الثانية مبنية على التحضير والإعداد المسبق «...الذي ينتج الأفكار الناضجة والمعاني المتناسقة والألفاظ المناسبة المنمقة الموحية و السبك الرائع المعجب، والأداء القوي المشرق، والنفس الطويل»².

وإرسال الخطاب إلى الجمهور بخطبة معدة مسبقا يعنى رسم النقاط الأساسية التي يتضمنها الموضوع بمختلف معالمه، ولعل ذلك يرجع إلى أسباب وهي:³

- 1- ضعف نفسي عند الخطيب، إذ لا يكون متمتعا بقوة نفسية كافية تؤهله إلى التعامل مع ما يقتضيه الموقف، إذ يضطرب ويتلجج في خطابه⁴، كما قد تعثره حُبْسَةٌ* تمنعه من الإفصاح.
- 2- توقعه لبعض المفاجآت ، التي يضخم له الوهم أنواعها، وخشيته من العجز عن مجاببتها والتعامل معها.

¹ " خصائص الخطبة والخطيب " ندير محمد مكتبي ، ص 173.

² " " خصائص الخطبة والخطيب " ندير محمد مكتبي، ص 173

³ ينظر "فرسان المنابر" ، فقه الخطابة ج 1 ، ص 99.

⁴ ينظر " المرجع نفسه" ، ص 100

* الحُبْسَةُ : " بالضم تَعَدُّرُ الكَلَامِ عِنْدَ إِرَادَتِهِ ، القَامُوسُ المُحِيط ، الفيروزا بآدي ، ثر خليل مأمون شيخا ، مادة " حَبَسَ ، ص 257.

3- الخوف من ألا يظفر بارتياح المستمعين لما يلقي عليهم ، و من أن يسبب لنفسه الإخفاق والحرَج¹.

هذه الأسباب تجعله يقدم خطبته إما بالقراءة من الأوراق مباشرة ف « تتم بقراءة الخطاب كلمة كلمة مع النظر مباشرة إلى الجمهور »² ، أو عن طريق الحفظ عن ظهر قلب بحفظها مسبقا والتمرن عليها³، وهي طريقة لا ينصح بها ، لأنه ومهما تكن ذاكرته قوية فإنه قد ينسى بعض فقراتها ، وهذا يوقعه في ورطة ، لذا لا بأس من استخدام مذكرات صغيرة ينظر إليها من حين إلى آخر⁴.

أو - بمعنى آخر - استخدام قصاصات صغيرة « تكون بتنظيم مادة الحديث في نقاط رئيسية مما يساعد المتحدث في تقديم المعلومات بطريقة منطقية وارتياح تام»⁵.

فهناك من الخطباء من يصعب عليهم احتواء جميع العناصر الأساسية لأداء خطابهم، أو يجدون صعوبة في استحضار أفكارهم، إما لصعوبة في التذكر أو لضعف في التخزين في الذاكرة لعدم القدرة على الاحتفاظ أو التثبيت وهو ما يعرف بالنسيان^{6*}، فيعمدون إلى التسجيل لتقيد أفكارهم وعدم الوقوع في الزلل.

وهذا لا يدل دائما على الضعف والهوان «...بل نجد في الإعداد دليلا على مدى عناية الخطيب بموضوع خطبته واهتمامه بجمهوره الذي ينتظر منه النفع، وينبغي تحصيل الفائدة»⁷ ، أضيف إلى مجموعة محاسن أخرى نذكر منها ما يلي⁸:

¹ ينظر "فرسان المنابر" ، ج 1 ، ص 101.
² "الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي" ، إبراهيم عرقوب ، ص 241.
³ ينظر "نفس المرجع" ، ص ن .
⁴ ينظر " فن الخطابة " أنوال القوال ، ص 29.
⁵ "الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي" ، ابراهيم أبو عرقوب ، ص 241.
^{*} مثل خطبة 2013/07/19، قناة المغربية 2M أين ظهر الخطيب وفي يده قصاصات صغيرة مرتبة، ينظر إليها من حين إلى آخر لتذكر الأفكار المتعلقة بموضوعه (الزكاة)

⁶النسيان : هو عدم القدرة على الاحتفاظ أو التثبيت....نقصد خروج الصورة النفسية من ساحة الشعور.....» ، "المدخل إلى علم النفس العام" ، مروان أبو حويج ، دار اليازوردي العلمية ، للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، 2006 ، ص 96 وهو أيضا « الفشل في استرجاع المعلومات التي سبق تعلمها » ، علم النفس العام ، رمضان محمد القدافي ، ص 236

⁷ "خصائص الخطبة والخطيب" ندير محمد مكتبي ، ص 174.

⁸ ينظر " فقه الخطابة " ، "فرسان المنابر" ، ج 1، ص 100.

- 1- الشعور بالأمان والثقة أكثر، لوجود مخطط أمام الخطيب يستند إليه في إلقاء كلامه.
 - 2- صحة الكلمات لغويا بحيث يتسنى له مراجعتها وضبطها.
 - 3- ضبط الوقت ، وتحديدته إلى أمد معين.
 - 4- استقامة الأفكار وبلوغ غاياتها دون انقطاع.
 - 5- وضوح الموضوع وانضباطه من التشتت.
 - 6- اكتمال الفائدة المقصودة.
- وتكون الخطبة المعدة مسبقا – كما سبق الذكر – إما مكتوبة ، أو محفوظة وللتفصيل أكثر أقول :

1-4- المكتوبة : (الإعداد الكتابي) وإن كانت لها محاسنها فإنها كثيرا ما تنقص من فاعلية التأثير ، إذ يتحول العرض فيها إلى إفهام الجمهور دون إعطاء اعتبار إلى أثر يشد انتباههم اعتمادا على أسلوب الأداء المباشر الفصيح والمقنع المرتجل الذي يعطيها حيوية وفاعلية قد لا تتوفر في الخطابة المكتوبة أو المحفوظة¹.

كما قد لا يستطيع الملقى المعتمد على الورقة من التكيف مع جمهوره ، مما يقلل من اهتمامهم عن متابعته بشكل مستمر، بل وقد ينصرفون عنه لاستدامة خفض الرأس باتجاه الورقة وعدم النظر إليهم ، فهي تجعل الخطيب في معزل عن الجمهور رغم حضوره مما ينتج اتصالا غير كامل، يفضي بالضرورة إلى قلة التفاعل مع الجمهور².

ولعل قلة التفاعل هنا يكون بلا شك نتيجة غياب لغة الحركات والإشارات التي لا بد أن تتبع اللغة المنطوقة باعتبارها مكملة لها في تحقيق التأثير والفاعلية، والمكون المهم والأساسي لعملية الإلقاء³ ، أضف إلى أن خطيب الورقة بنبرته الثابتة يمضي بالمستمع على نبر يفرض عليه الغفلة والشرود إن لم نقل النوم أحيانا⁴.

¹ ينظر " الخطاب الديني وإستراتيجية التّواصل " دراسة فن الإلقاء ، بلحزري بلوفة ، ص 123 وما بعدها.

² ينظر " فن الإلقاء " ، محمد على ، ص 46

³ ينظر "فرسان المنابر" ، " فقه الخطابة " ، ج 1 ، ص 100

⁴ ينظر " الخطابة بين النظرية والتطبيق " ، محمود عمارة ، ص 103 ، 104.

والإعداد الكتابي هنا - كما سبق الذكر- لا يقتصر على تهيئة المعاني وكلماتها في الذهن وحسب وإنما كتابتها إما على شكل رؤوس أقلام حتى لا يشرذم الخطيب عن عناصرها الأساسية، وإما أن يكتب الموضوع كاملا في أوراق يبسطها أمامه، وقد يكون للخطيب عذر في اتخاذ هذه الطريقة في موضعين.¹

- إذا كان يتناول قضية علمية تكثر فيها القواعد والنظريات، والإحصائيات التي تستلزم الدقة.
- إذا كان مبتدئا في مجال الخطابة قليل الزاد، ضعيف الثقة، فهو هنا يكون أحوج إلى ورقة يسند إليها.²

إذ كثيرا ما يكون خطيب الورقة في واد، والمستمعون في واد آخر لأنه يسير مع أفكاره المنقوشة لا مع أفكار مستمعة فـ «...يأتي خطابه جافا بارد الألوان بعيدا عن الطبيعة الإنسانية»³، المفعمة بالمشاعر والأحاسيس. فمن أين يتأتى له التأثير؟

يقول أحد الكتاب وهو يصف خطيب الورقة: «إذ استوى على منبر الخطابة أخرج من محفظته أوراقا فنشرها أمامه على الترتيب وشرع يخطب مطمئنا، وهو يفتخر في هذا بنفسه بأنه سيثبت عقيدته لتسكن روح سامعيه، لأنه وزن أدلته وحررها وأعد شيئا كثيرا من الإحصاءات والحجج...»⁴، ولكن أين هو وزن تأثيره الذي غاب بغياب حضوره، لأنه في موقفه هذا كان حاضرا غائبا، حاضرا بحضور الورقة وغائبا بغياب آلياته الانفعالية وحركاته وأحاسيسه وعاطفته، ونبرته وقوته التعبيرية... الخ، هذا بالتأكيد سينتج عنه اتصال خطابي ناقص إن لم نقل فاشلا.

¹ ينظر " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد ، ص 177.

² لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع ، ينظر "الخطابة" ، محمد أبو زهرة ، ص 114.

³ " فن الخطابة ، إكساب الثقة " ، ديل كارينجي ، ص 48.

⁴ "الخطابة بين النظرية والتطبيق" ، محمد عمارة ، ص 108.

4-2- المحفوظة :

هناك من الخطباء من يرى فيها فاعلية أكثر من المكتوية فيحفظ خطبته عن ظهر قلب، حتى أنه قد تتاح له فرصة التمرن عليها في نفس المكان الذي سيلقي فيه خطابه أو أمام المرأة¹، وتسمى هذه العملية بالإعداد الذهني، وهو أن يهيئ الخطيب أفكاره ويحفظها في الذهن قبل إلقائها².

وهذا النمط نادر، وقلما يعتمد عليه الخطباء، وذلك خوفا من نسيان جزء قد يؤول إلى نسيان باقي أجزائها، إذ في مثل هذا الموقف يظهر المتكلم للمتلقين على أنه يلقي خطبة ارتجالية إلا أن عامل الذاكرة قد يخونه في أي وقت لسبب من الأسباب فيوقعه في موقف حرج أمام الجمهور، مما يكشف حقيقته، إلا إذا كان ذا شخصية قوية محصنة بالثقة التي تجعله يتجاوز الوضع دون أن يظهر شيء من الزلل الذي وقع فيه³.

إذ يكون فشل الخطيب ذريعا إذ ظهر عليه شيء من الارتباك أو القلق أو الغضب لأنه وجد نفسه فجأة خاليّ الذهن، وبدأ يحدق إلى مستمعيه صامتا عاجزا عن الاستمرار، إنه لموضع صعب يجعله يخسر الموقف كله وكل ذلك تسبب فيه النسيان .

يقول ديل كارينجي : « إن ما من رجل يتباهى بذكائه، يؤخر تحضير خطابه إلى ما قبل

إلقائه بليلة واحدة، فإن فعل ذلك، ستقوم ذاكرته بهيس⁴بب الضرورة بالعمل ضمن نصف مقدرتها الممكنة⁵»، مما يعرضه للنسيان، هذا يعني أن الذي يجلس ليحفظ خطابه بالتركرار مرارا حتى يسيطر على ذاكرته، يستخدم ضعف الوقت والطاقة الضرورييتين لتحقيق النتائج ذاتها عندما تجري عملية التكرار في فترات منفصلة - متباعدة - أي بمعنى أن الخطيب الذي يحفظ الخطبة يجب أن يحفظها قبل موعد إلقائها بفترة طويلة حتى يكررها بين فترات الفراغ، لتكون نسبة ترسيخها في الذاكرة أعلى .

¹ ينظر " المرشد إلى الخطابة " ، كريس ستيوار ذومايك ولكسون ، ص 22.

² ينظر " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 176.

³ ينظر " الخطاب الديني وإستراتيجية التواصل ، بلحضري بلوفة ، ص 125.

⁴ « إن عمليات التذكر هي المسؤولة عن الاحتفاظ بكل ما نتعلمه سواء كان على المدى القريب أو البعيد بدون استثناء» ص 43، علم النفس العام ، رمضان محمد القدافي ، ص 263.

⁵ " فن الخطابة ، اكتساب الثقة " ، ديل كارينجي ، ص 57.

كما ينصح ديل كارينجي كل خطيب وهو في مأزق ذهني (في موقف نسيان) أن يستخدم آخر كلمة أو عبارة أو فكرة في جملته الأخيرة من أجل البدء بجملة جديدة، فهذا سيولد له سلسلة من الأفكار تجعل خطابه يستمر وتمنعه من الوقوع في الصمت المحرج الذي يضعه في موقف كارثي.¹

1- ينظر " فن الخطابة ، اكتساب الثقة " ، ديل كارينجي ، ص 57.

المبحث الثالث

(I) - طرق جلب الانتباه: (اعتمادا على مصادر المضمون الخطابي)

إن تعامل الأفراد مع بعضهم البعض، ومع البيئة المحيطة بهم يتطلب وعيا بها من أجل القيام بعمليات التكيف الضرورية عن طريق خاصية الانتباه إلى ما يجري من حولهم وإلى الأحداث التي تهمهم « فالانتباه¹ هو أساس الإدراك² والتعلم والتذكر...»³.

ولأجل هذا يلجأ الخطيب في خطابه الموجه إلى الاستعانة بالاستشهاد ليضفي على كلامه المصدقية التي يثير بها انتباه المتلقي ويقوده إلى التصديق والاستشهاد، والاستدلال هو الإتيان بنص قرآني أو حديث شريف أو قول منثور أو منظوم أو قصة أو مثل أو تشبيه... يقوي بها الخطيب حجته ويدعم بها قوله ليكون أقرب إلى السامعين.⁴

فالمعلوم عند عامة الناس أن « أية فكرة يود أن يطرحها إنسان ما على جمهور من الناس لا تجد وقعا في نفوسهم وقبولا كاملا في عقولهم، ما لم يدعمها بالشواهد المناسبة التي تستحوذ على ثقتهم، وتكسب قناعتهم...»⁵

لهذا على الخطيب أن يدعم رسالته بتقديم أدلة وعبارات تشتمل على معلومات واقعية أو آراء أو أقوال منسوبة إلى مصادر أخرى غير كلامه الشخصي.⁶ لأن الشاهد القوي لا

¹ الإنتباه من النبه بالضم : الفطنة، ونبهته فتنبة، وأنتبه، وما نبه له : ما فطن ، القاموس المحيط الفيروز آبادي مادة "نية" ص 1258.

والإنتباه عبارة عن عملية توجيه وتركيز للوعي في منبه ما له ثلاث خصائص وهي :

- 1- يحسن المعالجة العقلية (تقديم الأحسن من الانتباه).
 - 2- يستنزف الجهد (التركيز الطويل والانتباه يترك الإنسان تعباً).
 - 3- يتصف بالمحدودية التركيز في أمر ما لا يبقى إلا القليل من الانتباه للتوجه إلى أمر آخر غيره)
- ينظر، أساسيات في علم النفس ، جنان سعيد الرحو ، الدار العربية للعلوم ، ط1 ، 1426هـ/2005م ص 132.

² إذ هناك فرق بين الانتباه والإدراك ، فبينما يشير الأول إلى تركيز الشعور على شيء ما ، فالثاني يهتم بمعرفة ذلك الشيء الذي انتبهنا إليه ، : " علم النفس العام" ، رمضان محمد القدافي ، ص 227.

³ ينظر " علم النفس العام " ، رمضان محمد القدافي ، ص 227.

⁴ ينظر ، " قوة الإقناع " ، علي الحمادي ، الإبداع الفكري للنشر والتوزيع، الكويت، ط1 ، 2010م/1431هـ ، ص 139،126،89،69

⁵ " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 98.

⁶ ينظر " من مبادئ علم النفس " ، محمد بني يونس، دار النشر والتوزيع، عمان – الأردن ط1، 2004، ص 194.

تختلف حوله العقول، ويعتبر قوة تساهم بشكل مباشر وفعال في تثبيت الأفكار والمعاني الملقاة، لذلك يعد مصدرا من مصادر المضمون الخطابي الذي يعطيه الشرعية المطلقة ويزيد من قدرة القائم بالاتصال على الإقناع.

وهذا ما يعرف - أيضا - بآليات الحجاج التي تعتبر "الجزء الأساسي من النظام الخطابي"¹، فهي تهتم بإستراتيجية الخطاب الهادف إلى الاستمالة، إستنادا إلى أنماط من الاستدلالات بغاية إحداث التأثير في المخاطب وذلك باستغلال الوسائل اللسانية والمقومات السياقية التي تجتمع لدى المتكلم من أجل توجيه خطابه الإبلಾಗಿ نحو تحقيق الغاية.

وهذه الحجج ما هي إلا صور و «...بنيات مستمدة من الواقع الماضي، بما تختزنه من تجارب إنسانية وأحداث تاريخية أو شخصية تترجمها الحكم والأمثال والحكايات والكنيات وغيرها...تكون معروفة من قبل، ذات قيم مجتمعية، تحظى باحترام واهتمام الأفراد والجماعات، وتستخدم داخل القول الحجاجي للإقناع بما تقدمه من تصور يحضى باحترام واهتمام وتجريد للأشياء والأحداث وما تتضمنه من مشابهة يستدعيها سياق القول الحجاجي...»²

ولهذا التداول الحجاجي ضوابط يجب على المرسل أن يلزم بها، أهمها:³

- 1- أن يكون الحجاج ضمن إطار الثوابت، منها الدينية والمعرفية، فليس كل شيء قابلا للنقاش أو الحجاج، فهناك من المسلمات ما يجب احترامها.
- 2- أن تكون دلالة الألفاظ محددة والمرجع الذي يحيل عليه الخطاب محددًا، لئلا ينشأ التباس ومشكل في تأويل المصطلحات.
- 3- ألا يقع المرسل في تناقض بقوله أو فعله، كمن يدعي أنه محترم لحقوق الحيوان بالحجة، وهو يرتدي معطفا صنع من أجود أنواع الجلود الحيوانية.
- 4- موافقة الحجاج لما يقبله العقل، وإلا ظهر زيف الخطاب ووهن الحجة.

¹ "الحجاج"، كريستيان بلاتيان، تر عبد القاهر المهيري، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة تونس، 2008، ص 17.

² "عندما نتواصل نتغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج"، عبد السلام عشير، إفريقيا الشرق المغرب ب ط، 2012، ص 67.

³ ينظر "استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية"، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، ص 465 - 468.

5- توفر المعارف المشتركة بين طرفي الخطاب، مما يسهل قبول المتلقي لحجج واستشهادات الملقى، وإلا انقطعت عملية الفهم والإفهام بل والإقناع برمتها.

6- مناسبة الخطاب الحجاجي للموقف العام، لأنه الكفيل بتسوية الحجج الواردة في الخطاب من عدمها.

7- ضرورة خلوه من الإبهام والمغالطة اللذين يسببان الالتباس والغموض وبذلك التشتت الفكري عند المتلقي مما يقطع سيرورة العملية الإقناعية.

فالخطاب الإقناعي هو في حد ذاته خطاب حجاجي بالدرجة الأولى يسوق الاستشهاد والحجج والاستدلالات على ذلك الموقف أو الرأي ليحمل الآخر إلى الأخذ به والتسليم بمعطياته.¹ حتى أن "الخطاب الذي يبدأ وينتهي دونما استشهاد...إنما هو خال وفقير لا يجدي نفعا".²

وذلك لأنه:³ 1- يرتبط استخدام الاستشهاد في الرسالة بإدراك المتلقي لمصادقية المصدر.

2- تحتاج بعض الموضوعات لأدلة أكثر من غيرها وخاصة الغير مرتبطة

بالخبرات السابقة للمتلقى.

ومن أهم الاستشهادات التي تعد طرقاً من طرق جذب الانتباه من جهة وصوراً من صور

الحجاج من جهة أخرى ما يلي:⁴

1- الاستدلالات:

تلعب «...دورا مهما في نقل الخطيب لمنطوقه بشكل يضيف عليه نوعاً من المصادقية

في مرجعية معلوماته وتوثيقها وتأييدها»⁵، إذ مهما كانت قدرات الخطيب عالية فإنه لا يمكن

أن يخلو خطابه من الاستدلالات التي تؤكد كلامه بالحجة المقنعة «... وإلا لم تجد في نفوس

المستمعين وقعا ولا في عقولهم قبولا كاملاً»⁶

¹ "عندما نتواصل نتغير"، عبد السلام عشير، ص 128.

² "فن الإلقاء"، محمد علي، ص 101.

³ ينظر "من مبادئ علم النفس"، محمد بني يونس، ص 194.

⁴ "معلومات حول صور الحجاج"، ينظر، "في بلاغة الخطاب الإقناعي"، محمد العمري، ص 69.

⁵ ينظر "الخطاب الديني وإستراتيجية التواصل"، دراسة فن الإلقاء، بلحزري بلوفاة، ص 130.

⁶ "الخطابة والخطيب"، محمد سمير الشاوي، ص 78.

يقول في ذلك أحمد بن راشد : « ويستخدم الخطيب الاقتباس عندما يشعر بالحاجة إلى إقناع الجمهور بفكرة ما، فيختار ما يناسب الفكرة ويؤيدها بوضوح، كما يختار مصدر الاقتباس الذي يحترمه الجمهور أو يثق فيه، ففي خطبة الجمعة قد يورد الخطيب آيات قرآنية أو أحاديث أو أقوالاً لفقهاء ولمؤرخين، مما يدعم الأفكار الواردة في الخطبة».¹ ويكون الاستدلال بـ :

1-1- القرآن الكريم : من أهمها وأولها، فهو مصدر الاستشهاد والحجة الكبرى والدستور الإلهي المبين الذي يحمل من الحقائق والأسرار ما يعجز العقل البشري* فهو «أوثق مصادر معرفة الحقائق والمعارف المتعلقة بشتى أحوال المخلوقات في مختلف مجالات الحياة».²، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى ذلك في قوله: « مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (38) ».³

وفي إيراد الاستدلالات من القرآن الكريم شروط على الخطيب الأخذ بها وهي:⁴

1- الحفظ المتين للنص القرآني المستدل به، وعدم الوقوع في الخطأ في الكلمة والحرف والحركات.

1- حسن تلاوة ذلك النص، والحرص على النطق بكلماته وأحرفه نطقاً صحيحاً « ورتل القرآن ترتيلاً ».⁵

3- أن يكون الاقتباس كاملاً حفاظاً على كمال المعنى، ومناسبتة لما يطرح في الموضوع من أفكار حتى يكون الفهم كاملاً، فلا يكتفي المستدل مثلاً بقوله تعالى : « لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ...» دون أن يكمل الآية «... أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

¹ "فن الكلام ، مدخل إلى الاتصال العام" ، أحمد بن راشد ، جبل الشيخ ، للإعلام والنشر ، 1998 ، ص 37 ، 38 ، * ومثال ذلك استدلال الخطيب في خطبة عن طاعة الوالدين بالآيات الكريمة : لقمان 14، الإسراء، 23، 24، الرحمن 60، خطبة 2013/07/26، الشروق نيوز، والاستلال في خطبة عن التقوى بالآيات الكريمة: الأنفال، 2، الحشر، 21، البقرة 197 ، خطبة 2013/09/06، المغربية 2M.

² "خصائص الخطبة والخطيب" ، نذير محمد مكتبي ، ص 106.

³ سورة الأنعام ، الآية 38.

⁴ ينظر "خصائص الخطبة والخطيب" ، نذير محمد مكتبي ، ص 110 ، 111.

⁵ سورة المزمل ، الآية 3.

أَخْوَاتِكُمْ أَوْ بِيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بِيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بِيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بِيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحَهُ...»^{1*} ، لأن ذلك ينقص في المعنى.

2-1- الحديث الشريف :

وهو أعظم شاهد منزلة بعد القرآن الكريم فهو « الحجة التي يبليج فيها الحق ناصعا مشرقا ، واستبانة في أرجائها الحقائق، لا لبس فيها ولا غموض »².

فهو الرسول الحبيب الذي أتاه الله من العلم والمعرفة ما لم يؤت به أحد، غيره من البشر لقوله تعالى: « وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا »³

ومن شروط الاستدلال بالحديث الشريف** ما يلي:⁴

- 1- التأكد من صحة نسب الحديث إلى رسول الله (ص)، ويتم ذلك بالرجوع إلى مصادر الحديث الشريف كصحيح البخاري، ومسلم، وسنن الترمذي، والنسائي، وسنن إلى ابن داود.... وغيرهم.
- 2- تحري الدقة في نقله ومعرفة الراوي من الصحابة، وحفظا متنه حفظ جيدا ونقله بألفاظه دون التصرف فيه.
- 3- تجويد قراءة الحديث، وهو أن يخص الخطيب الحديث الشريف بنمط خاص من القراءة تميزه عن سائر كلامه.
- 4- تفسير معاني الكلمات الغامضة والعبارات التي قد يخفى معناها على المتلقين.

* خطبة 2013/09/27، قناة أزهر (المصرية)

¹ سورة النور ، الآية 61.

² "خصائص الخطبة والخطيب"، ندير محمد مكتبي ، ص 112.

³ سورة النساء ، الآية 113.

**كاستدلال الخطيب في موضوع "الطلاق"، خطبة 2013/06/21 ، قناة الجزائرية. بقول الرسول (ص): " لا تُطَلِّقُوا النِّسَاءَ إِلَّا مِنْ رِبِيَّةٍ ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُحِبُّ الدَّوَّاقِينَ وَلَا الدَّوَّاقَاتِ " ، وقوله "ص" "أَبْغَضُ الْحَقِّ إِلَى اللَّهِ الطَّلَاقُ" ، رواه داود ، وقوله: "كُلُّ طَلَاقٍ جَائِزٌ إِلَّا طَلَاقَ الْمُغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ" رواه البخاري .

⁴ ينظر "خصائص الخطبة والخطيب"، ندير محمد مكتبي ، ص 114 ، 118.

2- القصص :

إن إيرادها "أمر مهم في العملية الإقناعية"¹، فهي من الوسائل المساعدة على التمثيل اللفظي وتثبيت الفكرة وتوضيحها، و أداة من أهم أدوات التشويق وجلب الانتباه إذ "...لها سحرها الخاص، وتأثيرها الفذّ على الصغير والكبير والمتعلم والجاهل والرجل والمرأة والغني والفقير، والمسلم والكافر"².

يقول ديل كارنيجي في كتابه: "ربما تسأم الناس إذا ما تحدثت عن الأشياء والأفكار، لكن كلما تفشل في جذب انتباههم عندما تتحدث عن الناس...."³، ويضيف قائلاً: "وأدركت من خلال التجربة أنه من أجل جذب انتباههم يجب أن أسرد لهم قصصا * عن الناس..."⁴

فالإنسان ميال لسماع القصص، إذ يجد حلاوة في سماعها وفي أخذ العبرة منها، خصوصا إذا كانت واقعية حدثت لشخص ما في زمن ما، فهي تعرض أحداثا تبقى راسخة في أذهان وشعور المستقبلين مدة طويلة، لأنها تلبّي حاجة الميل الفطري في الإنسان إلى سماع القصص، فهي تشبع ملكة الخيال والاطلاع، أضف إلى تحقيق الامتاع والتسلية من خلال الوقائع المشوقة التي تعزز القيم الإيجابية في النفس.⁵

فهي نوع من أساليب الترويح عن النفس واستثارة الفضول مع تسهيل وتيسير العملية الإبلاغية في الوقت ذاته بين المتكلم وجمهوره.⁶، لأنها تمتاز بالبساطة والمباشرة وتمثيل الأحداث أمام العيان، واستحضار ما هو غائب، هذا يجعلها "أحد الأساليب التربوية والتعليمية الناجحة لما يتوفر فيها من تشويق وتعامل مع واقعية النفس البشرية"⁷.

1 "قوة الإقناع" علي الحمادي، ص 126.

2 "المرجع نفسه"، ص ن.

3 "فن الخطابة اكتساب الثقة"، ديل كارنيجي، ص 148.

* مثلما تعرض الخطيب وهو في خضم معالجة السبيل الأمثل لمواجهة غلاء المعيشة إلى سرد قصة سيدنا إبراهيم الخليل عندما ألقى زوجته وابنه إسماعيل بواد غير ذي زرع، وما سعت إليه هاجر بين الصفا والمروة حتى فجر لها الله ماء، فرزقها من حيث لا تحتسب، خطبة 2013/07/19، قناة الجزائرية.

4 "فن الخطابة، اكتساب الثقة"، ديل كارنيجي، ص 148.

5 ينظر "مهارات التأثير والإقناع عقد المعلمين"، بدر الحسين، دار الفكر دمشق، ط1، 2012م، ص 163.

6 "الخطاب الديني وإستراتيجية التواصل"، دراسة فن الإلقاء، ص 126.

7 "قوة الإقناع"، علي الحمادي، ص 126.

وقد أكد الله تعالى في كتابه على أهمية القصة ودورها الكبير، فهي عبرة وتذكير وتبصير في قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»¹.

إذ ورد في القرآن الكريم الكثير من قصص الأنبياء مثل قصة عيسى وموسى ويونس عليهم السلام، وأصحاب الكهف والأخدود وغيرهم. وطريقة القرآن في سرد القصص لا تعتمد إلى ذكر التفاصيل فقط كذكر أسماء الأشخاص والبلدان والتواريخ ونحوها، وإنما تهتم بالعبرة بالدرجة الأولى، فالقصة في القرآن تتضمن الكثير من الحقائق والأسرار العلمية والتوجيهية والتشريعية، مما يجعلها تنفذ إلى النفس والعقل.²

كما تعج السنة النبوية أيضا بالقصص الهادفة التي تحمل من التذكير والتدبير والموعظة ما يوجه الناس إلى الصلاح والخير.³

ويحدث الإقناع الفكري في الأسلوب القصصي بعدة طرق منها :

1- الإيحاء والاستهواء والتقمص.

2- التفكير والتأمل (فهو لا يخلو من محاورات فكرية مثل الصراع بين الحق والباطل).

3- فيها إقامة الحجة.⁴

4- تلبية حاجة الميل الفطري في الإنسان إلى الحكاية والقص.⁵

فالسامع يتفاعل مع المتكلم بكل جوارحه إذا كان كلامه بأسلوب قصصي، فقد يستمر

سماعه لساعات، دون ملل لما يثيره من شوق وتركيز وانتباه وإنصات جيد.⁶

¹ سورة يوسف، الآية 111.

² "فرسان المنابر"، "فقه الخطابة"، ص 172.

³ ينظر "قوة الإقناع" علي الحمادي، ص 126.

⁴ ينظر "كيف تقنع الآخرين"، عبد الله الغوشن، ص 99.

⁵ ينظر "مهارات التأثير والإقناع عقد المعلمين"، بدر الحسين، ص 163.

⁶ ينظر "قوة الإقناع" علي الحمادي، ص 134، 135.

4- المثل:

والتمثيل¹ هو أيضا ضرب من الأساليب، تستخدم لتأكيد صحة الافتراضات والحقائق، وتعتبر من الدعائم الكبرى في الخطابة الدينية لما تحققه من أثر ومنفعة². فهو "حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها، ويراد استنتاج نهاية أحدهما بالنظر إلى نهاية مماثلها"³. أو بمعنى آخر "هو عقد الصلة بين صورتين ليتمكن المرسل من الاحتجاج وبيان حججه"⁴.

ونظرا لأهمية التمثيل عقد له الجرجاني فصلا إذ يقول: "في مواقع التمثيل وتأثيره" "مما أنفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة [...] فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم [...] وإن كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر"⁵.

ويقول على محفوظ: "والخطيب أحوج الناس إلى ضرب الأمثال وأنواع التشبيه في الوصول إلى غايته من نفس السامع"⁶، كقول الخطيب عن العلماء: «فهم أمناء الشرع ومصايح الجنة».*

والأمثلة تتجسد في التشبيه والاستعارة والكناية⁷، التي تسهل العملية الإفهامية من جهة، وتثري المضمون من جهة أخرى، حتى إن «...استخدامها لا يقف عند ضرب المثل المشهور في الكتب وعلى الألسنة فحسب، بل إن الأمر يتعدى ذلك إلى الاستعانة بالأشياء المادية والأشياء الملموسة المحسوسة...»⁸، إذ يقول "على محفوظ" عن الخطيب:

¹ والمثل بالكسر الشبه، والمثل: الحجة، وتمثل بالشيء ضربيه مثلا، ومثله له تمثيلا، صورته له حتى كأنه ينظر إليه القاموس المحيط، الفيروز بادي، مادة مثل، ص 1205.

² في قول أرسطو: "وما أنفع المثل في الكلام" فن الخطابة، ص 196.

³ "في بلاغة الخطاب الإقناعي"، محمد العمري، ص 82.

⁴ "استراتيجيات الخطاب"، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، ص 497.

⁵ "أسرار البلاغة"، عبد القاهر الجرجاني، محمد عبد المنعم خفاجي، عبد العزيز شرف، دار الجيل، بيروت، ط1 1991م، ص 118، 119.

* خطبة 2013/06/21، قناة السنة النبوية.

⁶ "فن الخطابة وإعداد الخطيب" على محفوظ، ص 18.

⁷ ينظر "بلاغة الخطاب الإقناعي"، محمد العمري، ص 93.

⁸ "كيف تقنع الآخرين" عبد الله بن محمد، ص 101.

« أنه إذا حصل على ملكة الاقتدار فله أن يبتكر ما شاء من وسائل التأثير التي يراها أنجع للوصول إلى ما يريد.»¹

فأحيانا "يصعب على المستمع العادي أن يتتبع العبارات المجردة طويلا، لكن من السهل عليه الاستماع إلى الأمثلة"² مثلما الحال في القصص، لأن فيها تقريب المعاني بالمقايسة والمشابهة، وهذا أمر مأنوس لديه « حيث يتكيف بذهنه وأحاسيسه إلى ذلك المأنوس المؤلف «³، خصوصا إذا كانت مصاغة من سلوكيات الناس اليومية ومعاملاتهم الروتينية، أو من خلاصة تجارب العقلاء من الأجداد⁴، إذ عندما يوردها في كلامه فإنها تعكس وقائع وأحداث على نحو يسير يجعلها ترسخ الفكرة ومعناها أكثر عند المتلقي، « فالمثل وثيقة تدعم الأقوال والأفكار، وتحلها من نفوس المخاطبين وقولهم مدخل القبول، وفي ضربة استنهاض لهم المستمعين في حسن إقبالهم على ما يملى عليهم وتوضيح ولمعالمه وانتناس لنفوسهم وترويح لقلوبهم «⁵، فهي تضي على الخطاب الديني المتانة والقوة والحيوية، إضافة إلى أنها تضي الجانب التعليمي على الجمهور.

وقد ساق لنا القرآن في آياته الكريمة أن ضرب لنا الأمثال ، في قوله تعالى : « وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ »⁶ وقوله « كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ »⁷ وقوله : « كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الْأَمْثَالَ »⁸

فالقرآن يعج بضرب الأمثلة للتذكير والتفكير ، وهذا أبرز دليل على ما لها من أثر على المتلقين. وفي أحاديث الرسول "ص" الأمر ذاته في قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى »⁹. وفي قوله : عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ

¹ "فن الخطابة" على محفوظ، ص18.

² " فن الإلقاء " ، محمد على ، ص 155.

³ " خصائص الخطبة والخطيب " ، ص 130.

⁴ ينظر " بلاغة الخطاب الإقناعي " ، محمد العمري ، ص 93.

⁵ " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 131.

⁶ سورة إبراهيم ، الآية 25.

⁷ سورة محمد ، الآية 3

⁸ سورة الرعد ، الآية 17

⁹ "صحيح مسلم" ، الحسن مسلم بن الحجاج ، دار حياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2000م ، ص 1103.

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَمَثَلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ »¹، من هنا نلمس أهمية المثل ودوره الفعّال في تقريب المعنى وإيصاله، وهو أنواع:²

- 1- ما يجري على ألسنة الناس وما يشيع على أهاديئهم.
 - 2- سوق الحادثة أو القصة في التشبيه بغية الاعتبار بخاتمتها مثلما جاء في قوله تعالى : « وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ »³.
 - 3- القصص الرمزية التي تكون الغاية من وضعها الاعتبار فقط.
 - 4- الحكم والحكايات التي تروى على ألسنة الحيوانات.
 - 5- التمثيل بالمحسوسات لإدراك المعنويات وعكسه.
- 5- الأقوال المأثورة :

- 1- أقوال الصحابة رضي الله عنهم، فهي الحجة بعد كلام الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث كانوا أقرب الناس إليه، عاشوا معه، ونهلوا منه الكثير من العلم والمعرفة فأشرفت قلوبهم وعقولهم بالمعرفة والإيمان.
- 2- أقوال السلف الصالح وهم أولئك الذين عاصروا الصحابة وساروا على دربهم ونهجهم كأن يذكر الخطيب في موضوع "فضل العلم في الحياة"، قول عمر بن عتبة لمعلم ولده: "ليكن أول إصلاحك لولدي، إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك...".*
- 3- أقوال علماء الإسلام وهم الذين جاؤوا بعد عهد السلف إلى أيامنا هذه، والتي جمعت آراؤهم وأقوالهم في مؤلفاتهم ورسائلهم كالغزالي، وابن قيم جوزية وغيرهما.....⁴
- 4- ثم تأتي المراجع، فلكل إنسان نماذج و قدوات يرفع من مكانتها ويجعل لها منزلة تفوق منزلة الآخرين، من هنا فإن كلام هؤلاء المراجع ومواقفهم لها اعتبار خاص في نفوس

¹ ينظر "خصائص الخطبة والخطيب"، نذير محمد، ص 132، 133.

² وتمامه: «...فَمَثَلُ الْمِسْكِ، إِمَّا أَنْ يُجْدِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَأَمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحَرِّقَ

ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»، المرجع نفسه، ص 1116

³ سورة النحل، الآية 112

* خطبة 2013/07/05، قناة الجزائرية 3.

⁴ خصائص الخطبة والخطيب"، نذير محمد مكتبي، ص 114 - 118.

أتباعهم من المستمعين المتلقين للخطاب .¹

5- الطرائف :

إن الحديث إلى الجمهور يتطلب فطنة وذكاء من الخطيب ، فلا يسير على وتيرة واحدة طيلة خطابه، وإنما عليه أن يتخذ المستمع وحالته النفسية بعين الاعتبار، حتى لا يأخذه الملل والسأم إلى الانصراف عن الكلام الموجه والامتناع عن الموضوع وفائدته.

وإيراد دعابة أو طرف أثناء كلامه قد تبعد هذا الاحتمال السلبي لأنها تخرج المستمع من جو الجدية المطلقة إلى جو الدعابة والتنفيس عن النفس والمرح، إضافة إلى أنها تعطي انطباعاً برغبة المرسل في التضامن مع المرسل إليه وتحقيق الارتياح له.²

ولكن لا يكون ذلك بطريقة عشوائية، وإنما بعد التأكد أولاً من صلاحية هذه الدعاية للذوق العام ومناسبتها للموضوع³، ثم تبين أثرها في تجديد الانتباه وإنعاشه، فلا تمس أي جماعة أو فرد أو اتجاه أو فرقة، ولا تصل إلى درجة كبيرة من الإسفاف في القول والتجاوز إلى القول الفاحش.⁴ وإنما تكون محفزا للمتلقي على متابعة الإنصات لما يلي هذه الدعابة من خطاب .

يقول كريس ستوارد في هذا الموضوع : « يمكن استعمال تشكيلة من الطرائف كحشوات تبطن بها قطع كبيرة من الخطاب عندما لا يكون عندك شيء ممتع حقاً...»⁵، لأنها تخلق نفساً جديداً ينعكس إيجاباً على العمل الاتصالي كونها تكسر روتين الخطاب المتدفق. حتى إنه قد « يتجاوز المرسل عند التلّفظ بالطرفية، مجرد دورها في التسلية إلى بعد أهم، وهو التقارب بينه وبين المرسل إليه، وقد يكون هو القصد الأهم عنده، لذلك كانت هي مفتاح تأسيس العلاقة في كثير من السياقات»⁶، لهذا فلا بأس بشيء منها ، لبعث الاتصال بين الخطيب والجمهور وجعله أكثر حيوية وسيرورة بإزالة الفوارق والرسميات بينهما.

¹ ينظر "قوة الإقناع" ، على الحمادي ، ص 83 .

² ينظر "إستراتيجية الخطاب" ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، ص 312.

³ " فن الكلام" ، مدخل إلى الاتصال العام " ، أحمد بن راشد ، ص 51 .

⁴ ينظر "إستراتيجية الخطاب" ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، ص 312.

⁵ " المرشد إلى الخطابة" ، كريس ستوارد ، ص 19.

⁶ "إستراتيجية الخطاب" ، عبد الهادي ، ص 311.

5- الأَشْعَارُ :

أما الشعر فهو كلام وديوان العرب يزخر بأنواع رائعة منه، وهي لا تقل أهمية عن غيره، فهو حجتهم في العربية من نحوها وصرفها وبلاغتها وبيانها، وهو سجل التاريخ من أقدم وسائل الاتصال، يقول ابن خلدون : « وأعلم أنّ فن الشعر من بين الكلام كان شريفاً عند العرب، ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم وأصلاً يرجعون إليه في كثير من علومهم وحكمهم ».¹

وقد أثنى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام على بعض الشعراء كحسان بن ثابت..... إلخ. فللشعر تأثير على المتلقي لما يحويه من إيقاع وقافية وسجع تطرب له الأسماع فتجعل صاحبها فطنا مستيقظاً، كما يضيفي على الكلام الحجة فهو من أساليب البرهان كالقصيدة التي قالها والد الفتى لرسول الله "ص": بعدما شكاه ابنه إلى النبيّ (ص) بأنه أخذ ماله، والتي بعد أن سمعها النبيّ (ص) حكم لصالحه لما فيها من حجة وبيان والتي قال فيها : "غدوتك مؤلّوداً

وَعَلْتِكَ يَا فَعًّا تَعَلُّ بِمَا أَحْنُو عَلَيْكَ وَتَنْهَلُ

إِذَا لَيْلَةٌ ضَاقَتْ بِكَ السَّقَمَ لَمْ أَبْتِ لِسُقْمِكَ إِلَّا سَاهَرًا أَتَمَلَمَلُ
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالذِّي طُرِقْتُ بِهِ دُونِي فَعَيْنَاي تَهْمَلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالغَايَةَ التِّي إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيهِ أَوْمَلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَقَطَاظَةً كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعَمُ الْمُتَفَضِّلُ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أَبُوتِي فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ*

1"مقدمة " ، ابن خلدون ، ص 588.
*خطبة 26/07/2013، قناة الشروق نيوز.

7- المعلومات الرقمية : (الإحصاءات)

لها أثر بالغ في نفوس البشر « فرقم واحد قد يغنيك عن كتاب، وإحصائية واحدة قد تفعل ما تفعله الخطب الإنشائية التقليدية الطوال ». ¹، فهي من الآليات الحديثة في الحجاج والإقناع.²

فالمعلومات الرقمية تعكس ما تظهر عليه، فهي ليست جامدة وإنما واقع ينبض بالحياة والعاطفة والتأثير والمنطق، فإذا أراد الخطيب أن يشد الانتباه ويحقق الإقناع، فليوظف الإحصائيات والمعلومات الرقمية في ثنايا خطابه، وسيجد الأثر البالغ والقناعة السريعة، والانسحاق المذهل من المتلقين، يقول علي الحمادي: «...أرقام لو أحسن اختيارها وانتقاؤها، وأحسن توظيفها واستثمارها، فإنها تكون سهما صائبا مؤثرا، يتجاوز الحدود ويكسر السدود ويصل مباشرة إلى العقول والقلوب.....»³.

والدليل على أهميتها هو ورودها في القرآن الكريم في آيات متعددة وأحاديث نبوية يقول تعالى: «**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا**»⁴ ، وقوله: «**خَذُوهُ فَعُذُوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ**»⁵.
وقوله : «**إِنَّ أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**»⁶

كما وردت في أقوال النبي (ص) : «**صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَرْدِ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**»⁷.

في قوله : «**مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّيَ اللَّهُ كُلَّ يَوْمٍ اثْنَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا ، غَيْرَ فَرِيضَةٍ،**

¹ " قوة الإقناع " ، علي الحمادي، ص 139.

² " استراتيجيات الخطاب " ، عبد الهادي ، ص 525.

³ " قوة الإقناع " ، علي الحمادي ، ص 147.

⁴ سورة الكهف ، الآية 25.

⁵ سورة الحاقة ، الآية 30-32.

⁶ سورة القدر ، الآية 1-3.

⁷ "صحيح مسلم" ، أبي الحسن مسلم بن الحجاج ، ص 291 .

إِلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»¹ ، وَقَوْلِهِ : الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شَعْبَةً ، وَالْحَيَاءُ شَعْبَةٌ مِّنَ الْإِيمَانِ»².

مما سبق من الآيات والأحاديث يصعب تجاهل الأرقام وما تلعبه من دور في جلب الانتباه وتحقيق الإقناع فالنفس البشرية ميالة إلى التفاعل معها والتأثر بها ومنها³.

¹ " صحيح مسلم " ، أبي الحسن مسلم بن الحجاج " ، ص 323.

² " المرجع نفسه " ، ص 78.

³ ينظر ، " قوة الإقناع " ، على الحمادي ، ص 142 .

❖ الفصل الثالث :

- مقومات الإقناع والإلقاء في الخطاب الديني

المبحث الأول

I- مفهوم الإقناع: 1- لغة

2- اصطلاحا

II- فعالية إستراتيجية الإقناع

III- أهمية الخطيب وأثره الإقناعي

IV - مقومات الإقناع

1 - المقومات العقلية

2- المقومات الأخلاقية

3- المقومات الشكلية

4- المقومات الأسلوبية

المبحث الثاني

I- مفهوم الإلقاء 1- لغة

2- اصطلاحا

II- نشأة فن الإلقاء

III - صفات الخطيب الإلقائي

IV - العيوب النطقية وأثرها على العملية الإلقائية

IIV - قواعد ومهارات فن الإلقاء

1- الإعراب

2- تقطيع الكلام

3- علامات الترقيم

4- التركيز أو التشديد

5- الإيقاع

6- التنغيم

7- النبر

المبحث الأول

إذا كانت الخطابة هي الحصول على قوة التمكن من تحقيق الإقناع باعتبارها صناعة تتكلف الإقناع في كل الأمور الممكنة.¹ فما هو الإقناع، وما هي تقنياته؟

I- مفهوم الإقناع :

1- لغة : لتحديد معنى الإقناع ومفهومه، لآ بدّ من إرجاع الكلمة إلى حروفها الأصلية، فماذا تعنى مادة (ق ، ن ، ع) في قواميس اللغة العربية؟

جاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711 هـ) : « قَنَعَ قَنَعٌ بِنَفْسِهِ قَنَعًا وَقَنَاعَةً رَضِيَ... ويقال : فَلَانَ شَاهِدٌ مُقَنَّعٌ أَي، يُفْتَنَعُ بِهِ... وَيُرْضَى بِرَأْيِهِ وَقَضَائِهِ... وَرَجَالَ مَقَانِعَ وَقُنَعَانَ إِذْ كَانُوا مَرْضِيَيْنِ... وَقَدْ قَنَعَ بِالْكَسْرِ يَقْنَعُ قُنُوعًا وَقَنَاعَةً إِذَا رَضِيَ. »²

وجاء في قاموس المحيط: « القنوع بالضم السؤال والتدلل، والرضى بالقسم ضد... والقنعة »³ ، وكذلك من معاني الإقناع.⁴ ، القنع مستدار الرمل الإقناع : هو مدّ البعير رأسه إلى الماء للشرب.

الإقناع : إمالة الإناء نحو الماء المنحدر.

والإقناع: الإقبال بالوجه على الشيء.

والإقناع: مد اليد عند الدعاء.

والقناع : ما تُعْطِي بِهِ الْمَرْأَةُ رَأْسَهَا.

أما الزمخشري (ت 538 هـ) فجاء في قاموسه : « قَنَعَ إِلَيْهِ سَأَلَهُ ، وَهُوَ مِنْ قَنَعَتِ

الْمَاشِيَةِ لِلْمُرْتَعِ : مَالَتْ إِلَيْهِ... وَفُلَانٌ لَنَا مَقَنَّعٌ : رِضًا يُفْتَنَعُ بِقَوْلِهِ وَقَضَائِهِ وَشَاهِدٌ مُقَنَّعٌ ، وَشُهُودٌ مَقَانِعُ. »⁵

¹ ينظر "الخطابة" ، أرسطو ص 9 .

² "لسان العرب ، ابن منظور" ، ج 11 ، مادة " قنع " ، ص 336.

³ "القاموس المحيط" ، الفيروز بادي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 5 ، 2011 م ، ص 1096.

⁴ ينظر "المصدر نفسه" ، ص 1096 ، 1097.

⁵ "أساس البلاغة" ، الزمخشري ، شر محمد نبيل ظريفي ، دار صادر لبنان ، ط 1 ، 2009 م ، 1430 هـ ، مادة " قنع " ص 527.

هذا التوضيح اللغوي لمادة (ق ، ن ، ع) يقودنا إلى تحديد مفهوم الإقناع في معنيين :

- الإقناع : السُّؤال بتدلل.

- الإقناع الرضى بالشيء والقبول به والميل إليه، ومن تصاريفها اقتنع، يفتنع، اقتناعاً، والافتناع يأتي نتيجة لمحاولات الإقناع.

2- اصطلاحاً:

هو القدرة على أن تجعل النفوس تنقاد إلى القيام بفعل أو أمر بعد توجيهك لها الخطاب. يقول إبراهيم إمام في كتابه "الإعلام الإسلامي" : « أقنعني أي أرضاني ، ويقصد به أن يصبح السامع لك وقد اقتنع بفكرتك لا باعتبارها فكرتك أنت ، ولكنها أصبحت فكرته الخاصة به ، والتي انتقت من داخل نفسه ، وكان لك فضل إثارتها وتحريكها والكشف عنها.»¹ أما عبد الله بن محمد الغوشن في كتابه " كيف تقنع الآخرين " يقول : « هو عمليات فكرية وشكلية يحاول فيها أحد الطرفين التأثير على الآخر وإخضاعه لفكرة ما.»² ويقصد هنا بأحد الطرفين، الخطيب (المتكلم) والمخاطب (المتلقي) وهما قوام العملية الإقناعية باعتبارها عملية اتصالية بينهما، فالإقناع هو كسب تأييد الأفراد لرأي أو موضوع أو وجهة نظر معينة ، وذلك عن طريق تقديم الأدلة والبراهين المؤيدة لوجهة النظر بما يحقق الاستجابة لدى الأفراد.»³، التي تكون إما عن طريق الاتصال اللفظي أو الكتابي الذي يدور مدار أمره على حمل الآخر على تبني فكرة أو سلوك أو اتجاه يرغب فيه المتكلم.⁴ ومما هو معلوم – ولا جدال فيه – هو أنه لا وجود لإقناع دون عملية اتصالية لأنه في الأساس مرهون بها، لأنه في الأصل يعكس قدرة المتكلم – سواء كان خطيباً أو كاتباً – على تحقيق شروط العملية الاتصالية ذات الفعالية الظاهرة التي تظهر من خلال تحقيق الإبلاغ النافع، وذلك وفقاً لما يستخدمه المتكلم من تقنيات تتضمن وجهة دلالية محددة يفرضها السياق

¹ "الإعلام الإسلامي" ، إبراهيم إمام ، مكتبة الأنجلو المصرية ، بط ، 1980 ، ص 57.

² "كيف تقنع الآخرين" ، عبد الله محمد الغوشن ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ط 4 2004 ، 1425 هـ ، ص 18.

³ "تنمية مهارات التواصل الشفوي ، التحدث والاستماع ، دراسة عملية تطبيقية" ، محمد عطية أبو صواوين ، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2005 ، ص 203.

⁴ ينظر "مهارات التأثير والإقناع عند المعلمين" ، بدر الحسين ، دار الفكر ، دمشق ، ط 1 ، 2012 ، ص 152.

ومختلف الظروف المحيطة به التي ترمي إلى تحقيق الغرض المنشود دون سواه، والذي لا يتأتى إلا بحسن التبليغ.¹

وحتى يكون الإقناع² أحد الاستخدامات الأساسية للعلمية الاتصالية لا بد أن تكون قائمة على «...محاولة متعددة وواعية من أحد الأفراد أو الجماعات لتغيير سلوك فرد آخر أو جماعة أخرى...»³ ، وهذا ما يعرف بفرض السلطة الإقناعية، يقول في هذا ابن ظافر الشهيري إن المرسل يسعى إلى تحقيق هدف والإقناع يعد من أهمها، لهذا هو مرتبط بمفهوم السلطة التي يسعى هذا الأخير إلى ممارستها على المتلقي وهي ما يعرف "بسلطة الإقناع" ، فهو بذلك يجسد معنى السلطة.⁴

هذه السلطة الإقناعية التي لن تتحقق إلا بالبحث عن استراتيجية⁵ معينة يتخذها الخطيب سبيلا لتحقيق تأثيره بطريقة مرغوبة تدور في مجملها على توفير فعالية اتصالية «...وفي ظل حضور شروط موضوعية وذاتية مساعدة...»⁶ ، تتجلى قيمتها في مدى القيمة الإفهامية التي

¹التفصيل أكثر حول موضوع التبليغ والبلاغة ينظر " التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية" ، شفيق السيد، دار الفكر العربي القاهرة ، ط4 ، 1995م ، ص 17 ، وينظر " البلاغة المقارنة ، مصطفى الصاوي الجويني دار المعرفة الجامعية ، اسكندرية
²الإقناع ثلاث أنواع :

(أ)- الإقناع التداولي: وهو شرس فيه طرف قوي متسلط وطرف ثان ضعيف متسلط عليه.
(ب)- الإقناع المشترك: وهو متبادل بين الطرفين، حيث كل واحد جدير بإقناع الآخر.
(ج)- الإقناع الشمولي : وهو اقناع يتم فيه استخدام العديد من الأساليب والفنون ، وهدفه تحقيق مصلحة للطرفين . ينظر الإقناع الاجتماعي ، ص 34 ، وينظر ، "كيف تقنع الآخرين" ، عبد الله الغوشن ، ص 47 – 51.

1995 ، ص 8-131 ، ، وينظر الكتابة والتعبير ، أحمد محمد فارس ، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر ، ط3 ، 1989 ، ص 159 – 163.

³ "كيف تقنع الآخرين" ، عبد الله الغوشن ، ص 21.

⁴ ينظر " استراتيجيات الخطاب " ، مقارنة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري ، دار الكتاب الجديد بيروت – لبنان ، ط1 ، 2004 ، ص 242.

⁵بالمفهوم العام هي طرق محدد في تناول خطة ما لبلوغ هدف ما ، أي أنها خطة يتبعها صاحبها ليصل إلى تحقيق الغاية ، وهي ذات بعدين :

أ- بعد تخطيطي على المستوى الذهني

ب- بعد مادي يجسد الاستراتيجية.

ومفهومها في الخطاب هو أن ينجز الخطاب وفقا لسياق معين باستعمال العلامات المناسبة من لغة طبيعية، وعلامات غير لغوية ليمارس بها خطابا معينا بمراعاة كل شروط الإقناع الناجح ، ينظر ، " استراتيجيات الخطاب " عبد الهادي بن ظافر الشهيري ، ص 53.

⁶ " الإقناع الاجتماعي" ، عامر مصباح ، ص 17.

يحملها ذلك الخطاب الذي يحقق الإقناع والاستمالة¹ ويظهر تأثيرها وفعاليتها في الخطاب كون²:

(1)- أن تأثيرها التداولي في المرسل إليه أقوى ونتائجها أثبتت تظهر من خلال الاستجابة لذلك الموقف.

(2)- أنها استراتيجية مميزة عن غيرها لا يلتزم فيها المتكلم بأمر فرضا وإكراها، وإنما يعطيه فرصة الإقناع الذاتي بطيبة خاطر.

(3)- أنها تطالب الخطيب باتباع سبل استدلالية متنوعة يدفع بها المخاطب إلى الاقتناع برأيه كما قد تزوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع مما يجعلها أقدر على التأثير.

(4)- أنها استراتيجية شاملة تمارس على جميع الأصعدة في مختلف تعاملاتنا اليومية، بين الرئيس ورعاياه، والأستاذ وطلبته، والمرأة وزوجها....إلخ، فهي تدخل في إطار الكفاءة التداولية عند الإنسان السوي بوصفها دليلا على مهارته الخطابية التي تجعله يعطي لكل موقف حقه.

- بناء على ما سبق يمكن القول: إن الاستراتيجية الإقناعية هي مرادفة لما يعرف بمصطلح الإصابية "la pertinence" «.. وهي من أهم المنابع المنهجية التي طرحتها النظرية التداولية لتفسير العمليات التي يقوم بها المتكلم وهو يشكل خطابه اللغوي من جهة، و طرح الآليات الرئيسية التي يركز عليها المتلقي حينما يؤول الخطاب اللغوي من جهة أخرى»³.

والإصابية مصطلح اقترحه "عبد السلام عشر" مقابلا لكلمة pertinence وهو مستوحى من الإصابة في المعنى لدى النقاد ويعني اختيار كل ما يأخذ باهتمام المتخاطبين وما يؤثر فيهم من أقوال وحجج وهذا ما يوافق معنى استراتيجية الإقناع⁴.

¹ هناك فرق بين الإقناع والاستمالة ف " الإقناع ممكن والسبيل ممهد إليه، أما الاستمالة المتوجة بالاستجابة فهي بعد آخر تتم به وظيفة الخطيب، بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى "، "الخطابة بين النظرية والتطبيق"، محمود محمد عمارة، ص 9.

² ينظر " استراتيجيات الخطاب " ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري ، ص 221 وما بعدها.

³ "فاعلية الإصابية في تاويل الخطاب اللغوي مقارنة تداولية"، عبد الحليم بن عيسى، مجلة مطارحات في اللغة والأدب، مجلة تصدر عن معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي لغيليزان / الجزائر، ع2 مارس 2010 ص 110.

⁴ ينظر "المرجع نفسه" ، ص 111.

أي ، أنها تعني أن يختار المتكلم من الوسائل اللغوية والمؤشرات المعرفية وغير ذلك بالقدر الذي تجعله أكثر إفصاحا ووضوحا في تحديد المقصد الذي يبتغيه انتهاء بالمتلقي الذي يخلق التأويل والمعنى بناء على ذلك الإبلاغ المضبوط.

(II) - فعالية استراتيجية الإقناع :

ومما يدل على أهمية هذه الاستراتيجية وضوحها في القرآن الكريم وإن لم ترد كلمة "إقناع" بحروفها أو مشتقاتها مما لها علاقة بموضوع الإقناع ، ولكنها وردت بمعنى الجدل¹ في قوله تعالى : « وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ »².

وقوله : « ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ »³ وبمعنى الحوار⁴ وإن وردت بكلمة جدال في قوله تعالى : « قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا »⁵.

وقوله : « فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ »⁶.

فهذه الإستراتيجية الإقناعية قديمة قدم المجتمعات وجدت منذ العصر الجاهلي في تلك المنجزات الخطابية والمناظرات القبلية... إلخ ، ثم تنامت بتطور الخطابات أثناء وبعد البعثة المحمدية في كثير من السياقات.

وللحضور البارز في استخدام هذه الاستراتيجية في التراث ، اهتم بدراستها نظريا العديد من علماء اللغة ، أولهم الجاحظ الذي تناول الإقناع في كتابه "البيان والتبيين" ، إذ فصل القول فيه وفيما يخص الخطيب من صفات جسدية ونطقية وملكات ذهنية ، فعدد مميزاته الإيجابية التي تمنح الخطاب القوة التأثيرية ، كما تنبه إلى السلبية منها التي تضعفه كالعيوب النطقية والعِي والتشادق.... إلخ.⁷

¹الجدال : هو حديث يجري من شخصين أو أكثر لإقحام الطرف الثاني أو اقتناعه بفكرة معينة ، ينظر ، "قوة الإقناع " علي الحمادي ، ص 25.

² سورة العنكبوت، آية 46.

³ سورة النحل ، آية 125.

⁴الحوار : هو الحديث الذي يجري بين شخصين وأكثر لتوصيل معلومة أو لإقناعه بفكرة ، ينظر "قوة الإقناع" علي الحمادي، ص 25.

⁵ سورة المجادلة ، الآية 1

⁶ سورة هود ، الآية 74.

⁷ ينظر "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 69-79.

حتى أنه لم يغفل عن مظهره وأثره في عملية الإقناع من طول وقصر وحسن، وعمما يجب أن يتّصف به من أخلاق وما يعاب عليه من ذلك.¹

كما تناول دور العلامات السيمائية (لغة الإشارات والحركات) ، وما لها من دور مهم في تحقيق الإبلاغ والبيان المقنع ، فأدرك دورها و أكده في حديثه عن الخط والإشارة والحال والعقدة والنّصبة ، فكان من مؤسسي علم العلامات في الثقافة العربية وفي الخطاب في حد ذاته فكان عمله منصبا على الإقناع ، حتى إنه لم يغفل عن أهمية المكان بوصفه علامة خطابية ذات سلطة تأثيرية وعن السياق وأثره الإقناعي .²

و يرتبط مفهوم الإقناع بمفهوم التأثير³، « ويكاد هذان المفهومان يكونان متلازمين فظاهر لفظ الإقناع يشير إلى عملية تبدأ من المصدر لتصل إلى المستقبل مع توفر إرادة لذلك. في حين أن مصطلح التأثير يشير إلى الحالة التي يكون عليها الفرد بعد التعرض لعملية الإقناع واستقبال الرسائل وتفاعله معها، فهو نتيجة الإقناع».⁴

وقد جاء المخطط الآتي عند "بدر الحسين" في كتابه "مهارات التأثير عند المعلمين"⁵ ليوضح الفرق بين الإقناع و التأثير.

¹ ينظر " البيان والتبيين " ، الجاحظ ، ج1 ، ص 114 ، 115.

² ينظر "المصدر نفسه" ، ج1 ، ص 150.

³ والإقناع والتأثير نماذج وهي :1- نموذج التدفق ذو الخطوتين ، 2- نموذج نشر الابتكار ، 3- النموذج السيكلوجي 4- نموذج الاعتماد ، 5- نموذج بروكرو ويزمان ، 6- نموذج روس ، 7- نموذج ديفيد برلو ، 8- نموذج ولبراسترام (وهي تقريبا ذاتها نماذج الاتصال) ، ينظر "الإقناع الاجتماعي" ، عامر مصباح ، ص 103 – 125.

⁴ ينظر "الإقناع الاجتماعي" ، عامر مصباح ، ص 18.

⁵ "مهارات التأثير والإقناع عند المعلمين" ، بدر الحسين ، ص 153.

والإقناع والتأثير نماذج وهي :1- نموذج التدفق ذو الخطوتين ، 2- نموذج نشر الابتكار ، 3- النموذج السيكلوجي 4- نموذج الاعتماد ، 5- نموذج بروكرو ويزمان ، 6- نموذج روس ، 7- نموذج ديفيد برلو ، 8- نموذج ولبراسترام (وهي تقريبا ذاتها نماذج الاتصال) ، ينظر "الإقناع الاجتماعي" ، عامر مصباح ، ص 103 – 125.

التأثير	الإقناع
يستهدف المشاعر والعواطف وصولاً إلى العقل	يستهدف العقل والمنطق
يعتمد على مهارات لفظية وفنية بالإضافة إلى المهارات المعرفية	يعتمد على الحجج والبراهين
يتميز بالديمومة	يتميز بالوقئية والآنية
مجالاته أكثر وأعم	مجالاته محدودة
يحتاج إلى تميز في المهارات والمواهب	يحتاج إلى فطنة تمكن من المادة العلمية
ذو صلة أوثق بالمواد النظرية مثل المواد الاجتماعية واللغة العربية والتربية الدينية	ذو صلة أكثر بالمواد التطبيقية مثل الرياضيات والفيزياء والعلوم

بناء على استقراء المخطط فإن العلاقة بين فني التأثير والإقناع وثيقة وظاهرة من خلال مهارات المفهومين ، وأن العلاقة بينهما تبادلية تكاملية ، فمهارات كل واحدة تفضي إلى الثانية ، وأن الشخص الذي يمتلك القدرة على الإقناع يسهل عليه التأثير على الغير والعكس صحيح .

ويرى "هربرت ليونرجر" أن عملية الإقناع تتم عبر مراحل تدور مجملها على :¹

- 1- **مرحلة إدراك الشيء Awareness** : وفيها يختبر الفرد أو الجماعة لأول مرة الفكرة أو التصور المطروح ، وهنا قد يحتفظ الفرد بما قيل له وقده يرفضه رفضاً مطلقاً.
- 2- **مرحلة المصلحة والاهتمام interest** : وفيها يحاول الفرد المتلقي إدراك مدى وجود مصلحته في هذا الأمر أو الاتجاه الملقى عليه.
- 3- **مرحلة التقييم أو الوزن Evaluation** : ويقارن فيه الفرد بين ما يمكن أن يقدمه هذا الأمر أو الاتجاه له و بين ما تقدمه له الظروف الحالية.

¹ ينظر "مهارات التأثير والإقناع عند المعلمين"، بدر الحسين ، ص21.

4- **مرحلة المحاولة Trial** : أو جس النبض ويحاول فيه الفرد التعرف على كيفية الاستفادة من ذلك الأمر أو الاتجاه.

مرحلة التبني: Adoption : وفيها يصل الفرد إلى حالة الإقناع الكامل، فيصبح جزءاً من الكيان الثقافي والاجتماعي للفرد والجماعة.

والخطيب الديني مثل غيره من الخطباء مطالب بتوفير كل المهارات التي يوصل بها المتلقي إلى مرحلة الإقناع التي تبدأ عنده باستشعار فائدة الفكرة ، ثم قبولها وتبينها، والعمل بها لأن هذه المهارات هي السبيل الوحيد الذي يمنح الخطيب القبول عند المتلقين وبذلك القدرة على التأثير فيهم.

III- أهمية الخطيب وأثره الإقناعي :

مما لا شك فيه أن الخطيب في الإسلام أحد الأفراد البارزين المنشغلين بالدعوة إلى الله تعالى، وهو انشغال بأشرف الأعمال وأسمأها وأنفعها للإنسان ، في الدارين دار الدنيا والآخرة لأن فيها إحياء وامتدادا واستمرارا لمهمة الأنبياء والمرسلين ، ثم الصحابة والخلف الصالح من بعدهم ، وهي مهمة أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ »¹.

والخطيب يسعى جاهدا لبلوغ هذا المرمى وتحقيق هذا المعنى من خلال منهجه الدعوي ليسعد بمدح الله تعالى له وثنائه عليه وتقريره سبحانه وتعالى أفضليته على سائر أفراد البشرية وذلك في قوله تعالى : « وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ »².

وإذا كانت الخطابة هي « أبرز وسيلة وأقوى طريقة في ميدان النشر والبلاغ ، لما تحققه من نتائج مباشرة، فإن الخطيب سيبقى أقوى أداة وأعظم مؤثر في الدعوة الإسلامية، إذ هو قادر بعواطفه الجياشة أن يؤثر في النفوس ، وقادر بحجته أن يقنع العقول بل هو قادر بريادته أن يقود الأفراد والجماعات إلى ما فيه خيرهم في دينهم ودنياهم واخرتهم »³، بأن يجمعهم

¹ سورة يوسف ، الآية 108 .

² سورة فصلت ، الآية 33 .

³ "فرسان المنابر" ، فقه الخطابة ، ج 1 ، ص 154 .

على صراط مستقيم سوي ، وهذا يجعله « ينفرد بمسؤولية امتلاك أقطار النفس كلها »¹ ،
بمختلف أنواعها ومستوياتها واتجاهاتها.

يقول الشيخ علي محفوظ فيه: « ما أعظم مكانة الخطيب في النفوس وأنفذ كلامه في
القلوب وأشد إثارته للعواطف ، إذ كان ذلك الخطيب أمير القوم الذي تتجه نحوه أنظارهم
وتحديق به أبصارهم وتلتف حوله قلوبهم ، وتترامى إليه آمالهم، يستلنيهم بالقول إذ قسوا
ويستخضعهم به إذا عصوا ويمتلك نفوسهم بالرغبة تارة وبالرغبة تارة أخرى.»²

هكذا يتبين لنا مقدار شأنه وما له من منزلة عالية، فهو القائم بعملية الإصلاح والتذكير
والتنبيه ومداوات القلوب من الأمراض الروحية، حتى إن إصلاحه كثيرا ما يكون شاملا
شمول دين الإسلام، هذا ما يجعلنا نتذكر فضل الله العظيم على الدعاة من العلماء الذين
يخدمون دين الإسلام في قوله تعالى : « يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. »³

وحتى تتحقق له القدرة الكاملة على تأدية مهمته في ترسيخ الحق يجب أن تكون له
مقومات تفتح له سبيل التأثير على العقول فتوقظها من غفلتها، وتداوي النفوس من النقائص
والرذائل وتدفع بها الفضيلة والحق، لأن مركب الخطابة مركب صعب وليس من السهل
ركوبه إلا من أتى الفصاحة والعلم ، فمن نوادر من ارتج عليهم أن ابن حاتم صعد المنبر فلما
رأهم وجهوا أنظارهم نحوه وفتحوا أسماعهم ، حصر فقال : نكسوا رؤوسكم ، وغضوا
أبصاركم فإن المنبر مركب صعب، وإذا يسر الله فتح قفل تيسر⁴، وعن "علي بن زائدة صعد
المنبر فقال: فتى حروب لا فتى مناير."⁵

فمنبر الخطابة يلزم صاحبه بأن يكون شجاعا قويا فصيحاً له من الآليات ما تجعله قادرا
على التأثير في النفوس والعقول وحملهم على الخضوع، ولي أن نستدرج (إن شاء الله) ذكر
هذه المقومات والآليات بالتفصيل في العنصر الموالي.

¹ "الخطابة بين النظرية والتطبيق" ، محمود محمد عمارة ، ص 44 .

² "فن الخطابة واعداد الخطيب" ، علي محفوظ ، مكتبة رحاب للطباعة والنشر ، الجزائر ، ص 29 .

³ سورة المجادلة، الآية 11 .

⁴ "البيان التبيين" ، الجاحظ ، ج 2 ، ص 173 ، 174 .

⁵ ينظر "فرسان المناير" ، ج 1 ، ص 328 .

IV- مقومات الإقناع (الخاصة بالخطيب):

1- المقومات العقلية :

1-1- حبه لأداء رسالته وإقباله عليها بشغف :

يجعل الخطيب حبه لأداء رسالته قوة محرّكة لحماسه الذي يدفعه إلى التفاني في عمله وحرصه على السمو به والارتقاء إلى أعلى المستويات ، فمما هو معلوم – عند العامة من الناس – أن الإنسان لا يجيد القيام بصناعة يكرهها أو ألزم على القيام بها طوعا أو إكراها، وإنما حبه لعمله وتعلقه به يجعله يتفانى في الإخلاص له والسعى دائما إلى إتقانه من مختلف جوانبه سواء الأدبية أو اللغوية ، مما يجعله قادرا على الإبداع والابتكار وبذلك التميز والتألق.¹

ولا يقول قائل: إنّ حب الخطيب لرسالته لا يتأتى إلا إذا توفرت لديه موهبة الخطابة وحسب، هذا الكلام صحيح في أهمية الموهبة والصفات الفطرية في أي خطيب، ولكن هذا لا يمنع من أنها قد تتأتى بكثرة التدريب والممارسة، هذا ما أشار إليه أرسطو عندما ذكر أن بعض الناس يمارسها بالفطرة والسليقة ، والبعض الآخر يكتسبها من مقتضيات الحياة بالتّطبع والمران.²

فالخطابة ملكة نفسية لا توجد دفعة واحدة ، بل تأتي بالمران و الممارسة حتى تنمو وتكتمل مواهبها³، قال خالد بن صفوان: « إنما اللسان عضو إن مرنته مرن فهو كاليد تخشنها بالممارسة وكالبدن تقويه برفع الحجر والرّجل إذا عوّدت المشي مشت ».⁴

¹ ينظر " فرسان المنابر " ، ج 1 ، ص 165 .

² ينظر، " الخطابة " ، أرسطو ، ص 28 وما بعدها.

³ وهناك رأي مخالف لهذا وهو يقول أن الخطابة تستمد من الفطرة ، والخطيب الحق هو من ولد ومعه الاستعداد الفطري وأن فقده فإنه مهما بذل واجتهد وتدرّب فلن يبلغ مبلغ من كانت الخطابة أصلية في فطرته ، ينظر ، " خصائص الخطبة والخطيب " ندير محمد مكتبي ، ص 243

⁴ ينظر " المرجع نفسه " ، ص ن.

2-1- إخلاص النية في كسب العلم بنية التقرب إلى الله :

والقصد أن يسعى الخطيب إلى الإخلاص في طلب العلم ومعرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عبادته ومعاملاته ومعرفة حلاله من حرامه ، ساعيا بعزم إلى رفع الجهل عن نفسه وعن غيره من أهل أمته، بالدعوة إلى الله وبيان ما ذكر من الحق ليصل إلى تحقيق النفع والهدى ورفع المضرة¹ مصداقا لقوله تعالى : « **فَلَنْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ».²

أما من كانت نيته من ذلك سبيلا لغرض من أغراض الدنيا من طلب المال والمكانة والظهور والتفوق والسمعة والرياء وغيرها من المقاصد، كان جزاءه الغفلة والضياح وكانت عاقبة أمره الخسران كما جاء في قوله تعالى : « **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ** ».³

3-1- عنايته بالثقافة والمعرفة بكل فروعها :

إن الخطيب يحظى بمكانة لدى مستمعيه ، وهي تتناسب طرديا مع مجموعة من العوامل، تزيد بزيادتها ، وتقل بقلتها، وتتعدم عند انعدامها، ومن هذه العوامل عنايته وإمامه بالمعرفة بمختلف فروعها وجوانبها⁴ ، أو بمعنى آخر « مستوى المعرفة والدراية بما يدعو إليه وبما يحاول الإقناع والتأثير به ».⁵ فالخطيب الفذ هو الذي تكون حقيقته المعرفية والعلمية جاهزة مسخرة له، حتى يعرف منها كل ما يحتاج من أفكار ومعان بكل يسر وسهولة.⁶ فهو معلم وأستاذ يعلم المستمعين ما يجهلونه وما هم عنه غافلون، فإن كان قليل الزاد والمعرفة، ضئيل الثقافة انعكس ذلك سلبا على العملية الإقناعية خصوصا إذا كان للمتلقي مستوى علمي يفوق مستوى الخطيب، أو لديه معلومات حول الموضوع تفوق معلومات المصدر، فإن عملية التأثير في مثل هذا الموقف ستكون فاشلة بلا شك.⁷

¹ ينظر ، عدة الداعية إلى الله ، ابي عبد المعز محمد على فرعوس ، دار العواصم للنشر والتوزيع ، ط 2012 ، ص 13 .

² سورة يوسف ، الآية 108.

³ سورة هود ، الآية 15.

⁴ ينظر "فرسان المنابر" ، فقه الخطابة ، ص 167.

⁵ "كيف تقنع الآخرين" ، عبد الله محمد الغوشن ، ص 31.

⁶ ينظر "خصائص الخطبة والخطيب" ، ندير محمد مكتبي ، ص 235.

⁷ ينظر "كيف تقنع الآخرين" ، عبد الله محمد الغوشن ، ص 31.

هذا يلزم الخطيب بضرورة المعرفة الواسعة حول موضوع خطابه والمجال الذي يدور فيه حتى لا تعوزه الحيلة في الدفاع عما يقول.¹ ، فإذا «... تكلم خاض في مختلف مجالات العلم وطرق معظم ميادين الثقافة بكل قوة وثقة بالنفس وطلاقة في الحديث».² ومن المصادر التي تعين الخطيب على تكوين هذه العدة ما يأتي :

1- القرآن الكريم : فالمعرفة التامة بكتاب الله من الدعائم الأولى والأساسية للخطيب الناجح حسب ما ورد في قول النبي "ص": «**من يُردِ الله به خَيْرًا يُفْقِهَهُ فِي الدِّينِ**»³، إذ يستمد منه العدة الفقهية الخالصة التي لا يكتسبها إلا «...بمخالطة الفقه وتنظير المسائل وتفريغها، وتخريج الفروع عن الأصول».⁴، ولا يتأتى له ذلك إلا بمعرفة القرآن حق المعرفة، فيدرك بذلك الشرائع الموضوعية ويتحسس الموعدة ويتعلم أساليب الحكمة والكلام البليغ الذي يظهر في «...اللغة القرآنية الخالصة، بما تحمله من فصاحة العلم وبلاغة التعبير وبراعة الأداء، ويسر التداول والتواصل والإبداع».⁵ ، الذي لا يفيد في كل حالاته إلا الإقناع.

2- السنة النبوية : وهي مصدر الثقافة الثانية للخطيب بعد القرآن الكريم ، لأنها جاءت شارحة له، مفصلة لما فيه في قوله تعالى : «**: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**».⁶ ، بما فيه من أقواله وأفعاله وتقاريراته وأوصافه ، وسيرته فقد جاء القرآن يدعو المسلمين إلى اتباعها والأخذ بها في قوله تعالى : «**مَنْ يَطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**».⁷

حتى إن من يبتغي اللغة من نبعها فله اتباع ما جاء من أقوال وخطب وأحاديث النبي "ص" التي ما ضمت إلا «...الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التّكلف...واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورجب عن الهجين السّوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة...»⁸، فلو تتبعنا حياته في جميع مواقف خطابه لرأينا أنه لم يرو عنه إلا فصيح الكلام وبديعه لفظا

¹ ينظر "استراتيجيات الخطاب" ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري ، ص 468.

² " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي، ص 280.

³ "صحيح البخاري" ، البخاري ، ص 16.

⁴ "المقدمة" ، ابن خلدون ، ص 597.

⁵ "المهارات اللغوية وعروبة اللسان" ، فخر الدين قباؤه، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ، 1999 ، ص 10

⁶ سورة النحل ، الآية 44.

⁷ سورة النساء ، الآية 80.

⁸ "البيان والتبيين" ، ج 2 ، ص 14.

ومعنى ، وقد أشار ابن خلدون في المقدمة إلى ذلك عندما تكلم عن ملكة اللّغة وقال إنه من يروم إلى تحصيلها فعليه بحفظ الكلام الجاري على أساليب القرآن والسنة.¹

3- السيرة النبوية : وفيها يجد الخطيب زادا وفيرا من القيم والأخلاق والمتعة الروحية والتاريخية والعقلية التي تجعله يجد لكل معضلة حلها ولكل كربة فرجها ، لأنها سيرة إنسان أكرمه الله تعالى وجعله أشرف وأنبل خلقه ، مما يجعله القدوة الحسنة لكل خطيب وداعية ولكل أب وزوج ومعلم ورئيس وسياسي وقاض و.....² لأن « الله علم نبيه أفضل الطرائق والأساليب لدعوة الناس إلى دين الإسلام فهو (ص) ، خير متبوع في هذا الأمر وفي كل أمر». ³ إذ عالج كل مقتضيات الدنيا وأحوالها و أمورها ، ولم يترك منها لا صغيرة ولا كبيرة إلا وأعطاهما حكمها الشرعي بما يوافق صلاحها.

4- الفقه وأصوله : كما لا بدّ أن يكون للخطيب قدر من الثقافة الفقهية المرتبطة بأحكام العبادات والمعاملات والآداب الواردة في النصّ الشرعي، حتى يستطيع أن يفصل قضايا الحلال والحرام وليواجه كل إبداع مستنكر، فيحرص بذلك على ربط الأحكام بأدلتها من الكتاب والسنة⁴.

5- اللّغة والأدب: إن كانت الثقافة الدينية أمر لا بدّ منه للخطيب الديني بالدرجة الأولى، فإن المهارة اللّغوية هاجس يجب أن يلازمه في ميادين عمله ودعوته ، يقول في ذلك فخر الدين قباوة : « تَقْتَضِي تَوْلِيدَ الْمَلَكَةِ اللِّسَانِيَّةِ وَتَقْوِيمِهَا ، وَتَنْمِيَّتِهَا وَرِعَايَتِهَا بِالتَّجَدُّدِ ، وَالِإِغْنَاءِ وَالكِفَايَةِ لِيُوَاكِبَ المَرءَ لُغَةَ قَوْمِهِ ، فِي الخِطَابِ والفَهْمِ والعَمَلِ والإِنْتاجِ العِلْمِيِّ والأَدْبِيِّ ». ⁵ حتى إن تعلم العربية فرض كفاية لأنها السبيل والوسيلة والآلة لمعرفة الكتاب والسنة أولا، ثم تبليغ المعرفة

¹ ينظر " المقدمة " ، ابن خلدون ، ص 579.

² ينظر "فرسان المنابر" ، فقه الخطابة ، ج 1 ، ص 201.

³ "فن الإلقاء" ، محمد علي ، ص 62.

ينظر "فرسان المنابر" ، فقه الخطابة ، ص 204 ،

⁵"المهارات اللّغوية وعروبة اللسان" ، فخر الدين قباوة ، ص 9.

للمتلقيين ثانياً، على حد قول أبو الهلال « ومن تمام آلات البلاغة التوسع في معرفة العربية... »¹، لأن اللغة بألفاظها وتراكيبها تعد معبراً يعبر من خلاله الخطيب إلى عقول وقلوب الناس ، فإن كانت الثقافة الدينية تلزم الخطيب «... لزوم المقاصد والغايات، فالثانية تلزمه لزوم الوسائل والأدوات»².

ويجب أن تكون هذه الوسائل سليمة صحيحة، لأن ذلك سيجعل الأداء حسناً في السمع وصحيحاً في الفهم ، لأن الأخطاء اللغوية تحرف المعنى وتشوّهه حتى ينفر منها السمع³، فإن استخف الخطيب بها وألبس معانيه الرقاع من الكلام ، وتجاوز من العبارات ما على روعة البيان وجمال التعبير ، وسمو البلاغة أفقد خطبته القدرة على تحريك المشاعر والتأثير في النفوس.⁴

فالخطيب الناجح هو الذي لا يستهين باللغة بل يجعلها الركيزة والعدّة الأساسية في تقويم لسانه وتسدد بيانه فيجعلها أهم آلية يحقق بها الإقناع.

6-العلوم الانسانية : وهي الشاملة لعلوم النفس والاجتماع والفلسفة والتربية وغيرها، لأن «الإمام بهذه العلوم يعين على فهم الناس وبخاصة الذين تتقفوا بهذه العلوم وأصبحت جزءاً من تكوينهم الفكري ومزاجهم الثقافي»⁵ فيكون الخطيب حافظاً للقرآن لا يخطئ فيه ، مؤرخاً يأتي بالخبر اليقين ، لغوياً يصوغ أجمل الأساليب، طبيياً إذا تحدث في مسألة طبية، وعالماً طبيعياً إذا تحدث في الطبيعة وأسرارها، وسياسياً إذا تطرق إلى موضوع الحكم ومقاليد، و.....إلخ⁶ فيكون بذلك « كالطود الشامخ ، ينثر الكلام ويفصل في الحديث ، فيعالج المسائل ويكشف

¹ كتاب الصناعيين" ، أبو الهلال العسكري، تج ، محمد البجاوي، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، ط2 ، ص27.

²"الخطابة بين النظرية والتطبيق" ، محمود محمد عمارة ، ص 60

³ينظر "خصائص الخطبة و الخطيب" ندير محمد مكتبي، ص 286

4 ينظر "خصائص الخطبة والخطيب"، ندير محمد مكتبي، ص ن

⁵ "فرسان المنابر" ، فقه الخطابة ، ج 1 ، ص 234.

⁶ "المرجع نفسه" ، ص ن.

الأخطاء ويقرر الأحكام ويطرح الآراء بمنتهى البساطة و غاية السهولة»¹. ولعله في هذا المقال تجدر بي الإشارة إلى ضرورة اطلاعه على مواضيع علم النفس الاجتماعي ، لأنه يواجه جمهورا ذا شرائح متعددة متباينة في المفاهيم والأفكار والاتجاهات والطبائع و «... هنا يتركز ثقل مهمة الخطيب، حيث ينبغي عليه أن يختار من الأبحاث والكلام والأساليب ما يتناسب مع مختلف أنماط المستمعين إليه وطبقاتهم، ليتمكن من تحقيق الفائدة المرجوة من خطبته»² ، وهذا لن يتوافر لديه إلا إذا كان ملما بعلم النفس الاجتماعي، عالما بقواعد منهج تربية النفس والسلوك البشري.

7- واقع الحياة المعاصرة : بما في ذلك واقع العالم الاسلامي والعربي والقوى المعادية للإسلام وواقع الأديان المعاصرة، والمذاهب السياسية، والحركات الإسلامية والتيارات الفكرية والفرق الدينية و.....الخ.

إذ على الخطيب أن يتسلح بمعرفة كل ألوان الثقافات والأوضاع الآنية حتى يعرف من يدعو ووضعتهم وكيف يفعل ذلك³.

كما عليه أن يكون على اطلاع دائم بكل جديد ينشأ في واقع الحياة العصرية، سواء كان فكريا أو علميا أو اقتصاديا أو.... هذا يجعله يدرك الملابس المحيطة بنشاط جمهوره الفكري والسلوكي، مما يسهل عليه تحديد العلل وتشخيصها بما يوافقها من دواء شاف⁴.

فلا يجوز للخطيب أن يبقى متوغلا في محيط وأحداث الماضي لأن ذلك يدخله في عزلة فيجد نفسه في واد والناس بواقعهم ومستجداتهم في واد آخر بعيدا عنه كل البعد.

بل عليه أن يجعل ذلك قاعدة يرتكز عليها « فيعرض على الناس عطاء الماضي بما يتناسب مع ظروف الحاضر، وملابساته ويستلهم من واقعه الأساليب التي يسكب فيها مفاهيم

¹ ينظر "خصائص الخطبة والخطيب"، نذير محمد مكتبي، ص 181.

² "المرجع نفسه"، ص 295.

³ ينظر "فرسان المنابر"، فقه الخطابة، ج 1، ص 247-251.

* كان يتناول الخطيب موضوع "السبيل الأمثل في مواجهة أزمة الغلاء المعيشي في شهر رمضان"، خطبة 2013/07/19، قناة الجزائرية.

⁴ ينظر "خصائص الخطبة والخطيب"، نذير محمد مكتبي، ص 183.

الدين الحنيف ومحاسنه الجليلة ويجعلها تنساب رخاء إلى قلوب الناس وعقولهم، فيقبلون بكل شغف وتقدير واقتناع.¹ وبكل سلاسة ووضوح.

8- معرفة قواعد وأصول الخطابة : اطلاع الخطيب على ما كتبه أهل هذا الفن من أصول وقواعد أمر يسهل له الإجابة والتفوق فيه ، فيحسن بذلك تنظيم أفكاره وترتيبها والتعبير عنها بأفضل الطرق، وأكثرها دقة في النفاذ إلى القلوب والعقول حتى وإن كانت موهبة الخطابة فطرية عنده ، فهذا لا يمنع من صقلها وتنميتها وتقويتها إذ « الموهبة الخطابية ودراسة علم الخطابة عاملان متلازمان في مجال تحصيلها ، فلا يغني أحدهما عن الآخر ، بل لا بدّ من تلازمهما حتى تحقق الخطابة هدفها في إقناع العقل، وإمتاع الوجدان ».²

– 2 المقومات الأخلاقية :

(1-2)- تقوى الله عزّ وجلّ : أهم الصفات التي يجب أن يتحلّى بها الخطيب، لأنها أساس قوله وفعله، كما أنها زاد روحه، منها يستمد قوته في قوله تعالى : « وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولي الألباب »³ فهو «... قدوة لمخاطبيه، وأسوة لمستمعيه ولن يتمكن الخطيب من الوصول إلى مقام الاقتداء والتأسي للمخاطبين، إلا إذا ضاعف التزود الروحي والقلبي من التقوى ».⁴ فمن اتقى الله من الخطباء وكان مخلصا ومتقنا في عمله ، أعانه الله ويسرله العلم والعمل إلى ما فيه الصلاح فهو معينه وسنده ، يخشاه ويعلم أن بيده العطاء يرفع من يريد ويحط من يريد.

(2-2)- حسن السيرة وتحري الصدق في القول : إن الخطيب يقف موجهها كلامه سالكا مسلك النصح والترغيب والترهيب والوعظ، ولن يكون كلامه مسموعا إلا إذا صدّق فعله قوله، كما جاء في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون(2) كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا لا تفعلون(3) »⁵ ، وفي قوله تعالى : على لسان شعيب عليه السلام « وما أريد أن

¹ ينظر " خصائص الخطبة والخطيب "، نذير محمد مكتبي "، ص 184.

² "فرسان المنابر" ، فقه الخطابة ، ج 1 ، ص 254.

³ "سورة البقرة" ، الآية 197.

⁴ "فرسان ، المنابر" ، فقه الخطابة ، ج 1 ، ص 257.

⁵ سورة الصف ، الآية 2.

أَخَالِفُكُمْ إِلَى مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ¹.

فالخطيب لن يكون مقبولاً ما لم يكن قدوة صالحة وأسوة طيبة، إذ يقاس مدى تأثير السامعين به بمدى تطبيقه لما يدعوهم إليه² على حد قول الشاعر:

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

فقد اعتبر الشرع الخلق من أفضل المكارم وأثنى على نبيه (ص) لذلك، في قوله تعالى:

«وَأِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ»³.

ولهذا على الخطيب التأسى بنبينا الكريم، قال تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا»⁴.

فإذا كان سيئ الأخلاق، فاسد السلوك، قبيح التصرفات، فإنه مهما بلغ من الدرجات في العلم والعطاء وحسن الكلام وبيانه وبلاغته، فلن ينجح في التأثير على قلوب المستمعين لأنه ليس القدوة في شخصه فكيف يكون في علمه⁵؟

فالناس يترقبون أفعال الخطباء الدعاة وسيرهم ويرون فيها تطبيقاً عملياً لما يدعون إليه من رشد وموعظة، فكيف لهم أن يصدقوا من يقول ما لا يفعل⁶؟ ، لأن «حسن الخلق من أبرز الصفات... التي تكون الباعث الأول على تصديقه والاستجابة لحديثه، والتأثر بكلماته...»⁷ وهذا ما يعرف " بمصادقية المصدر" التي تضيف على الخطيب الاحترام والتقدير والنزاهة التي يشعر بها المستمع، فتتكون لديه القناعة والثقة بصدق ما يقول، هذه الثقة التي تكون العامل الأساسي في جعله يتبنى أفكاره واتجاهه و....⁸

¹ سورة هود ، الآية 88.

² ينظر " فرسان المنابر " ، فقه الخطابة ، ج 1 ، ص 259 .

³ سورة العلم ، الآية 4.

⁴ سورة الأحزاب ، الآية 21

⁵ ينظر " الخطبة والخطيب " ، محمد مكتبي ، ص 247.

⁶ ينظر " عدة الداعية إلى الله " ، محمد علي فرحوس ، ص 51.

⁷ " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 246.

⁸ ينظر " لاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي " ، ابراهيم أبو عرقوب ، دار مجدلاوي للطباعة والنشر، ص 191.

2-3)- الشجاعة والجرأة في قول الحق : وتظهر في أداء الخطباء ، لخطاباتهم بقوة وعزم وثبات، دون خشية إلا من الله لأحد سواه، يقولون كلمة الحق أينما كانوا ولا يخشون عاقبته وهذا لا يعني التصادم مع المخاطبين ولكنها «...لا تسمح - في أي حال - بكتمان جانب من جوانب الحق أو سكوت على منكر خشية الإصابة بأي أذى أو ضرر...»¹.

فالخطيب المتبصر لحال المدعويين يسعى جاهدا إلى إيصال شرع الله مواجهها بجرأة كل ما قد يعترض طريقه ، إذ عليه بالصبر مصداقا لقوله تعالى لسيد الخطباء وكل من يسير على نهجه : « **وَلِرَبِّكَ فَاصْبِر** »² ، وقوله : « **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ** »³

كما تظهر الشجاعة أيضا في قدرة الخطيب على مواجهة جمع الجمهور دون خوف، فتراه ينظر إليهم بقوة نفسية واطمئنان، يوزع نظرة عليهم دون أن يصيبه الهلع والارتباك ، متماسكا هادئا يصيغ أفكاره بكل سلاسة ويسر.⁴

2-4)- قناعة النفس وعفة اليد : طريق الخطيب إلى الاتصاف بالشجاعة والجرأة أن يكون قانعا عفيفا، زاهدا عما في أيدي الناس من مال وسلطان وعطاء، راضيا بما قسمه الله له.⁵

2-5)- عفة الفم واللسان : هي أن يضبط لسانه عن كل قول فاحش أو مخدش للحياء ، فإن كان الكلام نهى عن المنكر ، فكيف له أن يقول منكر القول وقبيح المعنى وبذاءة القصة ، بل عليه بالأسلوب المهذب الصحيح الجميل الواضح الذي يوصل المعنى بطريقة منطقية مهذبة، وأن لا يقول الكلمة إلا إذا كان متأكدا من صحتها ومصدرها في قوله "ص" « **إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُ مَا فِيهَا ، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ** »⁶ ، هذا يلزم الخطيب ألا «...يخرج المعنى...في صورة مستهجنة تنفر عنها القلوب ، وتنبو عنها الأسماع فيتخير له من الألفاظ أكرهها وأبعدها وصولا إلى القلوب وأشدّها نفرة عنها ، فيتوهم السامع أن معناها الذي دلت عليه تلك الألفاظ...»⁷ ، وإنما عليه أن يحسن اختيار الكلمة لما لها

¹ "فرسان المنابر ، فقه الخطابة" ، ج 1 ، ص 264.

² سورة المدثر، الآية 7.

³ سورة النحل ، الآية 127.

⁴ ينظر " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 267.

⁵ "فرسان المنابر" ، فقه الخطابة ، ج 1 ، ص 266.

⁶ "صحيح المسلم" ، ابي الحسين مسلم بن الحجاج ، باب حفظ اللسان ، 1247

⁷ " عدة الداعية إلى الله " ، محمد علي فركوس ، ص 81.

من وقع على نفسه المتلقي قبل عقله ، حتى إن ذكر كلمه دون تحرى معناها – على حد قول النبي "ص" – يهوي بصاحبها نحو الخراب .

2-6)- الثقة بالنفس والقدرة على مواجهة المشكلات : إذ كلما قويت شخصية الخطيب كلما كان ذلك لصالح الخطاب الموجه ولا يتأتى له ذلك إلا بعد أن «...يعتقد صدق هذه الدعوى وصدق القضايا التي جاء بها لإثباتها...»¹ ، فذلك يجعله يمتلك زمام الأمور ، ويحقق التأثير على مستمعيه ، لأن رباطه الجأش والثقة بالنفس ، تثبت جدارة الخطيب في اعتلاء منبر الخطابة.²

وذلك يعني أنه إذا وجد نفسه في موقف معارض...ألا يظهر سمات الضعف ولا يخاف فلا ترتعش أيديه، ولا يتعلم لسانه، ولا تضطرب أرجله ولا تذهب الكلمات من ذهنه، وإنما يقبل على الجمهور بكل قوة، تجعله ينقض الموقف ويتجاوز به بكل كفاءة.³

ويكون الاعتماد في ذلك أيضا على ملكات النفس و«...هو استقلال الفكر وقوة النفس ونفاذ البصيرة»⁴ ، التي تجعل منه خطيبا متمكنا قادرا على مواجهة الظروف الفجائية مما يرفع من شأنه ومكانته، ويجعله مفعما بالطاقة والحيوية فيسهل عليه ذلك إلتفاف وتجمع الناس من حوله.⁵

2-7)- قوة الملاحظة وحضور البديهية: والتي تجعله يدرك المستمعين سواء قبل أو أثناء أو بعد خطبته، فأما قبل فبتحليل مستواهم التركيبي والثقافي وحالتهم النفسية وأوضاعهم المعيشية...إلخ، وأما أثناء الخطبة فبملاحظة سماتهم، على وجوههم من ملامح، أهم مقبلون على كلامه فيسترسل في قوله، أم أنهم معرضون فيغير مساره من ناحية إلى أخرى يراها أقرب إلى قلوبهم.

وأما من بعد فبقياس وتحديد ردود أفعالهم التي تكشف له إلى أي حد استطاع أن يؤثر فيهم ف « ... تكون نظرات الخطيب إلى سامعيه نظرات فاحصة كاشفة يقرأ من الوجوه

¹ "استراتيجيات الخطاب" ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري ، ص 469.

² ينظر " فرسان المنابر" ، ص 270.

³ ينظر " المرجع نفسه" ، ص 271.

⁴ "الخطابة بين النظرية والتطبيق" ، محمود محمد عمارة ، ص 16.

⁵ ينظر "فن الخطابة ، اكتساب الثقة" ، ديل كاريتجي ، ص 91.

فطرات القلوب، ومن اللحامات ما تكنه أنفسهم نحو قوله، ليجدد من نشاطهم ويذهب بفتورهم، وليصل روحه بأرواحهم ونفسه بنوفسهم.¹

أما حضور البديهة، فتعني قدرته على الاستجابة للموقف الطارئ بسرعة وذكاء تجعله يحظى بفرصة تجاوز الاحراج، فقد يتعرض وهو في وضعية بث الخطاب إلى سؤال أو اعتراض، ذلك يتطلب منه اليقظة وحسن التخلص بحضور الجواب ليتمكن من الخروج من ذلك الموقف بسلام ويستمر بعد ذلك في خطبته دون اضطراب يذكر.²

3 - المقومات الشكلية :

3-1- اللباس والهيئة : يستهدف الخطيب إقناع الجمهور، وتتعاون على هذه الغاية مجموعة من العوامل التي تعد من تقنيات تحقيق الإفادة، من بين تلك العوامل مظهر الخطيب* وهيئته التي يظهر بها للناس، « وذلك لأن أعين المخاطبين ترقب هيئته قبل أن تنصت آذانهم لكلامه، ويترتب على ذلك تأثيره فيهم إيجابا أو سلبا»³، أي بمعنى أن «...الصلة بين الخطيب ومستمعيه تحدد على أساس ما تنقله الحواس من صور، فالمستمع يرى الخطيب بعينه قبل أن يسمع بأذنيه»⁴، من ثم وجب عليه أن يعتني بلباسه وهيئته*، ونظافته⁵ فيلبس أحسن ما عنده، حتى يظهر للعيان بمظهر يليق بما يحمله من رسالة، وهو أمر حبذه الإسلام وحض عليه في مواطن العبادة في قوله تعالى : « يَا بَنِي آدَام خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ»⁶، وقوله تَعَالَى : « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ»⁷.

¹ "فرسان المنابر"، فقه الخطابة، ص 272.

² ينظر، "خصائص الخطبة والخطيب"، ندير محمد مكتبي، ص 260.

³ "فرسان المنابر"، فقه الخطابة، ص 311.

⁴ الخطابة بين النظرية والتطبيق، محمود محمد عمارة، ص 84.

* على حد قول الجاحظ: "قيل لبعضهم ما المروعة قال: طهارة البدن والفعل الحسن"، "البيان والتبيين"، ج2، ص125.

⁵ ونقصد هنا المظهر العام للخطيب، ويعني طوله ووزنه ولون شعره وعينه والبشرة، فالمظهر العام يعني خلقه الإنسان التي خلقه الله سبحانه وتعالى عليها، وكثيرا ما يعكس المظهر العام شخصية المصدر ومكنونة، ينظر "الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي"، ابراهيم أبوا عرفوب، ص 193.

⁶سورة الأعراف، الآية 3

⁷سورة الأعراف، الآية 32.

كما كان النبي يوجه المسلمين إلى وقار الملبس ،لأنه من مقتضى الآداب التي يتحلى بها المسلم.¹ ، ولا يعني هذا التفاخر والتباهي ، وإنما يعني الاهتمام بنظافة المسلم وهينته وتناسق لباسه بما يسر الناظرين إليه لأن من طبيعة النفس البشرية أنها تميل إلى الكمال والاعتدال فإذا اضطرب مظهر الخطيب، واختلط هندامه كان سببا في نفور الناس منه وإعتراضهم عن سماعه²، فهو في موضع الخطابة يكون «...تحت زجاج مكبر والأضواء مسلطة عليه وكل خطأ يبدو في مظهره الخارجي يبرز بوضوح...»³، فيؤثر تأثيرا مباشرا على نفسية المتلقي، إذ أثبتت الدراسات النفسية أن تأثير الملابس يظهر على المستمع بل وحتى على لابسها، إذ أجمع الأفراد المدروسون أنهم عندما يكونون بمظهر لائق وأنيق، يشعرون بتأثير ذلك وينعكس ذلك الشعور إيجابيا، إذ يمنحهم الثقة بالنفس ويرفع من تقديرهم الذاتي»⁴

3-2)- الحركات والإشارات*: تعد الحركات والإشارات المصاحبة للحديث ذات أهمية كبيرة قال بعضهم إنها قد تفوق محتوى الحديث أو الأسلوب أو الإلقاء إذ أثبتت الدراسة الشهيرة ل"ألبرت مهربان**"، أن أثر الحركة يقدر بـ 55 % في العملية الإقناعية، بينما الأسلوب له 38 % والمحتوى ليس سوى 7 % فقط.⁵

فالإشارات علامات دالة تحمل معنى، فهي تعد لغة صامتة لها أثرها وفعاليتها في إثارة الانتباه والشعور، وتقوية الدلالة لأنها «...تعبير خارجي عن حالة داخلية...»⁶ تعكس المشاعر والانفعالات وتشد الانتباه وتساعد على تحقيق الفهم السريع.⁷

¹ ينظر "صحيح البخاري" ، لـ عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، ط2، مارس 1999، باب كتاب اللباس ، ص1020.

² ينظر " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 268 – 271.

³ " فن الخطابة " ، اكتساب الثقة " ديل كارينجي ، ص 92.

* سأتناول هذا الموضوع بتفصيل أكثر في الفصل الرابع(في المبحث الأول) عند تناول موضوع "اللغة المنطوقة وغير المنطوقة وأثرها في العملية الإقناعية".

⁴ " فن الخطابة " ، اكتساب الثقة " ديل كارينجي ، ص 92، 91.

** باحث شهير من جامعة لوس أنجلس ، وكانت دراسته في أمريكا ووجد أن طبيعة الناس هناك أنهم يهتمون بمظهر الإنسان وحركاته أكثر من أي شعوب أخرى في العالم.

⁵ ينظر " فن الإلقاء الرابع " ، طارق السويدان ، ص 194.

⁶ " فن الخطابة ، اكتساب الثقة " ديل كارينجي ، ص 102.

⁷ ينظر " فن الإلقاء الرابع " ، طارق السويدان ، ص 203.

وفي الغالب - تكون غير إرادية، وإنما تأتي انعكاسا لشعور ينتاب الخطيب بدافع الإحساس الذي يستثيره ذلك الموقف الخطابي ، إذ « لا يستطيع المتكلم مهما كان هادئا، أن يستغني عن الإشارة، فهو إذا لم يحرك يده، حرك رأسه، وإذا لم يحرك رأسه حرك منكبه، وإذا لم يحرك منكبه ، بدت الحركة في تغير ملامح وجهه ونظرات عينيه ، وكان يقطب جبينه، أو يحول عينيه أو....، فالإشارة إذا جزء من بيان المتكلم وأداة من أدوات تعبيره»¹. كما قد تكون إرادية، في مواقف معينة ، يستحضرها الخطيب ليقوي كلامه ويزيد من فعالية تأثيره.²

ومن المفروض أن تكون الحركات والاشارات - سواء كانت إرادية أو لا- موافقة للكلام موازية لمعانيه ودلالاته لأنها نتاج فردي ، فكل متكلم حركاته الخاصة ، تعتمد على حماسه وشخصيته وموضوعه والمناسبة ، وحتى على الجمهور ونوعيته وشكله³، هذا ما يفرض ضرورة موافقتها للمقام والحال والموضع.

فالإشارة لغة العالم ، وقد تحدث تأثيرا لا تحدثه أية لغة أخرى، لذلك وضع لها العلماء عددا من الضوابط أهمها:⁴

- (1)- ألا تمر من أمام جسم الخطيب.
- (2)- ألا تخفي وجهه.
- (3)- أن توافق المعنى « حتى تحقق مؤازرتها له في الإيضاح والتبين »⁵.
- (4)- أن تتزامن مع الكلمة التي تستخدم الإشارة لأجلها، فإن تأخرت ضاعت فائدتها.
- (5)- أن تتناسب مع طبيعة الكلام الذي تستعمل فيه ، ففي الكلام المرتبط بالعاطفة والحماسة تزيد، وتقل في الكلام العلمي المنطقي.
- (6)- ألا تتكرر إلى ما يدعو إلى الملل.
- (7)- ألا تكثر حتى تصبح لافتة للنظر أكثر من معنى دلالة الكلام المنطوق.¹

¹ " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 275.

² "فرسان المنابر" ، فقه الخطابة ، ص 315.

³ " فن الخطابة ، اكتساب الثقة " ديل كارينجي ، ص 102،103.

⁴ ينظر " فرسان المنابر " ، فقه الخطابة ، ص 317 ، وينظر ، خصائص الخطبة والخطيب ، 276.

⁵ " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 276.

فهي تأتي لتكمل معنى اللفظ وتزيد من وضوحه ودلالته، حتى إنها قد تنوب عنه لأنها تحمل هي الأخرى دلالة ، فهز الرأس من الأعلى إلى الأسفل تعني نعم، ومن اليمين إلى الشمال تعني لا ، والإشارة بالأصبع توحى بالاتهام ، واستبدال الكفين إلى الأسفل تعنى الضغط

أو التأكيد، ورفعها إلى الأعلى تعني الوقوف أو الرفع أو الإشارة إلى أمر هام ، وحركة القطع باليد تعني نهاية الأمر وبداية أمر جديد ، حركة قف باليد (مثل حركة شرطي المرور.) « تستعمل لتهدئة الجمهور أو للانتقال من نقطة فكاھية إلى أخرى جادة، أو لطرح نقطة جديدة بعد الانتهاء مما سبقها.... وغيرها².

كلها حركات وإشارات يقصد إليها المتكلم لتوضيح دلالة ومعنى أبقى استخدام اللفظ المباشر (المنطوق) للتعبير عنها، « وإنما قصد إليها حتى تنوب عنه، ولن تحقق هذه المقصدية إلا إن كانت في مكانها ووقتها الصحيح، لأنها لا تعلم ولا تكتسب وإنما تولد من رغبة ذاتية تهدف إلى استمالة المتلقين والتأثير عليهم.»³

وقد لا تقتصر على الخطيب فحسب، وإنما على الجمهور أيضا، إذ على الخطيب أن ينتبه دوما لحركات الجمهور لأنها تعكس له درجة المتابعة وحتى الفهم ، وقد تناول طارق السويدان البعض منها وحدد دلالتها على النحو الآتي⁴:

¹ ينظر "فرسان المنابر" ، فقه الخطابة ، ص 317.

² ينظر " فن الإلقاء الرابع " ، طارق السويدان ، ص 202 ، 203.

³ " فن الخطابة ، اكتساب الثقة " ديل كارينجي ، ص 101.

⁴ "فن الإلقاء الرابع" ، طارق السويدان ، ص 204 ، 205.

العلامات السيئة (سلبية)	العلامات الجيدة (ايجابية)
<ul style="list-style-type: none"> - التملل وكثرة الحركة في المكان. - كثرة الدخول والخروج. - النظر إلى الساعة. - النظر في أنحاء المكان وإلى الخلف - الجلوس واليدان خلف الرقبة ← (عدم التصديق). - العبوس في الوجه (عدم الارتياح) - النعاس أو النوم. - كثرة التهامس الجانبي. - كثرة حك الرأس... 	<ul style="list-style-type: none"> - هز الرأس بالموافقة - إمالة الجسد إلى الأمام. - الأصبع على الخد أو جانب الرأس. - إمالة الرأس إلى أحد الجانبين مع النظر إلى الخطيب.

3-3)- الوقفة : تعكس بدورها أهمية الخطيب، كما تكسبه الوقار الذي يجعله محل انتباه وإنصات، فهي تحقق أثرا في نفوس السامعين، لذا ينبغي الاهتمام بهيئتها. ومن بين الأمور التي يجب مراعاتها ما يأتي :¹

- أن يقف على مرتفع ليشرّف على السامعين*،¹ ويصل صوته إليهم، حتى يتمكنوا من رؤيته، لأن « الرؤية المتبادلة المستمرة خلال الخطبة بين الخطيب والمستمعين تعتبر من عوامل التأثير، وأسباب التفاعل...»²

- ألا يدع الميكروفون في حالة وجوده – من أن يحجز وجهه عن الجمهور.³

¹ ينظر "فرسان المنابر" ، فقه الخطابة ، ج 1 ، ص 318.

* كالمنبّر الذي يقف عليه خطيب اليوم ، أثناء خطبة يوم الجمعة.

² " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 273.

³ ينظر "فن الإلقاء الرائع" ، طارق السويدان ، ص 199.

- أن يكون في وقفته مستقيم الفتاة ، فلا انحناء ولا تقوس بأن يبرز صدره إلى الأمام مع اتزان جسمه.

- أن يوزع نظراته على الجمهور الجالس على الأطراف في وقفته وليس على الذين أمامه فقط.

- ألا يعيب بملابسه أو مجوهراته ، لأن ذلك يحط من قدره ويظهر توتره وقلقه.¹

(4-3)- حمل العصي : لقد ثبت أن الرسول "ص" كان يخطب وفي يده عصي ، كما ورث ذلك عنه الصحابة والتابعون ، إذ تبين بالأدلة الصّحيحة والصريحة سنية الارتكاز عليها في موضع الخطبة* ، قال الشوكاني رحمه الله – في تفسيره: «وكان النبي "ص" يخطب بالقضيب وكذلك الخلفاء من بعده وكان عادة العرب الغرباء أخذ العصا والاعتماد عليها عند الكلام وفي المحافل والخطب».²

حتى إنه ثبت في كتاب الجاحظ في باب " عما يكتب في حمل العصا " أنه كثيرا ما تغنى الشعراء بها وبمحاسنها.³

(5-3)- الابتسامة المشرقة: إن ابتسامة الخطيب في مواضع معينة ، تشير إلى حالته النفسية المرتاحة ، كما أنها تشيع جوا يعبر عن محبته لكونه هناك مع ذلك الجمهور ، وأنه محب لما هو مقبل عليه.

فالابتسامة دليل على سعادته في إقباله على مستمعيه، هذا ما يشعرهم بحرارة فيرحبون به، يقول ديل كارينجي في هذا: « إذا وجهنا انتباهنا للناس ، يحتمل أن يهتم الناس بنا ، وإذا تجهنا ، فإنهم سيتجهمون داخلنا أو ظاهريا نحونا».⁴ ، خصوصا قبل الشروع في الكلام فغالبا ما يقع حكم الجمهور في ذلك الوقت إما بالاستحسان أو الاستهجان.⁵

¹ " فن الخطابة ، اكتساب الثقة " ديل كارينجي ، ص 99 .
* وتختلف طريقة الارتكاز على العصي من خطيب إلى آخر ، فهناك من يرتكز عليها، بيد واحدة واليد الأخرى على المنبر ،
خطبة 2013/06/14، الجزائرية TV، وهناك من يرتكز عليها بكلتا اليدين، وفي هذه الحالة يخطب الخطيب إرتجالا، خطبة
2013/07/05، الجزائرية 3.

² " أعلام النخبة بسنية حمل العصي في الخطبة" ، عبد الوهاب هدنة ، دار هومة للطباعة والنشر ، 2006 ، ص 66.

³ ينظر " البيان والتبيين "، الجاحظ ، ج3 ، ص 201 – 206..

⁴ " فن الخطابة ، اكتساب الثقة " ديل كارينجي ، ص 99.

⁵ ينظر "المرجع نفسه" ، ص ن.

4 - المقومات الأسلوبية:

إن الخطاب الناجح – بغض النظر عن نوعه ونوع اللغة المستخدمة فيه – هو الذي يحسن الخطيب فيه اختيار ألفاظه وأساليبه، لما يوافق معانيه ومقاصده، ولن يكون ذلك إلا بتمكنه من اللغة المتحدث بها، وحفظه لكثير من كلام فصحاء وبلغاء تلك اللغة – كما سبق الذكر-.

فالخطاب الديني يجعل صاحبه ملزماً بضرورة معرفة اللغة العربية معرفة كاملة (ألفاظها تراكيبها ، وقواعدها و.....) ، لأن فهم الدين وإقامة شعائره وأداء فرائضه موقوف بالدرجة الأولى على فهم هذه اللغة¹ ، و «...قوة الأسلوب الخطابي تستند إلى مدى اصطباغه بصفة العربية الأصلية، وتحليه بخصالها الكريمة في أداء المعاني والتعبير عن الأفكار»²

خصوصاً وأن اللغة العربية هي لغة مرنة بطبيعتها، تواكب التّقدم، لها من السعة والشمول، ما يتسع للناس جميعاً، كما أنها واضحة مبينة للمقاصد ، رافعة لللبس والغموض في مجملها³.

و للعربية «...فضل من جهة اعتدال كلماتها...ولها فضل من جهة فصاحة مفرداتها،فليس في كلماتها الجارية في الاستعمال ما يثقل على اللسان أو ينوب عنه السمع، وللعارف بحسن صياغة الكلام أن يصنع من مفرداتها المأنوسة والوضاءة قطعاً أو خطباً، أو قصائد تستترق

الأسماع وتسحر الألباب»⁴، كقول الخطيب في مكارم أخلاق النبي محمد "ص": "كَانَ صَادِقًا أَمِينًا، مَتَقَشِّفًا، مَتَوَاضِعًا، لِينًا حَلِيمًا، سَجِيًّا كَرِيمًا، عَطُوفًا رَحِيمًا، يَعْفُو عَمَّن ظَلَمَهُ وَيَصِلُ مِنْ قَطْعِهِ وَيَصْبِرُ عَلَى الْأَذَى..."^{*}

وهذا ما أقره الكثير من دارسي اللغات في العالم منهم المستشرق "أرنست رينان" في كتابه "تاريخ اللغات السامية" إذ يقول في اللغة العربية : « من أغرب المدهشات أن تنبث من تلك اللغة القوية ، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرحل ، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها»⁵ ، وذلك لأنها تملك

¹ ينظر ، فرسان المنابر ، فقه الخطابة ، ج 1 ، ص 417.

² " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 91.

³ ينظر "الخطابة بين النظرية والتطبيق" ، محمود محمد عمارة ، ص 21.

⁴ "الخطابة بين النظرية والتطبيق" ، محمود محمد عمارة ، ص 72.

* خطبة 2013/08/02، قناة شروق نيوز.

⁵"الخطابة بين النظرية والتطبيق" ، محمود محمد عمارة ، ص 72،73.

إمكانيات تجعلها لغة لا تضاهيها أي لغة أخرى فهي «...قادرة على أن تكون أداة ، إنما تحتمل بث ما نعهد به إليها: أمراً، سؤالاً ، إعلاناً، وهي تثير كل مرة في المخاطب سلوكاً مناسباً.»¹ ذلك السلوك المناسب الذي يظهر بما يناسبه من أسلوب خطابي يعكس غرضه ومقصدية ونقصد من ذلك « طريقة أداء المعاني وعرض الأفكار...»²، أو بمعنى آخر هو مجموع الوسائل التعبيرية التي يستخدمها الخطيب كي يمرر بواسطتها، أفكاره ومعانيه إلى المتلقين، ويشمل ذلك الألفاظ والتراكيب.³

فالمعاني مضمرة في الأذهان ، والصناعة تكمن في الألفاظ التي تحملها، على حد قول ابن خلدون : « والذي في اللسان والنطق إنما هو الألفاظ، أما المعاني فهي في الضمائر... لا تحتاج إلى تكلف صياغة تأليفها، وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة...»⁴ فابن خلدون (ت 808 هـ) يفضي في هذا الطرح إلى أن الانسان وحتى يفيد بما يكسبه من معان ويتسنى له التعبير عنها، لا بدّ له من أن يرمز إليها برموز حسية ، وذلك بالإشارة إليها بالكلمات التي تشكل بنية اللغة، والتي تسمح له بالاحتفاظ بها والإفادة منها وبها. « فالمعاني تظل حائرة في الذهن حتى تستقر في بناء رمزي مناسب فتتثبت ، وتتبلور وتتركز وتتحدد وعندئذ يسهل وعيها وتذكرها والتداول معها عند التفكير، وهذا البناء الرمزي هو في حد ذاته اللغة التي نتكلم بها وننطق بحروفها.»⁵

والأسلوب بهذا المعنى هو ذلك البناء الرمزي الذي يتخذه المتكلم (في اللغة التعبيرية) ليبرعن فكرة ، فيظهر مجسداً في قالب لغوي خاضع لمجموعة من القوانين والضوابط المتمثلة في تلك الإلتزامات النحوية والصرفية والدلالية، التي يفرضها النظام اللغوي المعياري الذي يحد من حرية مستعمل اللغة في خلق قواعد جديدة من صنيعه.

¹ "لسانيات الخطاب" ، صابر الحباشة ، دار الحوار للنشر والتوزيع سورية ، ط1 ، 2010 ، ص 135.

² " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 65.

³ "المرجع نفسه" ، ص ن.

⁴ "المقدمة" ، ابن خلدون ، ص 596.

⁵ "المدخل إلى علم النفس العام" ، " مروان أبو حويج " ، دار اليازوري العلمية ، للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ،

2006 ، ص 143.

وإنما يبقى الأسلوب مجال التصرف الذي يتاح للمتكلم وهو في ضوء استخدام تلك اللغة¹ أي وعيه بالقيم التي تتمثلها المتغيرات الأسلوبية، في كل عملية أداء لغوي ينطق به، فهو عندما يتكلم يستعمل عمدا بعض السمات النوعية والكمية القائمة في الألفاظ والجمل، أي أن حرّيته تظهر في كونه ينهل من ذلك النظام اللغوي الواسع ما يتلاءم مع القصد الذي يرومه² خصوصا وأن الأسلوب الخطابي مميز عن غيره*، تبرز فيه قوة المعاني والألفاظ مرفوعة بقوة الحجة والبرهان بغرض استنهاض المستمعين إلى مقاصده³.

هنا يكمن إبداع الخطيب، إذ أننا لا يمكن أن نتكلم عن إبداع دون بيان يصوره**لأنه شكل خاص من أشكال الخلق اللغوي.

ولعل أهمية الأسلوب باعتباره آلية من آليات الإقناع تبرر في اهتمام الدارسين منذ القديم به وبمقوماته وأشكاله، منهم أرسطو الذي أولى له اهتماما كبيرا في كتابته " فن الخطابة"، إذ تكلم عن صفاته وسلامته وتناسبه، وفي وسائل تحمليه وفي أنواعه..... إلخ⁴.

كما تناول ضرورة الاعتدال فيه وتناسبه ومقتضى الحال في قوله: « والاعتدال هو ألا يرتفع إلى قول العظائم بالكذب ولا ينحط إلى الخسائس بالتوقي...»⁵

ولأن الأسلوب الخطابي يختلف عن بقية أساليب الكلام- كما سبق الذكر- لتمييزه بكثرة الجمل الإنشائية المعبرة والمشحونة التي تثير العواطف وتؤجج المشاعر⁶، فإن هذا كله يستدعي ما يعرف بمتانة الأسلوب⁷، التي لا تتأتى إلا بالتمكن من وسائله المتمثلة في الألفاظ والتراكيب.

¹ ينظر " الأسلوبية وتحليل الخطابة " ، منذر عياشي ، دار المحبة ، دمشق ، ص 35.

² ينظر " المرجع نفسه " ، ص 37.

* الأدبي (الشعر الخيال والنثر) والعلمي المبني على المنطق.

³ ينظر "جواهر البلاغة" ، أحمد الهاشمي ، ص 33.

⁴ ينظر "فن الخطابة " ، أرسطو ، ص 185،198،202،218،225.

⁵ ينظر "فن الخطابة " ، ص 202.

⁶ ينظر " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 66.

⁷ ينظر "فن الخطابة واعداد الخطيب " ، علي محفوظ ، ص 61.

1-4- الألفاظ¹: (الكلمات)

إن ما هو معلوم أن الأفراد يتعاملون فيما بينهم بشكل دائم ومستمر معتمدين في ذلك على وسيلة مطبوعة تحقق لهم ذلك هي اللّغة « والألفاظ هي لبن اللّغة التي أسست كيانها »² واللّغة ما هي إلا مجموعة من الألفاظ ذات المعاني المستقلة التي تشكل في مجملها معنى الجملة التي تحمل مجموعة المعاني التي تدل عليها ألفاظها³، حتى إن المعنى الكلي للّفظة ذاتها

يتشكل من مجموع المعاني الإيحائية التي تدل عليها أحرف تلك الّلظة وهذا ما يهتم به علم فقه اللّغة⁴.

فالكلمة تعتبر أساس التعبير عن المعنى المستقل بذاته⁵، وهذا لا ينفي وجود المترادفات التي يوحي ظاهرها إلى أن معناها واحد، إلا أننا لو دققنا في تلك المشاركات المعنوية لوجدنا أن لكل لّفظة زيادة في المعنى الذي تشترك فيه مع غيرها وهذه الخاصية ظاهرة في القرآن الكريم مثلاً في قوله تعالى: « سَنَسْمُهُ عَلَى الْخَرُطُومِ »⁶، ولم يقل "سنعلمه"، لأن هناك فرقا بين العلامة والسمة، إذ أن السمة ضرب معلوم من العلامة مخصوص، أما العلامة فهي أعم من السمة دلالة⁷، وكقول الخطيب* "فالإسلام مقت البطالة وحضّ على العمل" ولم يقل بغض البطالة ودعى إلى العمل"، لأن "المقت" هو أشدّ "الإبغاض" "والحضّ" هو "الحثّ بإصرار"⁸.

¹ أداة الدلالة هي اللفظ، وتكاد تجمع المعاجم العربية على أن الألفاظ ترادف الكلمات، في الاستعمال الشائع المؤلف، فلا فرق بين أن يقال أحصينا ألفاظ اللّغة أو كلمات اللّغة، ومع هذا هناك من النحاة من يحاول التفرقة بينهما وبين القول، إذ يستشعرون مع "اللفظ" عملية النطق وكيفية صدور الصوت، وما يتبع ذلك من حركات اللسان والشفّتين، فإذا تم ربط الأصوات المنطوق بها وما يمكن أن تدل عليه من معنى تكونت في رأيهم "الكلمة"، أي أن الكلمة أخص لأنها لفظ دل على معنى، ينظر "دلالة الألفاظ"، إبراهيم أنيس، ص 28، بتصرف

² "الدلالة اللفظية"، محمود عكاشة، مكتب الأنجلوا المصرية، 2002، ص 5.

³ من المفيد هنا إلى الإشارة إلى أن بعض علماء النّقد الأدبي كعبد القاهر الجرجاني، أنكر أن تكون اللفظة فصاحة خاصة وجعلها خاصة بالجملة (التركيب)، فهو يقول: « هل تجد أحد يقول هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النّظم، وحسن ملاعته معناها لمعاني جاراتها »، دلالات الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني.

⁴ ينظر " خصائص الخطبة والخطيب "، ندير محمد مكتبي، ص 66.

⁵ ينظر " الخطابة والخطيب "، محمد سمير الشاوي، ص 73.

⁶ سورة القلم، الآية 16.

⁷ ينظر " خصائص الخطبة والخطيب "، ندير محمد مكتبي، ص 67.

* خطبة 2013/09/20، قناة الجزائرية 3.

⁸ ينظر "لسان العرب"، ابن منظور، مجلد 13، مادة مقت، ص 164 و الجلد 3، مادة "حضّ"، ص 254.

فالألفظة هي أساس الكلام لأنها المعبرة عن المعنى ، لذا على الخطيب أن يراعي مجموعة من الأمور وهو في صدد اختيارها حتى تكون من قلبه قبل عقله والسبيل إلى ذلك البيان وهو في مجمله " ...أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلّي عن مغزائك، وتخرجه عن الشركة ، ولا تستعين عليه بالفكرة والذي لا بدّ له منه أن يكون سليما من التكلف بعيدا عن الصنعة ، بريئا من التعقد عنيا عن التأويل»¹.

هذه أكثر الأمور أهمية في اختيار الألفظة صف إلى ذلك :

1- اختيار الألفظ المناسب للمعنى على حد قول الجاحظ : « فإذا كان المعنى شريفا والألفظ

بليغا ، وكان صحيح الطبع ، بعيدا عن الاستكراه ومنزّها عن الاختلال ، مصونا عن

التكلف في القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة»²، كقول الخطيب:

"فكان النبيّ "ص«لا يتوانى عن الحضّ على الجدّ والسّعي ، وهجر البطالة والكسل»* ،

وكان له أن يقول "فكان النبيّ "ص" ، لا يتوانى عن الدعوة إلى الجدّ والابتعاد عن البطالة

والكسل" ، ولكنه وصف كلمة التواني، الحضّ ، الهجر لما تحمله من دلالات قوية.

2- البعد عن الكلمات الغريبة ، لأنها لا تنتقل المعاني باليسر وإنما تجعل في أذهان السامعين

غموضا إن لم نقل قد تدخلهم في فهم خاطئ ، وهو يعد من العيوب المخلة بالخطاب، لذا وجب

على الخطيب أن يختار لمعانيه ما هو يسير مأنوس فصيح من الألفاظ³ على حد قول الجاحظ :

«...ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظ كريما ، فإن حقّ المعنى الشريف اللفظ الشريف

ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجّنها...فكن في ثلاث منازل ، فإن أولى الثلاث أن

يكون لفظك رشيقا عذبا ، وفخما سهلا ، ويكون معنك ظاهرا مكشوفاً ، وقريبا معروفا ، أما

¹ "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 143.

² "المصدر نفسه" ، ج 1 ، ص 124 ، 125.

* خطبة 20/09/2013 ، قناة الجزائرية 3.

³ وفصاحة الألفظة تكون بخلوصها من أربعة عيوب وهي :

أ- خلوصها من تنافر الحروف نحو هُجْع (نبات ترعاه الإبل) ، مستشزرات (مرتفعات) .

ب- خلوصها من الغرابة كان تكون غير ظاهرة المعنى كقول عيسى بن عمر النحوي " ما لكم تكأكأ تم على كتكأكنكم على

ذي جنة ، إفرنقوا عني »

ج- خلوصها من مخالفة القياس الصرفي.

د- خلوصها من الكراهة في السمع كأن تكون وحشية كالجرشي (النفس) لمزيد من التفصيل حول الموضوع ينظر،

"جواهر البلاغة" ، أحمد الهاشمي ، دار ابن الجوزي للطبع والنشر ، القاهرة ، 2010م ، ط 1 ، ص 9 - 12.

عند الخاصّة إن كنت للخاصة قصدت ، وإما عند العامّة إن كنت للعامّة أردت «¹ ، لأن اختيار حسن الكلام هو من البلاغة المؤدية إلى تحقيق المقاصد.²

3- انتقاء الكلمات المأنوسة ذات الإيقاع والجرس الموسيقي الموحى الذي يقع موقعا حسنا في الأذان والأسماع³، وتجنب الكلمات الثقيلة التي تكرهها الأسماع قول : "يعروري" بدلا من يركب و "غرّد" بدلا من "هرب"

فللجرس الموسيقي في اللفظة أثر يزيد في جمال التعبير عن المعنى العام لتلك اللفظة ،

مثلا في قوله تعالى : « وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَسَ (17) وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ (18) ». ⁴

فكلمتا "عسعس" و"تنفس" وقع موسيقي موح تطرب له الأذان، كما جاء في قول الخطيب:
"ولا يزال الكثيرون يأكلون التراب أكلاً لماً، ويحبون المال حباّ جمّاً".*

4- البعد عن الكلمات الركيكة والألفاظ العامية إذ "...لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا وساقطا سوقيا... غريبا وحشيا..."⁵ ، لأن هذا يجعل من أسلوب الخطاب ، أسلوبا ضعيفا يفقده سلطة التأثير والاستهواء من جهة ويفقد مصداقية الخطيب ذاته من جهة أخرى في عدم قدرته على النهوض بمستوى جمهوره بلغة القرآن وثقافة الإسلام.⁶

فاختيار اللفظ القوي أمر ضروري حتى يصيب الخطيب المعنى المناسب على قول

عمرو بن عبيد: « فكَأَنَّكَ إِنَّمَا تَرِيدُ تَخْيِيرَ اللَّفْظِ فِي حَسَنِ الْإِفْهَامِ...بِالْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْسَنَةِ فِي الْأَذَانِ ، المقبولة عند الأذهان ، رغبة في سرعة استجابتهم ، ونفي الشواغل عن قلوبهم...».⁷

¹ "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 163

² ينظر " المصدر نفسه " ، ج 1 ، ص 127.

³ ينظر "المصدر نفسه" ، ص 147.

⁴ سورة التكوير ، آية 17 ، 18.

* خطبة 2013/07/19، قناة 2M المغربية.

⁵ "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 172.

⁶ ينظر "الخطابة والخطيب" ، محمد سمير الشاوي ، ص 74 – 75.

⁷ "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 147 ، 148.

5- تجنب تكرار اللفظ الواحد لغير حاجة لأن ذلك يسبب السأم¹ ، فإذا قال خطيب مثلاً : « وسواء أكان النور هو الإيمان، أو الإيمان هو النور، فالطريق الرحب للفوز بالنور هو تقوى القلوب، والإيمان المبعوث لا خراج الناس إلى النور»* ، فهذا الكلام الذي تكررت فيه كلمة "النور والإيمان" يتنافى مع فصاحة البيان ، ولا يعني ذلك أن التكرار لا يفيد في كل الأحوال ، بل هناك ما هو محمود منه إن كان لغرض التأكيد والتثبيت².

6- أن تكون في الخطبة ألفاظ مناسبة مثيرة لخيال الجماعة موقظة لذكريات حية في نفوسهم حتى يكون لها أثر كبير في تحقيق مقصدية الخطاب فإن كان مثلاً يخطب قوماً في الحث على أداء الطاعات ذكر الجنة وحسن الجزاء والفلاح في الدنيا**، وغير ذلك من الأسماء التي تثير معاني عميقة في نفسية الإنسان المسلم³.

4-2) التراكيب : التركيب هو ما يتشكل من مجموع الألفاظ المركبة والمترابطة فيما بينها والتي تحقق بمجموعها معنى تاماً ، فإن كانت سهلة حسنة السبك واضحة المعاني خالية من التعقيد⁴، مناسبة لمقام الخطاب ، كانت سبيلاً إلى تحقيق الإقناع.

يقول في ذلك ابن خلدون: « أعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة ، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها ، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في

* خطبة 2M/09/06، قناة المغربية.

¹ ينظر "فن الإلقاء" ، محمد علي ، ص37.

² ينظر "الخطابة والخطيب" ، محمد سمير الشاوي ، ص 75.

* مثلما جاء في خطبة 2M/07/19، 2013/07/19 المغربية.

³ ينظر " الخطابة ، أصولها ، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب " ، محمد أبو زهرة ، ص 104.

⁴ والذي يكون بـ :

- تنافر الكلمات مجتمعة كان تكون ثقيلة على السمع كقول الشاعر : " وقبر حرب بمكان ففر : " وليس قبر حرب قبر " .

- ضعف التأليف : أن يكون الكلام جارياً على خلاف ما اشتهر من قوانين النحو.

- التعقيد اللفظي : أن يكون الكلام خفي الدلالة والمعنى ، فتكون الألفاظ غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني.

- التعقيد المعنوي : ويكون التركيب خفي الدلالة على المعنى المراد حيث لا يفهم معناه إلا بعد عناء وتفكير مطول كقول

عباس بن الأحنف : تتأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا : وتسكب عيناى الدُموع لتجمدا .

- كثرة تكرار اللفظ الواحد دون فائدة سواء أكان اللفظ فعلاً أو حرفاً ينظر ، "جواهر البلاغة" ، أحمد الهاشمي ، ص 19

تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع...»¹

وحتى يكون الخطيب عاملاً بقول ابن خلدون يجب:

1- أن تكون التراكيب قوية متناسقة بألفاظ سليمة من الضعف والتفكك وهذه الخصلة واضحة في القرآن الكريم في قوله تعالى: «أَنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) تَمَّ قَتْلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتِرُ (24) إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25)»²

فهذا النص القرآني يعكس تصويراً دقيقاً للحالة النفسية الباطنية والظاهرة التي كان عليها الوليد بن المغيرة في موقعة من القرآن الكريم ، بعد أن سمعه من الرسول "ص" فجاءت الألفاظ موحية عن حاله وكيف أنه صرف عن الحق ورجع مستكبراً عن الانقياد للقرآن وقال : «إن هذا إلا سحراً يؤثر» ، أي سحر ينقله محمد عن غيره كمن قبله ولهذا قال : "إن هذا إلا قول البشر" ، أي ليس بكلام الله...³

ففي هذا النص القرآني المجيد بجملة القصيرة المتناسقة وإيقاع حروف ألفاظها المتناغمة رسم ملامح تلك الشخصية بصورة جميلة واضحة⁴.

2- أن تكون متراسة في ترتيب الألفاظ، حيث توضع كل لفظة في موقعها المناسب كما جاء في قول الخطيب "فالإسلام مقت البطالة، وحض على العمل...وعلى الجد والإجتهد، وجعل ذلك بمنزلة الجهاد في سبيل الله، وسبباً قويا في غفران الذنوب والأثام..."* فالألفاظ هنا أخذت بعضها في نسق منظم ودقيق بعيداً عن التكليف والتعقيد الذي يضعف الفهم.

فاللفظة إن لم تقع في موقعها الصحيح من التركيب، كأن تتقدم عن مكانها أو تتأخر دون سبب بلاغي أو لغوي يجوز لها ذلك، فإن ذلك يفقد الكلام صفة الوضوح والبيان، على حد قول

¹ "المقدمة" ، ابن خلدون ، ص 574.

² سورة المدثر ، آية 18 – 25.

³ "مختصر تفسير" ، ابن كثير ، تح هاني الحاج ، دار التوقيفية ، للتراث للطبع والنشر والتوزيع ، ج 3 ، ص 379.

⁴ ينظر "خصائص الخطبة والخطيب" ، ندير محمد مكتبي ، ص 73.

* خطبة 20/09/2013، قناة الجزائرية 3.

أبو الهلال: « الكلام- أيدك الله - يحسن بسلاسته وسهولته ونصاعته وتخيّر لفظه وإصابة معناه...فإن كان الكلام كذلك كان بالقبول حقيقيا».¹

كما جاء في قول أحد الخطباء عن الأخلاق : " إن في حقيقة الأمر الأخلاق أساس بقاء واستقرار الأمة" ، ففي حال سماع هذه العبارة تشعر بخللها لصعوبة فهم معناها لما عليه من تقديم وتأخير غير مناسب وهذا عيب في الكلام وقبح في الدلالة ، إذا كان أوجب عليه قول : "إن الأخلاق في حقيقة الأمر أساس بقاء الأمة واستقرارها"².

ويدخل في هذا الباب أيضا ، استعمال الكلمات للدلالة على معان لا تصلح لها ، ويكون ذلك ظاهرا في المجازات الخاطئة مثل قولنا : (فلان سيف في العلم) ، والصواب أن يقول : " بحر في العلم " وهذا ما يعرف بالتعقيد المعنوي الذي اعتبره البلاغيون مما يخل بفصاحة الكلام.

3- خلوها من ظاهرة التكلف اللفظي وسلطان السجع، أما عن الأول فهو ما قال فيه الجاحظ : " وإياك والتوعر ، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك»³ ، فيجعل بذلك تراكيبك غامضة الفهم صعبة الإدراك بعيدة عن التأثير والإفادة.

أما السجع فيجب ألا يكون مبالغا فيه حتى لا يؤدي إلى انشغال السامع بوقع إيقاع الألفاظ أكثر من مضمون الخطبة، فإن كثر أضعف من قيمته، إلا ما جاء عفويا سائرا في تراكيبها حتى يضيفي جمالا ورونقا⁴، كما جاء في دعاء الخطيب "اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُدْرَتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانَ عَزِيمَتِي، يَا أَرْحَمَ الرَّحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِينَ وَالْمُسْتَجِدِّينَ...".^{*}

فلكل لغة مستحسنات ومناهج تأخذ منها روحانيتها وقوة تأثيرها ، ولذلك لا مانع من اتخاذ بعض السجع في الخطابة⁵، لأنه يفيد في كونه أسرع إلى الحفظ من غيره ، ففيما جاء في "البيان والتبيين" عن الصمد بن الفضل بن عيسى الوقاسي ، أنه سئل : « لم تؤثر السجع على المنثور وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن؟ ، قال : إن كلامي لو كنت لا أمل فيه إلا سماع

¹ ينظر "كتاب الصناعيين" ، أبي هلال العسكري ، تح على محمد البخاري ، محمد أبو الفضل ، دار الفكر العربي، ط2، ص 61.

² ينظر " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 74 ، 75.

³ "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 162.

⁴ ينظر " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 78.

* خطبة 2013/08/09، قناة الجزائرية.

⁵ ينظر " الخطابة ، أصولها ، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب " ، محمد أبو زهرة ، ص 108.

الشاهد لقلّ خلافي عليك، ولكنني أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع، والأذان لسماعه أنشط، وهو أحقّ بالتقييد وبقلّة التقلّت»¹

وأمثلة السجع كثيرة وواردة في القرآن الكريم في قوله تعالى : « الرَّحْمَانُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحَسْبَابٍ (5) ».²

إذ تحقق للسجع في الآية كل عناصر القوة والجمال من ذلك ما يبدو من كمال العبارة في إحكام بنائها، حيث يشعر معها السامع بمدى ثقة القائل بسداد ما يقول ، أضف إلى جمال وقعها الموسيقي في الأذن والنفس.

4- سبق وقلنا إنه من غير المستحسن تكرار اللفظ الواحد بغير داع ، والأمر نفسه في التراكيب ، فإذا كرر الخطيب الجملة مرارا في خطابه، عدت من المساوئ التي تفضي إلى الضجر ، وأما إذا كان تكرارها مدعاة لتثبيت المعنى³كونها تساعد على ترسيخ المعلومات في الذهن وتثبيتها فإنها في هذه الحالة ستزيد من قوة الأسلوب وشدة التأثير ، وهذا ما اختص به القرآن الكريم مثل ما جاء في سورة الرحمن في قوله تعالى :

« فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ »⁴ ، إذ أضفى تكرار هذا التركيب على سياق السورة رونقا وبهاء وقوة في المعنى.⁵

ومثال ذلك في إلتزام الخطيب بعبارات معينة يكررها، رغبة منه في تنبيههم وجعلهم ممن ينصتون مثل قوله : "يا أيها المسلمون" ، "وهكذا أيها الناس" ، "أجل يا معشر المؤمنين" ، "يا أمة محمد"....إلخ.

فتكرار هذه التراكيب لا يعد عيبا في الأسلوب ، إذ حدثت في مكانها ووقتها المناسب، ولنا في خطب الرسول شواهد على ذلك ، مثل تكراره عبارة "أما بعد أيها الناس" في خطبته حجة الوداع.

¹ "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 313.

²سورة الرحمن، الآية 5..

³في هذا الصدد ذكر كل من اتكنسون وشفرين 1968 أنه « كلما تكررت المعلومات عددا أكبر من المرات ، كلما تم الاحتفاظ بها في الذاكرة القصيرة المدى لفترة أطول ، كلما كان هناك احتمال أكبر لاسترجاعها في المستقبل»، علم النفس المعرفي ، مريم سليم ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط 1 ، 2009 ، ص 11

⁴ سورة الرحمن ، الآية 9.

⁵ ينظر " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 79 ، 80 ، والخطابة والخطيب ، محمد سمير الشاوي

ص 76 - 78.

5- طول التراكيب وقصرها : تختلف طريقة بناء الخطبة بحسب نوعية الخطبة، وشخصية الخطيب وقدراته ، فكثيرا ما تحتل التراكيب القصيرة حصة الأسد فيه ، لأن الخطيب يعتمد كليا على صوته ولهجته ، والجمل الطويلة تحتاج إلى نفس طويل وهنا«... مهما طال نفسه لا يتمكن من النطق بالجمل الطويلة متتالية مع محافظته على قوة صوته ونشاط لهجته من بداية نطقه بتلك الجمل إلى نهايتها»¹.

ومما هو معلوم أن الخطبة التي يغلب عليها طابع إثارة العواطف، تحتاج إلى التعبير عن معانيها بالجمل القصيرة التي تجعل صوت الخطيب في إيقاع مؤثر، إذ يقول الجاحظ في ذلك: «...وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره...»².

ففي استخدام الجمل القصيرة للدلالة على المعاني إيجاز، والإيجاز مع إصابة المعنى هو من البيان ، إذ يقولون في إصابة عين المعنى بالكلام القليل: « فلان يفلّ المحزّ ويصيب المفصل...وأخذوا ذلك من صفة الجزار الحاذق، فجعلوه مثلا للمصيب الموجز »³ ، مثلما جاء به الخطيب في قوله هذا: " هناك يحاسب على الأعمال والأقوال، فإن كانت سالحة لاقى نعيما مقيما، وإن كانت طالحة لاقى عذابا أليما."*

6-تنوع أسلوب التركيب: وهو أمر مطلوب، إذ لا بدّ ألا تسير خطبته على وثيرة أسلوب واحد، لأن هذا سيعيبها، إذ يجب أن تكون على وثيرة متميزة ومتنوعة. يظهر فيها التجديد المستمر على مسامع المتلقين، بين أسلوب إخبار، وأمر، ونهي وقسم واستفهام واستنكار وتعجب، وتشويق... وغيرها من الأساليب التي لا تزيد الخطاب إلا جمالا وتأثيرا وبلاغة

¹ " خصائص الخطبة والخطيب " ، ندير محمد مكتبي ، ص 83.

² "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 124.

³ "المصدر نفسه" ، ج 1 ، ص 144.

* خطبة ، 2013/09/06، قناة إقرء

المبحث الثاني

- الإلقاء "Diction":

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان على فطرة ميزه بها عن غيره من المخلوقات، هي فطرة الجهاز الصوتي، المركب من خصائص تسمح له بتوظيف اللفظة والجملّة الواحدة بطرق صوتية مختلفة تعكس مقصديته باعتبار الصوت آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم عليه تأليف الكلام.¹

والمعلوم أن البشر يشتركون في نفس خصائص النطق المرتبطة بالجهاز الصوتي² مثل القدرة على رفع طبقات الصّوت والتّنعيم والتّبر وغيرها من الخصائص، إلا أن الاختلاف وارد في ذلك بحسب المهارات الشخصية لكل فرد وقدرته على الأداء والتّعبير وهذا ما يمكن تسميته بمهارات الإلقاء.

فالإنسان ذو الصوت الرخيم له الحنجرة ذاتها التي عند صاحب الصّوت الغليظ، وإنما الفرق في الموهبة التي تميز بها، وهي سيطرته على العملية الإلقائية للصوت بتسخيره مجموعة من المهارات يمتلكها في ذاته، تجعله يحسن ويجيد العملية الإلقائية.³ ويتألف جهاز الإلقاء من أعضاء النطق⁴ التي لا تؤدي وظيفتها إلا بالتضافر مع التعبير الجسماني من جهة، والصوتي من جهة أخرى في الأداء، سواء كان ذلك كلياً أو جزئياً، والمخطط الآتي يوضح لنا أعضاء النطق عند الإنسان.⁵

¹ ينظر "البيان والتبيين"، الجاحظ ج1، ص 118.

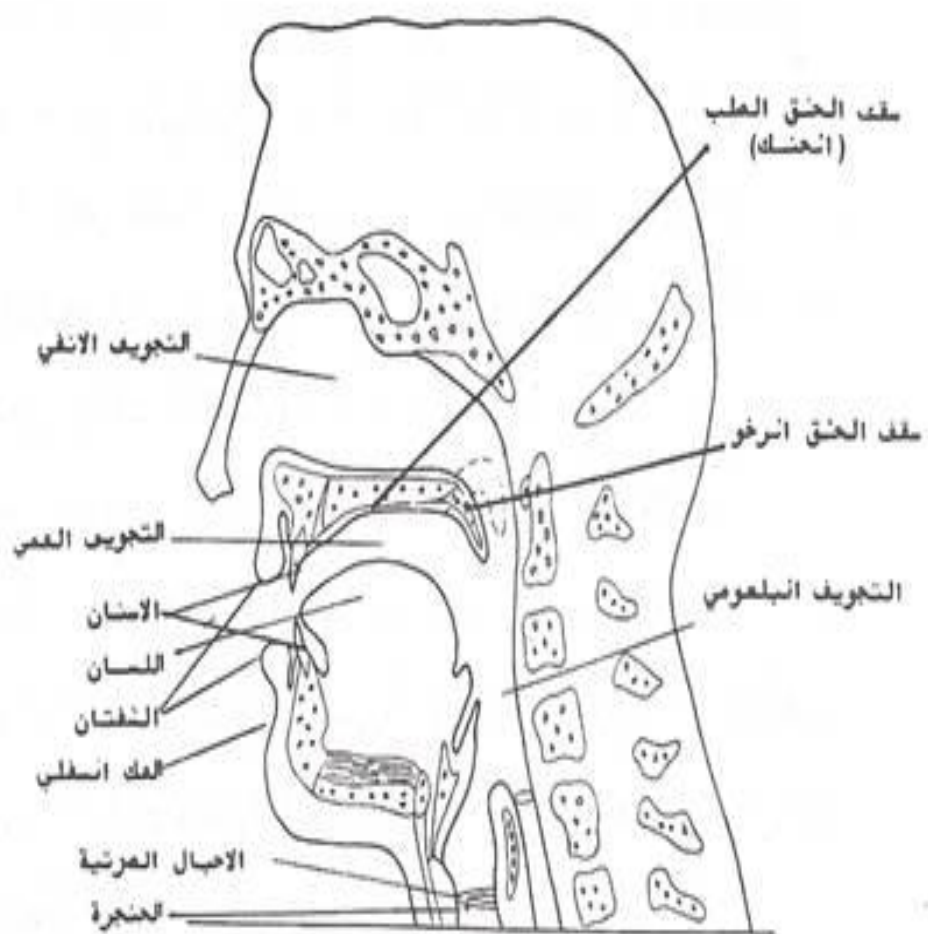
² أي الجهاز النطقي، وهو المسؤول عن العملية الكلامية، ويضم أعضاء يطلق عليها تجاوزاً أعضاء النطق لأن لكل من هذه الأعضاء وظيفة أو وظائف أخرى رئيسية خلقت من أجلها، فالسان مثلاً يستعمل في الأكل والبلع والأسنان في المضغ، والأنف للشم والتنفّس..... إلخ، ينظر، "الكلام إنتاجه وتحليله"، عبد الرحمن أيوب، مطبوعات جامعة الكويت، ط 1، 1984 ص 40 - 41.

³ ينظر "الأصوات اللغوية"، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلوا امصرية، القاهرة، مصر، ط 4، 2007، ص 12. اقتصر علماء الأصوات خلال النصف الأول من هذا القرن على وصف نشاط أعضاء النطق وصفا عاما لا عمق فيه إلى أن استطاع علماء وظائف الأعضاء استخدام التصوير بالأشعة "إكس"، وهذا بعد المجهر الخيطي Fibroscope لمشاهدة الأعضاء الصوتية بالعين المجردة، وقد استخدمت هذه الوسائل لأغراض طبية كما عكست في الوقت ذاته أضواء جديدة على دراسة العملية النطقية، ينظر، "الكلام إنتاجه وتحليله"، عبد الرحمن أيوب، ص 19.

⁴ اقتصر علماء الأصوات خلال النصف الأول من هذا القرن على وصف نشاط أعضاء النطق وصفا عاما لا عمق فيه إلى أن استطاع علماء وظائف الأعضاء استخدام التصوير بالأشعة "إكس"، وهذا بعد المجهر الخيطي Fibroscope لمشاهدة الأعضاء الصوتية بالعين المجردة، وقد استخدمت هذه الوسائل لأغراض طبية كما عكست في الوقت ذاته أضواء جديدة على دراسة العملية النطقية، ينظر، "الكلام إنتاجه وتحليله"، عبد الرحمن أيوب، ص 19.

⁵ "فن الإلقاء العربي الخطابي والتمثيلي"، فاروق سعد، ص 91.

أجهزة الرنين والنطق



مخطط يوضح أعضاء النطق

1- لغة:

جاء "في لسان العرب" تحت مادة " لقا "ألقى الشيء طرحه وفي الحديث « إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يُلْقِي لَهَا بِأَلَا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ » ، أي ما يحضر قلبه لما يقوله منها والبال : القلب وفي حديث الأحنف : أَنَّهُ نُعِيَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَمَا أَلْقَى لِذَلِكَ بِأَلَا ، أَيِّ مَا اسْتَمَعَ لَهُ وَلَا إِكْثَرَتْ بِهِ وَقَوْلُهُ : "يَمْتَسِكُونَ بِخَيْرِ زُرَّانِ السَّفِينَةِ خَشْيَةَ أَنْ تُلْقِيَهُمْ فِي الْبَحْرِ"¹ ولقاء الشيء وألقاه إليه وبه ، وقوله تعالى : « وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ »² ، أي يلقي إليك وحيا من عند الله.... والتلقي هو الاستقبال.... وما يُلقاها ، أي ما يُعلِّمها ،..... وتلقاه أي استقبله.... والرجل يُلقى الكلام أي يلقنه وقوله تعالى: « إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ »³ ، أي يأخذ بعض عن بعض ، وأما قوله تعالى : « فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ »⁴ . فمعناه أَخَذَهَا عَنْهُ.... أي تَعَلَّمَهَا وَدَعَابَهَا،... وَأَلْقَيْتُهُ أَي طَرَحْتُهُ⁵.

أما في القاموس المحيط ف جاء لِقَاءُ الشَّيْءِ : أَلْقَاهُ إِلَيْهِ.... وَاللَّقَى مَا طَرَحَ ، ج أَلْقَاءٌ⁶.
هذا الطرح اللغوي في تعريف ما جاء تحت مادة " لقا " في المعاجم العربية فيه إجماع على أن الإلقاء هو توجيه الكلام وطرحه اعتمادا على الجانب الصوتي والنطقي المتعلق بمخارج الحروف الخاصة بالمتكلم.

¹ "لسان العرب"، ابن المنظور، المجلد 12 ، مادة "لقا" ، 351.

² سورة النمل ، الآية 27.

³ سورة النور ، الآية 15.

⁴ سورة البقرة ، الآية 37.

⁵ ينظر " لسان العرب" ، ابن منظور، ج12، مادة "لقا"، ص 351، 352.

⁶ "القاموس المحيط" ، الفيروز بادي ، مادة " لقي " ، ص 85 .

-2- اصطلاحاً: جاء تعريفه في المعجم المسرحي : " كلمة **diction** مأخوذة من اللاتينية **dictio** الكلام ، وتستعمل للدلالة على فن اللفظ أو طريقة الكلام أو طريقة إلقاء الشعر أو النثر".¹

ويعرف الإلقاء المسرحي بأنه طريقة لفظ النص المسرحي الذي تحدد مقوماته وآلياته في مهارة استخدام مخارج الحروف ونبرة الصوت ونغمته، والقدرة على التحكم في شدته وسرعة الكلام و إيقاعه.²

وهذا التعريف يفضي إلى أنه لا يشمل الإلقاء المسرحي فحسب وإنما الإلقاء الخطابي وغيره مما هو مرتبط بالجانب الشفوي للكلام، وهذا التوضيح يقود إلى إدراك شموليته فهو يمس جميع المجالات التي تتطلب الحديث والإلقاء المباشر.

وقد جاء في المعاجم الأجنبية تعريفات عديدة له أهمها :

- الإلقاء في المعنى القديم هو طريقة للقول، ولتقسيم النص وفقاً لتنظيم ثابت من الأفكار والكلمات.³

- طريقة نطق النص سواء كان نثراً أو شعراً، وهو فن نطق النص بإلقاء وتنغيم وإيقاع لائق.⁴

و قد شرح بعض الدارسين معنى الإلقاء ، فذكر عند عبد الله العلايلي أنه:

« إبلاغ الصوت الأسماع....الأداء المتعلق بمخارج الحروف، وتكييف الصوت حسب المقامات، وإنطاق الإشارة بالمعنى، أي تجسيده فيها، قالوا هو جيد الإلقاء، حسن الإلقاء».⁵

¹ "المعجم المسرحي- مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض " ، قضايا حسن ، هاري إلياس، مكتبة لبنان ط1، بيروت ، لبنان ، 1997، ص60.

² المعجم المسرحي : مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض ، حنان قصاب حسن ، هاري إلياس ،، مكتبة لبنان ط1، بيروت ، لبنان ، 1997 ، ص 60.

³ Voir dictionnaire du théâtre, patrice Pavis , , Armand colin , Paris 2002 , p 91.

« sens archaïque , manière de dire , et de composer un texte selon un certain agencement des idées et des mots».

⁴ « dictionnaire du théâtre, patrice Pavis p 91 ,Manière en de prononcer un texte avec le débit, l'intonation et le rythme convenable .».

⁵ " فن الإلقاء العربي الخطابي والتمثيلي " ، فاروق سعد ، ص 11 عن عبد الله العلايلي ، دار المعجم العربي ، بيروت ، ج 1 ، ط 1 ، 1963 ، ص 257.

كما جاء تعريفه عند عبد الوارث عسر* في قوله : « فن النطق بالكلام على صورة توضح ألفاظه ومعانيه »¹ ، أي بمعنى أن ينطق المتكلم بألفاظ وتراكيب تحمل المعاني المقصودة

بعينها، اعتمادا على الجانب الصوتي، لأنه وإن كان هذا الكلام مكتوبا أو مقروءا قد لا يصل إلى ذهن المتلقي المعنى نفسه الذي يصل إليه المستمع.

بينما يقول فرحان بلبل عنه بأنه : « فن النطق بالكلام » مبينا غايته في :

- إيصال المعاني التي يقصدها المتكلم .

- نقل المشاعر والعواطف التي يتضمنها النص.

- كشف عمليات الأسلوب الأدبي للكلام².

هذا الطرح في تعريف الإلقاء يجعله سبيلا من أهم سبل تحقيق الإقناع والإبلاغ، والذي يدور في مجمله على قدرة المتلقي على إيصال الفكرة مستخدما في ذلك أحاسيسه ونبرات صوته.

وقد جاء أيضا في تعريف أنطوان القوال تحت مصطلح " الأداء الخطابي " أنه :

« إلقاء الخطبة أمام جمهور المستمعين بما يليق بها من حسن التعبير واللفظ، وتناغم الصوت والإشارة الخطابية للتأثير في السامعين واستمالتهم إلى حيث يقصد الخطيب»³

أما في تعريف محمد أبو زهرة فجاء مرتبًا ارتباطا مباشرا بالنطق⁴ في قوله:

« النطق الحسن هو الدعامة الأولى للإلقاء الجيد، وإذا اعتري النطق ما يفسده ضاع الإلقاء....وفقد الخطيب ما يسمو إليه من وراء البيان، ولا شيء يذهب بالمعنى الجيد أكثر من النطق الرديء، وكثيرا ما يفهم المعنى على غير وجهة لأن النطق قلبه، ولم يصوره تصويرا

* ممثل قديم متوفي .

¹ " فن الإلقاء " ، عبد الوارث عسر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص 5.

² " أصول الإلقاء والإلقاء المسرحي " ، فرحان بلبل ، ص 82.

³ " فن الخطابة " ، أنطوان القوال ، ص 21.

⁴ وتجويد النطق أن يخرج المتكلم الحروف من مخارجها الصحيحة من غير تكلف ولا توعر، ولا تشادق بل في يسر وبيان ، ينظر " الخطابة " ، محمد أبو زهرة ، ص 117.

دقيقاً»¹ ، وهذا ما جاء في معنى قول ابن رشد : « لا يكفي أن يعرف الإنسان ماذا يجب أن يقول، ولكن ينبغي أيضا أن يعرف كيف يقوله، لهذا كان فن الإلقاء... »²

أما فاروق سعد فإنه يرى أن فن الإلقاء يجمع بين عاملين أولها ذاته ما ذكره أبو زهرة في أنه مرتبط بالتنوع في النطق وحسن الأداء المتعلق بمخارج الحروف، وتكييف الصوت حسب المقامات التي تخضع لها السياق لتتضح الألفاظ ومعانيها، إلا أنه أضاف عاملا ثانيا مرتبطا بالتعبير المصاحب للنطق بالحركات والإشارات التي يقصد بها مساندة الجانب النطقي في تحقيق البيان والمقصد الإقناع.³

فالملاحظ في تعريف فاروق سعد أنّ الإلقاء لا يحصره في مفاهيم التعبير بالصوت والنطق فقط- كما جاء في التعاريف السابقة – بل يضيف إليه التعبير بالّلغة غير المنطوقة المتمثلة في التعبير بالحركات ، بمعنى أن الإلقاء عنده يجمع بين الصوت وهيئة المتحدث ومظهره معا .

والحقيقة إن هذا ما يحدث في الخطابات الموجهة، وفي كل المواقف التي تتطلب الإلقاء بالكلمة المنطوقة بكل موصفاتھا الدقيقة، و «...إذا كان المرء لا يملك تغيير صوته إلا أنه يملك تغيير طريقة نطقه من خلال التدريب على فن الإلقاء»⁴، الذي يتيح له مهارات وفقا لمتطلبات الوسيلة والمجال الذي يكون فيه الملقى، إذ إنّ خصائص الوسيلة تفرض عليه نمطا معيناً من الإلقاء مثلما يفرض عليه التعبير بالصوت والحركة لأنه مقام مسموع مرئي.

كما يرجع نجاح العملية الإلقائية إلى قوة اتصال الخطيب بالكلام الذي سيلقيه وفهمه له ودرايته بقواعد اللّغة المتكلم بها وبخصائصها الصوتية وقواعدها العامة المرتبطة بفن الإلقاء إذ إن «... حسن الإلقاء في العمل الإعلامي (وفي غيره أيضا) ، يتأتى من حرارة النّفس وقوة اتصالها بالكلام الذي يلقيه ، مع النفوذ في أسرار الأداة (وهي اللّغة) والإحاطة بمواطن

¹ "الخطابة" ، محمد أبو زهرة ، ص 117.

² "تلخيص الخطابة" ، أبي الوليد بن رشد ، تج محمد سلي سالم ، القاهرة ، 1967م ، ص 12.

³ ينظر " فن الإلقاء العربي ، الخطابي والتمثيلي ، فاروق سعد ، ص 14 ، 15.

⁴ "تنمية مهارات التواصل الشفوي" ، محمد عطية أبو صواوين ، ص 202.

الارتكاز والفصل والوصل وفي الكلمات والجمل بما يخدم معانيها ويمد ظلالها في غير...إسراف مع ضمان سلامة المخارج ونداوة الصوت وعمقه»¹.

مما تقدم يمكن القول: لما كان هدف الخطيب الأول هو التأثير على نفوس السامعين أصبحت دراسة فن الإلقاء لازمة² ، لأنه يمثل جانبا مهما في عملية الكلام، ولأن الكلمات تحمل معانيها في التّواصل الشفوي بحسب ما يعطيها المتحدث من نبر صوتي وقوة وتركيز وضبط ورنين، يحدد الإيحاءات التي يقصدها³ ، يجمع بين النطق المتنوع والتعبير بالحركة - أما الأول: فهو الأداء المتعلق بمخارج الحروف وصفاتها وتكيف الصوت بحسب المقامات مما يوضح ألفاظ الكلام ودلالاته.

- وأما الثاني: فهو التعبير بأعضاء الجسم مما يعرف بلغة الإشارات والإيماءات والحركات.....إلخ.

II - نشأة فن الإلقاء :

لقد سعى الإنسان بالفطرة منذ وجوده إلى تحقيق التعايش ، فعرف لغات عديدة، كانت لغة المشافهة أكثرها فعالية في تحقيق التّواصل والإبلاغ ونقل المعارف، قبل أن يأتي عصر التدوين وتصبح الكتابة وسيلة ناجعة وفعالة في نقل المعارف من جيل إلى آخر، واليوم عاد عصر المشافهة بسبب التّقدم العلمي والتكنولوجي الذي أحدثه الإنسان المعاصر في مجال وسائل الاتّصال السمعية والبصرية.

والحقيقة إن مصداقية اللّغة المكتوبة تبقى ناقصة كونها فاقدة لذلك الجانب الصّوتي الذي يفقدها بعض دلالاتها وسماتها التأثيرية الفعالة.

لقد كان الإلقاء قديما الوسيلة الوحيدة الفاعلة في مخاطبة الجماهير، وتمثل ذلك في الخطابة التي كانت لها من الأسس والقواعد ما يلزم الخطيب الاتيان بها أثناء إلقائها من جمال الأسلوب وقوة الصوت وجهارته والنبرة الشديدة وغيرها.....إذ وجدت اهتماما كبير خاصة لدى

¹ "اللغة العربية والإعلام المرئي والمسموع" ، عبد الكريم الأشره ، مجلة مجّمع اللّغة العربية ، دمشق ، ج4 ، مج 74.

² ينظر "تلخيص الخطابة"، ابن رشد، ص12.

³ ينظر " تنمية مهارات التّواصل الشفوي ، راشد عطية ، أبو صواوين ، ص 211.

العرب أثناء الجاهلية، فقد مثل لديهم أبرز وأهم وسيلة وأكثرها فعالية في مخاطبة الجماهير وتحقيق المقاصد، وازدادت أهمية الإلقاء وامتدت عبر مختلف الحقب التاريخية المتتالية.

كما حضي الإلقاء أيضا منذ أمد بعيد باهتمام اللّغة، ونستأنس هنا بما ذكره ابن خلدون في قوله: « كذلك جودة اللّغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد والمعاني واحد في نفسها، وإنما الجاهل بتأليف الكلام وأساليبه على مقتضى ملكة اللسان، إذ حول العبارة عن مقصوده ولم يحسن بمثابة المقعد، الذي يروم النهوض ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه». ¹

فقول ابن خلدون يبين أن اختلاف بلاغة الكلام مرتبطة باختلاف طبقاته وطريقة طرحه والقصد هنا طريقة إلقاءه، باعتبار أن المعاني تظهر وتختلف بحسب طريقة بثها والعاجز عن التعبير عن المعاني بما يوافقها من طريقة إلقاءه موافقة لها، مثل المقعد الذي يحاول النهوض فلا يستطيع، وأضاف قائلا في موضع آخر عن "الكلام المطبوع" في "كتابه المقدمة" بأنه الخطاب الذي يفيد سامعه ويحقق إفادة سواء من حيث بناءه وتركيبه وموافقته للمعاني، أو من حيث تزيينه وتنميته بالأسجاع «....فيحصل للكلام رونق ولذة في الأسماع وحلاوة وجمال كلها زائدة على الإفادة». ²

ولقد كان اهتمام العرب بفن الإلقاء مرتبطا باللسان والبلاغة والبيان، فاهتموا بصناعة الكلام وتجويده، والمعجزة التي جاء بها الرسول "ص" كانت من جنس كلام العرب، فكان له من البيان وحسن الإلقاء ما تطرب له الأذان وتفتح له القلوب، إذ مع ظهور الإسلام لازمت الخطابة فن الإلقاء، بل كانت تشكل الإلقاء ذاته³، هذا الأخير الذي أعلى من شأنها ومنحها صيغة خاصة، حتى صارت إحدى شعائر المسلمين بشكل موسمي وحتى أسبوعي، ناهيك عن خطب المواعظ والدعوة في المساجد ووسائل الإعلام وغيرها من محافل المسلمين في ربوع الأرض.

¹ "المقدمة"، ابن خلدون، ص 596.

² "المصدر نفسه"، ص 600.

³ ينظر "تلخيص الخطابة"، بن رشد، ص 12.

هذا ما جعل العرب يسهبون في التفاخر ببيان سلس الكلام وقوة البيان، وحسن الحديث وإبرز الأصول التي تقوم عليها عملية إنتاج الكلام وتقنية إخراجها، فكان لهم إمام واسع بأعضاء النطق¹

فالقدرة على إجادة الكلام وحسن التعبير وسلامة الأسلوب ووضوحه وجهارة الصوت فيه وحسن الوقفة، قد مثل لدى العرب فنا من فنون الإلقاء والإدراك اللفظي الراقي، وهذا لا يعني أنهم عرفوا هذا الفن بقواعده وأسسها، وإنما كانوا يمارسونه سليقة، لأن طبيعتهم العربية وفطرتهم اقتضت ذلك والشعر أبرز دليل على ذلك .

واليوم أصبح الإلقاء عنصرا مهما ضمن الدراسات المتخصصة والأبحاث، منها النفسية والاجتماعية، وكلها ترمي إلى تأصيل هذا الفن بتحديد أساليبه وتقويم أصوله وفقا لطرائق منظمة ومحددة، لأن العملية الإلقائية ليست عملية اعتباطية وإن كانت أحيانا إرتجالية، إلا أن هذا لا يعني أنها تتم بصورة عشوائية غير خاضعة لتنظيم .

ولعل أهم الحقول العلمية والمتصلة اتصالا وثيقا بالعملية الإلقائية، حقل علم النفس، الذي يهتم بدراسة شخصية الإنسان، والتوغل في حثياتها من حيث الشعورية منها واللاشعورية، وتحليلها وفق منهاج مسطر يخضع المتلقي والجمهور إلى دراسة وتحليل مختلف الجوانب (النفسية ، الدينية.....)².

فكما سبق الذكر فإن الخطيب حينما يوجه كلاما إلى جمهوره ،عليه أن يكون على علم ودراية بما سيقوله وفقا لمقتضيات ما تم الوصول إليه من خلال تحليل جمهوره وتحليل مختلف الملابس المحيطة بالعملية الإلقائية، هنا تتجلى إحدى مهارات الإلقاء في مراعاة هذه الحقائق، ويتفاوت حظ الخطباء من المهارة في الإلقاء بتفاوت قدراتهم على احتواء هذه الأسس والعمل بها.

¹فالخليل مثلا: "في كتابه العين" ، حدد بدقة مكان الحروف ومخارجها (الحلقية والتهوية والشجرية الأسلية النطقية، اللثوية ، الذلقية، الشفوية الجوفية.....) ، ينظر آليات النطق في رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا ، دار الرفاعي ، دار العلم العربي ، ط 1 2010 ، ص 18، أما سيبويه فقد حدد أمكنة النطق، ثم جاء ابن جني بشروح وتفصيلات لما جاء به سيبويه ، ينظر "المرجع نفسه" ، ص ن .
²ينظر " علم النفس المعرفي ، مريم سليم " أساسيات في علم النفس " ، جنان رحو ، علم النفس العام ، رمضان القدافي.

و بناء على ما سبق فإن الإلقاء من فنون الإدراك اللفظي والتركيبى للخطيب وتنوع أساليب الكلام من نبر وتنغيم، إلى إيقاع وفواصل وسكنات إلى طول من متطلبات الحقل اللساني والصوتي، لأن عنصر الأداء الكلامي لا يتجلى إلا بجماليات الصوت ولهجته المعبرة عن انفعال المتكلم الذي يوقظ الأذهان الشاردة ويهز القلوب النائمة، فينفذ إلى الوجدان ويحقق التأثير، وقد زود الله تعالى الإنسان بجهاز سمع دقيق يجعله يميز بين الأصوات القوية الجميلة والضعيفة، ومن الفطرة أن المستمع ميال إلى النوع الأول، لأن فيه من التلوينات الصوتية وتكييف للنبرات، وقوة في مواضع إنشاء الكلام ، ما يعطي للاستفهام حقه، والتعجب حقه، وللتوبيخ حقه.... وهكذا، ثم إعطاء كل جملة ما يناسبها من جهر وخفض وسرعة وبطء، وشدة ولينة مما يجعل الكلام عذبا مؤثرا¹.

II- صفات الخطيب الإلقائي :

إن الأدب بشقيه (المقروء والمسموع) هو فن كلامي لكل خصائص في إلقائه، لكن تبقى هناك قواعد عامة لكليهما مرتبطة بالإلقاء، من بينها الصفات التي لا بدّ من أن يتصف بها الخطيب المتكلم حتى يجيد هذا الفن وأهمها مايلي :

(1) – الاستعداد الفطري : ويقصد به تلك الملكة الفطرية التي يفطر عليها الفرد والتي تعينه على الإلقاء الجيد² ، بمعنى أن يكون قادرا ، دون تعلم أو اكتساب على الأداء الإلقائي بالنطق الصحيح والحركة المناسبة، إذ يختلف الناس في قدرتهم على الإبداع القولي والإلقائي، مثلما يتفاوتون في الإبداع التعبيري الشفوي والكتابي³ ، يقول ابن خلدون في ذلك : « إعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بدّ أن تصير ملكة منفردة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان »⁴ وهذا لا يعني أن الاعتماد على الموهبة الإلهية وحدها كافية إلى أن ترقى بمستوى الإلقاء عند المتكلم إلى درجة الكمال والرفعة، وإنما تنميتها بالتدريب والممارسة أمر ضروري حتى لا تندثر في داخله مع مرور الوقت من جهة، وحتى يزيد من جودتها وإتقانها والإمام بمختلف قواعدها من جهة أخرى فقد كان العرب « يروون صبيانهم الأرجاز ويعلمونهم

¹ ينظر "الخطاب واستراتيجية التواصل"، بلحزري بلوفة، ص 148،149.

² ينظر " فن الإلقاء " ، محمد عبد الرحيم عدس ، دار الفكر ، عمان الأردن ، ط1 ، 1995 ، ص 13 ، 14.

³ ينظر " فن الإلقاء العربي ، الخطابي والتمثيلي " ، فاروق سعد ، ص 204.

⁴ "المقدمة" ، ابن خلدون ، ص 565.

المناقلات ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الإعراب، لأن ذلك يفتق اللّهاة ويفتح الجرم* واللسان إذا أكثرت تقلبيه رق ولآن، وإذا أقللت تقلبيه وأطلت إسكانه جسا** وغلظ...وأية جارحة منعها الحركة، لم تمرّنها على الاكتمال أصابها من التّعقد على حسب ذلك المنع".¹ ففي قول الجاحظ هذا بيان على أن السليقة وحدها لا تفي بالعرض إن لم تدعم بالتدريب والممارسة المستمرة التي ترفع من مستوى الأداء والإلقاء الجيد.

(2) – سلامة النطق: لا بدّ من أن تتوفر للخطيب القائم بفعل الإلقاء سلامة النطق، وهي سلامة مواضع النطق و " مخارج الحروف² في مواضع النطق بها".³ إذ هناك فرق بين (سَعَد ، وَصَعَد) ، (دَلّ ، وَذَلّ) ، (جَرِيْر ، حَرِيْر ، خَرِيْر)⁴ ولكي يكون النطق صحيحا سليما لا بدّ أن تخلو هذه الأعضاء من أي خلل أو عيب، لأن ذلك سيحد من قدرته على إيصال أفكاره بشكل واضح إلى المستمعين ويشتت تركيزهم، كما يؤدي إلى عجزه

عن الأداء المناسب للمعنى والاسترسال في الحديث بما يوافق مبادئ الإلقاء الناجح⁵ ، فيكون ذلك عائقا مباشرا في نجاح الفعل الخطابي، وخير دليل على ذلك قصة سيدنا موسى في قوله

*الجرم : الحلق .

**جسا : يبس و صلب .

¹ "البيان والتبيين" ، الجاحظ، ج1، ص 300.

² يتم نطق الحروف من مخارجها وهي كالآتي :

- الحروف الشفوية وهي (الباء ، الجيم)

- الحروف الشفوية الأسنانية وتكون من التقاء الأسنان العليا بالشفة السفلى ، وهي (الفاء) .

- الحروف الأسنانية ، وتصدر عما بين الأسنان وهي (التاء ، والذال ، الضاء) .

- الحروف الأسنانية اللثوية وتصدر عن نقطة التقاء الأسنان العليا بالثة ، وهي (التاء ، والذال ، والضاد) ، الطاء،الام

النون ، الراء ، الزاي ، السين ، الصاد .

- حروف وسط الحنك ، وتخرج من الحنك الصلب وإلى الأمام قريبا ، من اللثة وهي ، (الجيم ، التين ، والياء) .

- حروف أقصى الحنك ، وتكون عند الجزء اللين الرخو من شق الفم في آخر الحنك وهي (الكاف – القاف ، الواو) .

- حروف الحلق : وتخرج من أقصى الحلق وهي : (العين ، الغين ، الحاء ، الخاء ، الهاء ، الهمزة) ، ينظر ، أصول الإلقاء المسرحي ، فرحان بلبل ، ص 41 ، 42 ، وينظر الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، ص 43 – 91 .

³ "أصول الإلقاء والإلقاء المسرحي" ، فرحان بلبل ، ص 41 .

⁴ ينظر وفقه مع العربية وعلومها ، موسى عبد الرحمن قبشاوي ، دار اصفاء للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط2 ،

2000 ص 21 .

⁵ "فن الإلقاء" ، محمد عبد الرحيم عدس ، ص 15 ، 16 .

تعالى : « قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (33) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (34) ». ¹

وذلك أن موسى عليه السلام كان في لسانه لثغة بسبب جمرة خير بينها وبين ثمرة وهو صبي في منزل فرعون، فأخذ الجمرة ووضعها على لسانه، فحل فيه شدة في التعبير. ²

يتضح من هذه القصة أن فصاحة وبلاغة اللسان إنما هي مرتبطة بسلامة النطق في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : « وَأَخِي هَارُونُ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا... » إذ سيدنا موسى- عليه السلام ، خشي أن لا يفهم فرعون وحاشيته كلامه بسبب العيب الذي في لسانه فيقتلوه فطلب من ربه أن يبعث معه أخاه هارون لأنه سليم اللسان حتى يبلغ الرسالة عنه، لأن « أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وأول آلات البلاغة جودة القريحة وطلاقة اللسان ». ³

3- صحة القراءة وحسن مخارج الحروف: وتعني نطق الحروف بسهولة، وخروج الأصوات أو الكلام من أماكن التقطيع بوضوح لأن ذلك «...يجعل المتكلم مستقيم الكلام » ⁴ . يقول الجاحظ عن أحد الربانيين* : « أَنْذِرْكُمْ حُسْنَ الْأَلْفَافِ ، وَحَلَاوَةِ مَخَارِجِ الْكَلَامِ فَإِنَّ الْمَعْنَى إِذَا اكْتَسَى لَفْظًا حَسَنًا ، وَأَعَارَهُ الْبَلِغُ مَخْرَجًا سَهْلًا ، وَمَنَحَهُ الْمُتَكَلِّمَ دَلَالَةً مُنْعَشِقًا صَارَ فِي قَلْبِكَ أَهْلَى ، وَلِصَدْرِكَ أَمْلًا » ⁵ .

فالجاحظ يشترط حسن اللفظ مع حسن المخرج حتى تكون عملية النطق صحيحة والقراءة واضحة بينة ، فتجد صداها في نفس المخاطب.

وهناك إشارة إلى أهمية ما يعترض الأصوات من اعتراض في المواضع الموصوفة من جهاز النطق والتي تجعل لكل حرف مخرجه، إذ ذكرها مكي بن أبي طالب القيسي في ختام ما نقله من الخليل حين قال: « فلو لا اختلاف صفات الحروف ومخارجها وأحكامها وطباعها التي

¹ سورة القصص ، الآية 33 ، 34.

² ينظر "مختصر تفسير" ، أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي ، تج ، هاني الحاج ، دار التوفيقية للتراث ، القاهرة ج3 ن 2010 ، ص 10.

³ "كتاب الصناعتين" ، أبو الهلال العسكري ، ص 26.

⁴ "أصول الإلقاء المسرحي" ، فرحان بلبل ، ص 64.

*الرباني : العالم الراسخ في العلم ، البيان والتبيين ، ج 1 ، هامش ، ص 287.

⁵ "البيان والتبيين" الجاحظ، ج1، ص 287.

خلقها الله - عز وجل ذكره - عليها ما فهم الكلام ، ولا علم معنى الخطاب ولكانت الأصوات ممتدة لا تفهم من مخرج واحد ، ولا على صفة واحدة كأصوات البهائم»¹.

كما أشار أبو الهلال العسكري إلى ضرورة تفادي المتحدث النطق السريع لأنه يؤدي إلى تشويه مخارج الحروف وخلط بعضها ببعض، لأن عضلات الفم واللسان لا يتيسر لها ما يكفي من الوقت للانتقال من نطق لفظ إلى آخر² ، إذ يقول في هذا الموضوع : « وعلامة سكون نفس الخطيب ، ورباطة جأشه هدوءه في كلامه وتمهله في منطقة »³.

وحتى يكون الكلام صحيح القراءة ينبغي أن تكون الحروف المكونة لألفاظه متباعدة المخارج، حتى تخرج بسهولة من جهاز النطق مقبولة مأنوسة لجهاز السمع، فالأذن تنفر من الكلمات الثقيلة التي تكون حروفها متقاربة المخارج ، متداخلة كونها تثقل اللسان وبالتالي تعرقل العملية الإلقائية ، وهذا ما رآه الجاحظ في أن الفصاحة صفة لمخارج الحروف، أي بمعنى قدرة الخطيب على التأدية الصوتية الكاملة عند النطق بها على وجهها الطبيعي والسليم⁴، فجمع بين سلامة النطق وحسن المخارج في قوله : « وأن البيان يحتاج... إلى تمام الآلة وإحكام الصنعة ، إلى سهولة المخرج وجهارة المنطق ، وتكميل الحروف وإقامة الوزن... وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب وتثنى به الأعناق ، وتزين به المعاني...»⁵.

4- مناسبة الحروف لمعانيها : حتى يكون كلام الخطيب فعالا، وجب عليه أن ينتبه إلى قضية مهمة في بنیان كلامه وهي مناسبة الحروف لمعانيها، فهي من أهم أسرار جعل الفصاحة والبيان في تأليف الكلام ونطقه «فكل حرف منها يستقل ببيان معنى خاص مادام يستقل بأحداث صوت معين»⁶.

¹ "البيان والتبيين" الجاحظ، ج1، ص 287.

² "آليات النطق في رسالة اسباب حدوث الحروف" ابن سينا ، أحمد محمد قدور ، عن الأباتة عن معاني القراءات ، مكي بن أبي طالب القيسي ، تح محي الدين رمضان ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط1 ، 1979 م ، ص 113.

³ "الصناعيين الكتابية والشعر" ، أبو الهلال العسكري ، ، ص 32.

⁴ ينظر "النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين" ، محمد الصغير بناني ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983 ، ص 126 ، 127.

⁵ "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج1 ، ص 48.

⁶ "أصول الإلقاء المسرحي" ، فرحان بلبل ، ص 64.

إذ لم يخف على فقهاء اللغة أن اللّغة أصوات ، وحين درسوها عرفوا أن لكل حرف من حروفها صفة (مجهورا ، مهموسا)ومخرجا (حلقيا، شفويا).....وبالتالي عرفوا له إحياء من حيث الدلالة والمعنى فعلى سبيل المثال يقال : " حَضَمَ " لأكل الرطب ← (حَضَمَ البَطِيخَ) ← لأن الخاء حرف يدل على اللّينة بينما يقال " قَضَمَ " للصلب اليابس ← قَضَمَتِ الدَّابَّةُ الشَّعِيرَ ← لأن القاف حرف يدل على الصلابة والأمثلة كثيرة.¹

فلكل حرف من اللّغة العربية مدلوله الخاص، والكلمة المشكلة من مجموع دلالات أحرفها التي تكسبها مدلولاً نفسياً معبراً فالحروف العربية تنقسم إلى مجموعات تحمل سمات خاصة وهي :²

- حروف الصفير وتعين على الهمس (السّين ، الصّاد ، الراي).

- حروف القوة (الضاد ، الطاء ، الظاء).

- حروف الرّقة (الأم ، الميم ، النون).

- حروف الفحيح (التاء ، الثاء ، الحاء ، الشين)....وهكذا.

إذا أدرك الأدباء العرب هذه الخاصة فكانوا يأتون بألفاظ تناسب حروفها نوع المضمون الذي يتناولونه، فألفاظ الغزل ذات حروف رقيقة وألفاظ الجهاد والمعارك ذات قوة قارعة، وألفاظ الرثاء رقيقة ترن بحزن عميق...وهكذا.³

وهذا كله استناداً إلى القرآن الكريم ، إذ جاءت ألفاظه شديدة التّناسب لمعانيه ولموضوعاته، وخلقت الحروف في كل موضع من كل آية جوا إيقاعياً يترك آثاره النفسية على المستمع أو القارئ لا محالة ، وكذلك ما جاء على لسان نبينا محمد "ص" سيد الخلق في أحاديثه وخطبه.

لهذا فإن المتكلم الذي يريد أن يرقى بأسلوب إلقائه إلى مراتب تحقق له التأثير والفصاحة

«.....يجب عليه أن يتغلغل في العوالم الخاصة للأحرف العربية، وسوف يستطيع برنة صوته

¹ ينظر "الوجيز في فقه اللّغة العربية" ، عبد القادر محمد مايو ، دار القلم العربي ، حلب ، سوريا ، ط 1 ، 1998م ، ص 129.

² ينظر "أصول الإلقاء المسرحي" ، فرحان بلبل ، ص 64 .

³ "المرجع نفسه" ، ص ن

وطريقة لفظه للحروف، أن يضع المستمع ضمن الجوّ النفسي العام للموضوع»¹.

5- جهازة الصوت وموسيقاه: يجب أن يكون المتحدث حسن الصوت، جهوره يستطيع أن يغير من نبره وموسيقاه متى أراد ذلك بشكل يتناسب ويتلاءم مع المعنى².

خصوصا وأن خطابه إلقائي فيه عنصر المواجهة المباشرة أمام الجمهور فهذا يعني – بلا شك- جهازة الصوت وتكيفه واختلاف نبراته.

وقد كان العرب «...يمدحون الجهير الصوت ، ويزمون الضئيل الصّوت، ولذلك تشادقوا في الكلام ومدحوا سعة الفم، وذمّوا صغر الفم»³.

ففي ما يروى على لسان الجاحظ أن أعرابيا سئل ما الجمال ؟ فقال : « طول القامة وضخم الهامة ، ورُحْب الشّدق وبُعد الصّوت »⁴ ، فحسن الصّوت وجماله وجهارته آلية وتقنية أساسية في تحقيق الإقناع. لدى يجب أن تكون حاضرة عند الخطيب فهي تضي على الحديث معاني جديدة ودلالات إيحائية لا تظهر في القراءة العادية ، ولا يحقق ذلك إلا إذا كان الصوت:⁵

أ- **قويا:** ونعني هنا بقوة الصوت، مقدار ضخامته واندفاعه خارج الفم ، سواء أكان رفيعا أو غليظا، مرتفعا أو منخفضا، إذ كلما زاد عدد الجمهور في المكان الواسع ، كلما احتاج المتكلم إلى قوة أكبر في رفع صوته دون صراخ وإزعاج ف « التنويع في شدة الصوت بين الارتفاع والانخفاض، و في الحدة ترقيقا وتفخيما ، يمنع تسلل الملل والنعاس إلى المستمعين ويشد انتباههم إليك شدا»⁶، كأن يرفع الخطيب صوته بقوة أكبر في قوله : "يشترط أن لا تلهي عن طاعة الله"، بعد استطراد أنواع الكسب الحلال في قوله: "وللكسب الحلال أنواع وأصناف كثيرة محمودة مباركة منها التجارة...."، فهذه الشدة والرفع في الصوت لهذا المقطع يحمل الدلالة الإيجابية الرئيسية والجوهرية للفكرة.*

¹ " أصول الإلقاء المسرحي "، فرحان بلبل ، ص 67.

² ينظر " فن الإلقاء " ، محمد عبد الرحيم عدس ، ص 19 ، 20 وينظر فن الإلقاء ، محمد علي ، ص 37

³ "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 155 ، 156.

⁴ "المصدر نفسه" ، ج 1 ، ص 156.

⁵ ينظر " أصول الإلقاء لإلقاء المسرحي " ، فرحان بلبل ، ص 67

⁶ "فن الإلقاء" ، محمد علي ، ص 38.

* خطبة 2013/09/27، قناة أزهـر المصرية.

وليس الشرط في التأثير أن يكون الصوت جهوريا شديداً الوقع، وإنما المهم أن يكون منطلقاً من القلب، حتى يستقر في القلب، ولقد أعطى الإسلام للصوت ضوابط، وآداب جعله يعد بها نعمة تذكر فتشكر إذ: أمر الإسلام المرأة بخفض الصوت وجديته في نفس الوقت، في قوله تعالى « يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا »¹.

- وعند الدعاء « قُلْ ادْعُوا اللَّهَ وادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّامًا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا »²
وفي مجالس العلم « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ، وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ. »³
وتنفيرا من الصوت الأجهش يقول تعالى : « وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَغَضِّضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ. »⁴

ب- الرنين الجذاب : الرنين كما جاء في لسان العرب الصيحة الشديدة والصوت الشجي⁵ وجاء في القاموس المحيط: « الرنة، الصوت »⁶ ، والصوت المرنان عكس الخامد والرنين هو الذي يحول الكلام المسموع القوي إلى صوت لين فيصير صوتا جذابا يؤثر في النفوس.⁷
هناك من يملك الرنين فطريا، وهناك من يكتسبه بالتدريب والممارسة، وهو يظهر مدعما للحدث التعبيري باعتباره مشروطا بالعملية الصوتية⁸ «...لأن الحدث الكلامي في ذاته لا يعرف وجودا ولا تجليا إلا في الصوت...»، والرنين يعني حسن استخدام الفراغ الرنيني في النطق كما يعني أيضا استخدام أقصى طاقات الحبال الصوتية دون تجاوز حدود قدرتها⁹ ،

¹ سورة الأحزاب، الآية 32.

² سورة الإسراء ، الآية 110.

³ سورة الحجرات ، الآية 21 .

⁴ سورة لقمان ، الآية 19.

⁵ ينظر، "لسان العرب"، ابن منظور ، المجلد 5 ، مادة " رَنَّ " ، ص 393.

⁶ "القاموس المحيط" ، الفيروز ابادي ، مادة " رَنَّ " ص 535.

⁷ ينظر "أصول الإلقاء المسرحي" ، فرحان بلبل ، ص 70

⁸ "فن الإلقاء العربي" فاروق سعد ، ص 81.

⁹ ينظر "أصول الإلقاء" والإلقاء المسرحي ، فرحان بلبل ، ص 70، 71.

لأن «...وضوح النطق، يرتبط بما فيه من جرس ورنين يحددان الاتجاهات والإيحاءات التي يقصدها المتكلم....»¹، والقصد هنا أن يعدل صوته ورنته بحسب الأحوال والظروف.

(6)- **التمهل في الإلقاء** : إن من حكمة الخطيب أن لا يسرع في تدقيق كلامه، فتندرج ألفاظه وعباراته في عجلة من غير تمهل، وألا يبسط حتى يكون محل إزعاج وملل، لأن الأولى قد تتطاير معها الحروف وتتزاحم فيها الكلمات فيصعب على المستمع متابعتها، والثانية قد تؤدي إلى فقدان الخطاب حرارته وحيويته².

لهذا فمن الأنسب أن يتمهل في الكلام، فيكون وسطا بين الإثنتين، يبسط عند المعلومة المهمة لأنها «...أدعى لجذب انتباه المستمعين وأبلغ في إيصال المعلومات المهمة إليهم»³، كما له أن يسرع في كلمات بعينها لإيصال معنى معين، ولكن سرعان ما يعود إلى التمهّل والتأني دون إفراط، لأن الرتّة* – من أسباب العي في الكلام⁴.

وقد كان النقاد الأقدمون ينبهون إلى أنه من رباطة جأش الخطيب أن يتمهل في النطق إذ قال الجاحظ : « فإن ابتليت بأن تتكلف القول ، وتتعاطى الصنعة... فلا تعجل ولا تضجر...»⁵ وإذ كنا نذم الإسراع لعيوبه، فلا يعني هذا أننا نمدح الإبطاء فالأمر وسط « فلا إسراع مضل، ولا إبطاء مذل »⁶، كما كان عليه الأمر عند جعفر بن يحيى بشهادة الجاحظ عن تمامه بن أشرس أنه قال عنه إنه كان « أنطق الناس ، قد جمع الهدوء والتمهل، والجزالة والحلاوة وإفهاما يغنيه عن الإعادة »⁷.

هذا ما يجب أن يكون عليه الخطيب الناجح حتى يتجاوز عيوب التسرع في الكلام التي منها : - أنه ينتج منه تشويها في مخارج الأصوات ، فتختلط الحروف ببعضها، كان يقال : "المساهرة الزوجية" بدل "المصاهرة الزوجية"، قتنطق السين ، صادًا.*

¹ "تنمية مهارات التواصل الشفوي"، راشد محمد عطية ، ص 211.

² ينظر "فرس المناير" ، فقه الخطابة ، ج 1 ، ص 281.

³ "فن الإلقاء" محمد علي، ص 37.

*الرتّة: هي الضعف في الكلام ، ينظر ، "لسان العرب" ، ابن منظور ، ج 5 ، مادة رثا ، ص 159.

⁴ "البيان والتبيين" ، الجاحظ ج 1 ، ص 45.

⁵ "البيان والتبيين" ، الجاحظ ج 1 ، ص 166.

⁶ "الخطابة والخطيب" ، محمد سمير الشاوي ، ص 97.

⁷ "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 142.

** خطبة 2013/09/27، قناة أزهر المصرية.

- أنه يجعل الخطيب يتمهل عند المقاطع المهمة، حتى تتضح الدلالات والمعاني، كأن يتمهل في النطق بكلمة "الميراث" في قوله "ومن مكاسب المال الحلال الميراث"، لأنها الكلمة الأساسية في قوله والتي سيتعرض لها بالتعريف والشرح*.
- أن الخطيب السريع في نطقه لا يعطي للسامع فرصة كافية لفهمه، بينما التمهّل يجعل الصوت يسري إلى السامعين جميعاً¹.
- أن السرعة تجهد الصّوت ، لا سيما الخطب الطويلة ، إذ يجب أن يكون هناك تناسب بين المجهود الصوتي، وما تستغرقه الخطبة من وقت، حتى لا يصاب الخطيب بالإعياء، قبل نهاية خطابه، فيضعف أثره ويفقد تأثيره².
- أن يجعل الألفاظ المصورة للمعاني، ممثلة بالصّوت والرّنة التي تناسبها فـ «...يعطي ألفاظ الاستفهام والتعجب والتوبيخ واللوم والتقريع والجزر...والندم والحيرة والوعد والوعيد وإلى ما ذلك حقها في النطق، فكيف الصوت فيها بكيفيات خاصة وانفعالات تتناسب مع الذي يقصد...وأن يخفض صوته في موضع الخفض واللين، ويشدّ في موضع الشدّة...ويتضامن في موضع التضامن كالدعاء والاستعطاف...»³.
- هكذا يكون الخطيب قد أوجد في صوته ما يحقق له الكلام المسموع، القوي الجذاب الذي يتغلغل بكل يسر في أسماع المتلقين فارضاً سيطرته.

* خطبة 2013/09/27، قناة أزهر.

¹ ينظر "الخطابة، أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب"، محمد أبو زهرة، ص 119.

² ينظر "فرسان المنابر"، فقه الخطابة، ج 1، ص 298.

³ "فن الخطابة واعداد الخطيب"، محمد محفوظ، ص 66.

IV- العيوب النطقية وأثرها على العملية الإلقائية: مشكلة النطق والكلام قضية قديمة متجددة يعاني منها الإنسان كلما احتاج إلى التعبير عن حاجاته، واضطر إلى التعبير عما يجول بخاطر، وهي كثيرة ، فمنها ما هو متعلق بالألفاظ والتراكيب (والأسلوب) ومنها ما هو متعلق بالمعاني وبالدلالات ومنها ما هو متعلق بالنطق وتقنياته.¹

ومجالات الإلقاء-على سبيل الحصر – بما فيها مجال الخطابة ، تستلزم سلامة أعضاء النطق- كما سبق الذكر- لأن «النطق الحسن هو الدعامة الأولى للإلقاء الجيد ، وإذا اعتري النطق ما يفسده ضاع الإلقاء».²

كما أن أساس النطق إنما هو الصوت، الذي «... يعكس شخصية وقدرات صاحبه».³ وإذا مسه أي خلل عضوي فإن ذلك يؤدي إلى وقوع العيوب الكلامية والنطقية⁴، التي تفقده ثقته في نفسه ، ف «...يعتري الخطيب البهر والارتعاش والرعدة والعرق»⁵، ويصبح غير قادر على مواجهة الجمهور لأنه أحس بارتباك من شيء يرى أنه سيعيق عمليته الخطابية فيفقد بذلك القدرة على إقناعهم.

ولقد أشار مصطفى صلاح قطب إلى الأمراض الكلامية وعيوب النطق، أو ما يعرف بأمراض التخاطب⁶ التي تخل بالعملية الإلقائية، وقسمها إلى:⁷

¹ لمزيد من المعلومات حول "اشكالية الكلام ومظاهر المشكلة التعبيرية" ، ينظر « صناعة الكلام ، كيفية اكتساب مستحسن الخطاب ، ومسكت الجواب في ضوء الأساليب التربوية » ، محمد عشاش ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 2000م ، ص 35 وما بعدها.

² "الخطابة ، أصولها ، تاريخها في ازهر عصورها عند العرب" ، محمد أبو زهرة ، ص 117.

² "تنمية محضرات التواصل الشفوي" ، راشد محمد عطية ، 202.

⁴ وهي تكون لأسباب كثيرة ومتعددة ، فمنها العضوية والوظيفية والاجتماعية والتربوية ، ومنها العادة الخاطئة والأسباب النفسية ، ينظر " الأصوات وتصحيح عيوب النطق والكلام ، مصطفى صلاح ، قطب الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة ، ط1 ، 2009 ، ص 121-125.

⁴"البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص

.159

⁶ هذا المصطلح يستخدمه الأطباء المتخصصون في مجال عيوب النطق والكلام ، ويؤثره على غيره من المسميات حتى إنهم يطلقونه على الأقسام المسببة لذلك ، ويعنون به العيوب الوظيفية أو العضوية التي تقع للصوت ، أو الكلام أو اللغة ، ينظر "الأصوات وتصحيح عيوب النطق والكلام" ، مصطفى صلاح قطب ، ص 110.

⁷ ينظر "الأصوات وتصحيح عيوب النطق والكلام" ، مصطفى صلاح قطب ، ص 141 وما بعدها.

- أ- عيوب إبدالية وتشمل : اللثغة ، الثأثة ، الفأفة ، وتسمى الأخطاء النطقية .
ب- العيوب الناشئة عن سوء المخرج العضوي ، أو التحريف وتشمل (الغنة ، الخنة المغلقة والمفتوحة) .
ج- ما يتمثل في نطق الأعاجم (إخراج الصّوت العربي من مخارج لغة اعجمية) .
د- الحذف والإضافة .

أ- العيوب الإبدالية (الأخطاء النطقية) ومنها :

1- اللثغة وهي : أن تُعَدِّلَ الحرف إلى حرف غيره ، والألثغُ الذي لا يستطيع أن يتكلم بالراء.....وقيل هو الذي لا يتمُّ رفع لسانه في الكلام وفيه ثقل ، وقيل هو الذي لا يبيِّن الكلام وقيل وهو الذي قصر لسانه عن موضع الحرف ، ولحق موضع أقرب الحروف من الحرف الذي يعثر لسانه عنه¹ .

وقد أشار إليها الجاحظ ، وذكر أن الحروف التي تدخلها اللثغة أربعة حروف وهي :

القَافُ ، السِينُ ، الأَمُ ، الرَاءُ .

فالثغة تقع للسین فتكون تَاءٌ ← بِثَمِ اللهُ (بدل) بِسْمِ اللهُ وتقع للقاف

- ونقع للقاف فتكون طَاءٌ ← طَالِ لِي (بدل) قَالَ لِي .

- وتقع للام فتكون يَاءٌ ← جَمِي (بدل) جَمَل .

- أو تكون كافاً ← ما لكلة (بدل) ما لعة .

- وتقع للراء فتكون يَاءٌ ← عَمِي (بدل) عَمْرُ .

- أو تكون غيناً ← عَمُعُ (بدل) عَمْرُ .

- أو تكون ذالاً ← عَمْدُ (بدل) عَمُعُ² .

2- الثأثة : حكاية الصّوت ، " وتردُّدُ الثَّأْتَاءِ فِي التَّاءِ"¹ ، قال الأصمعي ، « إذا تتعّعت اللسان في التاء ، فهو متمام...»²

¹ ينظر "لسان العرب" ، ابن منظور ، 12 ، مادة "لثغ" ، ص 259 ، وينظر ، "القاموس المحيط" ، الفيروز آبادي ، مادة "لثغ" ، ص 1165 .

² "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 69 ، 70 .

3- **الفأفة** : « حُبْسَة في اللسان وغلبة الفاء على الكلام ، وقال المبرد الفأفة التردد في الفاء وهو أن يتردد في الفاء إذا تكلم ».³

وقال فيها الأصمعي : « إذا تَتَعَنَعَ في الفاء فهو فأفاء »⁴ ، « وَتَعَنَعَهُ... في الكلام ، تردد من حصر او عَيَّ ».⁵

4 - **الحبسة** : « ويقال في لسانه حُبْسَة ، إذا كان الكلام يثقل عليه ، ولم يبلغ حد الفأفة والتمتام ».⁶ ، وجاءة الحُبْسَة* بالضم تعذر الكلام عند إرادته ».⁷

ب- **العيوب الناشئة عن سوء المخرج العضوي**:

1- **كالتَغَنُّغَة**: ويقال تَغَنَّنَغَ كلامه : « رَدَّه ولم يُبَيِّنْهُ وَالتَغَنُّغَة....رُبَّةٌ وثقلٌ في اللسان وَالمُتَغَنُّغُ للفاعل مُتَكَلِّمٌ لَمْ يَكْدُ يُسْمَعُ كَلَامَهُ ».⁸

2- **المَقْمَقَة والمُقَامِق** : « المَتَكَلِّم بِأَقْصَى حَلْقِهِ ».⁹

3 **الحُكْلَة**: إذا عجز أداء اللفظ ، والحُكْلُ ما لا يسمع صوته... العُجْمَة في الكلام ».¹⁰

ج- **ما يتمثل في نطق الأعاجم** : إذ هناك حروف في العربية ليست في اللغات الوافدة، ولهذا لحن فيها العجم وأخرجوها من مخارج اللُّغة الأعجمية ، على حد قول ابن خلدون :

« فإذا تقدمت في اللسان ملكة العجمة، صار مقصرا في اللُّغة العربية ».¹¹

إذ يبدلون الجيم زايا والحاء هاء والقاف كافا والسين شينا والشين سينا والزاي سينا والعين همزة والطاء تاء والذال دالا»¹² ، ويطلق على الأعجمي (الأَلْكُنُّ) وهو الذي « لا يقيم

1 "القاموس المحيط" ، الفيروز آبادي ، مادة " تَأْتَأ " ، ص 148.

2 "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 74.

3 "لسان العرب" ، ابن منظور ، ج 1 ، مادة فاق ، ص 185 ، وينظر ، القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، مادة "فأفاء" ص 972.

4 "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 74.

5 "القاموس المحيط" ، الفيروز آبادي ، مادة " تَع " ، ص 156.

6 "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 78.

* وتعالج عادة الحبسة (الأَفَازِيَا) ، بالاعتماد على التدريب الكلامي ، ينظر ، "الأصوات وتصحيح عيوب النطق والكلام" ، مصطفى صلاح قطب ص 158.

7 "القاموس المحيط" ، الفيروز آبادي ، مادة "حبس" ، ص 257.

8 "المصدر نفسه" ، مادة " تَغ " ، ص 156

9 "لسان العرب" ، ابن منظور ، ج 13 مادة ، "مقل" ، ص 168.

10 "القاموس المحيط" ، الفيروز آبادي ، مادة حكل ، ص 309 .

11 "المقدمة" ، ابن خلدون ، ص 564.

12 "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 110-112.

العربية لعجمة لسانه»¹ ، إذ يدخل بعض حروف العجم في حروف العربية لعلة في غلظ آلة النطق (اللسان)².

د- الحذف أو الإضافة: وهو أن يحذف المتكلم بعضاً من أحرف الكلمة، فينطق جزءاً منها دون الآخر، مما يؤدي إلى عدم وضوح دلالة الكلمة، أو ينطق الكلام دون تمهل فيسقط الحرف الأخير من الكلمة، وقد وردت لنا في روايات أن هناك من القبائل من اشتهرت بذلك:
- قبيلة طيئ كانت تميل إلى قطع اللفظ قبل تمامه فيقولون: يا "أبا الحكا" ويريدون يا أبا الحكم.

- كان أصحاب لهجة الشحر ، و عمان يقولون في ما شاء الله (مشا الله).
- قبيلة زبيد : من قبائل اليمن يميلون إلى حذف نون (من) إذا وليها ساكن فيقولون:
(خرجت مَلْمَسِجِد) بدل "خرجت من المسجد"³.
هذه هي أشهر العيوب النطقية التي تخل بالعملية الإلقائية، فهي كثيرة ومتنوعة⁴ ومجملها تأثر تأثيراً سلبياً بارزاً في العملية الكلامية وبذلك الإلقائية مما يؤدي إلى شلل ظاهر في العملية الخطابية الإبلغية.

¹ "القاموس المحيط" ، الفيروز آبادي ، مادة "الكن" ، ص 1186.
² ينظر ، "الأصوات وتصحيح عيوب النطق والكلام" ، مصطفى صلاح قطب ، ص 143.
³ ينظر "الأصوات وتصحيح عيوب النطق والكلام" ، مصطفى صلاح قطب عن "في اللهجات العربية" ، ابراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 6 ، 1984م ، ص 134 ، 135.
⁴ إذ هناك أيضاً عيوب مرتبطة بالصوت ، منها : الصوت الحلقي ذو العرعة الصوت المكتوم، الصوت المعدني أو النحاسي، الصوت الأنفي، الصوت المندفع، الصوت الأجهش، الصوت الخافت، ينظر ، "فن الإلقاء" ، عبد الوارث عسر، ص 118 ، 113.

IIV- قواعد ومهارات فن الإلقاء :

على كلّ خطيب يحمل مسؤولية الإبلاغ والدعوة والإعلام أن يتمتع بمقومات ومهارات اتصالية تسمح له بتحقيق أهدافه وهي مختلفة، منها ما هو متعلق بطريقة الكلام والإلقاء، والتي لن نتسنى له إلا بعد إمامه بمجموعة من القواعد وهي على التوالي:

1- الإعراب (ضبط حركات الكلمات) : هو من أشد خصائص اللّغة العربية فالمعروف عنها أنها لغة إعراب بالدرجة الأولى، فبالحركات الإعرابية تضبط الكلمات ويصوب الحديث وتसान المعاني إذ « أمست قوانينه هي العاصمة من الزلّل والمعوضة عن السليقة... »¹.
يقول ابن خلدون عن العرب في هذا موضوع: « فلما جاء الإسلام...وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السّمع من المخالفات...وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة...فينغلق القرآن والحديث على المفهوم ، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطّردة شبه الكليّات والقواعد ، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه ،مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع ، ثم رأوا تغيّر الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات ، فاصطلحوا على تسميته إعرابا...»².

لهذا فإن إدراك قاعدة الإعراب مرهونة بالضبط الصحيح للكلمات ، وهي من أخطر القواعد ، والالتزام بها يغفر للمتكلم الوقوع في أخطاء الإلقاء ، لأن معاني الكلام في اللّغة العربية تفهم به، فإذا نصبت ما يرفع أو رفعت ما يجر فإنك حولت الكلام عن دلالاته ، وأصبحت فيه الخطأ والخلل³.

ومثال ذلك الرجل* الذي نطق لفظ الجلالة مرفوعا في الآية الكريمة « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ »⁴ ، فحول معنى الآية تماما .

¹ "الوجيز في فقه اللّغة العربية" ، عبد القادر محمد مايو ، ص 127.

² "المقدمة" ، ابن خلدون ، ص 566.

³ "أصول الإلقاء" ، فرحان بلبل ، ص 85.

*"حدث هذا في خلافة عمر بن الخطاب"، إذ سمع رجلا يقرأ الآية الكريمة بضم الهاء في لفظه "الله" فأمر ألا يقرأ القرآن إلا عالم ، ينظر "الوجيز في فقه اللّغة العربية" ، عبد القادر محمد مايو ، ص 127.

⁴ سورة فاطر، الآية 28.

فالحركات الإعرابية تضبط المعنى وتحصره في دلالاته الصحيحة فلو قال قائل :
" ما أحسن زيد " لم يفهم مقصد من كلامه، فإذا أطلق الكلام بحركات الإعراب عرف المعنى المقصود من بين المعاني المختلفة ف:
مَا أَحْسَنَ زَيْدٌ = نَفِي فِعْلِ الإِحْسَانِ عَن زَيْدٍ.
مَا أَحْسَنَ زَيْدًا = التَّعْجُبُ مِنْ حُسْنِ مَا فِي زَيْدٍ.
مَا أَحْسَنَ زَيْدٌ ؟ = السُّؤَالُ عَن أَحْسَنِ مَا فِي زَيْدٍ.
وشتان ما بين المعنى والآخر.¹

لهذا السبب يقول ابن خلدون في كلامه عن علوم اللسان العربي إنها أربعة، وجعل معرفة النحو أسبقها في قوله: «...وهي اللّغة والنحوّ والبيان والأدب ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة...و الذي يتحصّل أن الأهمّ المقدّم منها هو النّحو، إذ به يتبيّن أصول المقاصد بالدلالة...ولولاه لجهل أصل الإفادة»².

والملاحظ في العصر الحديث أن علم النّحو قوبل بكثير من الإهمال ، فتقاعس المتكلمون في ضبط كلامهم ، إذ لا يكاد يخلو خطاب أو حديث أو محاضرة أو... من الأخطاء اللّغوية قليلة أم كثيرة ، حتى أنها قد تجعل المتلقين ينشغلون بالشكل وأخطائه ، عن المضمون ودلالاته ، مما ينقص من قدر المتكلم ، فينصرفون عنه³.

فالمفروض أن يرعى الخطيب الإعراب وضبط الحركات أثناء تحرير الخطاب قبل أن يوجهه حتى يظهر بوضوح عند إلقائه ، هذا في حال ما كانت الخطبة معدة مسبقا ، أما إذا كانت ارتجالية فإن في مثل هذا الموقف قد يغفر له أن يسبق إليه الخطأ ، لأن ذلك قد لا يعني عدم دراية الخطيب بأصول النحو وقواعده ، أو نقص في رصيده اللّغوي النّحوي، بل قد يحدث له ذلك نتيجة ارتبائه عند مواجهة الجمهور أو انشغاله بأمر آخرى، مثل المحافظة على طبقات الصّوت والحركات والهيئة...، ولكن مع هذا فإن أكثر من الخطأ ، فإن المتلقين لن

¹ ينظر ، "الوجيز في فقه اللّغة العربية"، عبد القادر محمد مايو ، ص 108.

² "المقدمة" ، ابن خلدون ، ص 565.

³ ينظر "مهارات الاتصال بالإعلاميين ، والتربويين والدعاة" ، محمد منير حجاب ، دار الفجر ، مصر ، ط 1 ، 1999 ، ص

يضعوا في حساباتهم تلك العوامل التي تتسبب في ذلك لأنهم يهتمون بما يسمعون ويشاهدون فقط، مما يؤثر هذا على مكانة الخطيب وبذلك على العملية الاتصالية فالأثر الإقناعي.

ولهذا يجب على الخطيب التأكد من صحة لغته بضبط الحركات الإعرابية ، وليمكن من ذلك يحبذ ألا يرتجل الخطاب أو يحفظه كله ، لأن في ذلك مضيعة للوقت، كما أنه لا يستطيع كتابته وحفظه كاملا ، لأنه قد يتذكر الأفكار ويضيع الكلمات ، إذ من المستحيل أن يتذكر كلماته كلها¹ ، إلا إذا كان خطيبا فذا مُتَمَرِّسا له من القدرات والثقة في النفس ما يؤهله إلى ذلك.

2- تقطيع الكلام: مما هو معروف أن المتكلم لا يستطيع أن يسرد كلامه دفعة واحدة دون توقف، بل يقطعه إلى مجموعات، لأن جهازه التنفسي يحكم عليه ذلك لأخذ الشهيق، وإلا أجهد نفسه وضيع كلامه.²

ففي تقطيع الكلام إظهار للمعنى وتصويب للبيان لأن الكلام المتتابع المتصل لا يظهر معناه ولا يفهم قصده- سواء كان مقروءا أو مسموعا - ، فكما تظهر في الكتابة علامات الوقف مثل النقطة والفاصلة فإنها تظهر في الكلام المنطوق على شكل سكتات³ ، فهي مواضع الوقوف أثناء الحديث سواء عند النهاية الكاملة، وهي السكته التامة ، والناقصة هي الوصول إلى معنى كامل كمالا جزئيا محتاجا إلى استئناف في الكلام للوصول به إلى الفائدة⁴

¹ Voir , « comment parler en public » , dale carnegie , nouvelle édition , Hachette , paris , 2001 , p35.

« Ecrire et apprendre par cœur un discours, cest perdre du temps , gaspille de l'énergie et courir à l'échec...nous ne pensons par nos mots , nous pensons nos ideas ».

² ينظر "اصول الإلقاء" ، فرحان بلبل ، ص 87.
* والسكته غير الصمت ، فالسكوت مرادف للوقف إذ « السكوت خلاف النطق...ويقال تكلم الرجل ثم سكت تعمد السكوت..قال ابن الأثير ، « هي أفعالة من السكوت معناها سكوت يقتضي بعده كلاما...» ، لسان العرب ابن منظور ، مادة سكت ج6، ص 337 ، 338.

أما الصمت فهو السكوت الطويل « صَمَتَ يَصْمَتُ صَمْتًا وَصَمْتًا وَصَمُوتًا...أَطَالَ السُّكُوتَ »، المصدر نفسه ، ج7 ، مادة صمت " ص 432 ، هنا يكمن الفرق بين السكوت الذي يرادفه الوقف والصمت الذي يعني الإمساك عن الكلام لوقت طويل يكون إما قبل الكلام الإعداد وإما بعده للإنتهاء ، ينظر ، "فن الإلقاء العربي" ، فاروق سعد ، ص 306.

³ ينظر "التشكيل اللغوي ومهارات الإلقاء الخبر التلفزيوني" ، حميدي زهور ، رسالة لنيل شهادة الماجيستر ، إشراف أحمد عزوز ، كلية الآداب واللغات والفنون ، قسم اللغة العربية ، جامعة وهران ، 2005 ، 2006 ، ص 106.

⁴ "فن الإلقاء" ، عبد الوارث عسر، ص 109.

كما هو الحال في قول الخطيب: "إنّ الإسلام انتشر بهذا الإيمان القوي لا وبهذا الصبر المشكور في سبيله لا بمثل هؤلاء المسلمين انتشر الدين في الآفاق لا واستولى المسلمون

على نصف الكرة الأرضية تقريبا لا وصاروا سادة العالم.* □

وتسمح السكتات في الكلام بربط تراكيب اللّغة ومعاني سابقتها بلاحتها ، كما تعد فاصلا نفسيا يسمح للمستمع بالتوغل في معاني الكلام من جهة، ويعطي فرصة للمتكلم في استجماع أفكاره وضبط نفسه من جهة أخرى ، ولكي تكون السّكّنة ظاهرة مؤدية لدورها يجب أن تقترن كل مرة بإيقاع نبري خاص بها وفقا لعلامة ترقيما (نقطة ، أو فاصلة ، علامة استفهام أو تعجب.....) ، فإذا أبقى الخطيب صوته على درجة نغمية ثابتة طيلة كلامه أصبح مجرد سرد ضائع المعنى.¹

أما عن أنواع السكتات فهي على التوالي :

1-2- السكّنة التامة : وهو الوقف التام ، تقع في نهاية الجملة وعلامتها النّقطة، وغايتها الربط بين الكلمات التي تنقل فكرة واحدة في نسق واحد ، ويكون الصّوت فيها مانلا إلى القرار الذي يشعر السامع بانتهاء الجملة من ناحية وبتصالها مع ما بعدها من ناحية، أخرى وتكون مدتها قصيرة ، دون إطالة.² مثل قول الخطيب " ...حيث تثقف نفسه لا ثقافة الكمالات وتعلّمه مبادئ العلم لا وتبصره بشؤون الحياة** □

2-2- السكّنة القاطعة : وتكون في نهاية المقطع وعلامتها النّقطة ، مع بدء الكلام الثاني من أول السطر ، وهي تعني الانتقال من موضوع جزئي يضم عدة أفكار إلى آخر جزئي يضم أفكارا جديدة ، ويميل الصوت فيها إلى قرار أرسخ وأدنى في السلم الموسقي وتكون مدتها أطول من مدة السكّنة التامة.³ مثلا قول الخطيب: "الذّلك قال عمر بن عبّة لمعلم ولده....".

□ سكّنة ناقصة.

* خطبة 2013/08/09 ، قناة الجزائرية

□ سكّنة تامة

¹ نظر " فن الإلقاء العربي ، الخطابي والتمثيلي " ، فأروق سعد ، ص 168.

² ينظر " أصول الإلقاء المسرحي " ، فرحان بلبل ص 87 ، وينظر " فن الإلقاء " ، فأروق سعد ، ص 169.

** خطبة 2013/07/05 ، الجزائرية..

³ ينظر " أصول الإلقاء والإلقاء المسرحي " ، فرحان بلبل ، ص 88.

والخلاصة أن التعليم عمل جوهري في أصله لا سام في غايته لا ...**"

2-3- السكتة البائرة : وتكون في نهاية الكلام كله ، وعلامتها النقطة (.) ، وتفيد إعلام السامع بانتهاء الكلام ، وهي من أصعب أنواع السكتات ، لأن أسلوب التنعيم فيها لا قاعدة له وإن كان أميل إلى القرار الراسخ المكين في أغلب الأحيان.¹، كأن تكون في آخر الكلام كالاتي "اللهم أصلح شؤوننا لا واغفر دنوبنا... واجعل خير أعمالنا خواتمها لا وخير أيامنا يوم لقائك"**. **.

2-4- السكتة الناقصة القاعدية : تقع في الجملة الواحدة ، وعلامتها الفاصلة، وغرضها تقسيم الفكرة الواحدة إلى أجزاء ، دون أن يحدث خلل في ترابطها حتى يتم بذلك المعنى كاملا ، ومدتها قصيرة جدا، وهي كثيرة في الكلام، ويصعب على المتكلم إيجاد ومعرفة موقعها، إلا بالمران الطويل والتذوق الرفيع للكلام².

وسميت هذه السكتة قاعدية لأنها تحتل مواضع معينة في الجملة يفرضها أسلوب اللغة وعلى المتكلم التقيد بها ومواضعها هي:***

- بعد المنادى وقبل جواب النداء. "يا أيها المؤمنون لا اعملوا بجدٍ ونشاطٍ"

- بعد القسم وقبل جواب القسم.

- قبل وبعد الجملة الاعتراضية أو الحالية، "ذلك - والله أعلم - لأن تقوى الله هي الركيزة التي يقوم عليها الإيمان".


- قبل جملة مقول القول ، وكل كلمة فيها معنى القول، وقال "ص": لا "إنما البيع عن تراض"

سكتة قاطعة. 

*خطبة 2013/07/05، الجزائرية 3.

¹ ينظر " أصول الإلقاء " ، فرحان بلبل ، ص 88.

** 2013/09/06 ، قناة إقرأ

 السكتة البائرة.

² ينظر " أصول الإلقاء والإلقاء المسرحي " ، فرحان بلبل ، ص 89.

*** الأمثلة مأخوذة من خطبة 2013/09/20، قناة الجزائرية 3.

وخطبة يوم 2013/09/06، قناة 2M المغربية.

لا السكتة الناقصة القاعدية.

- بين الصفات أو الأحوال إذ تعددت ، وكانت عاملة فيما بعدها ، "فإن الإنسان يعيش بعمله لا بكسله لا وبأفعاله لا لا بأقواله".

- بين الأخبار إذا تعددت وكانت عاملة فيها بعدها مثل: "لأن البطالة من أخطر المشاكل لا وأسوأها عاقبة لا وأشدّها تأثيرا على طمأنينة الحياة".

- بعد أحرف الجواب والاستدراك : نعم ، أجل ، بلى ، لكن مثل : "لكنّ لاسرّ النجاح لا يكمن في ترديد الترانيم...".

- قبل جواب الشرط ، "إن تعمل حسنا لا تجزى عليه".

- قبل حرف الإضراب، بل مثل: آمن به المؤمنون لما سمعوا البيئات من الهدى والفرقان لا بل وتأثرو بها..."

- قبل جواب (ما) ، "ما الكفل من الرّحمة؟ لا سبعمائة حسنة".

- بعد شبهة الجملة إذا سبقت الجملة.¹

- بين الجمل المعطوفة، "...إذا تابو لا وأتابو لا يزيدهم من فضله العظيم".

قبل "أن" و"أي" المفسرتين"، "...تنظر إلى من قال ولا تنظر إلى ما قيل لا أي إننا كنا إذا جاء قول الحق ومنطق الصّدق ممّن لا نحاز إليه أعراضناه...".*

- قبل الجملة الخبرية إذا كان المبتدئ موصوفا ، فالسكّنة الناقصة تجب عامة كلما أمكن تقسيم الجملة إلى قسمين متوازنين ، أو متقابلين في المعنى أو متعلق ثانيهما بأولها.²

2-5- السكّنة الناقصة : لا قاعدة لها لأنها مرتبطة بذوق المتكلم، وحسن انتقائه لمواضيع

السكوت ، وغايتها إبراز كلمة أو صفة أو حالة أو التنبيه إلى أمر مشوق ، أي بمعنى أنها تفيد التأثير وتحقق الأثر النفسي في المتلقي ومدتها تطول وتقصّر حسبما يراه المتكلم مع إشعار المتلقي أن للكلام بقية.³

ومن المواضيع التي فيها هذه السكّنة مايلي :

- أن تأتي بين الفعل والفاعل: "يجعل لا الله لمن آمن واتقى نورا يمشي به"

¹ "أصول الإلقاء " ، فرحان بلبل ، ص 91.

* خطبة 2013/07/05، قناة السنة النبوية.

² ينظر "أصول الإلقاء " ، فرحان بلبل ، ص 92 ، 93.

³ اينظر "لمرجع نفسه" ، ص 93.

- قبل المفعول به خاصة إذ كان موصوفاً أو عاملاً فيما بعده "رأيت لـ الإسلام نوراً"
- بعد أداة الاستثناء " إلا " ما يشكو العوز إلا لـ الكسالى الخاملون**
- بعد أحرف الحض والتنبيه ، "فهلا لـ فكرت في نفسك..."***
- وتعد هذه السكته من أهم أدوات التعبير إن أحسن المتكلم استخدمها ، وإلا انقلبت عليه وضيعت معانيه.¹

2-6- السكته القبيحة : وهي التي تأتي في غير موضعها ، مما يؤدي إلى اضطراب في

المعنى وقلب للحقائق.

إذ لا يجوز الوقف في المواضيع الآتية:²****

- بين اسم الإشارة وبدله: هذا لـ الزواج المبارك.

- بين المضاف والمضاف إليه.

- بين الحال وصاحبه: "وعليه أن لا يتعرض للطلاق لـ وهو منفعّل غاضب".

- الوقوف عند همزة الـ التعريف في درج الكلام وتحولها إلى همزة قطع دون ضرورة

"أكمل الـ لـ مؤمنين إيماناً، أحسنهم خلقاً"

بناء على ما سبق أقول إن انتقاء مواضع السكّات في الكلام ضروري يفيد توضيح الكلام ولكن إذا روعي في ذلك موضعها ومدتها ، إضافة إلى مراعاة ظرف المتلقي الذي يكون في حالة الإستماع ، ففعل الإرسال الشفوي مسؤولية يتحملها الملقى بالدرجة الأولى وذلك بمراعته لكل الظروف والأدوات المساعدة على تحقيق الفهم والإفهام.

* خطبة 06/09/2013، قناة 2M المغربية..

لـ تفيد معنى السكته

** خطبة 19/07/2013، قناة الجزائرية

*** خطبة 14/06/2013، قناة الجزائرية.

¹ ينظر "أصول الإلقاء " ، فرحان بلبل ، ص 95.

² ينظر "المرجع نفسه" ، ص ن.

**** خطبة 21/06/2013، قناة الجزائرية.

- 3- **علامات الترقيم:** هي إشارات كتابية وهي منقولة عن اللغات الأجنبية مهمتها تقسيم الكلام إلى جمل والجمل إلى أجزاء ، واعطاء المعنى لكل جملة وهي تتمثل في :
- **النقطة Le Point:** أو الوقفة وصورتها (.) توضع بعد نهاية معنى الجملة.¹ مثل قول الخطيب "...، فيشأون على هجرة دينهم، والجهل بتكاليفه".
- **الفاصلة Virgule:** وصورتها (،) وتعنى نهاية جزء مثل الجملة،...وذلك بفعل تفرّقهم وتشتتهم، وجهلهم الدين واحكامه،....".
- **إشارة التعجب Point d'exclamation (!):** وتعنى الاستغراب أو الدهشة أو الاستنكار أو الاكثار.، كقول الخطيب : **"ولكن العاملين منهم بالدين قليلون ويا للأسف!"***
- **إشارة الاستفهام Point d'interrogation(?):** وتعني طلب المتكلم جوابا على السؤال.² مثل قول الخطيب : **ما كان سبب توبتك؟****
- **النقطتان وصورتها (:) Deux points :** وتوضعان في سياق التوضيح والتبيين وتكون :
- بين الشيء واقسامه وأنواعه مثلا : قال الخطيب في ذكر المرحلتين الأوليتين :
- بين لفظ القول والكلام المقول أو ما يشبههما في المعنى مثلا : قول الخطيب : **يجب على كل مسلم أن يدعو إلى الله تعالى!*****
- قبل الكلام الذي يعرض لتوضيح ما سبقه مثلا : **"للخطاب الديني فوائد: التوعية، الإرشاد النصح ، التوجيه..."**
- قبل الأمثلة تأتي لتوضيح قاعدة أو حكم مثل **"الأعمال لها ثمرات وهي: قوة الإيمان، شدة العزيمة،...."**³***
- وهناك علامات الترقيم الصامتة وهي :

** خطبة 2013/06/21، قناة الجزائرية.

¹ ينظر "فن الإلقاء" ، فرحان سعد ، ص 198.

* خطبة 2013/08/09، الجزائرية.

² ينظر "فن الإلقاء" ، فرحان بلبل ، ص 96

** خطبة 2013/08/09، الجزائرية.

*** خطبة 2013/08/09، قناة الجزائرية..

³ ينظر " فن الإلقاء" فرحان سعد ، ص 198 ، 199.

**** خطبة 2013/09/20، قناة الجزائرية.

علامة التنصيص **Guillemet** (" ") : يوضع بينهما الكلام المقتبس بنصه وحروفه.¹

- القوسان وصورتها **(Parenthèses)** : توضع بينهما الجمل التي ليست من أركان الكلام بالجمل المعترضة، وألفاظ الاحتراس والتفسير ، والأرقام الواردة في الجمل ، الأسماء الأجنبية الواردة في سياق النص المكتوب بالأحرف الأجنبية.... إلخ.²

- الشرطة أو الوصلة وصورتها **Frait d'union** : (-) توضع في الأماكن الآتية :

- بين ركني الجملة إذا طال الركن الأول

- بين العدد والمعدود إذا وقعت عنوانا في أول السطر مثل أول -

- بعد الأرقام مثل 1-..... 2-..... 3-.....

- بعد الحُرُوف أ-..... ب-..... ج-.....

- بين الرقمين مثل : (1 - 13)³

- علامات الحذف: **Trois points de suspension** وتوضع مكان الكلام المحذوف

وعلاماتها هكذا (...).⁴

هذه العلامات كلها تفيد المتكلم في معرفة موضع السكتات ونوعها، كما لها علاقة بتوجيه الكلام نحو المقاصد المعنوية للكلام.

ولأن الإلقاء الجيد والصحيح ، يبني أساسا على المعرفة الدقيقة لوجوه المعاني فعلامات

الترقيم تساعد في تحديدها وتوجيهها.⁵

-4- التركيز أو التشديد:

هو " تأكيد الملقى وتركيزه على كلمة أو جملة صوتيا بغرض إبرازها ، وإبراز الحالة

النفسية والعاطفية المرافقة لها مما يساعد على وضوح المعنى وتركيزه في نفس السامع".⁶

¹ ينظر "المساعد على بحث التخرج" ، مختار بوعقلي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط 1 ، وهران 1995 ، ص 88.

² "المرجع نفسه" ص ، 86 ، 87 .

³ ينظر "فن الإلقاء" ، فأروق سعد ص 199 ، وينظر "أصول كتابة وقواعد التحقيق، مهدي فضل الله ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 4 ، 2006 ، ص 96 .

⁴ ينظر "المرجع نفسه" 224 ، ص 95.

⁵ ينظر "أصول الإلقاء" ، فرحان بلبل ، ص 96 ، 97 .

⁶ "فرسان المنابر" ، " فقه الخطابة " ، ص 298 ، 299 .

وهي من أهم وسائل إثارة الانتباه لغاية في نفس الخطيب ، ومن آلياته ما يلي :

4-1- التركيز على الكلمة : ويتم بإحدى الوسائل الآتية :

- الضغط على الكلمة.
- الصمت قبل الكلمة.
- وضع الكلمة بين فاصلتي صمت.
- تغيير الطبقة الصوتية إما ارتفاعا أو انخفاضا.¹

4-2- تركيز الجملة: ويكون ب :

- تغيير الطبقة الصوتية للجملة سواء بالارتفاع أو الانخفاض
- تغيير القوة الصوتية للجملة سواء بتقوية المعنى أو إضعافه.
- تغيير الكلام في الجملة تبطئة كان أم إسراعا.²

4-3- أ مواضع التركيز:

ويقصد بها المواضع التي يتم فيها التركيز على الكلمات أو الجمل أثناء العملية الإلقائية مع أن التعيد لأمر مثل هذا يبقى نسبيا ، لأن المعاني والمقاصد تبقى ملك المتحدث وهو المدرك لمثل هذه المواضع من التركيز حسب مواقفه التي لا تعد ولا تحصى والسّياق الذي يكون فيه ، إلا أنه يمكن إحصاء البعض منها كالآتي:³

- عند تكرار الكلمة أو الجملة يتم التركيز على الثانية: مثل "ها قد عرفتم الإيمان، الإيمان، وما يفعل بصاحبه...".*

- إذا تناقضت كلمتان أو جملتان يتم التركيز على المعاكسة منها مثل قول الخطيب: "إذ جاء قول الحق ومنطق الصدق ممن لا تتحاز إليه أعرضنا عنه ورفضناه...وإذا جاء ممن نحب ونهواه تعصبنا له ورحبنا به وتبينناه...".**

¹ ينظر " اصول الإلقاء " فرحان بلبل ، ص 101.

² ينظر " المرجع نفسه " ، ص 108.

³ ينظر " اصول الإلقاء " فرحان بلبل ، ص 109.

* خطبة 2013/07/05، قناة السنة النبوية.

** خطبة 2013/07/05، قناة السنة النبوية.

- أدوات النفي أو النهي ، الاستفهام ، والتمني ، والحض ، والاستثناء وما يشبهها، إذ تأخذ هذه الأدوات التركيز دائماً، من خلال التنغيم المناسب. "فهل تدرون ما الكفل من الرحمة؟".

- التركيز على الكلمات غير المألوفة وأسماء الأعلام.¹
- الجملة الحالية ولاعترضية يتم التركيز عليهما إذا كانتا مقصودتين بالكلام مثل: "ذلك - والله أعلم - لأن تقوى الله هي الركيزة التي يقوم عليها الإيمان".
بناء على ما سبق أقول، لا يستطيع المتكلم إدراك مواضع التركيز - الذي يعد من أهم قواعد الإلقاء - ما لم يكن على دراية بقواعد اللغة وأصولها كالدراية بأدوات النفي والنهي والاستفهام، ونحوها، والجمال الاعترضية وماهية الحال وغيرها، وإلا صعبت عليه العملية الإلقائية ، إن لم نقل استحالت عليه.

4-4 أنواع التركيز:

ينقسم من حيث قوته وأداؤه الصوتي إلى نوعين:

أ- **حاد قوي:** وهو قوي حاد، ينهال على الفور وينتهي على الفور ويميل فيه الصوت إلى الارتفاع الباتر ويقف ، كأن يقول الخطيب: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَّقَنَهُ»
ففي التركيز على "يتقنه" تنتهي الكلمة حادة "قاسية"^{**} من غير امتداد، وتقف في وسط أو أعلى السلم الموسيقي.²

ب- **لين ممتد:** وهو أقل من الأول تحديداً ، ولا ينتهي فوراً، بل نجد له امتداداً يميل الصوت فيه إلى الانخفاض المنسحب، ويقف في وسط السلم الموسيقي أو في الدرجات المنخفضة.³

¹ "فن الإلقاء العربي" ، فاروق سعد ، ص 292.

*خطبة 2013/09/06

** خطبة 2013/09/20، قناة الجزائرية .

² ينظر "أصول الإلقاء" ، فرحان بلبل ، ص 11.

³ ينظر " المرجع نفسه "، ص ن.

4-5- أنواع التركيز :

- أ- تركيز قوي: يكون شديد البروز في الجملة لافتا للانتباه.
- ب- تركيز متوسط : ولا يستقل وحده انتباه المستمع ، ويؤكد المعنى نصف التأكيد.
- ج- تركيز ضعيف : ويقصد منه "أن يسند التركيز القوي والمتوسط وأن ينبه إلى ما سبقه إليه وهو الأهم" ¹.

4-6 مبادئ التركيز:

مما سبق تبدو أهمية التركيز والتشديد في الكلام لإبراز وتحديد المعاني وترتيبها من حيث الدور والأهمية ، ولكن يجب مراعاة بعض المبادئ في استخدامه حتى لا يتحول إلى وسيلة لتثويه المعنى وغموضه، منها ما يلي :

أ- الإقتصاد في التركيز : وهو "الإقلال من عدد الكلمات والجمل التي يقع عليها التركيز في الإلقاء ، فقد يظن البعض أنه السبيل الجيد في تأدية المعاني وتأكيدا ، ولكنه في الحقيقة إذ كثر عدّ إسرافا يؤدي إلى العكس" ².

فإذا أكثر المتكلم من التركيز على الكلمات والجمل فإنه يضع المتلقي في حيرة من أمره، فلا يميز بين ما هو مهم في الحديث وما هو غير ذلك، حتى إن ذلك قد يقلب الكلام من إبراز للعواطف إلى انفلات للإنفعالات.

ب- انتقاء ما يجب إبرازه : وهو أن يختار المتكلم مواقع التركيز فيحدد عددا من الكلمات والجمل التي يرى ضرورة إبرازها وتأكيدا في كلامه ، فيضع عليها التركيز دون سواها ³.

ج- رفع التركيز: هو الانتقال من مرتبة التركيز للجملة أو الكلمة إلى مرتبة الكلام العادي والذي يجب أن يتم بسرعة ووضوح من دون أن يظهر هناك قطع بين أجزاء الكلام لأن الهدف منه إبراز المعاني وإبراز شخصية المتكلم وموقفه في الوقت ذاته، إضافة إلى أنه يعطي الكلام صبغة البهاء والجمال بذلك الصوت المتنقل بين طبقات السلم الموسيقي مما يترك الأثر في نفوس المتلقين ⁴.

¹ "أصول الإلقاء" ، فرحان بلبل ، ص 112 ، 113.

² "المرجع نفسه" ، ص ن.

³ ينظر "المرجع نفسه" ، ص 113.

⁴ ينظر "المرجع نفسه" ، ص ن.

5- الإيقاع :

هو سرعة النطق بالكلام ، فقد يكون بطيئاً أو عادياً أو سريعاً، ويجب على الخطيب من أن ينتقي واحداً من هذه الإيقاعات بحسب المادة الملقاة وظروفها، ولالإيقاع سمة تحدد نوعه فقد يظهر جليلاً أو رشيقاً أو حزيناً أو فرحاً أو حازماً أو....، هذه السمات شيء مختلف عن السرعة والبطء رغم أنها تلازمها وتتبع منها ، " فالإيقاع له سرعة معينة ويتصف في الوقت ذاته بوحدة من هذه السمات"¹ ، التي تجعله يتجاوز التّمطية والوثيرة الواحدة المسببة للملل² ، فعلى سبيل المثال إلقاء خطبة الجمعة، تتطلب أحياناً إلقاءها بسرعة لظروف سياقية تفرض ذلك كالحر الشديد مثلاً، والبرد القارس أو اكتظاظ المسجد بالمصلين ووصولهم إلى خارجه.... إلخ، فيكون على الخطيب في هذه الحالة، أن يلقي كل كلمة أو كلمتين على حدى ويعطيها انعطافاً صوتياً يدل على استمرارية الكلام .

وقد يتطلب الأمر أحياناً أن يلقي الخطبة بسرعة زائدة ، كأن يداهم الخطيب ، وقت الخطبة وعليه إنهاؤها كاملة لتصل المعاني وتحقق الغايات ، في مثل هذه الحالة من الضروري أن يحافظ على توضيح الكلمات ومقاطعها وإن أسرع في الإيقاع ، حتى لا تضع المعاني.

والمعلوم أن الأصوات تنتقل بسرعة من مصدرها إلى أذن السامع³ ، فإذا راقبنا شخصاً يتكلم ، خيل إلينا أننا نسمع في لحظة النطق ذاتها ، لكن في حقيقة الأمر يوجد وقت بين النطق والسمع⁴.

¹ " أصول الإلقاء " ، فرحان بلبل ، ص 233.

² ينظر " فن الإلقاء " ، محمد علي ، ص 114 .

³ يحدث الصوت تموجات في الهواء الخارجي ، يستقبلها الصيوان ثم تمر في القناة السَمعية الخارجية إلى أن تصل إلى الغشاء الطبلي ، فيهتز اهتزازات مناسبة لتلك التموجات ، وتصل بذلك إلى الأذن الداخلية بواسطة العظيمة الثلاث، ثم تسري هذع الإهتزازات في السائل التيهي ، وتحدث به موجات مناسبة لها، فتنبه أطراف الأعصاب المغموسة فيه وتنقل هذه الأعصاب ما تشعر به أطرافها إلى المراكز السَمعية في المخ، وعند ذلك ندرك الأصوات المختلفة، ونتعرف على اتجاهاتها، ينظر "الأصوات اللغوية" إبراهيم أبنس ، ص18.

⁴ ينظر "دراسة الصوت اللغوي" ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1997 ، ص 21. و ينظر " علم النفس اللغّة من منظور معرفي " ، موقف الحمداي ، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة ، ط 1 ، 2004 ، 1425هـ ، ص 35.

لأن هناك فرق بين إدراك الكلام سمعاً ، وإدراك الكلام كتابة ، والفرق هو أن الكلمة المسموعة ذات عمر قصير بينما يستطيع القارئ مراجعة الكلمة المطبوعة ما دامت موجودة أمامه ، ولا تتاح هذه الفرصة لإدراك الكلمة المسموعة، إلا مرة واحدة ولأجزاء من الثانية.

وكلما كان هناك فارق زمني بينهما ، كلما تسنى للمتلقى استيعاب مضمون الرسالة¹. لذلك يجب أن يكون الإيقاع الكلامي مضبوطا ، فلا يكون سريعا لدرجة لا يستطيع المتلقي استيعاب شيء منه ولا بطيئا ، بل عليه أن يكون وسطا، على حد قول إبراهيم أنيس: « ولطول الصوت أهمية خاصة في النطق باللّغة نطقا صحيحا، فالإسراع بنطق الصوت أو الإبطاء به ، يترك في لهجة المتكلم أثرا أجنبيا عن اللّغة ينفر منه أبنائها»². ويستطرد إبراهيم أنيس في كلامه فيقول إنه ليس من المفروض على الخطيب أن يكون على دراية بمقدار الزمن الذي لا بدّ أن يستغرقه في نطق كل صوت حتى يكون على صواب، وإنما المران السمعي كفيل بضبط هذا الطول وتحديد ه³. لأن الإيقاع نابع من شخصه فهو يعكس مشاعره وخصائصه النفسية بما يظهره من تقسيم زمني ونبرات إيقاعية ، فهو « شكل خارجي يخلقه إيقاع داخلي »⁴ هذا ما يجعله أمرا نسبيا ، حتى إن الجانب الإيقاعي للكلام يظهر بعضا من التأثير الخاص بالخطيب أثناء إلقائه، كما يظهر جزءا آخر أيضا في طريقة الإلقاء والمتمثلة في النبر والتنغيم اللذين يساعدان بدورهما في إبراز المعاني وتوجيه المقاصد.

6- التنغيم : la tomalité

هو رفع الصوت وانخفاضه في الكلام⁵ ، وهو ما يعول عليه المرسل كثيرا في نجاح بلورة القصد الحقيقي من كلامه⁶.

إذ يحصل التموج على مستوى الجملة ، حيث يتغير التنغيم في العلو والانخفاض فالتنغيم نوعان « تنغيم صاعد وآخر هابط، يتلفظ المرسل بالمستوى الذي يمكن أن يعبر عن

¹ لأن هناك فرق بين إدراك الكلام سمعا ، وإدراك الكلام كتابة ، والفرق هو أن الكلمة المسموعة ذات عمر قصير بينما يستطيع القارئ مراجعة الكلمة المطبوعة ما دامت موجودة أمامه ، ولا تتاح هذه الفرصة لإدراك الكلمة المسموعة، إلا مرة واحدة ولأجزاء من الثانية.

² "الأصوات اللغوية" ، إبراهيم أنيس ، ص 145.

³ ينظر الأصوات اللغوية" ، إبراهيم أنيس ، ص 145.

⁴ "أصول الإلقاء" ، فرحان بلبل ، ص 234.

⁵ ينظر " أصول الإلقاء المسرحي " ، فرحان بلبل ، ص 104.

⁶ ينظر "استراتيجيات الخطاب" ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري ، ص 320.

قصده انطلاقاً من أنّ المستوى الصوتي هو المستوى الذي يحمل شحنات قصد المرسل ويجسدها في صورة قوية...»¹

فالتنغيم قد يحمل دلالة الخطاب ممّا يظهر عليه من المستويين المعجمي والتركيبي، إلى دلالة أخرى تظهر من خلال نغمة المتكلم ، لأنه هو الفيصل في توضيح الدلالة والقصد.² يقول فرحان بلبل: « إن للتّنغيم وظيفة نحوية ودلالية؛ أما الوظيفة النحوية فهي وضع الجملة في واحدة من المجموعات الثلاث* ، والوظيفة الدلالية هي أن يصرف المتكلم الجملة إلى وجهها المعنوي المقصود.»³

ويرى فاروق سعد أن التّنغيم في الكلام شأن الترقيم في الكتابة في الدلالة على المعنى الوظيفي في الجملة.⁴ ، بينما يرى تمام حسان أنه في الكلام المنطوق أهم من المكتوب وذلك في قوله : « غير أن التّنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة»⁵ لأن زمن التوقف في علامات الترقيم الكتابية لا يظهر بينما يظهر أثناء الإلقاء جليا عند تقطيع الجمل، ويضفي التّنغيم نبرا صوتيا يدل على إنتهاء الكلام أو عدمه، مما يزيد من إبراز المعنى وإيضاحه.

وقد عرف قديما عند العرب بمصطلح، "اللحن" إذ جاء في "لسان العرب" في مادة " لحن " أنه "جرس الكلام وحسن الصوت"⁶. ويؤدي التنغيم في معظم اللغات إلى تغيير الجملة من خبر إلى استفهام، إلى تأكيد أو تعجب دون التغيير في شكل الكلمات المكونة لها، حتى إن هناك من الأمثلة التي تورد للنداء بدون حرف النداء أو الاستفهام أو التعجب أو.....، بل يعتمد في تحديد الدلالة على المعنى في ذلك على التنغيم.⁷

¹ "استراتيجيات الخطاب" ، عبد الهادي بن ظافر ، ص 147.

² ينظر "استراتيجيات الخطاب" ، عبد الهادي بن ظافر ، ص 147 ، 148.

*وهي : - جمل إثبات (خبرية) ، جمل استفهام ، جمل أمر ونهي يدخل فيهما النداء والتمني.

³ "أصول الإلقاء والإلقاء المسرحي" ، فرحان بلبل ، ص 104.

⁴ ينظر ، "فن الإلقاء العربي" ، فاروق سعد ، ص 166.

⁵ "اللغة العربية معناها ومبناها" ، تمام حسان ، علم الكتب ، ط3 ، القاهرة ، 1998.

⁶ "لسان العرب ، ابن منظور ، ج 12 ، مادة لحن ، ص 282.

⁷ ينظر، "فن الإلقاء العربي" ، فاروق سعد ، ص 165.

مثال ذلك ما جاء في قوله تعالى : « قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَادِبِينَ (74) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (75) »¹ ، إذ حذف حرف الاستفهام ، بدّ أن تقرأ « "قالوا فما جزاؤه" بتنغيم الاستفهام ، وتقرأ جملة « من وجد في رحله فهو جزاؤه» بتنغيم التقرير.

وفي قوله تعالى أيضا « يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ »² ، فقد حذف فيها حرف الاستفهام وأقيم التنغيم مكانه والأصل «أيخلفون». فلو قرئت هذه الأمثلة بدون التنغيم لا تؤدي المعنى الصحيح لها ، وكثيرة هي الجمل من هذا النوع التي لا تحتوي على أدوات النداء والاستفهام..... أين يصبح التنغيم أمرا ضروريا في تحديد مقصد المتكلم ، فهو متعلق بمهارة المتحدث في قدرته على استخدام وتلوين الخصائص بما يوافق المعنى المرغوب.

7-5- النبر (P'accent)

يطلق مصطلح النبر على درجة ارتفاع الصوت التي تختلف عند النطق بين مقطع وآخر في الكلمة الواحدة أو ما يشبه الكلمة.³ أي بمعنى أنه ازدياد وضوح الصوت لجزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حوله من أجزاءها ، وعند النطق بمقطع منبور فإن جميع أعضاء النطق تنشط⁴ وحين النطق بالصوت غير المنبور نلاحظ ضرا في أعضاء النطق⁵.

وقد عرف النبر في اللغة العربية بمصطلح الهمز ، حيث ورد في اللسان في مادة "نبر" "النبر بالكلام ، الهمز والنبر عند العرب ارتفاع الصوت ويقال نبر الرجل نبرةً إذ تكلم بكلمة فيها علوٌ ، ونبرة المغني رفع صوته عن خفضٍ"⁶.

¹ سورة يوسف ، الآية 75،74.

² سورة التوبة ، الآية 62.

³ "مدخل إلى علم اللغة" ، محمود فهي حجازي ، دار قباء القاهرة ، 1998.

⁴ إذ تنشط عضلات الرنتين ، كما تقوى حركات الوترتين الصوتين ويقتربان أحدهما من الآخر ليسمحا بتسرب أقل مقدار من الهواء ، فتعظم لذلك سعة الدبابات ويترتب عليه أن يصبح الصوت عاليا وأضحا في السمع ، ينظر ، "الأصوات اللغوية" ابراهيم أنيس ، ص 158

⁵ لأن المسافة بين الوترين الصوتيين مع المجهورات تتسع نسبيا وبذلك يقل ضغط الهواء في أثناء تسربه ، وكذلك تفتت باقي أعضاء النطق فلا يسد أقصى الحنك الفراغ الأنفي سدا محكما ، كما يحدث مع الصوت المنبور ، ينظر "المرجع نفسه" ، ص ن.

⁶ ينظر "لسان العرب" ، ابن منظور ، ج 14 ، "مادة نبر" ، ص 18 – 18.

فالنَّبْر يمثل المعنى ذاته للهمز عند العرب ، وهو يخضع للأعراض الكلامية التي يسعى إلى إظهارها المتكلم وهو حالة نسبية وليست مطلقة ، واللغة العربية بنيتها التركيبية تسمح بحرية حركة التنوع الصوتي وسط مقاطعها، وبفضل علم التجويد أمكن رصد مواضع النَّبْر في اللغة العربية، وحددت درجات النَّبْر بثلاث¹ :

أ- **النَّبْر القوي** : ويرمز إليه في الكتابة الصوتية بعلامة [ا] ويوضع قبل المقطع المنبور مباشرة.

ب-

ب- **النَّبْر الوسيط** : ويرمز إليه في الكتابة الصوتية بعلامة [ا] ويوضع مباشرة بعد

المقطع المنبور مباشرة مثلا : كلمة مستحيل ، مس [ا] تـ [ا] حي / ل

وسط قوي

ج- **النَّبْر الضعيف** : ويترك عادة بدون علامة والنَّبْر حين يكون في الكلمة يسمى نبر الكلمة، ولكن هذا النَّبْر قد يتصل من حيث الجمل والعبارات.

الخصائص المتعلقة بمهارات فن الإلقاء من العوامل التي تحكم المعنى وتضفي عليه

رونقا خاصا يعكس شخصيته الخطيب ، لذا لا يمكن التعميد لها وإنما تبقى نسبية، إذ

ترتبط ارتباطا مباشرا بمهارات المتكلم وقدرته على استخدام كل إمكاناته الفيزيائية والنفسية

لإعطاء كلامه حقه من الدلالات المقصودة.²

ولهذا فإن الالتزام بالقواعد والأسس الرئيسية لفن الإلقاء تمكن الخطيب الديني من تبليغ

رسالته تامة كاملة المعاني مستوفية الشروط إلى المستمع، لأنه في مثل هذه الحالة يكون حاذقا

في كيفية تسخير خصائصه الصوتية والإلقائية من إيقاع وتركيز ونبر وتنغيم...في خدمة

معانيه وفقا للمقاصد المتعددة والسياق المحيط ومقتضى الحال، فيرتقي بكلامه إلى مستوى

رفيع يحقق له مصداقية التأثير الإيجابي.

¹ ينظر " فن الإلقاء العربي"، الخطابي والتمثيلي : فاروق سعد ، ص 165.

² ينظر "التشكيل اللغوي ومهارات الإلقاء للخبر التلفزيوني" ، حميدي زهور ، ص134.

❖ الفصل الرابع :

التعبير اللساني ومقصدية الخطاب الديني

المبحث الأول :

- I- الاتصال الخطابي اتصال لفظي
- II - الاتصال غير اللفظي ودرجة تأثيره
- III - الاتصال غير اللفظي مكمل للاتصال اللفظي

المبحث الثاني :

- I- الأثر الساقى في تحديد مقصدية الخطاب الديني
- 1- مفهوم السياق
- 2- أهميته : 1-2- القدمات
- 2-2- المحدثون

3- أنواعه

4- نظرية سياق الحال في الخطاب الديني

II- اللغة الخطابية والإطار الدلالي

1- اللفظ والمعنى

2- أهمية المعنى ودلالات الرموز الخطابية

3- أنواع الدلالات في الخطاب الديني

III- الإستراتيجيات البلاغية والبيانية وأثرها الإقناعي

1- الإستراتيجية التضامنية

2- الإستراتيجية التوجيهية

3- الإستراتيجية التلميحية

المبحث الثالث :

I- تحليل الدلالي للمجاز 1-1- اللفظ والمعنى في التراكيب المجازية

1-2- إسقاط علاقات الارتباط المنطقي بين المعاني في لغة المجاز

II- المخاطب والمخاطب في الإستراتيجية التلميحية

1- المتكلم بين الاختيار والإجبار

2- مقصدية المتلقي بين الفهم والغموض

3- فصاحة والمجاز

III- أثر المجاز في الإقناع الخطابي

المبحث الأول

(I) – الاتصال الخطابي اتصال لفظي :

لقد عرف الإنسان مظاهر اللّغة الإنسانية بمختلف تعبيراتها وأصنافها وأشكالها عبر مختلف العصور¹، وعند مختلف الشعوب باعتبارها الوسيلة الفعالة في تحقيق الاتصال والتفاعل مع الغير.

وتعد اللّغة البشرية « خاصة نوعية » ، وليس لها شبيه ذو أهمية في أمكنة أخرى² ، فملكها تدخل في كل مجالات الحياة البشرية القائمة على الاحتكاك والتفاعل فيما بينهم ، فهي مسؤولة إلى حد كبير عن حقيقة أنه في العالم البيولوجي³.

فبها يحقق الإنسان الصلّة التي تعد الأساس في وجوده ، والتي تبدأ في التي تكون بينه وبين أمه وأبيه، ثم تتنوع وتتنامي لتربطه بغيره من المحيطين به من الأقارب ثم المجتمع وأفراده⁴، حتى إنه يمكن اعتبار ملكة اللّغة بمثابة "عضو لغة" بالمعنى الذي يتحدث به علماء الطب عن "الجهاز البصري"، "جهاز المناعة"، "جهاز الدوران"... بوصفها أعضاء من الجسم و العضو الذي يفهم بهذه الطريقة لا يمكن إزالته من الجسم.⁵

وقد قيد العرب الناطق بمنطوقه ، وقالوا "المرء مخبوء تحت لسانه" ، "وزلة السنّان أهون من زلة اللّسان"، وحرصا على سلامة النطق وتنظيمه ، عمد المتكلمون إلى تنظيم منطوقهم وتقيدته فكانت القواعد اللّغوية.

وعرف العلماء اللّغة على أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم⁶

¹ ينظر "اللّغة العربية والاتصال" ، عبد الجليل مرتاض ، منشورات المجلس الأعلى للّغة العربية ، أعمال في لعام 2000م ، الجزائر ص 21.

² ينظر "أفاق جديدة في دراسة اللّغة والعقل" ، نعوم تشومسكي ، تر عدنان حسن ، دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا ، ط 1 ، 2009 ، ص 33.

³ ينظر " المرجع نفسه " ، ص 34.

⁴ ينظر ، "تقنيات التواصل والتعبير " ، عبد الرحيم تحيري ، مطبعة النّجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 2007 ، ص 12.

⁵ ينظر "أفاق جديدة في دراسة اللّغة والعقل" ، نعوم تشومسكي ص 35 .

⁶ "الخصائص" ، ابن حني ، تج عبد الحميد هنداي ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مجلد 1، ص 87.

وهذا التعريف يشمل أربعة جوانب أساسية :

- الجانب الأول : هو الجانب اللغوي الصوتي (أنها أصوات)

- الجانب الثاني : هو الجانب الوظيفي التعبيري (يعبر بها)

- الجانب الثالث : هو الجانب الاجتماعي (كل قوم)

- الجانب الرابع : هو الجانب التفكيرى (عن أغراضهم)

ويكاد يكون تعريف بن خلدون ذاته في يقول: أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن المقصود، وتلك العبارة فعل لساني (ناشئة عن القصد لإفادة الكلام) ، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وفي كل أمة بحسب اصطلاحاتهم¹ .

كما حدد ابن خلدون الجوانب ذاتها للغة عند ابن حني من حيث اشتمالها على الطبيعة الصوتية والوظيفية الاتصالية والاجتماعية للغة، مع اضافة كون اللغة متقررة في اللسان². كما أنها نظام من الرموز تتسم بالتحكم والانتظام والتمسك بالقواعد التي تتكون من خصائص أربعة:³

1- نظام دلالات الألفاظ : وهو مرتبط بمعاني الكلمات.

2- النظام التركيبي (البنائي) : ويتعلق بالترتيب المنظم للكلمات في الجمل.

3- النظام المورفولوجي (الصرفي) : وهو مرتبط بالتغيرات التي تدخل على الكلمات

لتحديد المعاني.

4- النظام الصوتي: المتعلق في التعبير الصوتي بطريقة فعالة ومفهومة تحقق التواصل

مع الآخرين.

فهي لغة تسمو بمكانتها»...بحكم نطاقها ومداهها ومعانيها الخاصة المحدودة واختلافاتها

وتدرجاتها وتعبيراتها المتعددة، وقدراتها الواضحة على التجريد...»⁴.

من هذا المعيار فإن اللغة المنطوقة هي المستخدمة في الاتصال اللفظي المباشر الذي

تستخدم فيه اللغة الشفهية والأصوات باعتبارها وسيلة للتعبير عن الأفكار والمعارف التي يراد

¹ ينظر "المقدمة" ، ابن خلدون ، ص 582.

² ينظر "فصول في علم اللغة العام" ، عمرو خاطر عبد الغنى وهدان ، ص 19

³ ينظر "البطى التعليمي ، وعلاجه من خلال أساسيات التعليم والتعلم" ، على تعوينات ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر

والتوزيع، الجزائر ، 2009 ، ص 151.

⁴ "أساليب الاتصال والتعبير الاجتماعي" ، محمود عودة ، دار المعرفة الجامعية ، الأزريرة ، 1998 ، ص 22.

نقلها إلى المتلقي سواء أكانت مباشرة من المرسل أو عبر استخدام إحدى القنوات الناقلة له، مثل الهاتف والمكبر الصوتي...إلخ.¹

ويندرج في إطار الاتصال اللفظي كل أنواع الاتصال الذي يستخدم فيه اللفظ على أنه وسيلة لنقل الرسالة من متكلم إلى متلق، فيكون هذا اللفظ منطوقا يدرك بالسمع لا بالعين².
والرسالة الشفوية³، أو ما يسمى الاتصال اللساني تمر من جهاز النطق لدى إنسان مرسل إلى جهاز السمع لدى آخر (مرسل إليه)، وهذا الانتقال للمنطوق يشترط فيه ثلاثة عناصر أساسية هي :

(1)- **عنصر فيزيولوجي** : يتعلق بكثافة ومدة الموجات الصوتية، خاصة حيث إن عتبات معينة تعتبر ضرورية لإدراك الرسالة وأن ما فوقها، ودونها تصبح عائقا في وجه إدراكها.
(2)- **عنصر لساني** : يتعلق ببناء مكونات الرسالة نحويا ودلاليا ورمزيا وأسلوبيا بحسب ثقافة المرسل وتربيته.

(3)- **عنصر سيكولوجي**: ويرتبط بمسائل الانتباه الشخصية⁴، ويعتبر إرجاع الأثر أو المردود علامات ملموسة تتيح معرفة النتيجة المترتبة عن إرسال من حيث الاستقبال وعدمه، والفهم من عدمه ولا يشترط أن يكون بالكلام المنطوق أو المردود المباشر.
وتجدر الإشارة هنا إلى أن اللغة المنطوقة تشكل سلطة على المتكلم، فعلى الرغم من أنه يستطيع استعمال الكثير من الأدوات الأخرى في التعبير، إلا أن بعضا من الأفعال لا ينجزها إلا بها بوصفها أدواته الرئيسية والأهم في التفاعل مع المرسل إليه.

¹ ينظر "البطى التعليمي وعلاجه من خلال أساسيات التعليم والتعلم" ، علي يعوينات ، ص 150.

² ينظر "الاتصال ونظرياته المعاصرة" ، حسن عماد مكاوي ، ليلي حسن السيد ، ص 26.

³ تشمل إما المحاورَة أو المقابِلة أو المحادِثة

- المحاورَة : تشرك فيها شخصين في تبادل الحديث ، وهما المرسل والمرسل إليه ، ويفترض فيهما اغناء بعضهما مادام للمتكلم إرادة الإفهام وللمتلقى إرادة الإنصات والفهم .

- المقابلة : وهي نوع من المواجهة يسأل فيها المتكلم مجموعة من الأسئلة على المتلقي ، أي أنها مبنية على أساس طرح الأسئلة والإجابة عنها.

- المحادِثة : وهي فعل تبادل الكلمات مع شخصين أو أكثر – ينظر تقنيات التواصل والتعبير ، عبد الرحيم تمحيري

ص،116-120

⁴ "تقنيات التواصل والتعبير" ، عبد الرحيم تمحيري ، ص 115.

كما تكمن سلطتها، بالإضافة إلى ذلك، فيما لها من قواعد وأنظمة تلزم المرسل التقيد بها، منها ما هو صوتي، وما هو صرفي أو معجمي أو دلالي أو تركيبى، وباحترامها يكتسبها وتصبح جزءا من كفاءته عند استخدامها في خطابه.

وهذه الأنظمة غير قابلة للخرق أو التجاوز إلا ما يدخل في حرية الاختيار في تجاوزات لا تكون إلا لقصد تداولي، يشترط فيها أن يظل خطابه مفهوما وواضحا.¹ وفي الوقت ذاته يحقق المرسل سلطته عليها باعتباره الفاعل و المنجز الرئيسي للخطاب و الذي يملك من القدرات ما قد تسمح له بخرق قواعدها والتلاعب بها، وهذا ما يعرف "بالكفاءة التواصلية" التي يستخدمها المتكلم لفرض التأثير في الآخرين، إذ يستثمر كل الإمكانيات المتاحة والقابلة للتبدلات في اللغة المنطوقة (كل التغيرات في المستوى الصوتي، أو التركيبى أو) لتحقيق اللغة المؤثرة المفيدة والمحققة للمقصد.²

ويعد التواصل الشفوي المنطوق انفتاحا للذات على الآخرين، لأنه «...يحدث بين طرفي عملية التواصل في موقف مباشرا (وجها لوجه) أو شبه مباشر (عبر الوسائل التكنولوجية كالهاتف أو النقال) أو خلال وسائل الإتصال الجماهيري (كالمذياع والتلفاز)».³ وتكمن أهميته في أنه أقدم عمليات التواصل التي عرفها الإنسان وأدرك قيمتها فهو يتصف بسمات خاصة أهمها:⁴

1- يعد أقصر الطرق وأيسرها في التعبير، (أقل الطرق تكلفة وجهدا).

2- يقوم على أساس الصراحة والوضوح والبيان.

3- يتسم بالود والبعد عن التكلف.

ويضيف محمد عطية في أهمية التواصل الشفوي ما يأتي:⁵

¹ ينظر ، " استراتيجيات الخطاب، بن ظافر الشهيري " ، ص 225، 224.

² " المرجع نفسه" ، ص 225، 226.

³ ينظر "المرجع نفسه" ، ص 154.

⁴ ينظر ، " تنمية مهارات التواصل الشفوي (التحدث والاستماع)، دراسة عملية تطبيقية" ، راشد محمد عطية أبو

صواوين إيتراك للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2005م ، ص 154.

ينظر " تنمية مهارات التواصل الشفوي (التحدث والاستماع)، دراسة عملية تطبيقية" ، راشد محمد عطية أبو صواوين

"، ص 157 ، 160.

- اللّغة الشفوية هي الوسيلة التي لا بد أن تكتسب عند الناطق بها خصوصا الأطفال في
الطور التعليمي.

- تعلمها يعد مدخلا لتعلم اللّغة برمتها، إذ إن عادات التواصل الشفوي تصنع الأساس لكل
النمو اللّغوي في المستمع.

- أشيع أشكال اللّغة استخداما وتداولاً في حياة الإنسان هي الشفوية، فنحن نتكلم ونستمع
أكثر مما نقرأ ونكتب، إذ أثبتت الدراسات أن الجانب الشفوي يشكل 95 % من التواصل
اللّغوي.

- عناية الإسلام بالكلمة المنطوقة والمسموعة أبرز دليل على ذلك، ففي القرآن الكريم
والحديث الشريف ما يدل دلالة قاطعة على أهميتها وأنها نعمة لا بد أن نشكر الله عليها، في
قوله تعالى : « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا »¹.

والمعلوم أن اللّغة الشفوية (الاتصال اللفظي) يسبق اللّغة المكتوبة في عملية التواصل
الإنساني، فلا يمكن أن يحقق تواملا لسانيا ناجحا إلا إذا امتلك مهارات التواصل الشفوي
والمتمثلة في (التحدث والاستماع)²، باعتبارهما يمثلان طرفي عملية التواصل الرئيسيين (
المتحدث والمستمع).

أ- التحدث :

إذ لا تواصل بدون متحدث، فقد استخدم الإنسان التواصل الشفوي واعتمد عليه اعتمادا
كلياً في تحقيق مآربه وضمان استمراريته، ولا يمكن لأحد أن ينكر ما للتحدث من أهمية كبيرة
في كل ميادين الحياة- خصوصا اليوم- بعد أن أضافت التكنولوجيا له بعدا جديدا، إذ أمكن
تخطي حواجز الزمان والمكان، وأصبح من السهل تسجيل الحديث والاحتفاظ به وإعادة
سماعه، كما أمكن اجتياز الحواجز الجغرافية عن طريق الهاتف واللاسلكي...إلخ، بل
وأصبحت المناقشات والحوارات تتم بين أفراد من أماكن متباعدة من المعمورة عبر وسائل
الاتصال الجماهيري كالإذاعة والتلفزيون، بل وحتى أصبحت تتاح للمشاهد فرصة المشاركة
والحوار مع أطراف العملية وهو ما كثر في بيته³.

¹ سورة البقرة، الآية 31.

² ينظر "تنمية مهارات التواصل الشفوي" ، راشد محمد عطية أبو صواوين ، ص 155

³ ينظر "تنمية مهارات التواصل الشفوي" ، راشد محمد عطية أبو صواوين ، ص 186.

وإذا كان التحدث مهما للفرد العادي فإنه بالنسبة للخطيب والإعلامي أشد وأكثر أهمية، لأنه يمثل الأساس لكل أنشطته التي يقوم بها لأداء وظيفته الإبلاغية و الإقناعية، لذا لا بد من أن تتوفر لدى الخطيب مهارات الحديث¹ حتى يتمكن من تحقيق أهدافه.

(ب)- الاستماع: هو عنصر مهم في الاتصال اللفظي ، فهو أسبق الحواس في تحقيق الاكتساب والمعرفة والتعلم. وحسن الاستماع سمة حضارية ترقى بها المجتمعات في اتجاه تحقيق المعرفة والتطور، لذلك دعا إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»².

وتزداد أهميته³ في الوقت الحاضر نتيجة التطور الهائل في وسائل الإعلام التي يعتمد عليها الإنسان في تلقي الأخبار والمعلومات، إذ يستوجب عليه تلقي هذه الرسائل الشفوية والتفاعل معها بفعالية وحذر حتى يميز المفيد منها من الضار.⁴

وتشير الدراسات إلى أن الاستماع أكثر أساليب التواصل شيوعا إذ أن الإنسان يقضى نسبة 45 % منها في الاستماع ، فهو من العوامل الأساسية لفهم الآخرين، وبذلك التعامل معهم وفقا لما يقتضيه الموقف والغرض، خصوصا عند الجمهور المتلقي للخطاب الوعظي والإرشادي (الديني) إذ بحسب مدى ارتفاع نسبة الاستماع والإصغاء عند المتلقين يحدد نجاح العملية الاتصالية من فشلها، لأن الخطاب الديني خطاب لسانی موجه مباشرة إلى المتلقين، لذلك فإن نجاحه متوقف على نشاط الاستماع ونسبة الإصغاء لدى الجمهور المستمع.

¹ الحديث : الخبر والجديد ، القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، مادة حدث ، ص 269 ، « والحديث ما يحدث به المحدث حديثا...فأما الحديث فليس بمصدر وقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث » ، أي بلغ...» لسان العرب ابن منظور ، ج مادة حدث ، ص 873

و"التحدث" هو عملية اجتماعية طبيعية يؤديها كل أفراد المجتمع ، بتلقائية ، ينظر ، "تنمية مهارات الاتصال الشفوي" راشد محمد عطية ، ص 191.

² سورة الأعراف، الآية 204.

³ « السَّمْعُ حِسُّ الْأُذُنِ ، وَالْأُذُنُ وَمَا قَرَّ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ » ، « وَاسْتَمَعَ لَهُ وَإِلَيْهِ أَصْعَى » ، "القاموس المحيط" الفيروز آبادي ، مادة سَمِعَ ، ص 638 ، 139.

« وَرَجُلٌ سَمِيعٌ ، سَامِعٌ...هُوَ سَمِيعٌ قَوْلِكَ وَقَوْلِ غَيْرِكَ » ، لسان العرب ، ابن منظور ، ج 6 ، مادة سَمِعَ ص 405. والسمع حاسة من حواس الإنسان وهي الوسيلة الأولى في تحقيق التعليم وليس أدل على ذلك من القرآن الكريم ، إذ ذُكرت حوالي 27 مرة ، منها « وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ.....يونس ، الآية 31 ، الإسراء الآية 36 البقرة ، الآية 20.

⁴ ينظر "تنمية مهارات التواصل الشفوي" ، راشد محمد عطية أبو صواوين ، ص 161.

II- الاتصال غير اللفظي ودرجة تأثيره :

لقد برز الاهتمام بالاتصال غير اللفظي (اللغة غير المنطوقة) بوصفه مجالاً يستحق الدراسة والبحث، لأنه ألقى بالإنسان في مختلف مجالات حياته ، عبر مراحل عمره المختلفة ابتداء من مرحلة الطفولة ، إذ كثيراً ما يعبر الطفل قبل تمكنه من اللغة المنطوقة عن حاجاته بالحركات والإيماءات وتعابير الوجه.¹

ويرتبط الاتصال في هذه الحالة بنسق من الإشارات والإيماءات الجسدية، ارتباطاً يكاد يكون تاماً² « فالجسد يعتبر أحد الأدوات التي يوظفها الخطاب البصري لبناء إرساليته البصرية وذلك لما يوفره من إمكانيات تواصلية»³

ويشهد الدارسون على أن التواصل غير اللفظي الذي يحصره البعض في لغة الإشارات والحركات سيكون لغة العالم في المستقبل، بدليل انتشار هذا النوع من التعبير وكثرة تداوله بين الناس، حتى إنها أصبحت تصدر أحياناً بعفوية وتعبر عن مقاصد خاصة إذ يستبصر أحد الدارسين لذلك فيقول: إن علم الحركات والإشارات سيكون علم المستقبل لذا ينبغي الأخذ به والإلمام بأصوله.⁴

فهو نسق إيمائي رمزي تواصلية ينتج الدلالات ويفضح دواخلنا، كما أنه أداة لتحديد هويتنا⁵ ، "فلغة الجسم تعتبر صورة صادقة للحياة النفسية التي يعيشها المتكلم، فنظراً لقصور الكلمة عن التعبير أحياناً نلجأ إلى الاستعانة بحركة ما نراها أكثر تعبيراً من الكلمة مثل التحديق بالعين وهز الرأس.... وغيرها"⁶.

ومما لا شك فيه أن بواكير هذا العلم مثبتة في التراث العربي الإسلامي ، ويعتبر القرآن الكريم المصدر العربي الأول الذي يوثق في التحقق من المفاهيم ، قال تعالى في

¹ ينظر "صعوبات فهم اللغة ، ماهيتها وإستراتيجيتها" ، السيد عبد الحميد سليمان السيد ، دار الفكر العربي ، ط 1 ، 2005 ، ص 38.

² ينظر "أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي" ، محمود عودة ، ص 22.

³ "الدلالة والمعنى في الصورة" ، عبدة صبطي نجيب بخوش ، ص 106.

⁴ ينظر "تقنيات التواصل والتعبير" ، عبد الرحيم تمحري ، ص 104 ، 105 ، وينظر الخطابة بين النظرية والتطبيق محمود محمد عمارة ، ص 92.

⁵ ينظر "الدلالة والمعنى في الصورة" ، عبدة صبطي نجيب بخوش ، ص 106.

⁶ "البطئ التعليمي وعلاجه" ، علي تعوينات ، ص 152.

سورة آل عمران « قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزَ »¹ ففي هذه الآية دليل على أن الإشارة² تنزل منزلة الكلام، إذ أمر الله تعالى زكريا أن يكلم الناس بالإشارة دون نطق مع أنه سوي صحيح³.

وفي قوله تعالى في سورة مريم: « فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا »⁴، إذ امتنعت مريم عن الكلام وأشارت إليهم أن يكلموا من كان في المهد صبيا⁵. هذه الآيات دليل على أن القرآن أجاز الإشارة لأنها تعد لغة صامتة لها معان واضحة ومدلولات تكون - أحيانا - أصدق مما يحاول المرء أن يعبر عنه أو يقنع به الآخرين⁶. أما إذ عدنا إلى تراثنا العربي فإننا نجدهم قد تنبهوا لهذا النوع من الاتصال وأحصوه في كتبهم، منهم الجاحظ الذي جمع في كتابه المواد التي تستعمل للإشارة سواء ما تعلق منها بالجسد أو الأشياء والأغراض من استعمالها، أو ما يعبر عنه بدلالاتها فقال: «...فأما الإشارة فالبيد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب، إذا تباعد الشخصان، وبالثوب وبالسيف، وقد يتهدد رافع السيف والسوط، فيكون ذلك زاجرا، ومانعا رادعا، ويكون وعيدا وتحذيرا»⁷ من خلال قول الجاحظ يمكننا أن نلمس تقسيمه للغة الإشارة باعتبارها لغة غير منظوقة إلى قسمين:

- قسم أول: طبيعي تلقائي يعتمد في الإبلاغ على أعضاء الجسد الإنساني (اليد الرأس والعين والحاجب، والمنكب).
- قسم ثان: اصطناعي مستحدث يعتمد فيه المتكلم على أدوات من صنعه مثل "الثوب" فالمظهر العام للخطيب يعطي دلالة عن مكانة الشخص الاجتماعية وانتسابه العقائدي وحتى جنسه، حتى إن نظرة الناس تتأثر بنوعية الملابس التي يرتديها المتكلم (سعرها، جودتها، ألوانها) وذلك للأسباب الآتية:

¹ سورة آل عمران ، الآية 41.
² ونقصد بالإشارة هنا كل حركة جسمية اكتسبت معنى خاص ، وتضمنت شكلا من أشكال الاتصال ، ينظر "أساليب الإتصال والتعبير الاجتماعي" ، محمود عودة ، ص 22.
³ ينظر "مختصر تفسير ابن كثير" ، تح هاني الحاج ، دار التوقيفية للتراث القاهرة ، 2010 ، ج 1 ، 167.
⁴ سورة مريم ، آية 29
⁵ ينظر "المصدر نفسه" ، ج 2 ، ص 335.
⁶ ينظر "الدلالة والمعنى في الصورة" ، عبدة صبطي نجيب بخوش ، ص 106.
⁷ "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 115.

- تعكس شيئاً من عواطفنا.

- تعطي معلومات عن سلوكنا.

- تعطي ميزة خاصة عن الآخرين¹.

وهذا ذاته ما تداولته الدراسات الحديثة عندما اعتبرت الاتصال غير اللفظي كل اتصال

يعتمد على اللّغة غير اللفظية التي يطلق عليها أحيانا "اللّغة الصامتة"، وقسموها إلى :²

(أ)- لغة الإشارات: وهي تتكون من الإشارات البسيطة أو المعقدة التي يستخدمها الإنسان في الاتصال مع غيره.

(ب)- لغة الحركة أو الأفعال: وتشمل جميع الحركات التي يأتيها الإنسان لينقل ما يريد من معان وأفكار Action.

(ج)- لغة الأشياء: Object مثلا كالملابس والديكور والأدوات التي تستخدم في المسرح والتي يقصد بها نقل الإحساس بالجو والزمان الذي يجسدونه في خطاباتهم (ديكور فرعوني مثلا).

وهناك من الباحثين من اجتهدوا فأحصوا أصناف اللّغة غير المنطوقة التي يعبر عنها

بلغة الإشارات في ثمانية أصناف وهي:

1- الإشارات الجسدية.

2- لغة الصم والبكم.

3- الإشارات اللّونية.

4- رموز السير وإشارات الطريق.

5- إشارات الملاعب الرياضية.

6- الإشارات المستخدمة في المنتجات الصناعية.

7- الإشارات المستخدمة في الأفلام السينمائية الصامتة منها والناطقة.

8- الإشارات المستعملة في حلقات الصوفيين وهي حكر عليهم³.

والحقيقة إن هذا التصنيف جامع وليس مانعا لأن هناك إشارات أخرى كثيرة تنتمي إلى

¹ "الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي" ، ابراهيم أبو عرقوب ، ص 34.

² ينظر "الاتصال ونظرياته المعاصرة" ، حسن عماد مكاوي ، ليلي حسن السيد ، ص 27.

³ ينظر " لغة الإشارة من البدائي والتلقائية إلى لغة عالمية" ، مجلة الفكر العربي ، بيروت ، 95ع ، شتاء 1999م، ص

مجالات متعددة لم تذكر، مثل المجال العلمي، والفلكي... وغيرها من الرموز التي يتفاهم بها العلماء وأهل الاختصاص، بل يمكننا القول إن العلامة مجال لا متناه لأن كل اثنين اتفقا على علامة ما، إلا كانت لغة تواصل بينهما.

كما ذهب راندال هاريسون Randall Harrison إلى حصر أنواع الإشارات غير اللفظية في أربعة، هي:¹

- (1)- رموز الأداء: وتشمل حركات الجسد مثل تعبيرات الوجه وحركات العيون والإيماءات وكذلك ما أطلق عليه " شبه اللغة" مثل نوعية الصوت الضحك، الكحة...
- (2)- رموز إعلامية: هي الناتجة عن ابتكار ما يعرف بوسائل الاتصال الجماهيري، مثل نوع الصورة، والألوان... وفي أسلوب استخدام الموسيقى والمؤثرات الصوتية.
- (3)- رموز ظرفية: تنبع من استخدامنا للوقت والمكان، مثل ترتيب الزوار حسب أهميتهم الاجتماعية.

والحقيقة إن ما يهمننا في هذه الدراسة هو النوع الأول من الإشارات لارتباطه بالعملية الخطابية بشكل مباشر، إذ لا يكاد يخلو أي خطاب ديني مباشر من هذا النوع من الاتصال، فالإشارات المرتبطة بالجسد (رموز الأداء) ذات مجال شاسع، منها ما هو مرتبط بالمظهر (الوجه ، العينين ، الثياب...) ومنها ما هو مرتبط بالحركة (اليدين ، الرجلين ، اللمس وحتى اختيار استخدام زمان ومكان معين²، وكلها تدخل في إطار ما يعرف بلغة الجسد، التي تندرج

في إطار علم يدرس طرق التواصل غير اللفظي أو بمعنى آخر لغة التخاطب غير اللفظي "اللاشعوري"³.

واستخدام الخطيب لهذه اللغة هو بيان في الإبلاغ والإخبار¹ ، لأن «البيان لا يكون باللفظ فقط بل بغيره من الدلالات الأخرى المتقدمة ، إذ عدت أوضاع الخطيب وإشاراته باليد ونحوها

²ينظر "الاتصال ونظرياته المعاصرة" ، حسن عماد مكاوي ، ليلي حسين السيد ، ص 27 ، 28.¹
²وهناك من يوسع من علامات التواصل غير اللفظي لتشمل حتى المظهر الخارجي ، أي شكل الوجه من فك ودقن وشفقتين وطول القامة والنظرة والابتسامة وحتى الهدايا...ينظر " تقنيات التواصل والتعبير " ، عبد الرحيم تمحري ، ص 109.

³ ينظر "الدلالة والمعنى في الصورة" ، عبيدة صبطي نجيب بخوش ، ص 107 ، ولمزيد من المعلومات حول التعابير غير الكلامية ، ينظر "فصول في علم اللغة العام" ، عبد الغنى وهدان، ص 12 ، 13.

في أثناء خطبته، من تنمة بيانه للسامعين، ولذا كان من العرب في الخطابة أن الخطيب منهم إذا تفاخر أو تنافر أو تشاجر رفع يده ووضعها ، وأدى كثيرا من مقاصده بحركات يده ، فذلك أعون له على عرضه وأرهب للسامعين»².

وكما هو معلوم فإن التعبير الإنساني- بشكل عام- ينقسم من حيث الحاسة التي يمكن إدراكه من خلالها إلى نوعين:³

1- تعبيرات بصرية، يستقطبها المتلقي عن حاسة البصر (كالحمرة والصفرة وإغماض العينين، وحركات اليد والرجلين، وهز الرأس.... .

2- تعبيرات سمعية تصل عن طريق حاسة السمع، كالضحك والبكاء والألم...وهي أصوات مركبة ذات المقاطع التي تتألف منها الكلمات، هذا النوع هو الذي يرتبط باللغة المنطوقة.

والنوع الأول، يمثل التعبيرات الشفوية التي لا تنصرف إليها كلمة "لغة" على الغالب بل هي مرتبطة بالاتصال غير اللفظي، الذي يعتمد في فهمه أساسا على البصر.

أما الحواس المتعلقة بهذا الاتصال، والتي يشكل عدم فهمها عائقا في تحقيق الإبلاغ الفعال، فهي كثيرة- وقد سبق ذكرها- ويمكننا أن نستعرض أهمها وأكثرها استعمالا عند مخاطبة⁴ بشيء من التفصيل، وهي كالاتي:

(1)- الوجه : أول ما يطلع عليه الشخص، وهو متواصل مع شخص آخر، فتعابيره تؤدي دورا هاما بوصفها تعكس الحالة الانفعالية للمتكلم بطريقة سريعة وفعالة ومباشرة كالفرح والحزن

¹ ينظر "فلسفة اللغة واللسانيات" ، نور الدين النيّفَر، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع ، تونس ، ط1 ، 1993 ، ص 159.

²"نوح الطيب في الخطابة والخطيب" ، معروف الرصافي ، مطبعة الأوقاف الإسلامية بدار الخلافة ، ط 1 ، 1917م ، ص 7.

³ينظر "تقنيات التواصل والتعبير" ، عيد الرحيم تَمحري ، ص 109.

⁴ وهي اليدين والوجه والرأس ، ينظر "تلخيص الخطابة" ، ابي الوليد بن رشد ، تح محمد سليم سالم ، القاهرة 1967 ، ص 225.

والخوف والدهشة و.....إلخ،فهو أكثر أجزاء الجسم وضوحا وتعبيرا عن العواطف والمشاعر¹ ، ومن المعاني التي تفصح عنها تعابير الوجه ما يأتي:

- العَبُوسُ : قَالَ تَعَالَى «عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى»².
- الحُزْنُ : قَالَ تَعَالَى « وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) »³.
- السَّعَادَةُ : قَالَ تَعَالَى « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (39) »⁴.
- الشَّقَاءُ : قَالَ تَعَالَى « وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (41) أُولَئِكَ هُمُ الْكُفَرَةُ الْفَجَرَةُ (42) »⁵.
- الإِجْرَامُ : قَالَ تَعَالَى « يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ »⁶.
- الإِسْتِكْبَارُ : قَالَ تَعَالَى « وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ »⁷.
- الإِيمَانُ : قَالَ تَعَالَى « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَاللَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ »⁸.
- العَجَبُ : قَالَ تَعَالَى « فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ فَاصْكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ »⁹.
- الذَّلُّ : قَالَ تَعَالَى « هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (1) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (3) تَصَلُّيْ نَارًا حَامِيَةً (4) »¹⁰.

وقد تتجاوز ملامح الوجه هذه التعابير إلى ملامح أخرى تعطينا معلومات حتى عن بلد

الشخص وجنسه ودينه ، ومهنته.....¹¹

¹ ينظر "الدلالة والمعنى في الصورة" ، عبدة صبيطي ، نجيب بخوش ، ص116.

² سورة عبس ، الآية 1 ، 2.

³ سورة النحل ، الآية ، 58.

⁴ سورة عبس ، الآية 38-39.

⁵ سورة عبس ، الآية 40-42.

⁶ سورة الرحمن ، الآية 41.

⁷ سورة لقمان ، الآية 18.

⁸ سورة الفتح ، الآية 29.

⁹ سورة الذاريات ، الآية 29.

¹⁰ سورة الغاشية ، الآية 1-4.

¹¹ ينظر "الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي" ، ابراهيم أبو عرقوب ، ص 29.

(2)- العين : عضو لا يقل تعبيراً عن الوجه ، فهي بدورها تنقل معاني متعددة ومتباينة تعكس في غالبيتها الحالة الانفعالية المرتبطة بالخطيب ، وقد حققت دراسة العين تقدماً انعكس على فهم التواصل غير المنطوق باعتبارها من أكثر عناصر الوجه تأثيراً في المرسل إليه لما تحمله من دلالات كثيرة، فمنها النظرة البراقة ، المتحدية، الخجولة ، المتوسلة، الحاقدة ، المتعاطفة... وغيرها¹.

فالعيون تعكس الحالة النفسية والانفعالية للمتكم بشكل مباشر وفعال، إذ يصبح أمام جمهوره كتاباً مفتوحاً، يقول فيها أحد الشعراء: .

"العين تُبدي الذي في نفس صاحبها
والعينُ تنطقُ والأفواه صامتةٌ
من المحبةِ أو بغضٍ إذا كانا
حتى ترى من ضمير القلب تبياناً"²

وقوله في موضع آخر:

وَعَيْنُ الْفَتَى تُبْدِي الَّذِي فِي ضَمِيرِهِ
وتعرف بالنجوى الحديث المعصا*³

فإننا عندما نتكلم أو نستمع إلى شخص ما -عادة وطوال الوقت- ننظر إلى وجهه ونركز على العيون، مما يجعل الاتصال أكثر عمقا وقوة، فحركة العينين (الاتصال البصري) مفيدة في كثير من المجالات منها:⁴

- التفكير والتأمل.
- الفهم والإستعاب.
- رغبة المستقبل في الاستجابة.
- الميل العاطفي للآخر.

¹ ينظر "تقنيات التواصل والتعبير" ، عبد الرحيم تمحري ، ص 111.

²"البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 117 ، 118.

³ المصدر نفسه" ، ص 117.

* المعصا: الغامض الضالم، "البيان والتبيين"، هامش، ص 117.

⁴ ينظر "الدلالة والمعنى في الصورة" ، عبدة صبطي ، نجيب بخوش ، ص 120.

- كما أنها تعكس معاني ودلالات متعددة حسب ما ورد في القرآن الكريم ومنها ما يلي :
- الحزن :قال تعالى : « وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوسُفَ وَإِبيضَت عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ »¹.
- الخوف : قال تعالى : «أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الخُوفُ رَأَيْتَهُمْ ينظرونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغشى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الخُوفُ سَلَفُواكُمْ بِالسِّنَةِ حَدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ»².
- السخرية :قال تعالى : « وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ»³.
- وعليه فالعينان تعدان من الآليات الإقناعية المهمة التي تفيد الخطيب في تحقيق التأثير، لهذا يجب أن تكون نظرتة موزعة على الحضور، حتى يبقى في اتصال دائم معهم وبيقوا في إصغاء مستمر معه، إذ من عادة الناس أنهم لا يمكنهم تجاهل نظرات الآخرين إليهم، وهذاما يوحي بأهمية العيون في العملية الإقناعية⁴.
- (3)- حركات الجسم : مثل حركات اليدين والرجلين والرأس التي تستخدم كوسيلة من وسائل الاتصال غير اللفظي، إذ حدد الدارسون-على سبيل المثال- أن للرأس ثلاث وضعيات، ولكل منها دلالتها الخاصة فيما يتعلق بالاستجابة⁵.
- الرأس المرفوع : يتخذة شخص له موقف حيادي مما يسمع.
- الرأس المائل إلى الجانب : يظهر الاهتمام.
- الرأس المنخفض : يشير إلى الموقف السلبي مما يسمع.
- كما قد تتعدى حركات الرأس ذلك لتدل على معان أخرى كالرفض والحب والكره والمرض والصحة والاعتذار والثقة والكبر والحزن والندم والألم...⁶.

¹ سورة يوسف ، الآية 84.

² سورة الأحزاب ، الآية 19.

³ سورة المطفيين ، الآية 30.

⁴ ينظر " علم نفس اللغة من منظور معرفي " ، موفق الحمداني ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2004، ص 288.

⁵ ينظر "الدلالة والمعنى في الصورة" ، عبدة صبطي ، نجيب بخوش ، ص123.

⁶ ينظر "الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي" ، ابراهيم أبو عرقوب ، ص 30.

ومن الأمثلة الواردة في القرآن الكريم ما يلي :

- الكبر: قال تعالى: « قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا »¹.
- الذُّعْرُ: قال تعالى: « مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً »².
- الذُّلُّ: قال تعالى: « وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ »³.
- الاستكبار: قال تعالى: « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسِهِمْ وَرَأَيْتُهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ »⁴.

أما الحركات المتعلقة باليدين فهي كثيرة المعاني والدلالات فمنها الإيضاحية مثل استخدامها في الإشارة، ومنها العامة مثل التعبير عن معنى النصر أو التشجيع أو الموافقة أو الرفض، كما تعكس أحيانا الحالة النفسية للمتكلم، فضم اليدين يقبضة واحدة-على سبيل المثال- دلالة على أن الشخص انفعالي.⁵

وهناك من الدارسين من قسم حركات الأيدي أثناء الكلام إلى ثلاث صيغ، وهي العلامات، وإشارات التوضيح والمهندمات، ويقصد بالأولى حركات تحل محل الكلام كهز الأكتاف تعبيراً عن عدم الاكتراث، أما التوضيحية فلتحديد وتبيين جوانب يصعب التصريح بها قولاً، كأن يقول شخص أمسكت سمكة بهذا الطول، (ويضع المسافة بين سبابيته) ، أما المهندمات فيقصد بها جميع الحركات التي يقوم بها جزء من الجسم بلمس جزء آخر ويمسك به ، وهناك من حركات الأيدي ما لا تستهدف منها أي غرض، كلمس الشعر أو الأنف ...⁶.

أما حركات الأرجل، فهي بدورها تعد "لغة"، فهي كقريناتها من الحركات والإشارات تحمل دلالات عديدة ومتنوعة منها: القلق، الهدوء ، الخوف ، الثقة، الحزن ، الاستكبار السرعة..... وغيرها⁷.

¹ سورة مريم ، الآية 4.

² سورة ابراهيم ، الآية 43.

³ سورة السجدة ، الآية 12.

⁴ سورة المنافقون ، الآية 5.

⁵ ينظر "الدلالة والمعنى في الصورة" ، عبيدة صبطي ، نجيب بخوش ، ص 123.

⁶ "علم نفس اللغة ، من منظور معرفي" ، موفق الحمداني ، ص 231.

⁷ ينظر "الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي" ، ابراهيم أبو عرقوب ، ص 31.

ومن الأمثلة على ذلك في القرآن الكريم ما يلي :

- الاستكبار:قال تعالى: « وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا¹».

- الحياء:قال تعالى: « فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ²».

جذب الانتباه:قال تعالى: « وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ³».

بناء على ما سبق أقول: إن لغة الحركات والإشارات (اللغة غير اللفظية)، كثيرا ما تكون أكثر صدقا وتعبيرا عما قد ينطق به الفرد، فهي طريق ضمني يستعان به للتعبير عن موقف أو ردة فعل إزاء موقف ما، سواء كان ذلك بشكل إرادي أم لا إرادي وهذا ما يصطلح عليه "بالإيماء"⁴.

والإشارات على اختلاف أنواعها ترجع إلى نوق الخطيب المتكلم في استخدامها وعاداته وحذقه ولباقتة، فكل متكلم عادة في الإشارة وطريقة إظهارها، من هنا يقع التفاضل في كيفية استعمالها ، إذ « كلما أوقع الخطيب هذه الإشارة في مواقعها الملائمة لها من الكلام وأبرزها بصوت يناسب صور المعاني، بحيث تكون متممة للمعنى وكاشفة له، كان ذلك الخطيب أحق بأن يحرز قصب السبق في ميدانها.....»⁵.

هذا هو الحكم العام الذي ينبغي أن نحكم به ، فيجب أن تكون غير عشوائية، بل منظمة موافقة للمعاني، مكملة لها حتى نتبين صورتها الخاصة، علما أن هناك من الحركات والإشارات ما لها مواقع خاصة في الكلام قد اصطلح عليها الناس في مواضع خاصة حتى صارت متعارف عليها، مثلا جرت العادة أن المتكلم إذا ذكر الزمن الماضي أشار بيده إلى الخلف بأن يرفع إحدى يديه مبسوطة نحو كتفيه، وإذا ذكر المستقبل أشار إلى الأمام، وإذا ذكر الحاضر أشار بها إلى تحت نحو قدميه⁶.

¹ سورة الاسراء، الآية 37 .

² سورة القصص ، الآية 25.

³ سورة النور ، الآية 31.

⁴ ينظر "كيف تكون متحدئا ومفاوضا مقتعا" ، مه كاسب الدروبي ، جسر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 2009 ، ص 43.

⁵ "نَفْح الطَّيْبِ فِي الْخُطْبَةِ وَالْخُطْبِ" ، معروف الرصافي ، ص 28.

⁶ ينظر "الخطابة بين النظرية والتطبيق" ، محمود محمد عمارة ، ص 94.

كل هذه الحركات والإشارات أنواع من التعبير تؤدي وظيفة في نقل الخواطر والأفكار

بين الناس

I- 3 الاتصال غير اللفظي مكمل للاتصال اللفظي :

إذ كان أغلب الباحثين يوصون بالتعبير اللساني في العملية الإقناعية كونه الأكثر فعالية وسرعة ووضوحا في تحقيق الإبلاغ والاتصال، إلا أن هذا لا يحط من قيمة وأهمية التعبير غير اللساني في تحقيق ذلك.

فالإشارة لغة التفاهم العامة، بعضها لا إرادي اندفاعي يكون بدافع الإحساس الواقعي للخطيب والذي يثيره الموقف الخطابي، وبعضها الآخر إرادي قصدي، يعتمد إليه الخطيب لغرض من الأغراض.¹

ويركز الجاحظ على الإشارة وأثرها في الوصول بالمستمع إلى المقصود فيقول «الإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه...»².

وتؤكد التجربة ما ذهب إليه الجاحظ، فعندما تتحرك اليد حركة منسجمة مع المعنى المراد، أو يهتز الرأس، يصبح ذلك عونا على الفهم بقدر ما يشيع من حيوية في جو الموقف فيضفي عليه الوضوح والبيان.

إن طريقة التعبير بلغة الجسد (اللغة غير منطوقة)، ذات تأثير قوي يفوق التأثير الذي تدركه الكلمات بخمس مرات، وهناك من يقول بأن هذا التأثير قد يصل أحيانا إلى الضعف ثماني مرات، كما أن العديد من الأبحاث تؤكد أن هذا النوع من

التعبير المرتبط بحركات الجسم هو الجزء الأهم في أي رسالة تواصلية مباشرة³، فهي «...المعونة في جودة الإفهام ، وإيقاع التصديق ، وبلوغ الغرض المقصود...»⁴.

ولقد اقترح كوبر (couper) (1995) ضرورة استخدام وفهم استراتيجيات التواصل

غير اللفظي في المجال التعليمي لما لها من أهمية في تعزيز التعلم وقد تضمنت:

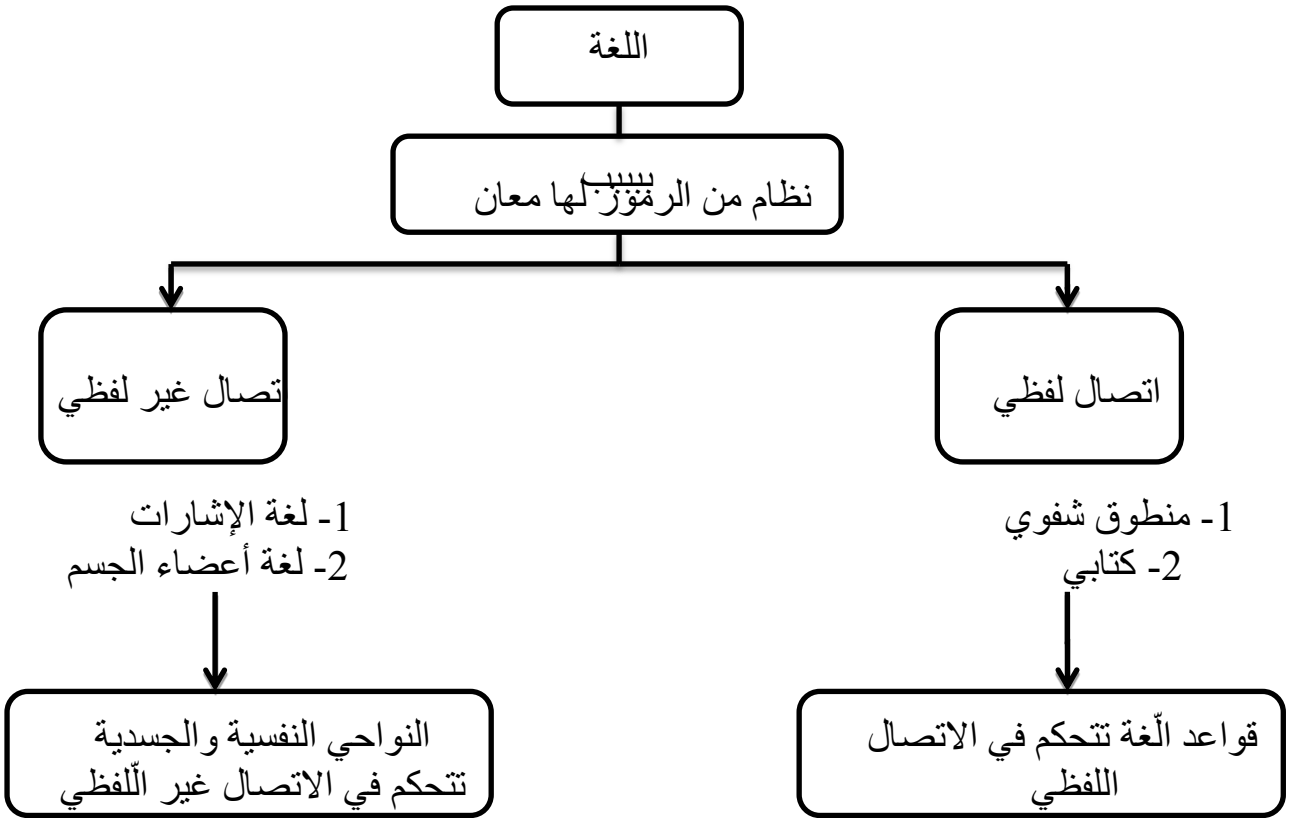
¹ ينظر "فرسان المنابر" ، فقه الخطابة ، ص315.

² "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 116

³ ينظر "الدلالة والمعنى في الصورة" ، عبدة صبطي ، نجيب بخوش ، ص 107.

⁴ تلخيص الخطابة" ، ابي الوليد بن رشد ، ، ص 24م.

- القُرب : وتشير إلى كيفية استعمال المسافة المثبتة والمسافة الشخصية لتعزيز التعلم.
- السُّلوك الحركي : استعمال حركات الجسم الوجه، والاتصال بالعين..... إذ أثبتت الدراسات أن المعلم الذي يستعمل التلميحات غير اللفظية بوعي يكون أكثر فعالية من الذي لا يستعملها.
- نوعيّة الصوت : الحدة ، النغمة ، النطق الواضح ، درجة السرعة ، كلها لها أثر في التواصل....¹ ، « ذلك أن هذه الأشياء لما كان من شأنها أن تميل السامعين إلى الإصغاء والاستماع...»²، كان من الضروري توافرها في العملية الإقناعية وتكمن العلاقة بين الاتصال اللفظي وغير اللفظي في كونهما نظام رموز لها معان كل تظهر بشكل خاص ، كما يوضحها المخطط الآتي³:



¹ "البطى التعليمي وعلاجه من خلال أساسيات التعليم والتعلم" ، علي تعوينات ، ص 152.

² "تلخيص الخطابة" ، ابي الوليد بن رشد ، ص 524 ، 525.

³ ينظر "الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي" ، ابراهيم أبو عرقوب ، ص 20.

وتكمن المهام التي يؤديها الاتصال غير اللفظي في علاقته باللفظي عند مارك ناب **Mark Knapp** على النحو الآتي :¹

1- التكرار أو الإعادة: حيث يقوم الاتصال غير اللفظي بإعادة ما قلناه لفظيا، ومثال ذلك

حين يذكر الخطيب جملة منفية كقوله: "كان النبي لا يتواني عن الحضّ على الجّد والسعيّ وهجر البطالة والكسل"^{*}، ثم يشير بيديه حركة النفيّ بمد السبابة وتحريكها يمينا ويسارا.

2- التناقض : يمكن للسلوك غير اللفظي أن يناقض اللفظي مثل أن يطلب المدير من موظف أن يحضر أوراقا معينة امام أحد العملاء، ثم يعطي للموظف إشارة ما بعدم إحضارها، يعود الموظف ليخبر المدير أنه لم يجد الأوراق...، في هذه الحال تلقى الموظف رسالتين، أحدهما لفظية والثانية غير لفظية مناقضة للأولى.

3- البديل: يمكن أن تكون اللّغة غير المنطوقة بديلة عن المنطوقة، فتدل بتلك الحركة والإشارة على المعني مباشرة، مثل ذلك في إشارة الخطيب إلى المصلين بيديه لتعديل الصفوف، فتعبيره ذلك قد يغني عن الاتصال والكلام اللفظي^{**}.

4- مكمل أو معدل: يمكن للاتصال غير اللفظي أن يكون مكملا لللفظي مثل الابتسامة بعد أن نطلب من شخص خدمة ما.

5- التأكيد: مثل أن يقوم شخص بالتركيز صوتيا على كلمات معينة للتركيز على الرسالة اللفظية ويصاحب ذلك تغيرات الوجه الدالة على ذلك التأكيد، كفتح العينين بشدة.

6- التنظيم : وقد تكون اللّغة غير اللفظية أيضا منظمة للعملية الاتصالية بين المشاركين مثل حركة الرأس أو العينين، أو تغيير المكان أو إعطاء إشارة لشخص كي يكمل الحديث أو يتوقف عنه، كلها وظائف تنظيمية يقوم بها هذا النوع من الاتصال.

والملاحظ أن التركيز في الحركات الجسدية تكون على منطقة الرأس ثم تقل اهتماما في الأقسام الأخرى (الجذع ، الأطراف العليا والسفلى) ، ولعل ذلك يرجع إلى أن الجاذبية تبرز

¹"الاتصال ونظرياته المعاصرة" ، حسن عماد مكاوي ، ليلي حسن السيد ، ص 28 – 29 ، وينظر ، "الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي" ، ابراهيم أبو عرقوب ، ص 24.

* خطبة 20/09/2013 ، الجزائرية3.

** صلاة الجمعة.

في منطقة الرأس أكثر باعتبارها الأكثر جذبا للانتباه من غيرها، خصوصا لما تضمنت ملامح الوجه هذا الذي يؤدي دورا فعالا في عملية الاتصال والتأثير.¹

هذه المهام السابقة الذكر تبرر العلاقة الوطيدة بين الاتصاليين (اللفظي وغير اللفظي)

فالأول مكمل للثاني ، ولعل ذلك يظهر جليا إذا استطرنا أوجه التشابه والاختلاف بينهما في المخطط الآتي:²

أوجه الاختلاف		أوجه التشابه	
الاتصال غير اللفظي	الاتصال اللفظي	الاتصال غير اللفظي	الاتصال اللفظي
- تتحكم عوامل بيولوجية فيه.	- تتحكم قواعد اللغة فيه.	1- من إنتاج الإنسان المرسل.	1- من إنتاج الإنسان المرسل.
- لغة عالمية فالإبتسامة مثلا تعني نفس المعنى عند كل الناس ولكن هذا لا ينفي أن هناك رموزا يختلف معناها من ثقافة إلى أخرى.	- مقصور على ثقافة واحدة ، ويحمل معاني محددة.	2- يستخدم رموزا على شكل إشارات وحركات.	2- يستخدم رموزا على شكل كلمات منطوقة ومكتوبة.
- نتعلم هذا النوع في مرحلة مبكرة من العمر فهو أسبق من اللفظي.	- تتعلم هذا النوع من الاتصال في مرحلة متأخرة من العمر(حتى عمر السنتين و ما فوق).	3- يستخدم رموزا ذات معان ودلالات.	3- يستخدم رموزا ذات معان ودلالات.
- هو مفعم بالعواطف وهو الأكثر صدقا وتعبيرا عن المشاعر والأفكار من الاتصال اللفظي.	- يمكن أن يُنْشِد العواطف والأحاسيس		

¹ ينظر "الدلالة والمعنى في الصورة" ، عبدة صبيطي ، نجيب بخوش ، ص 113.

² ينظر "الاتصال الانساني ودوره في التفاعل الاجتماعي" ، ابراهيم أبو عرقوب ، ص 22.

بناء على هذا الطرح في أوجه التشابه والاختلاف بين النوعين فإننا ندرك أن كلاهما من إنتاج خطيب متكلم يلبس المعاني والدلالات المقصودة رموزاً، ولكن الاختلاف يكمن في أن الاتصال اللفظي، تظهر فيه هذه الرموز على شكل كلمات منطوقة مبنية على قواعد ثابتة ذات ثقافة واحدة، بينما غير اللفظي تظهر فيه تلك الرموز على شكل حركات وإشارات تتحكم فيها عوامل بيولوجية تكاد تكون دلالاتها مشتركة عالمياً، هذا ما يفضي إلى أن اللغة غير المنطوقة هي الأكثر تأثيراً من نظيرتها المنطوقة، فعلى سبيل المثال أثبتت إحدى الدراسات نتيجة مفادها أن الوجه (تعبير الوجه) يلعب دوراً كبيراً في العملية الإقناعية عند تقسيم الاتصال المؤثر بين الأفراد إلى ثلاثة أنواع:¹

النوع الأول: هو الاتصال الذي يحدث عن طريق تبادل الكلام ومنح نسبة لا تفوق 7%
النوع الثاني: هو الذي يحدث عن طريق حسن انتقاء الأسلوب اللغوي والطريقة في التواصل الكلامي نسبة 48% .

النوع الثالث : هو الذي يحدث عن طريق الوجه وقد أعطي هذا النوع نسبة بلغت

55% .

انطلاقاً من المعطيات السابقة نقول إن الاتصال غير اللفظي مكمل لللفظي في العملية الخطابية، فكل منهما وهما منفصلان يؤدي وظيفته التواصلية.
فاللفظي يعبر عن الأفكار والمشاعر ويوضح ما هو معقد بسرعة، كما يقوي العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات في وقت وجيز.

أما غير اللفظي فهو بدوره يعبر عن المشاعر والأفكار بدقة ووضوح وصدق، كما يفسر اللفظي مما يضيف على العملية الإقناعية حيوية ووضوحاً وتأثيراً، كما يزيد من شدة جذب الانتباه والمتابعة والإصغاء من قبل الجمهور المتلقي فـ « للإشارة أثر في الانتباه والشعور، وتقوية الدلالة...»²، كما لها أثر في تحقيق «...جودة الإفهام وإيقاع التصديق وبلوغ الغرض المقصود...»³.

¹ ينظر "الدلالة والمعنى في الصورة"، عبدة صبتي، نجيب بخوش، ص 117.

² "فرسان المنابر"، فقه الخطابة، ص 315.

³ "تلخيص الخطابة"، ابن رشد، ص 524.

لهذا فمن المستحيل أن يحدث اتصال بين الأفراد بناء على الرموز اللفظية وحدها بل في الأغلب تستخدم كل من الرسائل اللفظية وغير اللفظية في آن واحد معا وهذا ما يثبت العلاقة التكاملية القائمة بينهما.¹

فقوة الاتصالات غير اللفظية وتأثيرها يظهر خلال مسانقتها للرسائل اللفظية وتقويتها، إلا في مواقف وحالات خاصة يكون فيها الاتصال اللفظي مستحيلا ، فيأتي هذا النوع من الاتصال حتى يعوضه.

¹ ينظر "المهارات الأساسية في ممارسة خدمة الفرد" ، على إسماعيل علي ، دار المعرفة الجامعية ، جامعة الاسكندرية مصر ، 2011م ، ص 87.

المبحث الثاني

I- الأثر السياقي في تحديد مقصديه الخطاب الديني:

يحظى السياق بأدوار كثيرة في التفاعل الخطابي وفي تحديد وجهته و غرضه، فما السياق وما أنواعه؟، وما عناصره؟ وكيف يؤثر على استراتيجية بث الخطاب الإقناعي من حيث اختيار المعنى وتجسيده؟

1- مفهوم السياق:

أ- أما لغة فهو مأخوذ من الجذر اللغوي (س، و ، ق) وأصله "سواق" والكلمة مصدر "ساق" يسوق سواقاً وسياًفاً ، وساق إليها الصداق والمهر سياًفاً ، لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهراً لأنها كانت الغالب على أموالهم.¹

يتبين لنا من هذا التعريف أن السياق جاء عن طريق المجاز من المعنى الأصلي وهو سوق الإبل ليدل على أن المعنى اللغوي يشر إلى ثلاث دلالات هي سوق المهر ونزوح الروح ، ودلالة الحال التي حدث فيها الحدث² وجاء في "المعجم الوسيط" « ساق الحديث : سرده وسأسله وسأوقه تابعه وسأيره ، وجاره ، وسأوقت الماشية ونحوها : تتابعت وتزاحمت في السير وتساوق الشيطان تسائراً ، أو تقارناً... وسياق الكلام تتابعه ، وأسلوبه الذي يجري عليه³»

فمن الأقوال السابقة لمفهوم " السياق " يتضح أنها تقوم على التتابع والاستقامة والانقياد والاتفاق ، وكلها مفاهيم تحضر في الإنتاج الخطابي اللغوي باعتباره تتابعا وانقيادا للأصوات والكلمات والعبارات ، وفق ضوابط اللغة وما تخضع له من تواضع وقواعد.

من هنا « فاستخدامنا لكلمة سياق في التعبير " سياق العبارة " أو " سياق الموضوع " أو " سياق الجملة " استخدام مجازي يعود إلى المعنى الأصلي من التتابع والسير والنظم فكما تساق الغنم في قطيع واحد تساق الكلمات في جمل وعبارات ، وهذا هو وجه الشبه بين السياق بمعناه الحسي والسياق بمعناه اللغوي⁴».

¹ ينظر " لسان العرب " ابن منظور ، ج6 ، مادة "سوق" ، ص 484.

² ينظر " المصدر نفسه " ص 485.

³ "المعجم الوسيط" ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة.

⁴ " نظرية السياق بين القدماء والمحدثين " ، عبد النعيم خليل، ص 27.

أما اصطلاحاً فقد عرفه علم اللغة الحديث بأنه «...الذي جرى في إطاره التفاهم بين شخصين ، ويشمل ذلك زمن المحادثة ومكانها بين المتحادثين، والقيم المشتركة بينهما والكلام السابق للمحادثة»¹ .

والحقيقة أن مفهوم السياق ارتبط بمفهومين :

- **الاستعمال الأول** : يتعلق بالمحيط اللغوي الذي تنتظم من خلاله كلمات الخطاب ومجموع الألفاظ التي تسبق أو تلحق الكلمة أو العبارة أو الجملة (السياق اللغوي) والتي تأتي لتبين ما تعني سابقتها ، و كلمة « السياق contexte » قد استعملت حديثاً في عدّة معانٍ مختلفة والمعنى الوحيد الذي يهم مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي أي النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم ، بأوسع معاني هذه العبارة.

إنّ السياق على هذا التفسير ينبغي أن لا يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل والقطعة كلّها والكتاب كله² ، وكلمة النظم هي توالي الكلمات وتراصها وفق نسق خاص يتنامى من خلالها ما يسمى بالسياق اللغوي .

-**الاستعمال الثاني** : الذي تدقق ضمن الطرح التداولي³ ، ويضم الظروف والملابسات الثقافية والاجتماعية والنفسية التي تحيط بالإنتاج الكلامي (أو بمعنى آخر هو سياق الحال أو سياق الموضوع) ، يقول جون ديوبوا Jean Dubois « السياق هو مجمل الشروط الاجتماعية المتفق عليها التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي واستعمال اللغة... وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمرسل إليه والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعلومات الشائعة بينهما»⁴ ، وهذا المفهوم شكل النقطة الأساسية في الدراسات التداولية.

¹ "الألفاظ والدلالة في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، للفيروز آبي ، مصطفى محمد عبد المجيد خضر مؤسسة حورس الدولية ، الإسكندرية ، ط1 ، 2011 ، ص 157.

² ينظر "دور الكلمة في اللغة" ، ستيفن أولمان ، تر كمال بشر ، دار غريب ، القاهرة ، ط1 ، 1962 ، ص 68.

³ 100 fiches pour comprendre la P'linguistique, Gilles Sioufi et Dan Van Raemdonck Bréal, Rosny 2eme Edition, p148.

⁴ « Dictionnaire de P'linguistique et des sciences du langage » Jean Dubois, l'rousse 2eme Edition 1999, p 116.

2- أهمية :

1-2- **القدماء** : لقد أدرك القدماء أهمية "السياق" في إدراك المعنى وتحديده، وليس ذلك مقصوراً على اللغة فحسب بل يشمل حتى المقام المحيط بالجملة ومقال المتكلم وطبيعة الموضوع ومكانه وزمانه وغير ذلك ، ويتضح لنا إدراك القدماء لأثر السياق في تحديد الدلالة من خلال الدور الذي قام به اللغويون والمفسرون والبلاغيون وهذا ما سوف نبينه في عجالة فيما يلي :

أ- اللغويون :

تنبه الجاحظ (ت 655هـ) إلى أهمية السياق وأثره في تحديد المعنى وبيانه وذلك عندما حدد عناصره قائلاً : « جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي يسمى نسبة¹ » ، فهو قد بين أن السياق غير مرتبط باللغة المنطوقة فقط ، بل أكد أنه مرتبط باللغوي وغير اللغوي معاً. فكان هو السياق إلى ذكر ذلك.

أما ابن جني (ت 392 هـ) فهو من أهم اللغويين الذين بأثره في فهم الدلالة، وقد اشتمل كتابه الخصائص على أمثلة كثيرة من القرآن يوضح بها أهمية السياق في فهم المعاني الخاصة بالألفاظ ومن ذلك قوله تعالى : « يَوْمَ يَكْشِفُ عَن سَاقٍ وَيَدْعُونَ إِلَى السَّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ»² . فلفظة ساق هنا يراد بها شدة الأمر كقولهم : قد قامت الحرب على ساق³ وليس العضو المعروف من بدن الإنسان.

البلاغيون :

ومقولة " مطابقة الكلام لمقتضى الحال"⁴ ، "ولكل مقام مقال" من المقولات المشهورة التي كان لها الأثر في توجيه البحث البلاغي، إذ أدرك البلاغيون أهمية السياق وأثره في بيان المعنى ف « المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس

¹ "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 114 .

² سورة القلم ، الآية 42.

³ "الخصائص" ، ابن جني ، ص 1.

⁴ والحال كان يراد في أغلب الاستعمالات مصطلح المقام فكل منهما يقصد به مجموعة الاعتبارات والظروف والملابسات التي تحيط بالنشاط اللغوي ، ويكون لها تأثيرها في تحديد دلالة الكلام ومعناه ، ينظر "المعنى في البلاغة العربية" ، حسن طبل ، دار الفكر العربي ، مصر ، 1 ، 1998 ، ص 194.

يتضح بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من مقال¹، إذ يجب «... للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات .²»

إذ يختلف مقام المدح عن مقام الموعظة عن مقام التعليم عن مقام التهنة... وإلى غير ذلك من المواقف التي تتغير فيها العبارة الواحدة بتغير الموقف الكلامي ، فقد دعا البلاغيون إلى ضرورة مراعاة "المقام" بكل معطياته أثناء الأداء الكلامي، وعلى هذا الأساس ربطوا حدّ البلاغة بالسياق أو "المقام والحال" باعتبارهما المصطلحين الأكثر ترددا لدى البلاغيين وقد عبر الجرجاني (ت 471 هـ) بدوره عن أهمية السياق اللفظي في دراسة التراكيب أو النظم وأوضح أن السياق هو ترتيب الألفاظ داخل الجملة بحيث تتوافق هذه الألفاظ مع معانيها في النفس والعقل ، فاللغة عنده ليست ألفاظاً ، بل مجموعة من العلاقات تنشأ بين هذه الألفاظ لتقضي إلى معنى محدد ، وقد عبر عن مدى الارتباط بين الكلمات بعضها ببعض ومناسبتها للسياق والمقام الذي تذكر فيه في قوله: « إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها»³ .

وقد بين ذلك من خلال كلمة "جسر" التي وردت في ثلاثة أبيات من الشعر متفاوتة لتفاوت السياق الذي وردت فيه فيقول : « إنك ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت في عدة مواضع ثم ترى لها في بعض ذلك ملاحظة لا تجدها في الباقي مثال ذلك أنك تنظر إلى لفظة (الجسر) في قول أبي تمام :

" لَأَ يَطْمَعُ الْمَرءُ أَنْ يَجْنَابَ لَجْتَةَ
بِالْقَوْلِ مَا لَمْ يَكُنْ جِسْرًا لَهُ الْعَمَلُ "

وقوله : " بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الْعُظْمَى فَلَمْ تَرَهَا
تَنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ "

¹ "البيان والتبيين" ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 163 .

² "المصدر نفسه" ، ج 1 ، ص 166 ، 167.

³ دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، ص 74 .

(فترى لها في الثاني حسنا لا تراه في الأول) ثم تنظر إليها في قول ربيعة الرمي:

" قُولِي نَعَمْ إِنَّ قُلْتَ وَجِبَةً قَالَتْ عَسَى ، وَعَسَى جَسْرٌ إِلَى نَعَمْ. "

كما بين الجرجاني (ت 471 هـ) أثر السياق الثقافي في التعريف بين الدلالة الحقيقية والدلالة المجازية ، وذلك من خلال الوقوف على ثقافة المتكلم ومعتقداته¹.

ج- عند الأصوليين : يعد عندهم من المربعات الأساسية التي قد تعتمد في ضبط الأدلة لأصول الأحكام الفقهية ، ويتضح ذلك من كلام الشافعي الذي يقول : " فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها ، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر ويستغني بأول هذا منه عن آخره ، وعاما ظاهرا يراد بؤره العام ويدخله الخاص فيستدلّ على هذا ببعض ما خوطب به فيه ، عاما ظاهرا يراد به الخاص ، وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به ظاهره ، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره «².

ولذا يشترط الأصوليون على من يتصدى لاستخراج الأحكام الفقهية أمور لا ينبغي أن يغفل عنها وهي :

- ألا يغفل عن بعضه في تفسير بعضه.

- ألا يغفل عن السنّة في تفسيره.

- أن يعرف أسباب نزول الآيات.

- أن يعرف النظم الاجتماعية عند العرب.

فهذه العناصر الأربعة يمكن اختصارها في كلمة "مقام" فلا ينبغي لمن يفسر القرآن أن يغفل عنها³.

¹ "دلائل الإعجاز" ، عبد القاهر الجرجاني ، ص 78 ، 79 .

² ينظر "المصدر نفسه" ، ص ن.

³ ينظر "اللغة العربية ، معناها ومبناها" ، تمام حسان ، ص 348.

2- المحدثون :

لقد اهتم المحدثون بالسياق اهتماما بالغاً، لما له من دور في تحديد المعاني وإبرازها إذ أكدوا على "أن أهمية تحديد سياقات الكلمة واستخداماتها الفعلية تنبع من أن الكلمات لا تملك وجوداً مجرداً لذاتها، ولكن وجودها يتحقق في استخدامها، ومن الهام أن نحدد معنى الكلمة باعتبارها جزءاً من نظام، لأنها قد تملك عدة معانٍ حسب استخدامها في السياق".¹

وكانت كلمة سياق Context متداولة بين اللغويين الأوروبيين إلى أن جاء "ماليونوفيسكس" وأضفى على اصطلاح "سياق الحال" Context Situation معنى خاصاً ثم تطور هذا المصطلح على يد "فيرث".

إن سياق الحال عند فيرث هو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي، ومنهج نظرية السياق يقوم على ثلاثة أركان رئيسية في دراسة اللغة بصفة عامة ودراسة المعنى بصفة خاصة وهذه الأركان هي:²

(1)- **وجوب اعتماد كل تحليل لغوي على ما يسميه فيرث "بالمقام" أو "سياق الحال" والمتمثلة في :**

- الكلام الفعلي نفسه.
- شخصية المتكلم والمتلقي – على حد سواء - تكوينهما الثقافي والعلمي....
- الأشياء والموضوعات المناسبة المتصلة بالكلام وبالموقف.
- أثر الكلام في المتلقين كالإقناع أو الألم أو الإغراء أو.....
- العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كالمكان والزمان، وحالة الجو إن كان لها دخل، وكل ما يتصل بالموقف الكلامي.

(2)- **وجوب تحديد بيئة الكلام المدروس وصبغته، لأنه يضمن السلامة من الخلط بين لغة وأخرى أو لهجة وأخرى أو مستوى كلامي وآخر، فيجب أن يحدد الدارس البيئة الاجتماعية أو الثقافية ليحدد المستوى اللغوي الذي سوف يتعرض له بالدراسة، وهو الفصحح أو العامي أي لغة قرآن أم لغة شعر.... لأن هناك علاقة متينة بين اللغة والثقافة المحيطة بها.**

¹ "صناعة المعجم الحديث"، أحمد مختار، عالم الكتب، ط1، 1998، ص 132.

² "دراسات في علم اللغة"، كمال بشر، دار المعارف، القاهرة، 1971، ص 172 – 175.

(3)- وجوب النظر إلى الكلام اللغوي على مراحل: لأن الكلام اللغوي عند فيرث مكون من أحداث لغوية معقدة، وعليه يجب تحليلها على مراحل فالمعنى اللغوي عند فيرث عبارة عن مجموعة من الوظائف الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والسياقية.

فالوظيفة الأساسية لعلم اللغة وفروعه عنده هي بيان المعنى اللغوي للكلام.¹

3- أنواعه :

ولقد اقترح K.Ammer تقسيما للسياق على النحو الآتي:²

- السياق اللغوي : L'linguistique

- السياق العاطفي : Enotional Contexte

- سياق الموقف: Situational Contexte

- السياق الثقافي : Cultural Contexte

1- السياق اللغوي : ويعني اختلاف الدلالات ويمكن التمثيل له "حسن" التي تقع سياقات متعددة، فإذا وصف بها رجل كانت تعني الناحية الخلقية، إذ وصف بها طبيب كانت تعني التفوق في الأداء، وإذا وردت وصفا لمقادير كانت تعني الصفاء والنقاوة.

2- السياق العاطفي : وهو يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، فهو الذي يكشف عن المعنى الوجداني الذي يختلف من شخص إلى آخر.

3- سياق الموقف : ويعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة والذي جرى فيه التفاعل بين شخص أو أكثر ويشمل الزمان والمكان والظروف المحيطة بالموقف الكلامي.

4- السياق الثقافي : وهو الذي يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الإجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة ، فإختلاف البيئات الثقافية في المجتمع يؤدي إلى اختلاف دلالة الكلمة من بيئة إلى أخرى مثل كلمة " جذر" تختلف دلالتها عند المزارع وعند اللغوي وعند عالم الرياضيات.³

¹ ينظر "دراسات في علم اللغة"، كمال بشر، دار المعارف القاهرة، 1971، ص 172-175.

² "علم الدلالة"، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط5، 1998م، ص 69-71.

³ "المرجع نفسه"، ص ن.

والملاحظ أن هذا التقسيم لا يخرج عن السياقين : "اللغوي" وسياق "الحال" حيث يكمن فصل الانفعالات الخاصة بالمتحدث أو المستمع أو الظروف الاجتماعية أو المستوى الثقافي عن الموقف الكلامي.

وقد بين علماء الدلالة قيمة المنهج السياقي في دراسة المعنى وتحديد دلالات الألفاظ قائلين:

1- أنه يجعل المعنى سهل الإنقياد للملاحظة والتحليل الموضوعي، ويعالج الكلمات باعتبارها أحداثا وأفعالا وعادات يمكن ملاحظتها في حياة الجماعة المحيطة بنا.

2- أنه لم يخرج في تحليله اللغوي عن دائرة اللّغة¹، وهذا يعني أن المنهج قد أعطى أهمية كبرى للوظيفة الاجتماعية للّغة وبين أن معنى الكلمة لا يتضح إلا من خلال وضعها في سياقات مختلفة ولا يخرجها عن دائرة اللّغة ودورها الذي تؤديه فيها.

4- نظرية سياق الحال ومكوناتها في الخطاب الديني :

سياق الحال – كما سبق الذكر – هو عبارة عن الأحداث والوقائع الملازمة للموقف الكلامي أو الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة. ودراسة سياق حال في اللّغة الخطابية يساعد على زيادة كفاءة تقويم العملية الإفهامية والتأثيرية له ، إذ من الواجب أن تفسر دلالة كل لفظة أو عبارة داخل إطار السياق الحقيقي الذي تنسب إليه.

وهذا ما حدث في تفسير القرآن، إذ مما يتصل "بسياق الحال" معرفة أسباب النزول الذي تهدف إلى معرفة المعنى المستقى من اللفظ وفقا لسياقه وذلك للوقوف على دلالة الخطاب وتحديد مقصديته.

كما أن معرفة الخطاب وفهم مقاصده لا يتيسر إلا بمعرفة :

أ- اللسان العربي الذي نزل به القرآن الكريم، لأن اللّغة هي وسيلة تواصل وتخمين لما يتصوره المتكلم، فهي وعاء ناقل للأفكار والمعاني التي تنتقل بهذه اللّغة من المخاطب إلى المتلقي مهما كان مصدر التلقي بهذه اللّغة يتساوى في هذه الغاية، الخطاب الإلهي والخطاب عن طريق الحس أو العقل وهي تخضع لضوابط تضبط طريقة استعمالها بين المتكلمين والسامعين.

¹ "علم الدلالة" ، أحمد مختار عمر ، ص 73.

ب- الأثر السياقي، إذ لا يمكن تحديد مراد المتكلم إلا بالنظر إلى القرائن اللفظية والحالية ويتعلق الأمر، بالبحث في كتاب الله تعالى، وفهم مقاصده، لأنه جاء هداية للناس، وقد حث القرآن الكريم الناس على التدبير في دلالة الألفاظ ليصلوا إلى المعنى المقصود ومن ذلك قوله تعالى: « كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ »¹، ويجب ألا يكون هذا التدبير مخالفا لما جاء في القرآن من عقائد وشرائع، وكل ذلك مرتبط بالبحث في دلالة الألفاظ والسياقات للوصول إلى المقاصد.²

وإذا عدنا إلى الخطاب الديني الذي يوجهه الخطباء بغرض التوجيه والنصح والإرشاد...، فإننا نقول أنه من الضروري إعطاء الأولويات لـ "سياق الحال" باعتباره ضمن "الطرح التداولي" مفهوم متعدد المعطيات والعناصر التي لها علاقة مباشرة بأطراف العملية الخطابية ككل، والتي يبرز دورها في العملية الخطابية وتعنى بالمتكلم والسامع ولغة التخاطب بينهما، ومختلف الظواهر المحيطة، والأحداث المخزونة في الذاكرة والأوضاع السياسية والاقتصادية، وحتى حركات الجسم من اللغة الرمزية فهذا كله مرتبط بالسياق الذي يدرس كل ماله علاقة بالاتصال اللساني سواء كان لغويا أم غير ذلك.³

في إطار هذا الطرح سأحاول ذكر العناصر غير اللغوية المرتبطة بالإنتاج الخطابي والتي يجملها "أحمد المتوكل" في أنها تشمل كل ما يتوفر في موقف تخاطبي معين وأهمها علاقة المتكلم بالمخاطب، وزمان التخاطب ومكانه، والتي انطوت ضمن مصطلحي "مقتضى الحال" و"قرائن الأحوال".⁴

(1)- المتكلم : هو أساس الموقف الخطابي، كونه المفعل الأساسي للسياق وأدواته، ويظهر ذلك من شخصيته وثقافته وملامحه وحتى مظهره وجنسه ونبرة صوته ومكانته الاجتماعية ومخزونه الفكري واللغوي، واستعمالات اللغة تختلف باختلاف متحدّثيها، فـ "كل شخص منا لديه مجموعة من الكلمات يشعر أنّ لها دلالات وارتباطات خاصة، فكلية "البيت" قد تستدعي

¹ سورة "ص" ، الآية 29.

² ينظر "الدلالة اللغوية وأثرها في تأويل النص القرآني لدى الأشاعرة"، عرابي أحمد، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، جامعة وهران، اشراف أحمد عزوز، 2003، 2004، ص 11، 12.

³ ينظر "نظرية السياق دراسة أصولية"، نجم الدين قادر كريم الزنكي، دار الكتب العملية، بيروت، ط1، 2006، ص84.

⁴ ينظر "المنحنى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتدادات"، أحمد المتوكل، منشورات، دار الأمان الرباط، 2006، ص 172.

في ذهن البعض الرّحمة والحنان، بينما تثير في ذهن الآخر معاني "الشفاء" و "العذاب"، بينما قد تثير في نفس شخص ثالث شيئا مخالفا مثل "رؤية ابن" أو "الجلوس في حجرته الخاصة أو مكتبه"، ومعنى هذا أن ما تحويه أو تتضمنه الكلمة لا يرتبط بمستوى معين من الاستعمال، بل على العكس قد يختلف باختلاف مستويات الاستعمال من طبقة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر ومن شخص إلى آخر في نطاق اللّغة الواحدة".¹

فاستخدمات اللّغة تختلف من شخص إلى آخر ومن موقف إلى آخر والسياق هو الذي يحدد الدلالة والمعنى المقصود دون سواه.

2- المتلقي: وهو الطرف الثاني الذي يتلقى الخطاب اللّغوي ويؤوله، لهذا لا بدّ للمتلقى أن يتفاعل مع الانتاج اللّغوي، فيسعى جاهدا لبلوغ المعنى وذلك بمراعاة وتحليل الطرف السياقي الذي ورد فيه، لأن تمام الكلام من تمام إصغائه وبلوغ معناه، يقول السكاكي: "وثن الكلام أن يوفى من أبلغ الإصغاء، وأحسن الاستماع حقه، وأن يتلقى من القبول له والاهتزاز بأكمل ما استحقه، ولا يقع ذلك ما لم يكن السامع عالما بجهات حسن الكلام...".²

فقوام كلام التبليغ والاقناع لا يتحقق إلا إذا هيا مخاطب نفسه للإصغاء والفهم. حتى أن قيمة الخطاب الموجه، لا تظهر إلا من خلاله باعتبار أن "جوهر الكلام البليغ مثله مثل الذرة الثمينة، لا ترى درجتها تعلو، ولا قيمتها تغلو... ما لم يكن المستخرج لها بصيرا بشأنها، والراغب فيها خبيرا بمكانها".³

3- ملابسات الكلام : والمقصود هنا مختلف المعطيات السياقية التي يقوم عليها الكلام والتي تتحكم في صياغة القول الخطابي وتأويله (منها الاجتماعية والثقافية... الخ)، فالكلام يوصف بحسب مقاماته، وأشكال القول تختلف بحسب المعطيات الخارجية وفقا لطبيعة المتكلم ونوعية المتلقي (خصائصه وخلفياته)، وجنس الخطاب (وعظي، إرشادي، تعليمي...)، وغير ذلك من الملابسات التي تؤثر في انتاج الكلام وتؤويله.⁴

¹ "نظرية الساق بين القدماء والمحدثين، دراسة لغوية نحوية"، عبد النعيم خليل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية، ط1، 2007

² "مفتاح العلوم"، السكاكي أبو يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987، ص 127.

³ ينظر " المرجع نفسه"، ص ن.

⁴ ينظر " سياق الحال في الفعل الكلامي"، سامية بن يامنة، ص 22.

4- المكان والزمان : يبقى مفهوم السياق غير محدد إذ لم يتقيد بزمان ومكان معينين، فقد توجد مجموعة لا متناهية من السياقات الممكنة التي يستطيع المتكلم أن يكون له فيها أوضاع مخصوصة، وهي ما يعرف "بالسياق الواقعي"، الذي يتحدد بفترة معينة إثر زمان معين، بحيث تتحقق النشاطات المشتركة لكل من "المخاطب" و"المخاطب"، والسياق قابل لأن يتغير من لحظة إلى أخرى، ويجب أن يحدث هذا المتغير أثره في الموضوع بحسب الأحوال المتعاقبة من السياق.¹

فتحليل الزمان والمكان قبل إلقاء الخطاب من الأولويات التي تحكم على السياق، فما هو صالح لهذا الزمان والمكان قد لا يكون كذلك في زمان ومكان آخرين عل حد قول ابن سنان الخفافي : فالأغراض الكلامية "تتغير بحسب الأزمنة والدول، فإن العادة القديمة قد هجرت ورفضت، واستجدّ النَّاس عادة بعد عادة".²

يبقى الأمر في توظيف هذه معطيات مرهونا بمهارة المتكلم، إذ يجب أن يكون قادرا على اختيار الأنسب منها بما تستدعيه العملية الخطابية ومقتضياتها.

III- اللغة الخطابية والإطار الدلالي :

1- اللفظ والمعنى:

إن العلاقة بين اللفظ والمعنى، أو كما يسميها اللغويون المحدثون بين اللفظ والدلالة من البحوث التي حظيت بعناية كثير من الباحثين، لأن محيط الإنسان مجموعة من العلامات الدالة، والألفاظ هي لباس أو رموز لهذه الدلالات، فالأوصاف التي تضاف إلى اللفظة هي أوصاف للمعنى الذي تدل عليه.³

وإذا عدنا إلى مفهوم المعنى فهو " بمعنى قصد واشتقاقها على تلك الصيغة (مفعل) يحتمل أمرين:

أ- أن تكون مصدرا لهذا الفعل ويكون مفهومها قصد المتكلم توجيه الدلالة في كلامه إلى غرض خاص.

¹ "النص والسياق" استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، فإن دايك، تر عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، 2000م.

² "سر الفصاحة"، ابن سينا الخفاجي، تر، عبد المعتال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، 1969، ص 248.

³ ينظر "المدخل إلى دراسة البلاغة العربية"، السيد أحمد خليل، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1968م، ص 59.

ب- أن تكون اسم مفعول أي مخففة من "معنى" بالتشديد وحينئذ يكون مدلولها: الصورة الذهنية التي يتمثلها المتكلم أو بعبارة أخرى الغرض المقصود لا نفس القصد"¹.

أما "اللفظة" أو "الكلمة" فهي لباس المعنى الذي يظهر به للأعيان ويقع على المسامع ويفهم في الأذهان، وليس لنا أن نفرق بين أداة الدلالة سواء قلنا لفظة أو كلمة، فكلاهما يعكسان أثر المعنى، وإن كانت الكلمة أخص-من اللفظة- لأنها لفظ دل على معنى²، فإن هناك من أجاز استخدام المفردتين بمعنى واحد وهي على نحو التحديد مجموعة الأصوات التي تكون وحدة عاملة مستقلة دالة بمفردها على معنى محدد، أو كما يعبر عنها بلوم فليد ب "الصيغة الحرة"³.

ولا يهم في هذا الموضوع تحديد الفرق بين الكلمة واللفظة⁴، لأن الهدف هو تبين العلاقة الكامنة بين الكلمة-اللفظة- والمعنى الذي تدل عليه، أو بمعنى آخر بين الكلمة والدلالة التي تحملها، لأن النظام اللغوي ثنائي التركيب، إذ يتألف من الأصوات المنطوقة المسموعة التي تشكل اللفظة، ثم المعنى المقابل لها طبقا لما يتعارف عليه أبناء اللغة الواحدة⁵.

إن قضية اللفظ والمعنى من كبريات القضايا التي شغلت الناقد في جميع الآداب واستهلكت كثيرا من الجهود والدراسات دون أن يتوصل فيها إلى رأي موحد وحاسم، إذ لا يزال الحديث عنها يعود إلى الظهور من حين إلى آخر إلى يومنا هذا.

وإذا عدنا إلى تاريخها فإننا نجد من القضايا التي تولدت نتيجة الصراعات التي قامت حول المسائل العقيدية التي قادتهم إلى إثارة قضية الإعجاز القرآني في ق 2هـ، وقبل ذلك نجد في النقد الجاهلي ضربا من العناية بها، فالنظر في ملائمة الكلمة لموقعها وموافقها لمعناها نظر قديم يرجع إلى ملاحظات الجاهلين في تحليل الشعر وتقويمه، وهذا درب سار عليه

¹ "المعنى في البلاغة العربية"، حسن طبل، دار الفكر العربي القاهرة ، ط1 ، 1998 ص 74.

² ينظر "دلالة الألفاظ"، إبراهيم أنيس، ص 38.

³ ينظر "الحصيلة اللغوية أهميتها مصادرها وسائل تنميتها"، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أحمد محمد المعتوق، أغسطس 1996، 1417هـ، ص 47.

⁴ فحسب رأي النحاة أن اللفظ عملية نطق وكيفية صدور الصوت وما يتبع ذلك من حركات اللسان والشفيتين، فإذا ربط بين هذه الأصوات المنطوقة وما يمكن أن تدل عليه من معنى تكونت "الكلمة"، ينظر دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص 38.

⁵ ينظر "دراسة اللغة والمعاجم"، حلمي خليل، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1998م، ص 273-274. عندما نتناول موضوع اللغة والاتصال.

اللاحقون أمثال قدامة بن جعفر (ت948م) في كتابه "نقد الشعر" حيث تحدث عن الشعر، فذكر من شروط جودته ائتلاف اللفظ مع معناه وذلك بأن "يكون سمحا سهل مخارج الحروف من موضعها، عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة..."¹.

كما لا بد "أن يكون المعنى موجها للغرض المقصود، غير عادل عن الأمر المطلوب"².

وقد تحدث أيضا في كتابه عن أنواعه ائتلاف اللفظ مع المعنى فحصرها في أربعة.³

1- المساواة: هي أن يكون اللفظ مساويا للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلا فقال: "كانت ألفاظه قوالب لمعانيه"، أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر مثل قول الخطيب:

"ياأمرنا الله تعالى أن نأكل من طبيّات ما رزقنا وهو المال الحلال".*

2- الإشارة: هي أن يكون اللفظ القليل مشتملا على معان كثيرة بإيماء إليها ولمحة تدل عليها

كقول الخطيب: "...والتعدي على حقوق الناس...".**

3- الإرداف: هي أن يريد المتكلم دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل لفظ يدل على معنى وهو رده وتابع له، فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع وهذا بمنزلة، قوله تعالى: «وَأَسْأَلُ قَرْيَةً»⁴ وأراد أهلها

5- التمثيل: هو أن يريد المتكلم الإشارة إلى معنى فيصيغ كلاما يدل على معنى آخر وذلك

المعنى الآخر ينبئ عما أراد أن يشير إليه، ومثال ذلك قوله تعالى: "...وإن

¹ "نقد الشعر"، قدامة ابن جعفر، تح، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص153-160.

² "المصدر نفسه"، ص91

³ المرجع نفسه، ص153-160.

* خطبة 2013/09/27، قناة أزهر المصرية.

** والقصد هنا حقوق بمعنى أموالهم وعرضهم و...، خطبة 2013/09/20، قناة الجزائرية 3.

⁴ سورة يوسف، الآية 82.

كان مكرهم لتزول منه الجبال»¹.

هذه أنواع من العلاقات التي ترد بين الألفاظ والمعاني، وهي متداولة على ألسنة المتكلمين والمخاطبين يختارون منها ما يرونه الأجدر في التعبير عن شعورهم ودرجة انفعالهم ويعكس مصداقية مشاعرهم من عدمها.

وإذا عدنا لمسألة المعنى فنجدها متداولة في النظريات الدلالية الغربية الحديثة التي سعت إلى تقديم معايير تحسم معها كل القضايا الدلالية المتعلقة بدراسة العلامة اللغوية منها الإشارية² التي تميز عناصر الدلالة ابتداءً بالفكرة التي تمثل المحتوى الذهني ثم الرمز أو الدال المتمثل في الكلمة، انتهاءً بالشيء الخارجي المشار إليه.

والتصورية التي "تعتبر أن المعنى هو التصور الذي يحمله المتكلم ويحصل للسامع حتى يتم التواصل والإبلاغ، والسلوكية التي يتجلى اتجاهها في تعريف معنى الصيغة اللغوية "بأنها الموقف الذي ينطقها المتكلم فيه، والاستجابة التي تستدعيها من السامع، فمن طريق نطق صيغة لغوية يحث المتكلم سامعه على الاستجابة لموقف، هذا الموقف وتلك الاستجابة هما المعنى اللغوي للصيغة"، والسياقية التي تنص على أن اللغة نظام متشابك العلاقات ولا يمكن تحديد دلالة ومعنى الكلمة إلا بتحديد مجموع السياقات التي ترد فيها "لأن السياق يحمل

¹ سورة ابراهيم ، آية 46، والمراد إن الجبال تزول من مكرهم واستعظاما واستفضاعا لو كانت مما يفعل الحال ويقدر على الزوال، وهذا تهويلا لفعالهم وهو توظيف للمظاهر الطبيعية لأداء المعنى عن طريق التمثيل. ينظر " تلخيص البيان في مجازات القرآن،" الشريف الرضى محمد الحسن، تح ، محمد عبد الغنى حسن ، دار الكتب العلمية ، القاهرة ، 1955م ، ص 186²

² " علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، 2001 ، ص 86.

حقائق إضافية تشارك الدلالة المعجمية للكلمة في تحديد الدلالة العامة التي قصدها الباث"¹ إضافة إلى التحليلية والتوليدية والوظيفة المنطقية في المعنى... إلخ².

أما عند أوساط اللغويين والنحويين أمثال سيوييه وابن جني (ت 392 هـ) وغيرهم فنجد أن "اللفظ والألفاظ" دلت على التركيب والكلام المؤلف، و"المعنى" و"المعاني" على مضمون هذا الكلام وما يحتويه من أفكار ومقاصد، وهذا ما نستشفه من قول ابن جني (ت 392 هـ): "فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها ... فلا ترين أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ، بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني ... ونظير ذلك إصلاح الوعاء وتحصينه وتزكيته وتقديسه، وإنما المبغي بذلك منه الاحتياط للموعي عليه..."³.

وإذا ذهبنا إلى الجاحظ (ت 655 هـ) في قوله: "...والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيير اللفظ وسهولة المخرج وصحة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك..."⁴ نجده يميز دالتين للمعنى، دلالة عامة تتعلق بالأغراض التي تروم الناس إلى التعبير عنها، ودلالة فنية تؤول إليها تلك الأغراض حين يضي عليها تشكيلا خاصا، فالكلمة لا ينظر إليها مفردة وإنما متفاعلة مع غيرها، وهذا ما أحسن عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) استثماره في نظرية النظم-لاحقا.

وما قصده الجاحظ هو أن المعاني العامة متاحة لكل واحد منا، وهي الأولى أو المادة الخام، غير أن هذه المعاني لا تبقى على حالها بل تتعرض لتحولات في العمل الأدبي نتيجة تشاكلها فيما بينها، فالخطيب المبدع يضي عليها بصمته و قدرته على التشكيل مما يثري المعنى، فنحس أننا إزاء معان غير التي كنا نعرفها، لأن القدرة على تنسيق تلك الألفاظ وتحميلها مالا نألفه يعطيها صورة جديدة.

¹ ينظر "علم الدلالة" منقور عبد الجليل، ص 89.

² "المرجع نفسه"، ص 91-105.

³ "الخصائص"، ابن جني، تح عبد الحميد هنداوي، ج1، ص 238.

⁴ "الحيوان"، الجاحظ، تح، عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1969م، 1388هـ، ج3، ص 131-132.

والجاحظ (ت 655 هـ) حين قال: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجميّ والعربيّ..." أوفي قوله: "...إن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأن المعاني مبسوسة إلى غير غاية وممتدة إلى غير نهاية..."¹ لم يسقط من أهميتها، وإنما يعني أنها مدركة ومستعملة استعمالاً عادياً، كما أن طرحها في الطريق أشبه بالحالة التي تكون عليها ألفاظها في قوائم المعجمات، مثبتة والمتكلم وحده هو الذي يستطيع أن يبرزها في قالب خاص ومؤثر بتركيبها وصوغها في جمل مفيدة. وهذا ما عقب عليه قائلا: "وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ..."² وقوله في موضع آخر: "وإنما الألفاظ على أقدار المعاني فكثيرها لكثيرها وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها"³ لأن "... الألفاظ إنما وضعت للدلالة على إفهام المعاني"⁴، وفي قوله: "... لولا حاجة الناس إلى المعاني وإلى التعاون والترافد لما احتاجوا إلى الأسماء"⁵.

وهذا ما لا يتوافق ورأي الجرجاني (ت 471 هـ) الذي تناول قضية اللفظ والمعنى والتي عدت من أهم الدراسات التي تميزت بالتفرد فيما يعرف بنظرية النظم، إذ ثمة إجماع على أن الجرجاني يمثل أعلى درجة من النضج الذي وصلت إليه الدراسات البلاغية الحديثة. فقد طرح عبدالقاهر الجرجاني قضية اللفظ والمعنى مفيدا من أفكار الجاحظ (ت 655 هـ)، الذي اهتم بالنظم في العبارة الأدبية عندما بحث في المعاني باعتبارها جوهر عملية تأليف الكلام وإتقان نظمه، وتعريفه لأدوات البيان في كتابه البيان والتبيين⁶. إذ يقول عبد القاهر "إن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها"⁷ وفي قوله: "لا نظم في الكلام ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها

¹ "البيان والتبيين"، الجاحظ، ج1، ص 114.

² "ينظر" النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ"، محمد الصغير بناني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994، ص 142.

وينظر "قضية اللفظ والمعنى"، من الجاحظ إلى عبد القاهر الجرجاني"، عبد القادر هني، مجلة الموافقات، ع2، جوان 1993، تصدر عن المعهد الوطني للتعليم العالي لأصول الدين، الجزائر، ص 262-263.

³ "الحيوان"، الجاحظ، ج6، ص8.

⁴ "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، ابن الأثير، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الباجي الحلبي وأولاده مصر، 1993م، 1358هـ، ج2، ص79.

⁵ "الحيوان"، الجاحظ، ج5 ص201.

⁶ ينظر "علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي"، منقور عبد الجليل، ص 147.

⁷ "دلائل الإعجاز"، عبد القاهر الجرجاني، ص 48.

على بعض¹ ، وهذا ما يوافق عليه ابن خلدون في قوله: "اعلم أن صناعة الكلام نظماً ونثراً إنما هي في الألفاظ لا في المعاني، وإنما المعاني تبع لها وهي أصل"².

يستخلص أحمد عزوز الملامح الرئيسية تبعا لنظرية عبد القاهر الجرجاني الدلالية في ثلاثة عناصر أساسية في مناقشة دلالة اللفظ والمعنى وتتمثل في:

- الغرض الذي ينظم مواقع الكلمات.
- اللفظ الذي ينظم مواقع الكلمات.
- اللفظ الذي يحدد كيفية استعمال الكلمات بوضعها مع بعض أو بمعنى آخر (المعنى والغرض) و(النظم) ثم الشكل السطحي³.

كما أن عبارة الزمخشري بعد الجرجاني في نظم الكلام تقترب من عبارته فنظم الكلام كما يتصوره الزمخشري يعني بيان الروابط والعلاقات بين الجمل وكيف يدعو الكلام بعضه بعضاً⁴ كما يدركه في "قوة بناء الأسلوب وشدة تماسكه"⁵.

فلطالما كان البحث في مسائل النظم، وذلك بالنظر إلى صياغة الجملة ودلالات اختلاف الصوغ فيها موضع اهتمام البلاغيين، وللنحاة جهود في ذلك، ولعل الجرجاني قد محص دراسات السابقين* وصاغ نظريته متأثراً بتلك البذرات التي كانت تبرز في أعمالهم دون أن تستكمل نموها، فاستكملها هو عندما تناول قضايا التقديم والتأخير وصور الإثبات والنفي والاستفهام والأمر والحذف والتكرار والاعتراض والفصل والوصل ... في كتابه دلائل الإعجاز⁶.

1- "دلائل الإعجاز"، عبد القاهر الجرجاني، ص 53.

2 "المقدمة"، ابن خلدون، ص 569.

3 "نظرية الحقول الدلالية"، دراسة في التأسيس والتطبيق، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة، إعداد الباحث أحمد عزوز، ص 14.

4 ينظر "البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية"، محمد حسنين أبو موسى، ص 188.

5 المصدر نفسه، ص 193.

* الجاحظ، ابن جني، ابن قتيبة (ت 276هـ)، أبو الهلال العسكري (395هـ)، وابن سنان الخفاجي (466هـ) ... إلخ.

6 ينظر "دلائل الإعجاز" (المحتوى).

وينظر "نظام الارتباط والربط في تراكيب الجملة العربية"، مصطفى حميدة، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط1، ص 109.

فالنظم مدخل لفهم المعنى، لأنه يكشف عن نسق معان ويحدد أجزاءها ويربط بين جملة وأخرى ثم الجملة أو الجملتين بما قبلها وبعدها، فتظهر بذلك فكرة التشابك الوظيفي بين مفرداتها حفاظا على المعنى والدلالة المطلوبة وهذا ما يحدث في بناء الخطاب¹، لأن الكلمة المفردة إذا لم يتم ربطها بغيرها من الكلمات صراحة أو تقديرا لا تحقق فائدة إبلاغية، وإنما تظهر الفائدة الإخبارية والصفات النحوية عند مراعاة علاقة الجزء بالكل في الجملة وعلاقة الجملة بالأخرى في تأليف الكلام².

وضم لفظتين أو أكثر إلى بعضها البعض لا يتم إلا بعد إدراك معانيها، لأن ائتلاف اللفظ مع المعنى هو " أن تكون الألفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له"³ هذا ما يجعل النظم صحيحا يعكس براعة المتكلم في التعبير، إذ يقول الجرجاني في ذلك (ت 471هـ): " ... إذا أنت عزلت دلالتها جانبا، وأي مساع للشك في أن الألفاظ لا تستحق من حيث هي ألفاظ تنظم على وجه دون الآخر، ولو فرضنا تتخلع من هذه الألفاظ التي هي لغات، دلالتها لما كان شيء منها أحق بالتقديم من شيء، ولا يتصور أن يجب فيها ترتيب ونظم"⁴.

فموقع اللفظ موقعا ملائما مع ما يجاوره يحمله قيمة فنية جديرة بنقل التجربة الإبلاغية للمتكلم، وهذا ما تناوله الجرجاني في نظريته، إذ كان حريصا على دراسة دور المتكلم في بناء الجملة، لا دور المتلقي في فهمها، وهو يتناول "النظم" من حيث هو صادر عن المتكلم فاهتمامه بنظم الألفاظ لا يعني إغفاله للمعنى، إذ شدد على كل ما يفضي إلى رد النظم إلى الألفاظ على نحو يهمل المعنى.

ويرى أنه من الغلط ردّ المزية إلى الألفاظ بالنظر إلى الرسالة (النظم) من زاوية المتلقي دون المتكلم إذ يقول: " ... أنك قد ترى أحدهم يعتبر حال السامع، فإذا رأى المعاني لا يترتب في نفسه إلا بترتب الألفاظ في سمعه ظن عند ذلك أن المعاني تتبع الألفاظ وأن الترتب فيها مكتسب من الألفاظ، ومن ترتبها في نطق المتكلم، وهذا ظن فاسد ممن يظنه، فإن الاعتبار

¹ ينظر "علم الاجتماع اللغوي"، السيد عبد الفتاح عفيفي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995 ص 47.

² ينظر "المرجع نفسه"، ص ن.

³ "من أسرار البلاغة في القرآن"، محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، الأزهر، القاهرة، ط1، 1404 هـ، ص

129.

⁴ "دلائل الإعجاز"، الجرجاني، ص 51.

ينبغي أن يكون بحال الواضع للكلام والمؤلف له، والواجب أن ينظر إلى حال المعاني معه لا مع السامع"¹.

فهو يرى أن تدعيم مقولة اختصاص المزية في "النظم" وما نتج عنه من مغالطات استنادا إلى العلاقة بين الألفاظ والمعاني على مستوى (المستمع-المتلقي) يعد تصورا خاطئا ذلك لأن العلاقة بين كل من متلق ومرسل -أي المستمع والمتكلم- علاقة متبادلة ومعكوسة، فعلى حين تكون لدى المتلقي ألفاظ تتحول إلى معان، فإنها تكون على العكس تماما عند المرسل (معان تتحول إلى ألفاظ، مما لا يجوز الاقتصار على المتلقي وإغفال الملقى الذي يحول المعنى إلى لفظ).

ويشير عبد القاهر إلى أن الألفاظ أوعية للمعاني، لذا على الخطيب أن يختار لها الألفاظ المكافئة وإياها فلا يصب المعنى الكبير في وعاء ضيق ولا الضئيل في وعاء واسع، فهو يدعو إلى أن تكون الألفاظ على قدر المعاني، "فإذا كان المعنى فخما، كان اللفظ الموضوع له جزلا، وإذا كان المعنى رقيقا، كان اللفظ رقيقا، وإذا كان المعنى غريبا كان اللفظ كذلك"².

كما ربط الجرجاني (ت 471 هـ) النظم بالنحو إذ قال: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو"³ فلأن الوظيفة الأساسية للغة هي الاتصال و التفاهم والمتكلم يقصد دوما إبلاغ غرض من الأغراض للمتلقي، فإن هذه الأغراض التي حددها الجرجاني بالخبر والنهي والأمر والاستفهام لا يتوصل إليها إلا من خلال نظم الكلام ولأن النظم لا يتم إلا بترتيب الكلمات جنبا إلى جنب فإن هذا يتطلب إدراك أصول النحو وقواعده ف"لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفرادا ومجردة من معاني النحو"⁴ لأن الكلام شكل من أشكال السلوك، والنحو هو الطريقة التي يتكلم بها الناس على حد رأي سيبويه⁵، فهو الذي يضبط أواخر الكلم ويفيد السامع في فهم مضمون النص -المنطوق

¹ " دلالات الإعجاز"، الجرجاني، ص 268.

² "من أسرار البلاغة في القرآن"، السيد شيخون، ص 129.

³ "دلالات الإعجاز"، الجرجاني، ص 69.

⁴ "المصدر نفسه"، ص 264.

⁵ ينظر "المعجم العربي، إشكالات ومقاربات، بحوث ودراسات لغة"، محمد رشاد الحمزاوي، بيت الحكمة، قرطاج، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقق والدراسات، 1991م، ص 340.

أوالمكتوب- ويكشف عن عناصره الجمالية والفنية، لأنه الحجر الأساس في بناء الكلام، إذ يكسبه ملامحه البيانية والدلالية الخاصة، فهو سبيل الفصاحة والبيان¹.

إذ أن توالي الكلمات لتكوين الجمل تأخذ شكلا "وهذا الشكل مجرد إطار نحوي، أي أنه يخضع لقوانين الصرف والنحو، لا لقوانين البلاغة"² إذ "كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، فإن الأغراض كامنة فيها، حتى يكون هو المستخرج لها"³.

حتى إن الفرق بين "نظم" و"نظم" أو بين "كلام" و"كلام" فارق يعود إلى مقدرة "الخطيب" ومهارته في استخدام "القوانين" التي يتيحها "نحو" لغة معينة، لأن معنى الجملة قد يتغير كلياً لمجرد تغير حركة أحد ألفاظها، فإن كان الخطيب "لا يملك حيال الألفاظ شيئاً من الحرية بحكم وضعيتها وعرفيتها، فإنه يملك بالمقابل حرية تامة إزاء "قوانين النحو" التي "ينظم كلامه من خلال قواعدها فيفبد معنى دون الآخر"⁴.

بناء على ما سبق أقول إنه بالرغم مما للألفاظ من شأن إلا أن هذا لا يعني تقديمها على المعاني والاهتمام بالشكل دون المحتوى، وتبقى الصيغ النحوية ذات أهمية كبرى، فهي التي تؤلف بين الكلمات وتمنحها السلامة اللغوية بغض النظر عن المعنى والمقام، لتؤدي وظيفتها التواصلية⁵ لأن المعنى في حد ذاته ما هو إلا نتاج للعملية التفاعلية بين معاني الألفاظ ومعاني النحو التي أقامها للخطيب.

¹ ينظر "المدارس اللسانية"، أعلامها، مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلية، أحمد عزوز، منشورات مخبر اللغة العربية والاتصال، دار الأديب والتوزيع، ص 67-68.

² "بلاغة الخطاب وعلم النص"، صلاح فصل، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1996، ص 176.

³ "دلائل الإعجاز"، الجرجاني، ص38.

⁴ ينظر "إشكاليات القراءة وآليات التأويل"، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط3، 1994، ص 93-94.

⁵ ينظر "الحصيلة اللغوية"، أحمد محمد المعتوق، ص 65.

وينظر " المدخل إلى بلاغة المحسنات"، محمد الولي، مجلة فكر ونقد، العدد 17 مارس 1999م، ص 61.

2- أهمية المعنى ودلالات الرموز الخطابية :

إن اللّغة في العملية الخطابية لا يقف دورها عند حدود الوساطة في نقل المعاني، ولكنها تعمل منبها للفرد لتَحقيق استجابة معينة، وهذا المنبه لا يتوفر في شكل رموز (لفظية أو غير ذلك) ، ولكن في المعنى أو الغاية النهائية لبناء هذا الرمز وهو ما يعرف بدلالة الرموز¹. ولهذا اهتم علماء اللّغة وعلم النفس اللّغوي بالعمليات التي يقوم بها كل فرد متكلم حين يختار بناء أو تركيبا نحويا ليعبر به عن فكرة أو معنى معين ، أو يفسر كلام الآخرين ليصل إلى الدلالات الضمنية للتركيب اللّغوي².

فاللّغة نظام تضم دلالات صريحة و أخرى ضمنية ، والمعرفة الإدراكية لمضمونها يتأثر لسلوك المتلقي بالنظام الإدراكي والمعرفي الذي كونه عن العالم المحيط به، أي بمعنى أن تفسيره للدلالة الضمنية للتركيب اللّغوي تكون في إطار المدركات المخزنة في عقله يقول ابراهيم أنيس في ذلك: « ويكسب الإنسان ألفاظ اللّغة ودلالاتها في تجارب كثيرة من تجارب الحياة ، معها تتشكل الدلالات وتتلون وتظلل بظلال متباينة ، ثم تستقر على حال عندما يتبنا المرء لكل لفظ دلالة معينة هي جزء من عقله ومن نفسه»³.

لهذا لا بد أن يكون إطار الخبرة المخزنة مماثلا بين الخطيب والمخاطب حتى يكون التفسير مماثلا ، فيدرك الرموز بنفس المعنى المشترك ، فيحقق بذلك الإقناع فاعليته . إذ لكل جماعة بل لكل فرد عدد من التصورات والاتجاهات تتحكم في سلوكه وفي نظرتة وفي فهمه للأشياء، لأن الإنسان يعيش في عالمين عالم خارجي وآخر باطني خاص به مرتبط بمجموعة من المفاهيم والدلالات⁴.

إذ لا يستطيع الخطيب الناجح أن ينجح في هدفه إلا إذا عرف هذه العوالم الباطنية أو الدلالات الحقيقية للأشياء في ذهن المخاطبين، لأن لكل فرد عالمه الخاص وتصوراتة المشتقة من بيئته وثقافته.

¹ ينظر " نظريات الإعلام واتجاهات التأثير " ، محمد عبد الحميد ، ص 69

² ينظر "المرجع نفسه ، ص ن.

³ ينظر " دلالات الألفاظ " ، ابراهيم أنيس مكتبة الأنجلو مصرية ، 1972 ، ص 9.

⁴ ينظر "المرجع نفسه " ، ص 97.

الإنسان يميل إلى تنظيم المدركات ، وخلق المعاني عليها وفقا لإطاره الدلالي ومدلولاته السابقة عن المعاني ، ولا يمكن للخطيب الديني أن ينجح في أداء وظيفته الدعوية ما لم يعرف حقيقة الإطارات الدلالية للأفراد المتلقين.

وقد يخطئ إن كان على ثقة أن ما يقدمه من خطابات بما تحمله من أفكار ومعان سوف تفهم بالطريقة ذاتها التي يفهمها بها هو ، إذ هناك عقبات قد تواجه ذلك منها التحيز والتعصب والأوهام... السن والاتجاه والفهم الخاطئ للإسلام....

وبناء على ذلك فإن العناية بالمنهج الخطابي يعني الالتزام بدراسة الإطار الدلالي لفحوى الخطاب، وهو يعني في الوقت ذاته العناية بالعوامل التي تؤثر على الكلمات في قواعد اللغة ونظامها وأساليبها.

وكما هو معلوم فإن دلالة المعاني شقين: دلالة مباشرة ودلالة هامشية أو بمعنى آخر دلالة صريحة وأخرى ضمنية.

والدلالة الهامشية واردة في الخطاب الديني ولهذا على الخطيب توخي الحذر، والسعي جاهدا إلى توضيح دلالات¹ ومعاني عباراته حتى لا يقع اللبس فيفهم كل شخص المعنى الذي يلائمه ويناسبه بحسب مستواه دون الآخر، مثلا في قول الخطيب: "فمن كان في حياة الدنيا أعمى فهو في حياة الآخرة أعمى"* ، فالمجال الديني مجال حاسم والحلال فيه والحرام بين ولا يجوز أن يفهم بأهواء الناس ، وإنما عليه أن يفهم بحسب الدلالة والمعنى الصحيح المقصود الذي جاءت به الضوابط الشرعية والواردة في ألفاظ الآيات القرآنية المنزهة عن الخطأ أو ذلك النص الخطابي الذي جاء شارحا ومفسرا لها أو في ذلك النص الوعظي أو الإرشادي...

وإذا صح ما يقول البعض من أن الإنسان إنما يتكلم ليخفي ما يدور في ذهنه فهذا لا ينطبق على الخطاب الديني، لأنه بني على أساس قدسية إلهية لا تلاعب فيها، فالألفاظ

¹ ينظر "اللغة الإعلامية" ، عبد العزيز شرف ، دار الجيل للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1991 ، ص 25.
* فقد يفهم المتلقي اللفظ " أعمى" هنا بمعناه المجازي أو الحقيقي بحسب مكتسباته الدينية والمعرفية ، فوصف العمى بمعناه الحقيقي هو ذهاب البصر و بالمعنى المجازي هو الغفلة عن أوامر الله وقلة العلم والجهل ، كما هو الحال في هذا السياق ، خطبة 2013/06/21، قناة السنة النبوية.

الدينية هي ألفاظ كثيرا ما تكون صادقة الدلالة لا تحاط بدلالات هامشية¹، مع أننا نرى أن حتى ألفاظ القرآن تراها أحيانا محل نزاع في تفسيرها بين علماء الشرع فيما يتعلق بدلالاتها اللغوية².

هذا ما على الخطيب أن يفهمه ويقدر قيمته ، فيحقق الدلالات المركزية لخطابه دون إعطاء فسحة للدلالات الهامشية التي قد تجعل الأمور تخرج على غير ما يجب أن تكون عليه ، فقد تكون نية المتكلم على المجاز ونية السامع على الحقيقة- العكس وارد أيضا- فيقع الخلاف وينتج سوء الفهم وتتعدد عملية التواصل، ويشبه هذا دلالة اللفظ على الإشتراك إذ كثير من كلماتنا لها أكثر من معنى، غير أن المؤلف هو استعمال معنى واحد فقط من هذه المعاني في سياق معين، فالفعل "أدرك"، مثلا محدد المعنى معناه "لحق به" أو "عاصره" أو أنه يعني "رأى" أو "بلغ"، فالتركيب الحقيقي المنطوق بالفعل هو وحده الذي يمكن أن يجيب عن السؤال³.

فالاهتمام بالعلاقات القائمة بين وحدات الكلام، وفق السياق الذي ترد فيه هو الذي يحدد المعنى.

3- أنواع الدلالات في الخطاب الديني :

عرفنا مما سبق في المبحث الأول من هذا الفصل أن الرموز إما أن تكون لغوية أو غير ذلك ، ولكن الأول – كما هو معلوم – يتميز عن غيره في أنه قابل للتحليل والدراسة لطبيعته النطقية والفيزيائية والسمعية ، ويتجلى ذلك في المستوى الصوتي Phonétique والطبيعة الشكلية التي تظهر في الجانب الصرفي Morphological والسماط التركيبية التي تدخل في المستوى النحوي Grammatical ، وكذلك الجانب السياقي الذي يدخل في تحديد دلالة التركيب الخطابي⁴.

¹ إذ مثلا يعكس الخطاب السياسي دلالات هامشية في أغلب الأحيان ، كما أنه كثيرا ما تكون ألفاظه كاذبة الدلالة، الفدائي يجعلونه إرهابيا والوطني متعصبا.....، ينظر اللغة الإعلامية ، عبد العزيز شرف ، ص 100

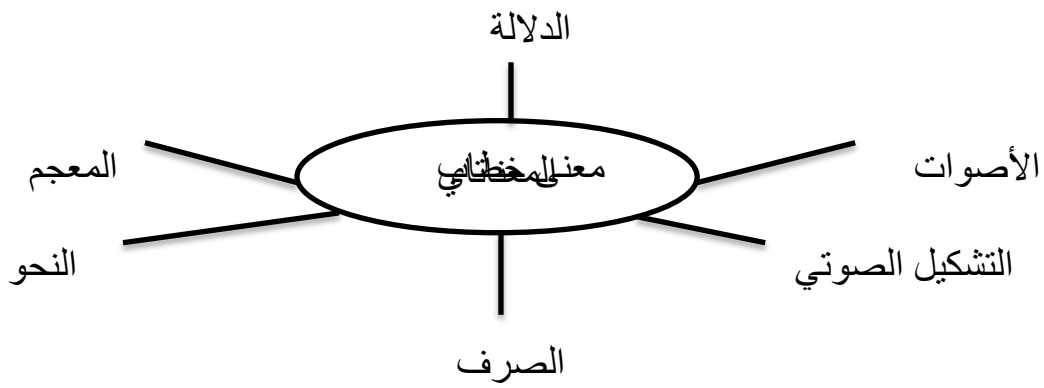
² ينظر "الدلالة اللغوية وأثرها في تأويل النص القرآني لدى الأشاعرة" عرابي أحمد، دكتوراه في اللغة العربية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، اشراف أحمد عزوز، 2003،2004.

³ ينظر "المجاز وأثره في الدرس اللغوي"، محمد بدوي عبد الجليل، ص 162.

⁴ ينظر "علم الدلالة ، دراسة نظرية وتطبيقية" ، فريد عوض حيدر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ط2، 1999 ص 29.

ولأن اللّغة ظاهرة اجتماعية، كان للرمز اللّغوي دلالة اجتماعية تؤخذ بعين الاعتبار عند التحليل الدلالي للرموز اللّغوية داخل الخطابات. من هنا فإن دلالة الخطاب لها جانب صوتي يطلق عليه الدلالة الصوتية، وجانب صرفي يمثل الدلالة الصرفية، وآخر نحوي جانب معجمي يطلق عليه الدلالة المعجمية وآخر سياقي يعرف بالدلالة السياقية¹.

من هنا تبرز أنواع الدلالات التي لا يستغني عنها المتلقي (المخاطب) وهو في خضم تحليل وتفكيك رموز الخطاب الديني الموجه إليه، لأنها عملية تتجه أساسا إلى تحديد معنى معين يهدف إلى تحقيق غرض معين، ولنا أن نمثلها في الشكل الموالي²:



1- **الدلالة الصوتية** : هي المستمدة من دلالة الأصوات ، فإذا أضيف إلى الكلمة صوتا أو حذف منها تغير معناها تبعا لذلك التغير الصوتي ، كما تستمد هذه الدلالة أيضا من نواح صوتية أخرى كالنبر والتّغيم .

لقد اهتم ابن جني (ت 392 هـ) بدراسة هذه الدلالة في "باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني"، حيث قال : « فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ، ونهج ممتلئ عند عارفيه مأموم ، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها ، فيعدلونها ويحدون عليها وذلك أكثر مما نقدر وأضعاف ما نستشعر»³.

¹ ينظر "علم الدلالة ، دراسة نظرية وتطبيقية" ، فريد عوض حيدر ، ص 29.

² ينظر " المرجع نفسه " ، ص 30.

³ "الخصائص" ، أبي الفتح عثمان ابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، ط3 ، 1983 ، ج2، ص

وقد أشار إلى كثرة هذا النوع من دلالة الأصوات على المعاني ، فيعرض أمثلة منها ما جاء في قوله: « خَضِمَ وَقَضِمَ ، فَالْخَضْمُ لِأَكْلِ الرَطْبِ كَالْبَطِيخِ...وَالْقَضْمُ لِلصُّلْبِ الْيَابِسِ نَحْوَ قَضِمَتِ الدَّابَّةُ شَعِيرَهَا »¹.

والتنغيم أيضا يكسب الكلام دلالة صوتية معينة عند رفع الصوت وإخفاضه في الكلام مما يعرف بموسيقى الكلام...إذ بحسب النغمة المنطوقة يحدد الغرض. والأمر ذاته في النبر عند تغيير مواقع الضغط من كلمة إلى أخرى أو من جملة إلى أخرى، أين تظهر نقطة اهتمام المتكلم عند الكلام المنبور.

2- الدلالة الصرفية : هي الدلالة التي يعرب عنها مبنى الكلمة والمستفادة من الأوزان والصيغ المجردة عن السياق ، فالأسماء تدل دلالة صرفية عامة على المسمى، وهي تخلو من الدلالة عن الزمان وتدخل ضمن أسماء المصدر ، واسم المصدر ، واسم المرة ، واسم الهيئة...والدلالة الصرفية للصفات هي الدلالة على موصوف بالحدث ودلالة أسماء الإشارة وضمائر التكلم والخطاب هي الدلالة على الحضور ، وضمائر الغائب ، وأسماء الموصول دلالتها الصرفية على الغياب².

وتدل الظروف دلالة صرفية على الظرفية الزمانية أو المكانية ، ويدل الفعل على الحدث والزمن ، فالماضي يدل على الانقطاع الزمني، والمضارع على الحال حقيقة، والأمر يدل على الاستقبال ، فإذا زيد في المبنى الصرفي للفعل بدخول حروف الزيادة عليه أضاف إلى دلالاته دلالات فرعية ، فمزيد الثلاثي بحرف يأتي بثلاثة أوزان : **أفعل** ، **فعل** ، **فَاعِل**³ فالمستوى الصرفي لهذا المعنى يهتم ببناء الكلمة وصيغها اللغوية ومختلف التغيرات التي تعترضها⁴.

¹ "الخصائص" ، أبي الفتح عثمان ابن جني ، ص 157.

² ينظر "علم الدلالة ، دراسة نظرية وتطبيقية" ، فريد عوض ، ص 35 .

³ ينظر "المرجع نفسه" ، ص 36.

⁴ ينظر "الدلالات اللفظية وأثرها في استنباط الأحكام من القرآن الكريم" ، على حسن الطويل ، دار البشائر الإسلامية ط 1 ، 2006 ، ص 24 ، 25 .

3- **الدلالة النحوية:** هي المحصلة من مجموع استخدام الألفاظ والصور الكلامية للجملة المنطوقة، فهي تهتم بنظام وترتيب الجملة¹، وهي مقسمة إلى :

أ- **دلالة نحوية عامة :** تتمثل في المعاني العامة المستفادة من الجمل والأساليب بشكل عام مثل دلالتها على الخبر، والإنشاء، والإثبات، والنفي، والطلب، والاستفهام، والأمر والنداء.....إلخ وذلك باستخدام الأدوات التي تؤدي دلالة الجملة - في أغلب الأحيان -² فمثلا دلالة الاستثناء في قوله تعالى : « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ »³ ، مستفادة من أداة الاستثناء (إلا) .

ب- **دلالة نحوية خاصة :** هي معاني الأبواب النحوية مثل باب "الفاعل" وباب "المفعول" وباب "الحال" ، فكل كلمة مفردة تقع فاعلا تقوم بوظيفة الفاعل ، أي أنها تدل على "الفاعلية" ، وكل كلمة مفردة تقع مفعولا تدل على المفعولية ، وكل كلمة تقع تمييزا تقوم بوظيفة التفسير والبيان وعن طريق هذه الدلالات المحددة لهذه الأبواب يمكن التمييز بين كلمات اللغة⁴

4- **الدلالة المعجمية :** يهتم علم المعاجم بالكشف عن الدلالة للكلمة وهو أول خطوة للحديث

عن الكلمة ودلالاتها ، لأن الصوتية والصرفية والنحوية تعبر دلالات وظيفية ، لكل

واحدة وظيفة خاصة تؤديها في بيان المعنى وإظهاره، ولكن لا تدرس الكلمة إنما يدرسها

المعجم. إذ يرى علماء المعاجم أن المعنى المعجمي يتكون من عناصر رئيسية هي :

1- ما تشير إليه الكلمة في العالم الخارجي.

2- ما تتضمنه الكلمة من دلالات وما تستدعيه في الذهن من معان.

3- درجة التطابق بين العنصر الأول والثاني⁵.

حتى إن تمام حسان يرى أن طبيعة المعنى المعجمي متعدد مما يعدد احتمالات القصد

¹ ينظر "علم الدلالة" ، نور الهدى لوشن ، ص 84.

² ينظر "علم الدلالة" ، فريد عوض ، ص 43 ، 44.

³ سورة القصص ، الآية 88.

⁴ "علم الدلالة" ، فريد عوض ، ص 48.

⁵ ينظر "المرجع نفسه" ، ص 49.

التي تعتبر تعدادا في المعنى¹.

5- **الدلالة السياقية:** هي التي يعينها السياق اللغوي ، وتعني البيئة اللغوية التي تحيط بالكلمة أو العبارة أو الجملة التي تستمد أيضا من السياق الاجتماعي و سياق الموقف وهو المقام الذي يقال فيه الكلام...².

فمعنى الكلمة يحدد من خلال علاقاتها بالأخرى ، فلكل واحدة معنى أساسي وآخر سياقي يحدده سياق ، فكلمة "يد" على سبيل المثال لها معنى أساسي هو ذلك العضو من جسم الإنسان وقد تصبح لها معان أخرى مختلفة³.

- أعطيته مالا عن ظهر يد ← يعني تفضلا ليس من بيع

- هم يد على سواهم ← إذ كان أمرهم واحد .

- يد الفأس ← مقبضها.

- يد الدهر ← مدة زمانه.

- يد الريح ← سلطانها.

- يد الطائرة ← جناحها.....

فالكلمات تحقق دلالتها حسب الموضع الذي ترد فيه إذ لا يمكننا تحديد المعنى اعتمادا

على التسلسل الحرفي للكلمة ، وإنما يحدد وفقا لسياقها ، وهذا ما برز عند الجرجاني عندما

إهتم بدراسة المعنى وفق نظريته المشهورة في النظم.

¹ "اللغة العربية ومعناها ومبناها " ، تمام حسان ، عالم الكتب ، ط 4 ، 2004 ، ص 323.

² ينظر " علم الدلالة " ، فريد عوض ، ص 56.

³ ينظر " علم الدلالة " ، نور الهدى لوشن ، ص 96.

III - الإستراتيجيات البلاغية والبيانية وأثرها الإقناعي:

1- الإستراتيجية التضامنية: وهي الاستراتيجية أو الآليات التي يحاول الخطيب أن يجسد ويحدد بها درجة علاقته بالمتلقي، وأن يعبر عن مدى احترامه له وذلك بتأسس الخطاب الذي يقربه منه ويجعله واثقا بأنه يميل إلى المخاطب ميلا طبيعيا خالي من أي دافع أو غرض

منفعي¹ كقول الخطيب: "أيها الإخوة الكرام" *..."، "يا أيها الأعزاء..."**، "فيا أيها الناس الكرام..."**، "أيها الإخوة المؤمنون..."***، ومن بواعث هذه الاستراتيجية مايلي²:

- تأسيس الصداقة بين طرفي الخطاب
- التركيز على حسن التعامل مع المخاطب بطريقة تحقق الأهداف.
- تحسين صورة الخطيب أمام الجمهور، إذ كان معرفا بالتشدد في آرائه مثلا.
- تفعيل التضامن بين أطراف الخطاب وتقليص دور السلطة.
- تيسير الفهم وزرع الحب بين المخاطب والمخاطب...إلخ.

وتنقسم وسائل هذه الإستراتيجية إلى:

- أ- الأدوات الموجودة في المعجم اللغوي، (كاستخدام كلمة الأخ، العم، عزيزي، السيد مبروك، أهنئك (التضامن)، أهلا وسهلا...لغير الأقارب).
- ب- الآليات وهي الشكل الخطابي، الذي يختاره المرسل في إنتاج خطابه³، مثل اللهجة التعجب والطرفة...إلخ والتي تهدف إلى إحداث التقارب بين المرسل والمرسل إليه.

¹ ينظر "استراتيجيات الخطاب"، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، ص 257، 258.

* خطبة 2013/06/14، قناة الجزائرية.

** خطبة 2013/08/09، قناة الجزائرية.

*** خطبة 2013/06/21، قناة الجزائرية

**** خطبة 2013/09/06، قناة 2M المغربية.

² ينظر "استراتيجية الخطاب"، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، ص 261.

³ ينظر "المرجع نفسه"، ص 267 وما بعدها.

2- الإستراتيجية التوجيهية: إذ هناك سياقات لا تناسبها الخطابات المرنة التي تعطي الأولوية لمبدأ التهذيب وعوامل التخلق (الاستراتيجية التضامنية)، وذلك يرجع لأسباب كثيرة، منها ما يتعلق بأولوية التوجيه على التأدب في خطابات النصح والإرشاد والتحذير خصوصاً إذا تحدثنا عن الخطاب الديني باعتباره خطاب توجيهي بالدرجة الأولى، وقد منح البلاغيون اهتماماً لهذه الاستراتيجية في علم المعاني فكان الأول الخبر¹ والثاني الطلب (الأمر، الاستفهام، النهي، النداء... الخ)².

إذا عدت هذه الوسائل اللغوية من الاستراتيجيات التوجيهية التي تحقق الإقناع في أي خطاب موجه، فكان منها ما يلي:

1- الأمر بأدواته المختلفة: صنفه الكثير من المحدثين على أنه من الأساليب التي تفيد توجيه المخاطب (المستمع)، و "هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والالتزام"³. وتفاوتت تعريفات الأمر بالنظر إلى أكثر من عنصر، مثل دلالة بعض أدواته، أو اعتبار القرائن الأخرى بما فيها رتبة المخاطب، وتناولوا متى يعدّ الخطاب أمراً ومتى يخرج إلى مقاصد أخرى، وعلى الرغم من أن العلماء الأوائل يكادون يجمعون على أن حد الأمر هو استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه، إلا أن صيغته الأصلية هي فعل الأمر " أفعل". وفي فعل الخطاب لا بدّ أن تتواكب صيغة الأمر بسلطة المخاطب المرسل (الأمر)⁴، وإلاّ خرج الأمر عن معناه في التوجيه إلى مقاصد أخرى.

¹ الأسلوب الخبري هو الأساس الذي يبنى عليه الخطاب، فهو إفادة المخاطب بالحكم الذي يتضمنه الخطاب، وهو يحتمل الصدق والكذب وإحتمالهما يكون بالنظر إلى مفهوم الكلام الخبري ذاته، ويرى البلاغيون أن أغراض الخبر هي: أ- إفادة المخاطب بالحكم وما تتضمنه الجملة ويسمى فائدة الخبر، ب- إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بهذا الحكم ويسمى ذلك لازم الفائدة، ينظر، "مفتاح العلوم"، سراج الدين، أبو يعقوب، مصطفى اليالي الحلبي، القاهرة 1937م، ص 79-80 وربما هذان الغرضان يتعلقان بمجرد التواصل، وهو الهدف العام للكلام العادي الذي يرى البحث البلاغي أنه قد يتجاوز ذلك أحياناً لأغراض أخرى تفهم من سياق الكلام، ك:
- إظهار التحسر كقول أم مريم عليها السلام: "رب إنني وضعتها أنثى" تتحسر، لأنها كانت تود لو كان ذكراً.
- إظهار الضعف: قال ربي إنني وهن العظم مني وأشعل الرأس شيباً"، آل عمران آية 36، فزكريا عليه السلام لا يريد أن يخبر الله تعالى بحالة، فهو يعلم ما يخفى وإنما القصد إظهار الضعف.
- الوعظ والإرشاد كقوله تعالى: "كل من عليها فان"، سورة الرحمان، الآية 26، رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية، سعد أبو رضا منشأة المعارف، الإسكندرية 1992، ص 90.

² ينظر "استراتيجيات الخطاب"، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، ص 257، 258.

³ ينظر "علم الدلالة"، مجيد ما شطة، دار المحبة دمشق، دت، د ط، ص 29.

⁴ ينظر "استراتيجية الخطاب"، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، ص 340، 341.

كما أن التوجيه باستعمال صيغة الأمر ليس تابعا للمواضعة اللغوية فقط، وإنما المعوّل عليها هو إتفاقها مع سلطة المرسل، بشرط أن لا تتعارض مع سلطة أعلى منه مرتبة، ومثال ذلك فإنه لو أمر خطيب بمنكر أو نهى عن معروف، فإن خطابه لن ينال القبول، لأن في هذه الحالة فإن خطابة يتعارض مع سلطة أقوى من سلطته، وهي سلطة تعاليم الدين، فالأمر بالمنكر أو النهي عن معروف، ضد لما أمر الله به وما نهى عنه.¹

ولأن الأمر يعد من أكثر الأساليب التي يستعملها المرسل في الاستراتيجية التوجيهية فإنه يمكن التفصيل فيه بعض الشيء، وذلك بذكر أدواته وآلياته.

أما عن صيغته فيكون إما²:

- فعل أمر إفعال — خذ من أموالهم صدقة.

- المضارع المقرون بلام الأمر — عليكم أنفسكم.

- المصدر النائب عن الفعل — وبالولدين إحسانا.

وصيغة الأمر الأصلية "إفعال"، هي من الصيغ الدالة على الأمر ظاهرة في الطلب لهذا فإن كلام الخطيب على هذه الصيغة في إصدار الأمر تكون أكثر وضوحا وإثباتا لأنها لا تحتل غير الوجوب.

قد يخرج الأمر عن معناه الأصلي (طلب الفعل) إلى عدد من المعاني منها :³

- الدعاء: "اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ".

- الالتماس: "...وَأَرِنَا الْبَاطِلَ وَارْزُقْنَا إِجْتِنَابَهُ إِنَّكَ نِعَمَ الْمُجِيبِ".*

- التمني: "يَا رَبَّ السَّمَوَاتِ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا وَقَلْبًا خَاشِعًا...".

- النصح: "وَعْمَلُوا بِدِينِكُمْ، وَنَفُذُوا أَوْامِرَ رَبِّكُمْ".**

¹ ينظر "استراتيجية الخطاب"، عبد الهادي بن ظافر الشهيري"، ص342.

² ينظر "من علم الدلالة"، مجيد ما شطة، ص 29

ينظر "البلاغة العربية تأصيل وتجديد3"، مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1992، ص 21،
22³.

* خطبة 2013/06/21، قناة السنة النبوية

** خطبة 2013/07/05، قناة الجزائرية3.

*** خطبة 2013/08/09، قناة الجزائرية.

**** خطبة 2013/09/27، قناة أزهر المصرية.

***** خطبة 2013/06/14، قناة الجزائرية.

- الإباحة: "كُلُوا واشْرَبُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ"***.
- التعجيز: "فاتوا بسورة من مثله"****.
- التهديد: "أَنْذِرِ الْكَافِرِينَ بَعْدَابِ النَّارِ"****.
- التسوية: " فَهَنِيئًا لِمَنْ عَمِلَ لِنَيْلِ هَذِهِ الْمَكَافَأَةِ طَوْعًا أَوْ إِكْرَهًا، فَفَازَ بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ"*.
ويعتمد الخطيب في استعمال هذه المعاني على كفاءة المخاطب اللغوية والتداولية في تأويلها التأويل المناسب وفهم قصده من الخطاب.

2- النهي: وهو كالأمر يصدر من صاحب المرتبة الأعلى إلى من هو دونه في ذلك، فهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وللنهي صيغة أصلية، يتلفظ بها المتكلم في خطابه وهي حرف واحد "لا" الجازمة في قوله: "لا تفعل"¹.

واستخدام هذه الصيغة في الخطاب الديني دليل "صريح" على حرص الخطيب على بلوغ قصده التوجيهي للمتلقين، وأن يفهموا منه حرصه الشديد على التقيد بوصايا الشرع وعدم مخالفتها، وهي لا تحتل تأويلا غير معناها الحرفي.

كما قد يستخدم الخطيب "لا" الناهية مع "نون التوكيد" في الفعل المضارع كقوله "لا تدخلن في مشورتك جاهلا يعدل بك عن الفضل"^{**}، فهو هنا يستعمل صيغة الأمر مع زيادة نون التوكيد، وذلك مؤشر تداولي على أن النهي هنا يعلو النهي السابق (بلا)، لأن فيه تأكيدا والتأكيد دلالة على معرفة الخطيب بالمخاطبين وبعناصر السياق معرفة جيدة².

كما أن هناك ألفاظ معجمية يستعملها الخطيب للنهي وتسمى ألفاظ النهي منها : حرم وحظر، ومنع ، ونهى...ومشتقاتها.

من هنا نجد أن للنهي طبقات على السياق التداولي، وذلك بمعرفة خصائص المخاطب كذلك أهمية الأمر المنهي عنه.

وقد يخرج النهي عن معناه الأصلي إلى معان أخرى منها ما يلي:³

* خطبة 2013/06/14، قناة الجزائرية.

¹ ينظر "استراتيجيات الخطاب" ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، ص 349.

** خطبة 2013/07/19، قناة المغربية M 2.

² ينظر "استراتيجيات الخطاب" ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، ص 350.

³ ينظر " من علم المعاني إلى علم الدلالة"، مجيد كاشطة، ص 30.

*** خطبة 2013/06/02 ، قناة السنة النبوية.

**** خطبة 2013/09/06 ، قناة المغربية M 2.

- الدعاء: "رَبَّنَا لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ***".

- الالتماس: "يا ، ابن آدم ، لا تأخذك الدنيا بجمالها وزخرفها"****.

- التمني: "يا قلب لا تنثر آساک".

- النصيح: ولا تقفوا فيما يغضبه عليكم*.

- التوبيخ: "لا تطل لسانك ولا تنطق إلا فضلا"**.

- التبييس: "لا تعتذر وقد كفرتم بعد إيمانكم".

- التهديد: "لا تقلع عن عنادك".

فالنهي يمكن وصفه أنه درجات في المعاني والدلالات وحتى الطبقات، فإن الخطيب يختار منه ما يوافق الموقف والقصد.

3- الإستفهام : تعد الأسئلة في الخطاب من الآليات التوجيهية، كونها توجه المخاطب إلى

ضرورة واحدة وهي الإجابة عليها من جهة، ويستعملها الخطيب للسيطرة على مجريات الأحداث من جهة أخرى.¹

والاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن يعرفه المتكلم، وقد يراد به التصور، أي معرفة الفرد، أو التصديق.²

وتقسم وظائف السؤال إلى عدة أقسام بلغت "ستة عشرة"، ووظيفة، وذلك حسبما يتطلبها السياق.

إذ تتراوح الأسئلة من تلك التي تبحث عن معلومات من المخاطب إلى تلك التي توصل معلومات من المخاطب إلى المخاطب، فهي تتوزع من حيث الوظيفة إلى أربعة أصناف كبرى وهي:³

(1)- الوظائف الخارجية: وهي تكون إما تقصد البحث عن المعلومات العامة، الاجتماعية الإشارية...

* خطبة 2013/06/02 ، قناة السنة النبوية.

** خطبة 2014/03/14 ، قناة الشروق نيوز.

¹ ينظر "استراتيجيات الخطاب" ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، ص352.

² ينظر " البلاغة العربية تأصيل وتجديد"، مصطفى الصاوي الجويني، ينظر، " الجملة العربية والمعنى"، فاضل السامرائي ، 104.ص 21، 22.

³ ينظر "استراتيجيات الخطاب" ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، ص353، 354.

(2)- وظائف الحديث: وهي ثلاث تكون إما توضيحا للمعلومات، أو إعادة أو تأكيد لها

(3)- وظائف العلاقة بين طرفي الخطاب: وهي وظيفة تركيز الحوار، المعلومات المشتركة المعلومات القولية (وهي التي تمثل الوظيفة الاتصالية للغة عند جاكبسون)، وأخيرا وظيفة توسيع الخطاب.

(4)- وظائف أسلوب التعبير: وهي الوظيفة التعليمية، البلاغية ، وظيفة توجيه الذات والكلام التقريري.

أما المعاني التي قد يخرج الاستفهام بها عن هدفه الأصلي،- وهو طلب العلم بالشيء لم يكن معلوما من قبل - فهي: ¹

- النفي: "وما ينفع القول إذا لم يحققه العمل" ؟

- التعجب: " فاعجب كيف تحوّل في لحظة"؟

- التقدير: "ألم تكن رضيعا فرعتك"؟

التعظيم: "فهلّا تلقينا بالرضى والقبول والاقتراء هذه اللطائف والروائع من سير الأنبياء والرسل"؟.

- الاستبطاء: "إلام الخلاف بينكم"؟

- الاستعباد: "أين الرجولة وأين الإباء وأين الشّمم"؟

- الإنكار: "أنلزمكم بها وأنتم لها كارهون"؟

- التهكم: "ما لكم لا تعتبرون"؟

- التسوية: "أقريب أم بعيد ما توعدون"؟

- الوعيد: "ألم ترى كيف فعل ربك بأصحاب الفيل"؟

- التشويق: "أتعرفون لماذا هذا العناد والتّماذي" ؟

- النهي: "أتقول أفٍ للتي حملتكَ وهن على وهن"؟.

¹ ينظر " من علم المعاني إلى علم الدلالة"، مجيد عاشطة، ص 32. والأمثلة مأخوذة من :

* الأمثلة مأخوذة من خطبة 20/09/2013، قناة الجزائرية 3.

و 05/07/2013، قناة إقرأ.

و 06/09/2013، قناة إقرأ.

كل هذه المعاني تفيد المخاطب في تحقيق الاستراتيجية الإقناعية كونها تصنف على أنها خطابات توجيهية تحفز المخاطب على التلّف بخطابه وهذا هو مسوّغ تصنيفها.

4- التحذير: يعد أسلوب التحذير من آليات التوجيه أيضا والتي يستخدمها الخطيب رغبة في تحقيق التأثير في المخاطب، لأنه يعطى خطابه قبولا من خلال حضور الصراحة التي تدل على أنه صادق في توجيه كلامه، وبالتالي يكسب ثقة المخاطبين.¹ كقول الخطيب: "فاحذر الدنيا، فهي دار مليئة بالعبر، وشؤونها تتقلب، وأحوالها تتقلب، فلا تستقر على حال...*" وقوله: "وإياكم من الغيبة والنميمة وإفشاء الأسرار."**

ويكون إنجاز فعل التحذير بهذه الأساليب من باب أفعال النصح الضمني للمرسل ويتكون الخطاب في أساليب التحذير، من ثلاث عناصر:²

- المرسل، المخاطب، المحذّر الذي يوجه الخطاب.

- المرسل إليه المخاطب، المحذّر.

- المحذور ، أي المحذّر منه.

5- الإغراء : له بدوره عمل توجيهي مضاد للتحذير، فإن كان هذا الأخير توجيه إبعاد ، فإن الأول توجيه تقريب، لأن الإغراء هو أمر المخاطب بلزوم ما هو حميد، والكفاءة التداولية هي الفيصل في تحديد قصد المرسل في كلا الخطابين اعتماد في ذلك على مخزون القوالب الاجتماعية والعرفية والمنطقية والثقافية، بما فيها البعد الديني ويأخذ في الأحكام والأدوات ما يخذ التحذير.³

6- التحضيض والعرض: قد يوجه المخاطب والمُخاطَب إلى فعل شيء في المستقبل، والدافع إلى ذلك هو فعل سبق أن قام به المخاطب في الماضي، ولكنه كان من وجهة نظر المخاطب عملا ناقص وقاصر، عندها يوجه إليه الطلب بشدة وعنف يظهر غالبا في نبرة صوته، وهذا

¹ ينظر "استراتيجيات الخطاب" ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، ص 355.
* خطبة 2013/09/06 ، قناة إقرأ.

** خطبة 2013/07/19، قناة 2M المغربية.

² ينظر "استراتيجيات الخطاب" ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، ص 355.

³ ينظر " المرجع نفسه ، ص 358.

ما يعرف بالتحضيض¹، من أدواته هلاً ، لولا ، ألا ، لو ، ما... وهي تفيد كلها التحضيض والحث، مثل قول الخطيب: "أَلَا تُقَرُّ بِذَلِكَ عَلَيْهَا..."*

وقولك: "أَلَا تَأْتِي أَبَاكَ فَتَطْلُبُ مَغْفَرَتَهُ"، فهذا حض إلى المخاطب على أن يقوم بفعل في المستقبل وهو الذهاب إلى أبيه لطلب المغفرة.

7- النداء: هو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد الحروف المخصوصة، ينوب كل حرف منها مناب الفعل "أدعو"²، وهو يعد من الأساليب التوجيهية التي تحفز المرسل إليه لردّه فعل اتجاه المرسل (الخطيب)، وأدواته كثيرة، منها: الهمزة، أي ، يا ، هيا ، أيا. وقد يخرج النداء إلى معان بلاغية عديدة منها:³

- الاستغاثة: "اللَّهُمَّ يَا رَبَّ مُحَمَّدٍ... إِهْدِ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ سَوَاءَ السَّيِّئِينَ"***

- الندبة: واحسرتاه، على من لا يخاف الله.***

- التعجب: "يَا وَيْلَكَ مَا أَطْعَاكَ وَأَكْفَرَكَ"****

- الإغراء: "أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ اْعْمَلُوا بِدِينِكُمْ... فَتَجْزُنَ خَيْرَ جَزَاءٍ، جَنَاتٍ عَرْضَهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ".*****

وقد يستعمل الخطيب إضاقه إلى هذه الأساليب في التوجيه بعضا من الألفاظ المعجمية التي تدل على التوجيه، اعتماد على النصح تارة وعلى الوصية تارة أو التوسّل أو المناشدة... وغيرها كثير، مثل لفظ الوصية بتقلباتها الصرفية المختلفة، وأنشد، أناشد، أحنك أنصحك... إلخ.⁴

كما يعد أسلوب ذكر العواقب أيضا من الأساليب المباشرة في تحقيق التوجيه، يستعمله

الخطيب ليوجه المخاطب وفق ما يريده، بذكر العواقب المترتبة عن ذلك الفعل⁵

" استراتيجيات الخطاب " ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، "ص،358

* خطبة 2013/07/26، قناة الشروق نيوز.

² ينظر " من علم المعاني إلى علم الدلالة"، مجيد عاشقة، ص 33

³ ينظر " فن الإلقاء"، محمد عبد الرحيم عدس، ص 39.

** خطبة 2013/07/05، قناة إقرأ

*** خطبة 2013/06/14، قناة الجزائرية

**** خطبة 2013/07/26، قناة الشروق نيوز.

***** خطبة 2013/08/09، قناة الجزائرية.

⁴ ينظر " استراتيجيات الخطاب " ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، ص 360، 361.

⁵ ينظر " المرجع نفسه "، ص 361-364.

3- الاستراتيجية التلميحية: إن اللغة كقيلة بالتعبير عن قصد المخاطب في كافة المستويات ومنها الدلالي، إذ لا يستطيع المخاطب أن يعبر عن معانيه وفق استراتيجيتين إما شكل اللغة الدلالي المباشر، بما يتطابق ومعنى الخطاب ظاهرياً، وإما أن يلمح عن القصد بلغة منزاحة عن الواقع مناسبة للسياق، لينتج دلالة يستلزمها الخطاب ويفهمها المخاطب وفقاً لمقتضيات سياقية.

أما الاستراتيجية المباشرة يتضح فيها القصد مباشرة دون عمليات ذهنية للاستدلال عليها، أما فهي التلميحية فهي غير مباشرة تحتاج من المخاطب إلى عمل ذهني يتجاوز فيه الشكل اللغوي للوصول إلى القصد لأن المعنى في هذه الحالة هو معنى باطني.¹

وعليه فيمكن تعريف الاستراتيجية التلميحية "بأنها الاستراتيجية التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغير الخطاب الحرفي لخطابه، لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمراً في ذلك عناصر السياق"²، ومثال ذلك قول الخطيب: "والمدرسة هي الحاضن الثاني الذي تتلاقى عنايته مع الحاضن الأول الأم...".*

ويختار الخطيب هذه الاستراتيجية إستجابة لدوافع سياقية تجعله يتجاوز استعمال

الخطاب المباشر منها ما يلي:³

- 1- التآدب في الخطاب.
- 2- إعلاء المرسل لذاته وإضفاء التفوق على شخصيته.
- 3- رغبة المرسل في التملص والتهرب من مسؤولية الخطاب بجعله يحتمل أكثر من تأويل.
- 4- العدول عن محاولة إكراه المرسل إليه، وإحراجه لإنجاز فعل قد يكون غير راغب فيه بمنحه فرصة للرفض والمناورة باللغة.
- 5- الإكتفاء بإنتاج خطاب واحد يؤدي معنيين هما الحرفي والمستلزم في الآن نفسه.

وحتى لا يكون خطاب المتكلم مآله الفشل وفقاً لهذه الاستراتيجية، لا بدّ من توفر بعض

الشروط التي تتجاوز ما يتطلبه فهم الخطاب المباشر، لما فيها من تجاوز للكفاءة اللغوية

¹ ينظر "استراتيجيات الخطاب"، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، ص 369.

² "المرجع نفسه"، ص 370.

* خطبة يوم 2013/07/05، الجزائرية 3.

³ ينظر "استراتيجيات الخطاب"، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، ص 378.

البحثة إلى معرفة بعض الأبعاد الأخرى المتعلقة بالسياق منها ما يلي:¹
- إمتلاك مهارة العمليات الذهنية في الكفاءة التداولية لإنتاج الخطاب المناسب للسياق.
- معرفة الأبعاد الثقافية والمعلومات المشتركة والخلفية المخزنة لدى كل من أطراف الخطاب.

ومن الخطوات التي على المرسل أن يسلكها عند التلفظ بخطابه التلمحي مايلي:²
(1)- أن يدرك أن معنى الخطاب الحرفي لن يناسب السياق ولن يعبر عن القصد المراد، فيختار التعبير وفق الاستراتيجية التلمحية.
(2)- يبحث عن مناسبة ينتج بها خطابا ليبلغ قصده.
(3)- يختار الآلية التي تؤدي المعنى المراد من الخطاب والمغاير للمعنى الحرفي.
وقد تعدد الآليات التلمحية منها الإستعارة والمجاز والكنائيات والتشبيه والتهمك و...كل أنواع التلميحات التي تعبر عن إرادة الخطيب أو معانيه في التواصل دون التصريح بها مباشرة.

¹ ينظر " استراتيجيات الخطاب " ، عبد الهادي بن ظافر الشهيري " ،ص378.

² ينظر "المرجع نفسه" ،ص 384.

المبحث الثالث

I – الإستراتيجية التلميحية وأثرها الإقناعي:

يعد المجاز* من الاستراتيجيات التلميحية التي يستخدمها الخطيب في تحقيق التأثير فيستثمر فيه كفاءته التداولية عند انتاج كلامه، مدركا أن هناك طرق عديدة للتعبير عن المقاصد والمعاني.

* الكلم في الحقيقة والمجاز لا يعني فيه القول المختصر والعبارة الموجزة، لأنهما من أمهات المسائل التي تفرعت عنها مسائل كثيرة في علم البيان ، ينظر، "فلسفة المجازيين البلاغة العربية والفكر الحديث، لطفي عبد البديع، مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العالمية لنشر ، لونجمان، ط1، 1997م، ص3.

وإذا اتبعنا نشأة الحقيقة والمجاز فإننا نجد الجاحظ من الأوائل الذين تعرضوا لبحث هذا الموضوع، إذ يقول: "وإذا قالوا أكله الأسد فإنما يذهبون إلى الأكل المعروف، وإذا قالوا: أكله الأسود فإنما يعنون النهش واللدغ والعض فقط، وقد قال جل جلاله: (أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) سورة الحجرات ، الآية 12.

أ- الحقيقة: هي إما "فعل" بمعنى مفعول من قولك حققت الشيء أحقه، إذا أتيت، أو فعيل بمعنى فاعل من قولك: حق الشيء يحق إذا أثبت ، أي المثبتة أو الثابتة أو الثابتة في موضعها الأصلي ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، تح : محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجبل بيروت ، ط3، 1414 هـ - 1993م ، ج1، ص 4.

وهي بالمفهوم الأعم اللغة المنطقية المعجمية من مفردات وتراكيب يستخدمها المتكلم في فن القول وأساليب المحادثة من شرح وتأليف وتعليق، أو وصف واستفهام وتمن أو أمر ونهي وما شابه من الأساليب التي ينشد منها الحق.

ويعرف الشريف الجرجاني (ت 834هـ) الحقيقة في المفرد بقوله: "كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع- وإن شئت قلت: في مواضعه - وقوعا لا يسند فيه إلى غيره فهي حقيقة ، والملاحظ أنه علق على ذلك بأن "ما وقعت له في وضع واضع" أنها تأخذ في حسانها الوضع الأول وما تأخر عنه بعد ذلك ، كأن تستحدث قبيلة من القبائل لغة، أو تلك الأعلام المنقولة (كزيد وعمرو)، ويرى أنه اشترط هذه الشروط في هذا الحقيقة لأن وصف اللفظة بأنها حقيقة أو مجاز حكم فيها من حيث أن لها دلالة على الجملة فقط لا من حيث هي عربية أو غير عربية ، سابقة أو محدثة، ينظر، "أسرار البلاغة" ، الجرجاني، ص 303.

فقد جاء عن الكلام أنه ضربان ، ضرب تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضرب آخر تصل به إلى الغرض بدلالة اللفظ على المعنى الذي يقتضيه في اللغة أولا، ثم تجد لذلك المعنى معنى آخر يحمل دلالة ثانية، تصل من خلالها إلى المعنى المقصود، ينظر، "دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني"، تع محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1، 1425 هـ-2005م، ص 178، 179، أي "...أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفرض بك ذلك من المعنى إلى معنى آخر..." فالضرب الأول هو الحقيقة الثاني هو المجاز.

كما أن المجاز* يعد مسلكاً لغوياً دلالياً سلكه القرآن الكريم في التعبير عن المعاني، وهو يدخل في إطار طرق اختلاف الدلالات التي سنها كلام الله عزّ وجلّ والتي تقوم على أن اللفظ يحمل المعنى الذي أراده الله للناس توسعاً منه سبحانه وتعالى، ومراعاة لمصالحهم على حسب تباين أزمته وأمكنهم¹

ولأن إقتداء الخطيب في أسلوب سن كلامه مصدره الأول القرآن الكريم، إرتأيت أن أخصص مبحثاً في دراسة هذا الأسلوب التلمحي الذي كثيراً ما يكون وارداً في الخطاب الديني والذي تكمن إشكاليته في إثارة العلاقة بين الدال والمدلول مما يؤدي إلى ما يسمى بالتعدد الدلالي، فما أثر المجاز اللغوي في الخطاب الديني باعتباره من الاستراتيجيات الإقناعية؟

* المجاز لغة: جاء في تعريف ابن الأثير (ت 637) "وأما المجاز فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة وهو مأخوذ من جاز من هذا الموضوع إلى هذا الموضوع، إذا تخطاه إليه...وحقيقته هي الانتقال من مكان إلى مكان، فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محل إلى محل...". المثل الشائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح نصر الله ضياء الدين ابن الأثير تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الياسي الحلبي وأولاده، مصر، 1358 هـ - 1939 م، ج 1، ص 58. أما ابن منظور (ت 711 هـ) فقال: "تجاوز عن الشيء أغضى، وتجاوز فيه أفرط...والتجوز في كلامه أي تكلم بالمجاز وقولهم جعل فلان ذلك الأمر مجازاً إلى حاجته أي طريقاً ومسلكاً. لسان العرب، ابن منظور، مج 3، ج 3، ص 239. أما القزويني (ت 739 هـ) فقال: "والمجاز قيل مفعول، من جاز المكان يجوز، إذا تعداه، أي تعدت موضعها الأصلي، وفيه نظر، والظاهر أنه من قولهم: جعلت كذا مجازاً إلى حاجتي أي طريقاً له على أن معنى جاز المكان: سلكه...". الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ج 5، ص 16.

وذكر عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) في كتابه: "المجاز مفعول من جاز الشيء يجوزُه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة، وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوه به موضعه الأصلي، أو جازوه مكانه الذي وضع فيه أولاً". أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص 342. فمن التعريفات اللغوية السابقة يتبين لنا أن المجاز ما هو إلا تجاوز، والتجاوز هو أن يتعدى اللفظ المعنى الذي وضع له في اللغة إلى معنى آخر لغرض من الأغراض، ينظر المجاز وأثره في الدرس اللغوي، محمد بدري عبد الجليل، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، 1406 هـ - 1986 م، ص 39.

- اصطلاحاً: عرفه الشريف الجرجاني (ت 843 هـ) قائلًا: "هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له بالتحقيق في اصطلاح به التخاطب مع قرينة مانعة عن إرادته، أي إرادة معناها في ذلك الاصطلاح"، ويضيف الجرجاني في كتابه (471 هـ)، "دلائل الإعجاز"، عن معنى المجاز اصطلاحاً في عنوان "في اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره. "اعلم لهذا الضرب اتساعاً وتفناً لا إلى غاية، إلا أنه على اتساعه يدور في الأمر الأعم على شينين: الكناية والمجاز". دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 59.

أما ابن قتيبة (276 هـ) فقد وسع في مفهوم المجاز فنراه يقول: "للعرب المجازات في الكلام ومعناها طرق القول ومأخذه، ففيها الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير، والحذف والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعويض، والإفصاح والكتابة، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والجميع خطاب الإثنين، والقصد بلفظ الخصوص معنى العموم، ولفظ العموم بمعنى الخصوص، مع أشياء كثيرة"، تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، شرح السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط 2، 1393 هـ - 1973 م، ص 20-21.

¹ ينظر، "الدلالة اللغوية وتأويلها في النص القرآني لذي الأشاعرة"، عربي أحمد، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة السانية، وهران الإشراف أحمد عزوز، 2003، 2004، ص 75.

1- التحليل الدلالي للمجاز :

المجاز من الأشكال البلاغية التي تعتبر "صيغا يبتعد فيها القول بدرجات متفاوتة في مسافتها قريبا وبعدا عما يمكن أن تكون عليه العبارة البسيطة الشائعة"¹ فهو يخلق باستمرار معاني جديدة عن طريق تغيير المعنى واستبدال الكلمات، فتحل كلمة مكان أخرى لوجود علاقة دلالية تربطها وتوافقها في بعض العناصر المتشابهة فيما بينها²، ومثال ذلك كأن يصف شخص خطيب بأنه "عالم"، فالمتلقي سيدرك دون تردد معنى كونه المعرفة عظيمة والدراية ، لأن المتكلم جعل كلمة "عالم" مكان كلمة "خطيب" توسعا في المعنى، فلكثرة علمه وروعة آدائه لم يجد المتكلم أن ذكر هذه الصفات بألفاظها يوفي بما يختلجه من شعور وإحساس، ولكن عندما قال "عالم" أدركنا مقدار الاتساع والانزياح الذي لجأ إليه ليبين مدى إعجابه وانبهاره بالخطيب.

فدلالة الكلام على معناه دلالة عرفية متواضع عليها يدركها أبناء اللغة على حد سواء ومن ثم هي وسيلة للتواصل بين المتكلم والمستمع، فالأول يعتمد عليها في تشكيل الرسالة ويستند عليها الأخير في حلها وفهمها.

وكون المعرفة الإنسانية تتغير وتنمو باستمرار وخبرات الأفراد تتعدل كلما مضى الزمن لتوالي عمليات الاتصال وتعددها فإن مدلولات الأشياء والمفاهيم تتغير وتتطور أيضا.³ وإذا كان هناك من "... لا يعترفون بمشروعية هذا التطور فإنهم لم يدركوا دينامية المجازات التي يتم تعريفها بملاحظة التغير..."⁴ فهم بذلك يتجاهلون أن "تمة خاصة أخرى للعلامات اللغوية نابعة من خاصيتها السيمانتيقية، وهي قدرتها على التحول على مستوى المدلول لكي يصبح بدوره علامة من نوع آخر تشير إلى مدلول آخر فيما يعرف بالتحول الدلالي في أنماط المجاز المختلفة"⁵.

¹ "بلاغة الخطاب وعلم النص"، صلاح فضل، ص 257.

² ينظر "المرجع نفسه" ص 270.

³ ينظر "الاتصال ووسائله في المجتمع الحديث"، حيزي خليل الجميلي، المكتب العلمي للكمبيوتر، الإسكندرية، ص 10.

⁴ "بلاغة الخطاب وعلم النص"، صلاح فضل، ص 182.

⁵ "إشكاليات القراءة وآليات التأويل"، نصر حامد أبو زيد، ص 86-87.

فالمجاز هو انتهاك لطبيعة الأسلوب وانحراف الكلام عن نسقه المثالي المؤلف في الأداء العادي إلى مستوى إبداعي يعتمد على اختراق هذه المثالية¹ بعدول الخطيب عن المعنى الأصلي للفظ ونقله من سياق إلى آخر لغرض من الأغراض التي يريدها دون التصريح بها، ثم إن المجاز نموذج من نماذج تبدل المعنى وتطور الدلالة لأنه "استخدام اللفظ في غير ما وضع له، أي إكساب اللفظ معنى جديد عدا المعنى القديم الذي كان، وهو المعروف دلالياً بانزلاق المعنى"².

فمن هنا نتبين نوعين من المعنى للفظة الواحدة، وهما "المعنى المنطقي" و"المعنى النفسي"، فالمعنى "المنطقي" هو المعنى الذي وضع في القاموس، ويكاد يكون فهمه مشتركاً بين جميع الأفراد، أما المعنى "النفسي" فهو المعنى الجديد المحدث المتطور المنزاح الذي يحمله المتكلم للفظة ذاتها والنتائج عن تكوين شخصيته وظروفه المؤثرة فيه، وهو معنى يختلف من متكلم إلى آخر لاختلاف تصوراتهم الذهنية على المعاني التي تؤديها ألفاظ لغتهم، ولعل هذا ما ينتج عنه أن فهم الكلمة الواحدة ملون بثتى الإيحاءات التي تضيف عليها معاني تضاف إلى معناها الأصلي³.

وقصارى القول إن المجاز سبيل من سبل التطور الدلالي، فبالإضافة إلى أنه مجرد اللفظة من مدلولها الأصلي فيزيحه عنها، فإنه بالمقابل يكسبها مدلولاً جديداً لم يكن لها من قبل.

1-1- اللفظ والمعنى في التراكيب المجازية:

لقد سبقت الإشارة إلى العلاقة بين اللفظ والمعنى في اللغة -بين اللفظ والدلالة- وقلنا أنها من البحوث الأكثر عناية من قبل الدارسين، كون محيط الإنسان مجموعة من العلامات

¹ ينظر "البلاغة والأسلوبية"، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لوحماني، ط 1، 1994. ص 268.

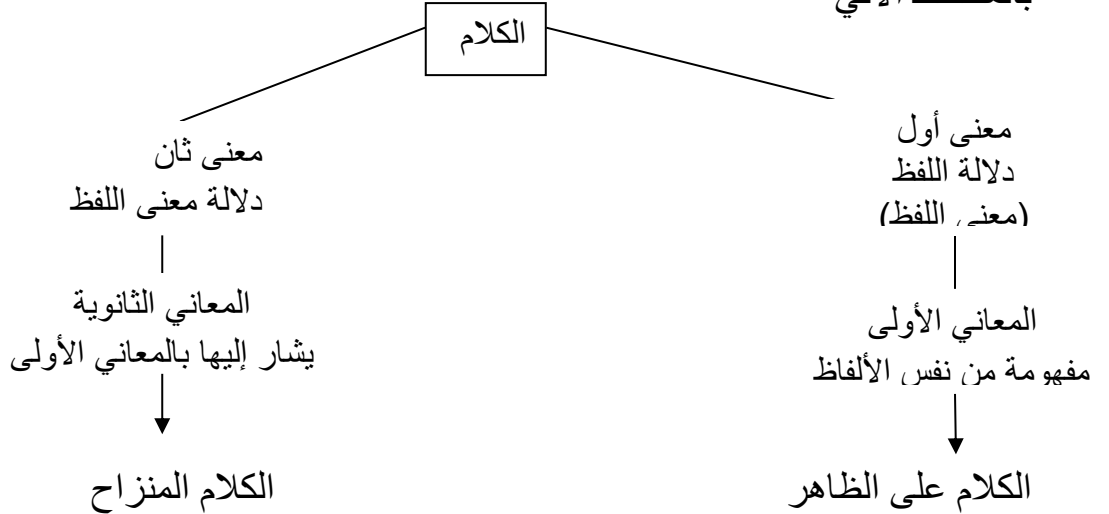
² "العلاقات الدلالية والثرات البلاغية العربي، دراسة تطبيقية"، عبد الواحد حسن الشيخ، ص 20.

³ ينظر "مدخل إلى التحليل اللساني، اللفظ، الدلالة"، السياق، العربي قلايلية، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ب ت، ص 20-21.

الدالة و "لما كانت المعاني إنما تتبين بالألفاظ"¹ فإن الألفاظ إنما جاءت لباسا ومرآة لهذه الدلالات.

والكلام على حد قول الجرجاني (ت 471 هـ) ضربان "ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ... وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض"² والضرب الثاني لا يفهم إلا بعد الأول: " ... ولهذا يحتاج إلى دليل، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ، فالحقيقة أظهر، والمجاز أخفى، وهو مستور بالحقيقة"³. كما جاء قوله تعالى: « وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ »⁴، فاللسان هنا بمعنى أصلي وهي جارحة في الإنسان

ومعنى خفي — بمعنى الذكر، والعلاقة بين المعنيين آلية، لأن اللسان آلة للذكر الحسن. وفقا لتصور عبد القاهر الجرجاني، فإن الرسالة تتموج و تنحرف وعلى المتلقي أن يضبط موجاتها الدلالية لأن المعنى الأول يتحول إلى دليل للمعنى الثاني ويمكن إدراك ذلك بالمخطط الآتي⁵



¹ "دلائل الإعجاز"، عبد القاهر الجرجاني، ص 58.

² المرجع نفسه، ص 178.

³ "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، ابن الأثير، ج 2 ص 196.

⁴ سورة الشعراء، الآية 84، خطبة 2013/10/04، قناة الجزائرية الأرضية.

⁵ "ينظر" شعرية الانزياح، دراسة في جماليات العدول، حمر خيرة العين، بحث لنيل درجة دكتوراه في النقد العربي المعاصر، جامعة وهران، معهد اللغة العربية وآدابها، إشراف عبد الله بن حلي، 1998-1999، ص 84.

فاللغة المنطوقة تنتقل من المادية إلى المعنوية، فالمعاني الأولى التي يحددها الاستعمال اللغوي -المعجم- يكشف أوليتها وهذا هو المعنى الأول الظاهر، أما الثاني فهو خلافه، إذ يندرج تحت المعنى الظاهر معان كثيرة أخرى بحسب الأدوات والألفاظ والتراكيب التي يستعملها المتكلم التي من خلالها يدفع المتلقي إلى التفريق بينهما، فيدرك بذلك طبيعة اللغة وهي مجردة من الظروف والملابسات وما تقتضيه من تغير في مجرى التعبير ولا شك أن اللغة بهذا الاعتبار تختلف في الاستعمال، فالعالم المعنى بالحقائق الحريص على إجلائها لا يستعمل إلا الدلالات الأولى أو الدلالات الثانية بعد أن تطورت واستقر بها الاستعمال فأصبحت حقيقة متعارف عليها في بيئته العلمية، أما الأديب فإنه يعنى بالمعاني الثانية لارتباطها أكثر بالحالات النفسية والاجتماعية، ويرى فيها السبيل الأنسب للتعبير عن ذلك.

وتعطي الأسبقية كما رأينا للمعاني التي تأتي الألفاظ تابعة لها في الواقع الكلامي، غير متناهية، بعكس الألفاظ، ولهذا يلجأ المتكلم -غالبا- إلى توظيف الانزياح الدلالي لسد ثغرة دلالية لا يوجد -حسب رأيه- ما يوافقها في المعجم وهو سبيل من سبل الاحتيال على اللغة يمارسه المتكلم ليخفي عجزه وعجزها على حد سواء¹ فهو يرى أن المعنى أكبر من أن يجنح إليه المتلقي من ظاهر لفظه، بل يتركه يتحمل العناء ليلبغ، وحتى يكون له ذلك لا بد له من ترجيح المعاني التي تتصور له، ولن يكون ذلك بالأمر اليسير على حد قول ابن الأثير: "وهذا الفصل هو ميزان الخواطر الذي يوزن به نقد درهما ودينارها، بل المحك الذي يعلم منه مقدار عيارها، ولا يزن به إلا نو فكرة متقدمة، ولمحة منتقدة، فليس كل من حمل ميزانا سمي صرافا..."²، والمقصود هنا الترجيح بين المعاني سواء بين الحقيقة والمجاز أم بين الحقيقتين أو بين المجازين ليس في تناول كل واحد، بل الأكثرهم دهاء وفطنة فكثيرا ما يقف القارئ أو السامع أمام نص موهما حائرا أمام معناه، أيدركه من ظاهر لفظه، أو يجنح إلى ظاهرة انزياح الألفاظ عن دلالتها، ليتمكن من فهم فحواه، لأن المعنى لا يأتي سهلا ظاهرا بل مغلقا لا يمنح المتلقي شيء إلا بعد الروية والتأمل في المعاني الخفية³.

¹ ينظر "علم الدلالة أصوله ومباحثه"، منقور عبد الجليل، ص 148.

² "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، ابن الأثير، ج 1 ص 42.

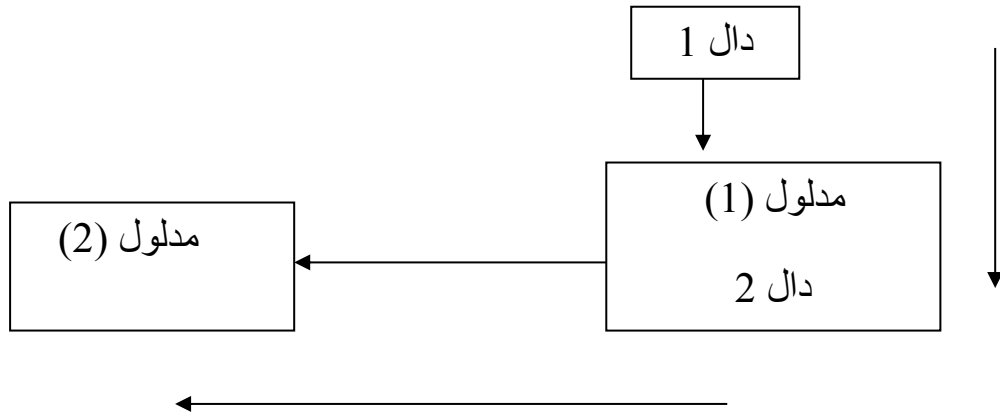
³ ينظر "استقبال النص عند العرب"، محمد المبارك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط 1، 1999م، ص 37.

باستدلال الخطيب بقول الشاعر عند وصف الكريم:

"كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا جُودًا وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَائِبًا"

فشبه الممدوح "بالبحر"، ويدفع بخيالك إلى أن يضاهي بين الممدوح والبحر الذي يقذف الدّور للقريب، ويرسل السحائب للبعيد.*

والانزياح في الألفاظ هو تحول دلالي يميز العلامة اللغوية دون غيرها من العلامات الأخرى، وهذا ما يحدث في لغة المجاز حيث يتحول مدلولها في الوقت ذاته إلى دال على الشكل الآتي¹:



والمدلول (2) هو المعنى المجازي وهو ما يعرف عند الجرجاني بـ "معنى المعنى"²، فالدال الأول يوحي إلى معنى (مدلول (1) وذلك المعنى يوحي إلى معنى آخر (مدلول (2) بعد أن يتحول إلى دال (2)، وفيه ينتقل المتلقي من المعنى إلى "معنى المعنى" عن طريق الاستدلال العقلي، الذي يجعل المتلقي يقوم بعملية تأويل ليصل إلى ذلك المعنى أو غيره، وهي أشبه بأن تكون عملية عكسية لما يقوم به المتكلم حين يعمد إلى التعبير بأسلوب المجاز فلا يختار الألفاظ التي يتطابق فيها المدلول (1) مع المدلول (2) باعتبار المساواة في المعنى لأن ذلك يسمى الدلالة الحقيقية، وإنما يأخذ اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم يجد لذلك المعنى دلالة ثانية يصل بها إلى الغرض "وإذا عرفت هذه الجملة فها هنا عبارة

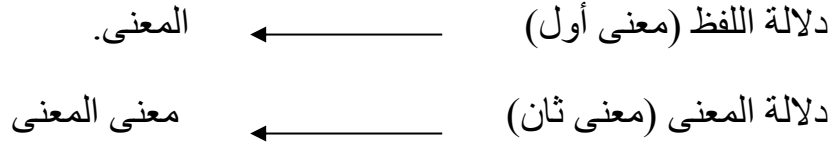
* خطبة 02 / 08 / 2013 ، قناة شروق نيوز.

¹ "علم الدلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السيميائية الحديثة"، عادل فاخوري، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، ماي 1985م، ص53.

² ينظر "دلائل الإعجاز"، ص 179.

مختصرة، وهي أن نقول المعنى ومعنى المعنى، تعني "بالمعنى" المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة، "وبمعنى المعنى" أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر كالذي فسرت لك"¹.

فعلى الرغم من اعتبارية العلاقة بين اللفظ والمعنى إلا أن الجرجاني يذهب إلى تمييز الدلالات نفسها²:



"ومعنى المعنى" هو المعنى المجازي الذي يعد ضرباً من ضروب النظم وأساس التركيب على رأي الجرجاني في قوله: "وذلك لأن هذه المعاني التي هي الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم، وعنها يحدث وبها يكون، لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم، وهي أفراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النحو، فلا يتصور أن يكون ها هنا فعل أو اسم قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألف مع غيره، أفلا ترى أنه إن قدر في اشتعل من قوله تعالى: «وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا»³ أن لا يكون الرأس فاعلاً له، ويكون "شيباً" منصوباً عنه في التمييز، لم يتصور أن يكون مستعاراً"⁴.

وهكذا حل عبد القاهر ذلك التعارض بين النظم والمجاز، وجعل مفهوم النظم يستوعب في داخله "المجاز" باعتباره أسلوباً من أساليب النظم التي يلجأ إليها المتكلم لغرض من الأغراض⁵، لأنه وإن كان عارفاً بالمعاني قادراً على اختيار الألفاظ ولم يحسن نظمها وفقاً لما يقتضيه النحو من أصول -باعتبار النحو دعامة النظم الأساسية-... فإنه يفسد ما يصوغه من الكلام ويختل عليه ما يقصده من المعاني⁶.

¹ ينظر "دلائل الإعجاز"، ص 179.

² ينظر "شعرية الانزياح دراسة في جماليات العدول"، خيرة حمر العين، ص 86.

³ سورة مريم، الآية 4.

⁴ "دلائل الإعجاز"، الجرجاني، ص 256.

⁵ ينظر "إشكاليات القراءة وآليات التأويل"، نصر حامد أبو زيد، ص 178.

⁶ "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، ابن الأثير، ج 1 ص 13.

كما أن النظم المتقن المضبوط هو الذي يبرز المعنى سواء كانت ألفاظه على وجه الحقيقة أم كانت صوراً بيانية تتصور فيها تلك المعاني بصور مختلفة مع علاقة بين المعنيين المنتقل بينهما، هذه العلاقة التي تحمل أبعاداً ثلاثة:

- أولهما: موضعي حين يتطلب من الخطيب الدقة والمهارة في تمثيل الأشياء والربط بينها. -
- ثانيها: معنوي تعكس علاقة الخطيب بالصورة ودرجة إيقاعها في نفسه.
- وأخرها: فني عندما تظهر الصورة كاشفة عن موقفه مؤثرة في المخاطب¹.

تخلف المجازات وتتفاوت باختلاف استعمال الكلمات وما تحمله من معاني وارتباطها بغيرها من الكلمات الواقعة في الجملة، فمن المجازات ما يثير الغرابة والدهشة لطرافة المدلول الذي جيء به ولصعوبة إدراك العلاقة بين المعنيين الظاهر والباطن، وإن وجدت القرينة التي يحيل إليها لإدراك الغرض، وهناك في المجازات ما يسهل تفسيرها لكثرة تداولها بين أفراد البيئة اللغوية المشتركة حتى أصبحت لا تستلزم جهداً فكرياً في الوصول إلى معانيها، كأن يقال رجل الكرسي، وعنف الزجاجة و... إلخ².

ولأن المجاز كلام، والكلام نظم، والنظم صناعة و الصناعة لا تكون إلا بآلة، فالآلة هنا تتمثل في الألفاظ والمعاني على حد سواء³ فبهذه الآلة تنتج الرسالة التي ما هي إلا معاني قائمة في ذهن المتكلم يبلغها بواسطة ألفاظ، ولهذه الآلة مراحل تمضيها حتى تصل إلى إنتاج المرسل كما هو موضح في الشكل الآتي⁴:

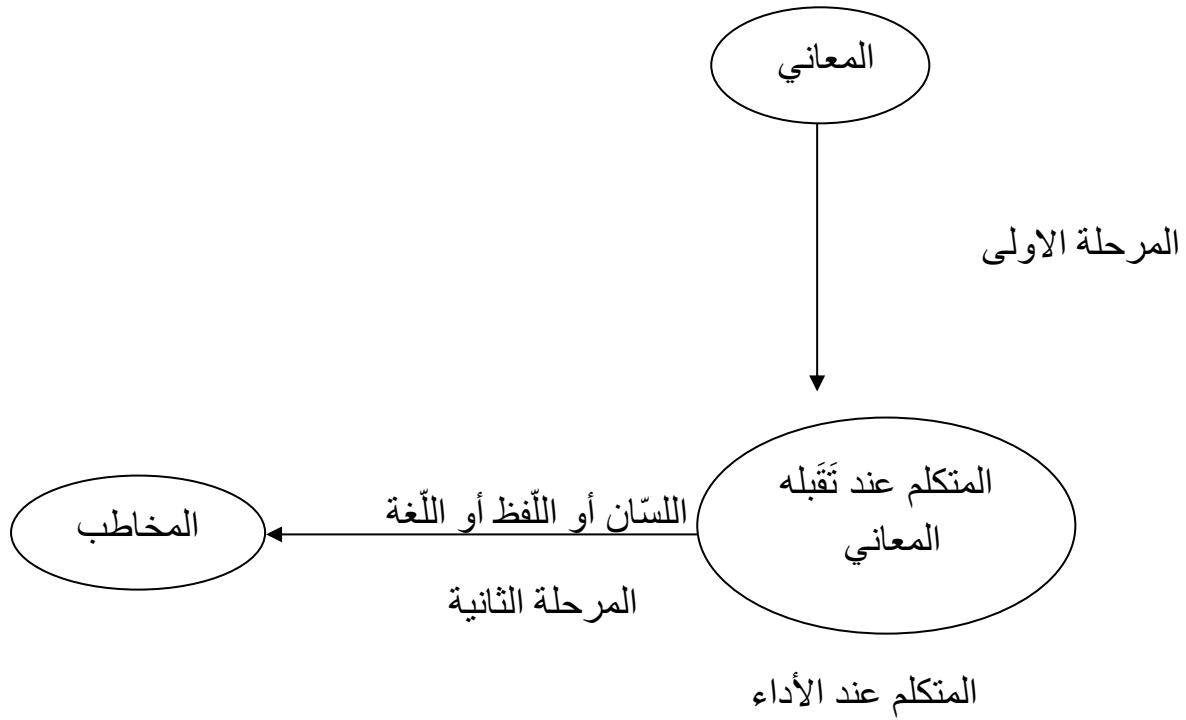
¹ ينظر "في البنية والدلالة"، سعد أبو الرضا، ص 172.

² ينظر "العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي"، عبد الواحد حسن الشيخ، مكتبة ومبعة الإشعاع الفنية، ط 1، 1999، 1419 هـ، ص 28.

وينظر "دلالة الألفاظ"، إبراهيم أنيس، ص 96-97.

³ ينظر "البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى"، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1381هـ-1962م، ص 156، إذ يقول أن كل صناعة كمالها في خمسة أشياء الموضوع، والصانع: المتكلم، الصورة: الخطاب أو الرسالة المنطوقة، الآلة: طبع هذا النظم بالألفاظ والمعاني، والغرض بحسب قصد المتكلم.

⁴ ينظر "النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ"، محمد الصغير بناتي، ص 72.



ولكن يبقى السؤال القائم في وضعية اللفظ ومدى مطابقته للمعنى في لغة المجاز؟ إن المطابقة بين اللفظ والمعنى من الدراسات التي شغلت بال الجاحظ (ت 655هـ) ومعاصريه قبل غيره -الجرجاني- (ت 471 هـ) وهي التي كانت تكمن عنده في تلخيص المعاني وتخير الألفاظ إذ يقول: "ويقولون أصاب الهدف، إذ أصاب الحق في الجملة ... ومن ذلك قولهم فلان يفّل الحزّ، ويصيب المفصل ..."¹.

ويمكن تطبيق الكلام عنده أيضا في المفهوم البلاغي عند من أجاز وأصاب، ويضطر الجاحظ إلى تفسير ذلك بأمثلة جاء منها: وصف أعرابي أعرابيا بالإيجاز وإصابة القول فقال: "كان والله يضع الهناء مواضع النقب"².

ويقول محمد الصغير بناني في تعليقه على كلام الجاحظ: "ذلك أن إصابة عين المعنى باللفظ الموجز في هذه النظرية أشبه من جهة أخرى بإصابة الطبيب الداء الذي اكتشفه في المريض بالدواء اللائق الذي يأتي بالشفاء"³.

¹ "النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ"، محمد الصغير بناني ص 176-177.

² "المرجع نفسه"، ص 143، و"الهناء" ضرب من القطران تطلّى به الإبل والنقب هي أول ما يبدو من الجرب.

³ "المرجع نفسه"، ص 158.

وإذا عدنا وتصفحنا البيان والتبيين فإننا نجد الجاحظ (ت 655 هـ) قد استعمل مصطلح المجاز، بل استعمل ألفاظاً أخرى بديلة كالتأويل¹ والاشتقاق والمثل والتوسيع² والتشبيه، التي لم تعد تعني الشيء نفسه عند علماء البلاغة فيما بعد³ كما ربطه ارتباطاً مباشراً بموضوعي التفسير والقصص، على أساس مجازي، يعتمدان بالدرجة الأولى على نقل المعنى وتوسيعه⁴. هذه الظروف والاعتبارات التي كان الجاحظ يرى من خلالها المجاز على أنه قضية كلامية، ولنا أن نستعرض بأي كيفية عبر عنه.

لأن المجاز تلميح إلى المعنى دون التصريح به باللفظ المتواضع عليه، ويشار إليه إشارة، فإن المجاز في نظر الجاحظ هو قبل كل شيء خروج عن المعنى الأصلي وابتعاد عنه، فهو مخالفة ترتكب ضد قاعدة التطبيق بين اللفظ والمعنى⁵، كقول الخطيب: "... نغار على التقاليد البالية ونتمسك بها... ونصر على أن ننفخ فيها لعلها تحيا وهي في عداد الأموات..."*، فهل التقاليد تنفخ وتحيا وتموت؟

كما أنه توسع في الكلام لأن المتكلم يستريح إعطاء المعاني ما لا تستحقه من الألفاظ ولذلك لم يفهم المجاز إلا على أنه تجاوز للمقدار⁶ أو تحويل للمعاني عن مقادير صورها كما رأى الجاحظ أن المجاز أشبه ما يكون بالزلة أو الهفوة والرياء، لأنه تمويه للمعاني وإخراجها عن حقائق أقدارها⁷ وهو نوع من إضمار الباطل والتظاهر بالحق بالتوسع في الكلام⁸.

¹"البيان والتبيين"، الجاحظ، ج2، ص78

²المصدر نفسه، ج1، ص261

³ينظر "النظريات اللسانية والبلاغية عند الجاحظ"، محمد الصغير بناني، ص275.

⁴ينظر "البيان والتبيين"، الجاحظ، ج2

⁵ينظر "النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ"، محمد الصغير بناني، ص279.

* خطبة 2014/03/21، قناة اقرأ.

⁶ينظر "البيان والتبيين"، الجاحظ، ج1 ص232.

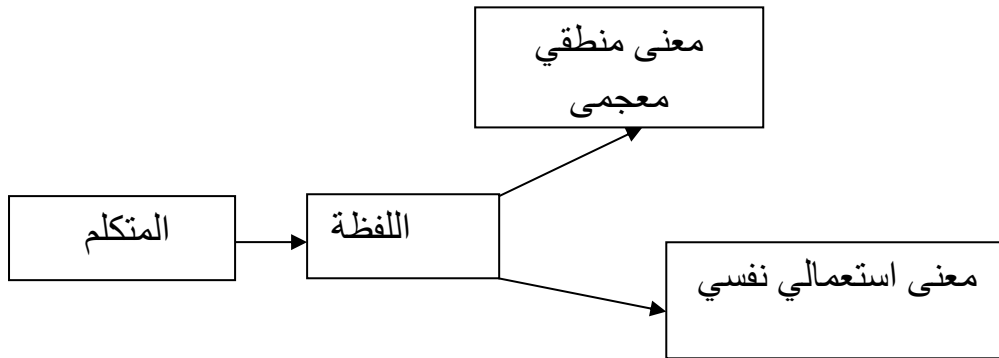
⁷ينظر "المصدر نفسه"، ص287.

⁸ينظر "المصدر نفسه"، ص261.

ومن ثم كان المجاز الذي يعده بعضهم عنوانا على الحنق والذكاء، دليلا في الحقيقة على العجز الطبيعي في الإنسان "وإنما جازت هذه الألفاظ في صناعة الكلام حين عجزت الأسماء على اتساع المعاني"¹.

ويؤدي التشديد بالجاحظ إلى غلق باب المجاز فيوصي المتكلم بالتمسك بالحقيقة والواقع وأن لا يتورط في تحميل الألفاظ ما لا طاقة لها به "وليس ينبغي للعاقل أن يسوم اللغات ما ليس في طاقتها"² كما يجعل البيان غنيا عن التأويل³، وهذا ما ذهب إليه ابن الأثير في قوله: "واعلم أنه إذا ورد عليك كلام يجوز أن يحمل معناه على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه، فانظر فإن كان لا مزية لمعناه في حمله على طريق المجاز فلا ينبغي أن يحمل إلا على طريق الحقيقة لأنها هي الأصل، والمجاز هو الفرع، ولا يعدل عن الأصل إلى الفرع إلا لفائدة"⁴ لكن هذا الموقف من الجاحظ لم يمنعه من اعتبار المجاز ظاهرة لسانية واردة في القرآن الكريم وفي سنة الرسول وكلام العرب.

والابتعاد عن المعنى الملفوظ هو القضية في باب المجاز، والعبارة إنما هي بالمسافة التي يقطعها للوصول إلى المعنى النهائي من وراء الألفاظ، لأن اللفظة الواحدة معنيين معنى منطقي والاخر نفسي، بحسب المخطط الآتي⁵.



¹ "البيان والتبيين"، الجاحظ، ج 1، ص70.

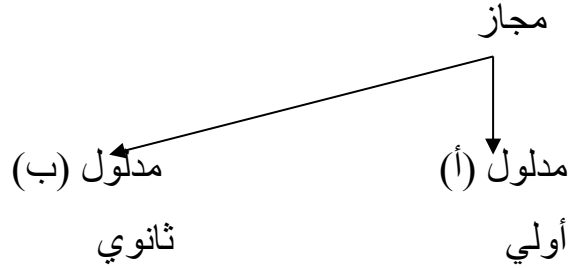
² "الحيوان"، الجاحظ، ج 6 ص8.

³ ينظر "البيان والتبيين"، الجاحظ، ج 1 ص143.

⁴ "المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب"، ابن الأثير، ج 1 ص63.

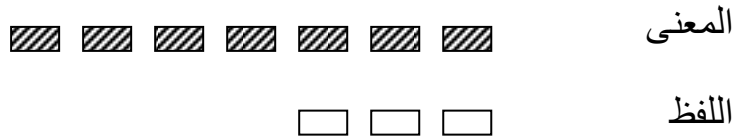
⁵ ينظر "النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ"، محمد الصغير بناني ص 282.

أو بمعنى آخر إن المجاز دال له مدلولان: أحدهما أولي وهو المعنى المنطقي المعجمي والثاني مجازي استعمالى ثانوي حسب الشكل الآتى¹.



وعلى المخاطب أن يدرك أي المعنيين المقصود من الخطيب بفطنته واعتماده على السياق والموقف والظروف المحيطة به، فالمعنى المنطقي هو المعنى الأصلي - الأولي- الموضوع في القاموس ويكاد يكون فهمه مشتركا بين جميع الأفراد، أما المعنى النفسي - الثانوي- فهو المعنى الجديد الذي يحمله الخطيب للفظه ذاتها وهو ناتج عن تكوينه الشخصي وظروفه المؤثرة فيه، وهو يختلف من خطيب إلى آخر، لاختلاف تصوراتهم على المعاني التي تؤديها ألفاظ لغتهم².

والخطيب (المتكلم) في مرحلة المطابقة بين "المعنى" و"المبنى" في لغة المجاز، له أن يطلق لفظا ويريد معنى أوسع منه، لأن المجاز مطابقة لا يشترط فيها توازن بين اللفظ والمعنى، بل غالبا ما تكون باختصار اللفظ وتمديد المعنى، وهذا نوع من أنواع المطابقة عند الجاحظ وهي حسب الشكل الآتى³:


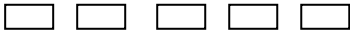


أما النوع الثاني فهي مطابقة يكون اللفظ فيها متحدا مع المعنى كليا، فيجعل اللفظ حاملا لمعنى واحد لا غير ويعبر عنها بالمشاكله وهي كالاتي:

¹ "بلاغة الخطاب وعلم النص"، صلاح فضل، ص 183.

² ينظر "المدخل إلى التحليل اللساني"، اللفظ، الدلالة السياق، العربي قلايلية، ص 20-21.

³ ينظر "النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ"، محمد الصغير بناني، ص 159.

	المعنى
	اللفظ

فالمطابقة الأولى تعبر عن المجاز أما الثانية فتعبر عن الكلام على وجه الحقيقة.

والمطابقة الأولى واردة لأن ألفاظ اللغة متناهية محدودة والمعاني بعكس ذلك ومن غير مقدور أي لغة أن تقدم لفظا منفصلا لكل معنى يرد على الذهن، لذا لا بدّ من التوسع في استخدام اللفظ بأن يجوز به معناه الحقيقي لنستعمله في معنى آخر تطبيقا لفكرة الاقتصاد اللغوي مع مراعاة القرينة التي تجمع بين المعنيين الأول والثاني، وحتى تكون للمتكلم القدرة على ذلك لا بد أن يكون عالما بالألفاظ حاذقا في اختيار اللائق منها بالحالة أو المعنى المناسب دون أن يخترع ألفاظا أو معاني من عنده، وفي حالة "جوامع الكلم"¹ "فإنه لا يمكن اعتبار اللفظة المجتلبة أو المعنى المستعار اختراعا وبدعة من المتكلم"²، بل هو ضرب من التأويل ومخالفة في أوضاع الألفاظ والمعاني عن وعي وقصد بغرض التأثير في السامع وإمتاعه حتى "أن المعنى إذا أتاك ممثلا فهو في الأكثر يتجلى لك بعد أن يحوجك إلى طلبه بالفكرة، وتحريك خاطر والهمة في طلبه، وما كان منه أطف كان امتناعه عليك أكثر، وإبائه أظهر واحتجابه أشد"³ كما "... لنا أن نحدد مقدار نزوع النفس وتشويقها لرؤية ما هو محتجب وكشف ما هو مستتر، لا سيما إذا كان للنفس القدرة على إزالة الحجاب وكشف الغطاء..."⁴.

مما سبق أصل إلى مجموعة استنتاجات منها:

- أن المعنى في المجاز لا يأتي سهلا ظاهرا بل مغلقا خفيا.
- أن اللفظ يحمل "معنى المعنى" فهو يحمل مذلولاً يتحول إلى دال ليفي بغرض التجوز.

¹ "المعجم الأدبي"، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، يناير 1984م، ص 89، في قوله: "ولنا أن نقول عن الجملة المجازية أنها "جوامع الكلم" جمل قليلة الألفاظ كثيرة المعاني"، ص 89.

² "النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ"، محمد الصغير بناني، ص 163.

³ "أسرار البلاغة في علم البيان"، عبد القاهر الجرجاني، ص 118.

⁴ "استقبال النص عند العرب"، محمد المبارك، ص 37.

- وأن المجاز هو تجاوز للمقدار وتحويل للمعاني وتوسيع في الكلام، لأن اللفظة الواحدة تحمل معنيين أولهما منطقي معجمي والثاني استعمالى نفسى، وأن اللفظ غير متحد مع المعنى، لذا تنعدم المطابقة بينهما في لغة المجاز.

1-2- إسقاط علاقات الارتباط المنطقي بين المعاني في لغة المجاز:

إن جملة "أكلت الصلاة" هي جملة صحيحة نحويا ومفهومة، واضحة من حيث معناها الدلالي العام، ولكنها تعد جملة عديمة المعنى فهو معنى غير سليم لا يستقيم عقليا، هذا ما تناوله سيبويه في باب الاستقامة من الكلام "فهو يدعم فكرة اهتمام النحو العربي بالظواهر الدلالية، فلا يكون الكلام الصحيح نحويا بالضرورة صحيحا دلاليا إذ يقول "فمنه (الكلام) مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح وما هو محال كذب.
- فالمستقيم الحسن: هو الترتيب أو التعبير المألوف في اللغة نحو "أتيتك أمس، سأتيك غدا".

- المحال: وهو المتناقض في الاستعمال أو نقض أول الكلام بآخره، نحو: «أتيتك غدا سأتيك أمس».

- المستقيم الكذب: وهو تركيب مستقيم من حيث النحو وغير ممكن الوقوع، في نحو: «حملت الجبل وشربت الماء».

- المستقيم القبيح: وهو وضع اللفظ في غير موضعه على الرغم من استقامته، نحو: «وكي زيد يأتيك، وقد زيدا رأيت».

- المحال الكذب وهو ما لا يتوافق مع الوقائع، والخروج عن منطق اللغة، نحو: «سوف أشرب ماء البحر أمس»¹.

فاستقامة الجملة في عناصرها النحوية والقواعدية عند سيبويه لا تعني استقامتها دلاليا لأن جملة "حملت الجبل" مثلا ... كاذبة فهي تهدر علاقات الارتباط المنطقي بين المعاني التي

¹ "الكتاب، سيبويه"، تح وتر: عبد السلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، ط3، القاهرة، 1988م، ج1 ص25.

عرفها الإنسان منذ وجوده إذا صح هذا فما بالناس حين نسمع أديبا يقول: "ضحك البحر حين نزلت النجوم تستحم فيه" نقول أحسنت وأجدت في التعبير ولا نقول له كلاما ناقصا فاسدا دون معنى لأنه جعل البحر يضحك والنجوم تستحم وهذا غير منطقي¹.

فالمتكلم هنا استخدم الألفاظ ذاتها المتداولة بين الناس لكنه نفى عنها قيمتها العادية المعهودة، وتجاوز الحقائق في واقع الحياة، إلى خلق إبداعي اصطنعه يمنحه حرية التصرف في مفردات اللغة دون قيد أو قاعدة منطقية تحكمه.

كما تعرض تمام حسان إلى هذه الظاهرة الدلالية عندما تحدث عن الجمل غير المقبولة نحويا وغير المقبولة دلاليا، فيشير إلى أن المعنى "يتكون من عناصر على مستويين: المستوى النحوي والمستوى المعجمي، فإذا قلنا: "ضرب زيدٌ عمراً" وجدنا الخصائص النحوية للفعل "ضرب" تشتمل على:

1- الزمن 2- الحدث 3- التعدية.

والجملة هنا صحيحة نحويا وكذلك دلاليا لأن العلاقة بين معاني ألفاظ الجملة تولد دلالة صحيحة ومنطقية، فإذا قلنا: "قد زيدٌ عمراً" أهدرنا الزمن والحدث وبذلك كانت الجملة غير مقبولة نحويا، وإذا قلنا "جلس زيدٌ عمراً" أهدرنا التعدية فكانت الجملة غير مقبولة نحويا أما إذا قلنا "أكل زيدٌ عمراً" فهي مقبولة نحويا ولكنها غير مقبولة دلاليا، إذ لا يوصف التركيب بأنه "خطأ" لأنه يحقق مطالب النحو، ولكنه يتجاوز التوافق المعجمي بين الفعل والفاعل والمفعول فهل يعقل أن يأكل زيد عمرا مثلما يأكل الطعام؟².

ثم يعلل تمام حسان هذا التجاوز قائلا: "ولكن العلاقات المجازية تتدخل هنا لإنقاذ تعبير تحققت له الصحة النحوية، فيقال مثلا إن لـ "أكل" مجازا في غمض الحقوق ... وما دامت المجازات جميعا تتسم بالصحة النحوية باعتبارها شرطا لقبول التركيب، فإن كل مجاز إنما كان مجازا لأنه يمثل بالضرورة مفارقات في العلاقات المعجمية التركيبية، ثم يمثل الاستعانة بالعلاقات المجازية لتحل محل العلاقات المعجمية المهذرة وتبدو هذه الظاهرة على الخصوص

¹ ينظر "نظام الارتباط والربط في تراكييب الجمل العربية"، مصطفى حميدة، ص 84.
² ينظر "الأصول دراسة إيسيمولوجيا للفكر اللغوي عند العرب"، النحو، فقه اللغة، البلاغة، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 1982. ص 372.

في الاستعارات التبعية والمجازات العقلية التي هي بحكم التعريف "إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير من هو له" لأن المسند إليه لم يكن صالحا للفعل أو ما في معناه بسبب المفارقات في العلاقات المعجمية المذكورة"¹.

كما تناول قبله الجاحظ هذا الموضوع عندما عدّ المجاز خروجاً عن المعنى الأصلي وتحويلاً للمعاني عن مقادير صورها².

ولم يتصور المجاز على هذا الشكل في الدراسات الحديثة إلا مؤخراً وخاصة الدراسات الأروبية التي لم نعرفها إلا منذ بول فاليري الذي اعتبر المجاز تعسفا (Abus) في الكلام.

- جان كوهين سماه اغتصابا (Viol).

- روبرت عده فضيحة (Scandale).

- تودوروف سماه شذوذا (Anomalie).

- أرغون عده جنونا (Folie).

- سبيزير انحرافا (beviation).

- ج. بيتار سماه انقلابا (Subversion).

- و.م. تيري سماه جنحة (Infraction)³.

إذا تأملنا هذه التسميات (اغتصابا، جنونا، انحرافا، ... إلخ نجدها توحى كلها إلى معنى واحد وهو الخروج عن المؤلف بتحميل الألفاظ ما لا طاقة لها من المعاني كما أنه إهدار لقوانين الارتباط المنطقي بين المعاني، أي الخروج عن المنطق والواقع (جنون)⁴.

ولكن مع هذا يبقى علم البيان قائماً على فكرة إهدار العلاقات التي تشكل الارتباط المنطقي بين المعاني ولولا ذلك لما قام هذا العلم ولكن كيف يصح أن يكون في إهدار هذه العلاقات حسن وبيان؟ وما القرينة إلى ذلك؟

القرينة التي يتكل عليها الخطيب - المتكلم - في تجاوز العلاقات المنطقية يمكن تسميتها بـ

"القرينة التخيلية"، والتي تقوم في علم البيان بإزاء ما يسمى في علم الصورة الشعرية بـ

¹ ينظر "الأصول دراسة إيسيمولوجيا للفكر اللغوي عند العرب"، النحو، فقه اللغة، البلاغة، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 1982. "، ص 373.

² ينظر "البيان والتبيين"، الجاحظ، ج 1 ص 287.

³ ينظر "النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ"، محمد الصغير بناني، ص 2802..

⁴ ينظر "المرجع نفسه"، ص. ن

"القرينة الشعرية" التي تغفر للشاعر ما يقترفه من الضرائر الشعرية، والقرينة التخيلية قرينة سياقية، لأن السياق هو الفيصل الذي يفصل بين قبولها لإهدار العلاقات المنطقية أو رفضها¹ وبناء على ما سبق فإن المجاز في اللغة لا يقوم على إهدار علاقات الارتباط المنطقي بين المعاني، وإنما يقوم على استعمال عدولي لتلك العلاقات معتمدا على القرينة التخيلية وهي قرينة سياقية حالية².

III- المخاطب والمخاطب في الإستراتيجية التلميحية:

II-1 المتكلم بين الاختيار والإجبار:

إن الإنسان مجبر على تسيير أموره وتلبية حاجاته³، واللغة هي الوسيلة الأساسية الأولى في تحقيق ذلك.

يقول عبد العزيز شرف: "...يتحدّد التواصل اللغوي في مفهومه، بعملية تبادل المعلومات بين الأفراد والجماعات، ويظهر هذا التواصل اللغوي على شكل عبارات أو تعبيرات شفوية أو كتابية تتبادلها الأطراف في موقف معين لغرض معين عن واقعية معينة"⁴.

ولعل أهم عقبة تصادف الخطيب (المتكلم)، هي أن النظام البنيوي للغة يعجز أحيانا عن التعبير عما في قرارة النفس من معان، وأفكار وما يجتاحه من شعور وعاطفة، فتصبح اللغة أمامه أداة غير كفيلة بأداء ما يطمح إليه، وغير مثالية في تشبيع رغبته، من هنا ينشأ الصراع بين حرية المعاني وقيود المباني، فالمعاني ممتدة بلا نهاية والمتكلم مخير فيها، لتأتي المباني (الألفاظ) محدودة متناهية أمامه، فبينما يسعى لممارسة حريته في التعبير، يجد قوانين اللغة أمامه تحكمه فلا يستطيع الفرار⁵.

¹ ينظر "نظام الارتباط والربط في تراكيب الجملة العربية"، مصطفى حميدة، ص 88.

² ينظر "شعرية الإنزياح"، خيرة حمر العين، ص 94.

³ ينظر "نظريات الإعلام واتجاهات التأثير"، محمد عبد المجيد، عالم الكتب، ط1، 1997م، ص 22.

⁴ "اللغة الإعلامية"، عبد العزيز شرف، دار الجبل، بيروت، ط1، 1991م، ص 124. وينظر، "الإعلام التطبيقي واستخداماته في تطوير الإدارة"، فرنسيس ج.برجين، تر إبراهيم سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995، ص 124.

⁵ ينظر، "نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية"، مصطفى حميدة، ص 49.

فكاننا نتفق على أن "اللغة تزود الفكرة بالقدرة على التحليل والتّركيب تعينه على استجلاء الأفكار وتكوين المفاهيم والتصورات، فهي اختزال واختزان لعمليات فكرية معقدة، ما كان يمكن الإفصاح عنها وإدراكها لولا اللّغة"¹.

ومع هذا، فهناك من المفكرين من اشتكى من اللّغة نفسها لأنه رأى فيها قصورا، كما وجدها عائقا أمام "الفكر الذي اختصّ به البشر"²، فالإنسان يتميز بقدرات فكرية وعقلية تجعله يفكر ويحلل ويركب في كل الأوقات والأزمات، وفي مختلف الظروف والسياقات، أين لا يجد في اللّغة ما يخدم فكره الواسع، بل مجرد أنماط لغوية معينة تجعله باقيا في دائرة التخلف محبوسا فيها³.

ويبقى الفكر واسعا غير محدود، فالإنسان يفكر متى يشاء، وكيفما يشاء، وفي أي وقت يشاء، وعندما يحاول تجسيده وإخضاعه لرموز تظهره إلى الملموس، كثيرا ما لا يجد في اللّغة ما هو مؤهل ليعكس ذلك، وهو المنطلق الأساسي الذي يدفع به إلى الخروج مما هو مألوف في استخدام تلك اللّغة إلى ما هو غير ذلك بتبديل قوانينها البنيوية، وتلك هي الإبداعية التي يمارسها المتكلم لتحقيق الغرض⁴.

فهو حين احتاج إلى ثروة من الألفاظ والتعابير لجأ إلى اللّغة فلم يجدها جاهزة ، هذا ما جعله يلجأ إلى المجاز ليلون الأفكار، ويولد الصور، ويبعث الإيحاءات بما هو ملائم لطبيعة المعاني المتصورة في ذهنه⁵، وذلك بتحميل الألفاظ ما ليس من دلالاتها⁶، لأن اللّغة بوصفها نظاما رمزيا لا تمد الفرد بالمعاني، وإنما تمدّه بالنظام البنيوي الذي يعينه على التّعبير عن تلك المعاني التي تمثل أفكارا⁷.

وقد تنبه عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) إلى هذه القضية في تأملاته التنظيرية للّغة وأساليب التّعبير، إذ وجد اللّغة من حيث هي ذات دلالة معجمية عامة، وهي دلالة مشتركة

¹ "مدخل إلى التحليل اللساني اللفظ"، الدلالة السياقية، العربي قلايلية، ص 3.

² "المقدمة"، ابن خلدون، ص 451.

³ ينظر "مدخل إلى التحليل اللساني اللفظ والدلالة السياقية"، العربي قلايلية، ص 4.

⁴ ينظر "اللّغة و الخطاب"، عمر أوكان، ص 26.

⁵ ينظر "المجاز وأثره في الدرس اللغوي"، محمد بدري عبد الجليل، ص 50.

⁶ ينظر "مدخل إلى التحليل اللساني، اللفظ، الدلالة، السياقية"، العربي قلايلية، ص 5.

⁷ ينظر "اللّغة"، ج.فندريس، ص 104.

قاصرة بحكم ذلك، وأخرى استعمالية خاصة بفضلها خرجت اللّغة من الحقيقة إلى المجاز ومن المؤلف إلى الإنزياح¹.

تخدم المباني المعاني، فالأولى وسيلة لإظهار الثانية، وعلى المباني أن تأمن أمر اللّبس قدر المستطاع لأن اللّغة غايتها البيان، والخطيب مجبر على مراعاة النظام النحوي الصرفي الصوتي التركيبي² الذي اتفقت عليه الجماعة اللغوية.

وإن كان للمتكلم أن يبتدع المعاني الجديدة، فليس له أن يحدث تغييرا في مباني اللّغة (أصواتها، وأنظمتها الصوتية والنحوية...)، وأن يخرج عما هو متواضع عليه من قرائن لفظية ونحوية تعين على إبراز المعنى، كرفع الفاعل ونصب المفعول، ووجوب مطابقة النعت للمنعوت وغيرها من القضايا المتعلقة ببنية اللّغة³.

من هنا يمكن القول إن حرية الخطيب نسبية اتجاه الاستخدام اللّغوي، فهي غير مطلقة لأنه ينتج مختلف أنواع الخطابات (الوغظية والتفسيرية والعقائدية و...) في إطار قيود خارجية ليس له عليها تأثير أو سلطان يذكر⁴، وليس باستطاعة المنتج للخطاب أن يغير هذه القوانين أو يزيل تلك القيود أو يحذف أو يضيف إليها شيئا تنفره الجماعة أو السيادة اللغوية، فالفرد تحت سلطة اللّغة وليس بمقدوره تجاوزها، فإن فعل أصبح منبوذا مهما، مرفوظا من أقرانه، لا يمكن فهمه ولا التعامل معه، لأن التواصل بين الأفراد لا يتم إلا من خلال لغة طبيعية معينة يمتلكها كل واحد منهم بالصورة نفسها وبالقواعد ذاتها⁵، ولكن تبقى له حرية في الإبداع الذي "... لا يعدو أكثر من تنظيم علاماتها المسموح بها لسانيا والمتواضع عليها اجتماعيا"⁶ وفق سياق خاص يسمح له بالقليل من الألفاظ استحضار ما لا حصر له من

¹ ينظر " بين السما والسميانية"، عبد المالك مرتاض، تجليات الحداثة، يصدرها معهد اللغة العربية و ادابها جامعة وهران، ع2، جوان 1993، ص20.

² ينظر "اللغة"، ج. فندريس، ص 43-154.

³ ي "نظام الارتباط والربط في تراكيب الجملة العربية"، مصطفى حميدة، ص 55.

⁴ ينظر "اللغة والتواصل"، عبد الجليل مرتاض، ص 55.

⁵ ينظر "المرجع نفسه"، ص37.

⁶ "المرجع نفسه"، ص 55.

المعاني باستخدام المجاز الذي يعد "...مهربا باعتبار في التفسير والفهم، أو توجيهها مسوِّغا نحو معنى معين خدمة لغرض أو آخر"¹.

II- 2 - مقصدية المخاطب بين الفهم والغموض (عند استقبال لغة المجاز):

إن المتلقي "المخاطب" هو المسؤول عن استقبال المرسلات اللغوية لأي خطاب "لأنه الهدف من عملية التواصل كلها"²، فهو المقصود من عملية الإقناع التي يمارسها الخطيب إذ لا يمكن أن تقوم على أساس محايد، تبتعد فيه عن المتلقي³، حتى "إنّ التلقي هو الإطار الموسع الذي يستند إليه الاتصال ... وهما يلتقيان في أكثر مما تعنيه الاستجابة أو التأثير..."⁴. فالمتلقي على رأي محمد المبارك "هو المستجيب للنص وهو المستقبل، وهو الفاهم والمتقبل أيضا وهو المرسل إليه، وهو المخاطب وهو السامع والقارئ..."⁵.

ونظرا لأهميته في مختلف المواقف الإبلاغية والانفعالية أولت الدراسات الأدبية والعربية الغربية منها أهمية كبرى لما يعرف بنظرية التلقي الأدبية (نظرية الاستقبال) المرتبطة بالمتلقي، والتي برزت في الدراسات الغربية الحديثة على نحو يضم ثلاثة عناصر مترابطة هي على الشكل الآتي⁶:

¹ "المجاز وأثره في الدرس اللغوي"، محمد بدري عبد الجليل، ص 166.

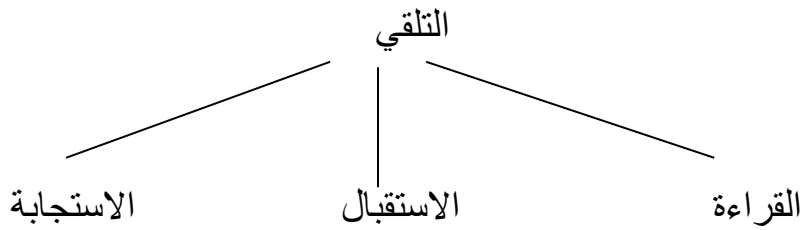
² "استقبال النص عند العرب"، محمد المبارك، ص 27.

³ ينظر "البلاغة والأسلوبية"، محمد عبد المطلب، ص 236.

⁴ "البؤرة ودوائر الاتصال، دراسة في المفاهيم النقدية وطبيعتها"، نسيم الغيث، ص 27.

⁵ "استقبال النص عند العرب"، محمد المبارك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط 1، 1999، ص 29-30.

⁶ "المرجع نفسه"، ص 30.



أما عند العرب* فإن اصطلاح "التلقي" كان موضع اهتمامهم في الدراسات الأدبية النقدية، وكان يمثل اسما جامعاً لعدد من المصطلحات: المتلقي، السامع، القارئ، النفس ضمير المخاطب، فعل الأمر، المتأثر¹.

فالجهد الذي يبذله المتكلم (الكاتب أو المخاطب أو الشاعر) في تشكيل نصه يكون عن وعي وإدراك، ليقابله مقدار من الجهد يبذله المتلقي ليتمكن من الفهم، لأن "مهمة الفهم هي السعي لكشف الغامض والمستتر من خلال الواضح والمكشوف، واكتشاف ما لم يقله النص من خلال ما يقوله بالفعل، وهذا الفهم للغامض والمستتر يتم من خلال الحوار الذي يقيمه المتلقي من النص"² خصوصاً - على رأي الجرجاني- "أن المعنى لا يحصل لك إلا بعد انبعاث منك في طلبه واجتهاد في نيته"³.

فالجرجاني (ت 471 هـ) كان على وعي بنظرية التلقي وما يمكن أن يكون عليه التفاعل بين الرسالة والمتلقي، بل إن لفظ "اجتهاد" يرمز إلى الحرية الفكرية التي يمتلكها المتلقي في استقبال الرسالة وتحليلها، حتى إن اجتهادات الأفراد المستقبليين قد تتطابق في ذلك التحليل كما قد تتباعد كلياً، لأن لكل متلق قدراته الخاصة التي تؤهله لفهم المعنى من عدم ذلك ف "المستقبل لا يتلقى ما يتمشى مع ما يمليه عليه العقل والمنطق أو ما يستجيب لميوله أو يتوافق مع معتقداته أو يرضى هواه أو يتطابق مع إيديولوجيته أو يشبع رغباته"⁴، فما قد يكون

* أمثال الجاحظ، وقدامة بن جعفر، والجرجاني، وحازم القرطاجي... وغيرهم، ينظر، "استقبال النص عند العرب"، محمد المبارك، ص32.

¹ "استقبال النص عند العرب"، محمد المبارك، ص34.

² "إشكاليات القراءات وآليات التأويل"، ص36.

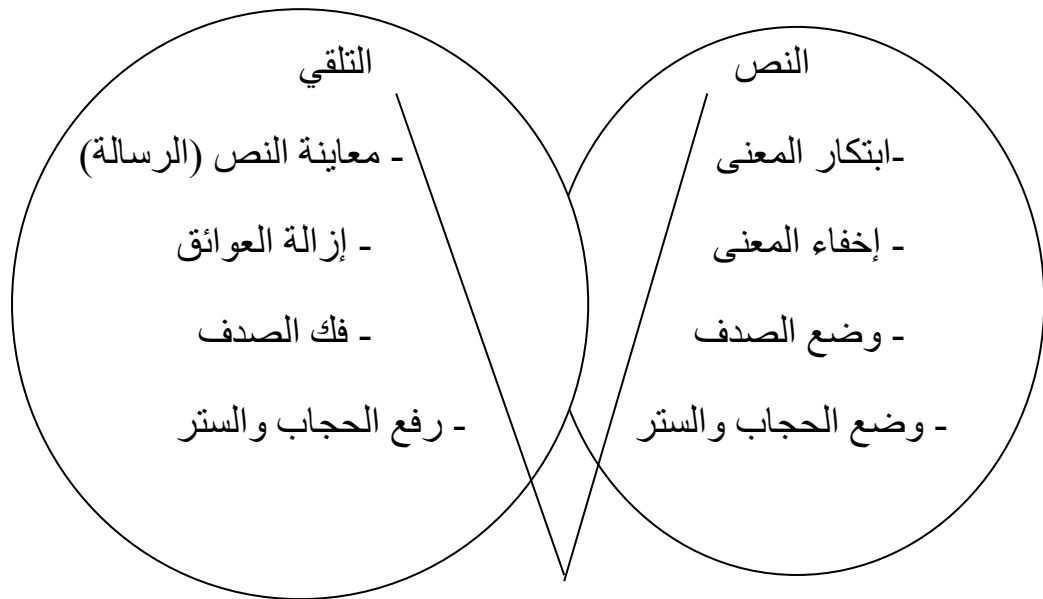
³ "أسرار البلاغة"، الجرجاني، ص123.

⁴ "سيمانيات التواصل وفعالية الحوار، المفاهيم والآليات"، أحمد يوسف، ص103.

مفهوما واضحا عند هذا، يكون غامضا غريبا عند ذاك¹، إذ يقول الجرجاني في ذلك: "فإنك تعلم على كل حال أن هذا الضرب من المعنى، كالجوهر في الصدف، لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه، وكالعزير المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه، ثم ما كل فكر يهتدي إلى الكشف عما اشتمل عليه، ولا كل خاطر يؤذن له في الوصول إليه، فما كل أحد يفلح في شق الصدف، ويكون في ذلك من أهل المعرفة"².

فقول الجرجاني: "... ما كل فكر يهتدي إلى وجه الكشف كما اشتمل عليه ... وما كل أحد يفلح في شق الصدف" إنما هو تنبيه إلى أن الفهم يقتصر على من توافرت فيهم شروط معينة، فهو ليس في متناول الجميع، خصوصا المعاني التي لا تأتي سهلة، بل مغلقة مثل الصدف - كالكلام على ضرب المجاز - لا يستطيع شقها إلا صاحب المعرفة والفتنة³.

فمع الجرجاني نكون قد تعرضنا إلى أهم أطراف العملية التواصلية، أما المعنى فهو جوهر الخطاب، وعلى أساسه يتم التفاعل والفهم كما هو موضح في الشكل الآتي⁴:



¹ ينظر "استقبال النص عند العرب"، محمد المبارك، ص 32-33.

² "أسرار البلاغة"، الجرجاني، ص 119-120.

³ ينظر "استقبال النص عند العرب"، محمد المبارك، ص 37.

⁴ ينظر "المرجع نفسه"، ص ن.

فالملقي (الخطيب) يبتكر النص (الرسالة) ، وفيه يخفي المعنى ويحجبه بأخيلة مجازية تبرز ما أراد من صور تتلاءم وحالته النفسية ممارسا فيها حرية تتناسب وحركيته الداخلية، ليواجهها المتلقي فيعابنها، ويسعى إلى إزالة العوائق ورفع الحجاب بإجلاء المعنى وكشفه ونيله بعد الطلب له والاشتياق إليه "لأن المعنى إذا أتاك ممثلا فهو في الأكثر يتجلى لك بعد أن يحوجك إلى طلبه، بالفكرة وتحريك خاطر له و الهمة في طلبه، وما كان منه أطف كان امتناعه عليك أكثر، وإبأؤه أظهر، واحتجابه أشد"¹.

فالمجاز في الكلام يعني عدم التطابق بين ما هي عليه تلك الصور، وما هي عليه الأشياء في الواقع العيني الحسي لكونها تعمد إلى المبالغة ، لذا على الخطيب المتكلم أن يلتزم التوسع في المجاز بحدود لا تتجاوز خصائص اللغة وعبقريتها، وألا يصرف الاهتمام إلى الشكل ويتجاوز الموضوع والهدف، فمن حقه اللجوء إلى مستوى التجديد والبديل الفني ولكن هذا لا يمنع من مراعاة الغاية²، وإلا أصبح كلامه مجرد غموض لا يدل على إبهام في التركيب بقدر ما يدل على عدم التكافؤ أو التباين الموجود بين الباث والمتلقي، فالكلام مهما كان نوعه لا يمكن أن يكون خاليا ومجردا من المعنى، ولكن ما في الأمر أن هناك معنى و"معنى المعنى"³. وإن استطاع المتلقي إدراك "معنى المعنى" فإن المجاز يكون قد حقق في السامع أمورا منها⁴:

- 1- إثارته بهذه المخالفة، فيكون في ذلك تنبيه لذهنه الذي يمر على العبارات مرورا عابرا، فعندما يسمع عبارة "أدرك الخطيب الفصاحة والبيان"، فإنه لا شك سيتوقف أمامها متأملا ليفهم المعنى، إذ أن كلمة "أدرك" هنا يقصد بها لحق أو عاصره أو أنه يعني "بلغ".
- 2- إتفاته الخاص لاختبار مدى ملائمة هذا المكان الجديد لتلك الكلمة وفقا للسياق لأنه هو الحكم الذي يشير إلى المستمع فأى المعنيين مقصود أهو المعنى الأصلي "الحق" أم المعنى المجازي ، والمقصود به "بلغ"؟

¹ "أسرار البلاغة"، الجرجاني، ص 118.

² ينظر "الإبلاغية في البلاغة العربية"، سمير أوحمدان، ص 142.

³ ينظر "اللغة والتواصل"، عبد الجليل مرتاض، ص 85.

⁴ ينظر "البلاغة العربية في فنونها"، محمد علي سلطاني، ص 121-122.

3- ازدياد عجبه حين يدرك أن المتكلم وجه اهتمامه إلى جانب معين مما تدل عليه هذه الكلمة، وفي ذلك إثراء للخيال وتوسيع لآفاقه.

بناء على ما سبق يمكن القول إن عملية التلقي التي يمارسها المستقبل على العموم – سواء عند استقبال اللغة على وجه الحقيقة أو المجاز – ليست متعة جمالية وحسب وإنما هي عملية مشاركة تقوم على أساس التأثير والتأثر والقصد والفهم، ويبقى احتمال الغموض والإبهام واردا من قبل المتلقي والملقي على حد سواء.

III-3 الفصاحة¹ والمجاز: الكلام الفصيح هو الكلام الذي يحقق المعنى دون عوائق تمنعه من ذلك، فهو سلسلة من الكلمات التي تبتعد عن عيوب الغرابة ومخالفة القياس، والنادر والابتدال وتنافر الحروف، فهل للفصاحة أثر في لغة التجوز؟

إن الخطيب حر أمام استخدام مفردات لغته، إذ يشكلها في أنساق خاصة ومتنوعة كيفما ومتى شاء، فإما أن يعتمد إلى الكلمات على حقيقتها أم أن يحتال عليها فيحملها ما ليس من خاصيتها، فهذا ما قد يجعلها معقدة وغامضة، والغموض عند "امبسون" هو كل ما يسمح لعدد من ردود الفعل إزاء القطعة اللغوية الواحدة، أي أنه كل كلمة أو تركيب نحوي يفهم منه أكثر من معنى في آن واحد².

والصورة الفنية مثل التشبيه والاستعارة قد تكون كذلك إن بعدت عن المؤلف من كلام العرب³ فالاستعارة هي نقل كما عرفها الجرجاني في قوله هي: "ما اكتفى فيها الاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها"⁴.

¹تطلق على معان كثيرة منها البيان والظهور، وقد جاءت في هذا المعنى في قوله تعالى: "وأخي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا"، سورة القصص، الآية 34، والفصح خلوص الشيء مما يشوبه "المزهر في علوم اللغة"، السيوطي، مجلد 1، ج 1، ص 146. وجاء في لسان العرب: الفصاحة: البيان، فصح الرجل فصاحة فهو فصيح، ورجل فصيح وكلام فصيح أي بليغ، ولسان فصيح أي طلق،...وأفصح تكلم بالفصاحة...وأفصح عن الشيء إفصاحا إذا بينه وكشفه...والفصيح في اللغة: المنطلق اللسان في القول الذي يعرف جيد الكلام من رديئه"، ينظر، دلانل الإعجاز عبد القادر الجرجاني، ص 47.

² ينظر "ظاهرة الغريب تاريخ وتطبيق"، عبد الواحد حسن الشيخ، ص 81.

³ ينظر المرجع نفسه، ص ن.

⁴ "دلالة الإعجاز"، الجرجاني، ص 278.

فمصطلح النقل يدل دلالة واضحة على أن التعبير الاستعاري يؤدي وظيفته عن طريق الانحراف، لذا لا بد أن يكون النقل فيها يمثل انحرافا دلاليا له جدته وطرافته بالنسبة لعرف الاستعمال حتى يؤدي وظيفته¹.

ولأن المجاز هو ما أثار في الذهن غرابة أو طرافة²، فإنه يحتاج إلى تأمل وتدبير من المتلقي للوقوف على معناه نظرا للدهشة التي تعتريه عند سماعه³.

III-أثر المجاز في الإقناع الخطابي :

إن المجاز ضرب من ضروب التبليغ والإقناع، فهو القول بتقديم اللفظ على المعنى وانحراف اللفظ من دلالة معينة لدلالة أخرى، وهذه هي خصيسته الجوهرية، إذ إن دلالاته لا تستمد إلا بإدراك مقدار التجاوز والانحراف الموجود فيها.

ومن هنا لنا أن نتساءل: ما هي الوظيفة الإقناعية التي يضطلع بها عادة هذا الانحراف في العبارة المجازية، أو بصيغة أخرى: هل من تأثير نفسي يمكن أن يحدثه الخطيب على المتلقي من خلال لغة المجاز؟

إنّ المجاز عند البلاغيين طريقة من طرق الكلام والإفصاح تختلف عن غيرها بخواص تجعلها ذات حيوية وشكل خاص "يكمن في الفصل بين العلامة والمعنى، وبين الدال والمدلول" فهو يمثل اللغة الأدبية الفنية التي تبتعد عن الدلالة الحرفية باستخدام الصورة التي لا تفيد التعبير فقط وإنما التأثير وتحقيق الإبلاغية.

ويظهر ذلك عندما يحدث المتكلم التأثير النفسي المطلوب، فيؤدي بالمتلقي إلى اتخاذ موقف انفعالي ما⁴ "...فبمثل ما تكون مبعثا على الدهشة والرّعدة النفسية، بمثل ذلك تكون قد حققت إبلاغيتها، أي أنشأت حالة من التواصل والحوار، والتفاعل بينهما بين المتلقي ... من خلال التقريب غير المتوقع والصاعق بين شيئين مختلفين بطبيعتهما ..."⁵.

¹ ينظر "المعنى في البلاغة العربية"، حسن طبل، ص124.

² "دلالة الألفاظ"، إبراهيم أنيس، ص129.

³ ينظر "ظاهرة الغريب، تأريخ وتطبيق"، عبد الواحد حسن الشيخ، مكتبة الإشعاع الفنية، مصر ط1، 1999، ص80.

⁴ ينظر "اللسانيات وأفاق الدرس اللغوي"، أحمد محمد قدور، ص150.

وينظر "الإبلاغية في البلاغة العربية"، سمير أبو حمدان، ص135.

⁵ "المرجع نفسه"، ص140.

فالخطيب يحاول من خلال التجوز أن يؤثر تأثيراً فنياً وتقنياً على المستمع، ووسيلته إلى ذلك ليس اللفظ وحده وليس المعنى وحده، وإنما الوسيلة إلى ذلك هي الصورة التي لا يستمد المتلقي معناها إلا بإدراك مقدار التجاوز والانحراف الموجود فيها¹.

يبين عبد القاهر الجرجاني (ت471 هـ) أثر التصوير الفردي المتميز في الأداء بما يحمله من وعي في تحقيق المعنى وزيادته من الوضوح والجلال ما يضفي على عملية الاتصال نكهة خاصة، إذ يقول: "وهل تشك في أنه يعمل عمل السحر... وهو يريك المعاني الممثلة بالأوهام شبيهاً في الأشخاص الماثلة، والأشباح القائمة، وينطق لك الأخرس، و يعطيك البيان من الأعجم ويريك الحياة في الجماد..."².

فاللغة التصويرية هي اللغة الشاعرة³ التي يأتي الخطاب فيها مزدوج الوظيفة والغرض فيكون الأول إبلاغياً، والثاني تأثيرياً ضاغطاً على المتلقي، وذلك باستخدام عبارات قوية ومثيرة حافلة بالصور الفنية والخيال الخصب والدلالات الإيحائية وفق استعمالات مجازية تبعث على الانفعال⁴.

ويتفاوت هذا التأثير المجازي من اتصال إلى آخر، فإن كان شخصياً مباشراً بين المتكلم والمتلقي (الخطيب والجمهور) فإنه يحقق التفاعل بصفة مباشرة، لتوفر جميع عناصره وخاصة المرجع (السياق) الذي من شأنه أن يتيح للمتلقي فرصة التغلب على عدم الفهم، كما قد لا يكون مباشراً كالقصيدة التي يكتبها الشاعر، أين لا يدرك إلا بتمعن في مفرداتها، وإستيعاب ما بين السطور من معان⁵.

وقد نتساءل هنا عن الترجيح بين الكلام الحقيقي والكلام المجازي في الجانب الإقناعي فنقول: هل يفيد المجاز اتصالاً وإقناعاً ناجحاً في كل المواقف دون غموض؟ أم أن الكلام على وجه الحقيقة أولى بتحقيق ذلك؟

¹ ينظر "المعنى في البلاغة العربية"، حسن طبل، ص 124.

² "أسرار البلاغة"، الجرجاني، ص 111.

³ ينظر "اللغة الشاعرة"، العقاد عباس محمود، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1920م، ص 37-45.

⁴ ينظر "الأسلوبية والأسلوب"، عبد السلام المسدي، دار العربية للكتاب، طرابلس، ص 36.

⁵ ينظر، "تكنولوجيا الاتصال والخدمة الاجتماعية، محمد سيد فهمي"، وهناء حافظ بدوي، ص 141.

إنّ اللفظ على وجه الحقيقة يصل إلى المتلقي مباشرة فترتسم له الدلالة دون جهد منه أو إعياء فكري، بينما إن كان على وجه المجاز تطلب منه الإصغاء بتمعن وبذل مجهود لفهم تلك الدلالة، لأن "اختيار الصورة في حالة الأشكال البلاغية رفض للوضوح المباشر المميز للعلامة اللغوية..."¹.

ومع هذا يبقى العناء الذي يتكبده المتلقي لطيفا، لأنه يخرج الكلام من دائرة الركوض إلى دائرة الفصاحة والبيان "فإن كان مرحا كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، ... وإن كان ذمّا كان مسّه أوجع وميسمه ألدغ ...، وإن كان افتخارا كان ... شرفه أجدُّ ...، وإن كان اعتذارا كان إلى القلوب أقرب ...، وإن كان وعظا كان أشفى للصدر وأذكى إلى الفكر..."².

فالمجاز مخالفة "تثير المتلقي وتشدّ انتباهه، إذ كثيرا ما يجد المخاطب بها عند سماعها نشوة كنشوة الخمر حتى إذا قطع عنه ذلك الكلام أفاق وندم على ما كان منه من بذل مال أو ترك عقوبة أو إقدام على أمر مهول وهذا هو فحوى السحر الحلال"³.

هذا ما يجعله عند بعض البلاغيين أحق بالاستعمال من الحقيقة لما يؤديه من أغراض تتجاوز الوظيفة الأساسية للغة، كالتعظيم والتحقير وتلطيف المعنى وزيادة البيان ..."⁴.

يقول ابن الأثير في ذلك: "وكذلك فاعلم أن المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة والبلاغة، لأنه لو لم يكن كذلك لكانت الحقيقة التي هي الأصل أولى منه حيث هو فرع عليها، وليس الأمر كذلك لأنه قد ثبت وتحقق أن فائدة الكلام الخطاب هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتّى يكاد ينظر إليه عيانا، ألا ترى أن حقيقة قولنا "زيد أسد" هي قولنا "زيد شجاع" لكن الفرق بين القولين في التصوير والتخييل وإثبات الغرض المقصود في نفس السامع ..."⁵.

وقياسا على ما سبق نقول إن المجاز طاقة تعبيرية تسهم في توصيل الرسالة بشكل فعال لما تتضمنه من صيغ فنية لها الفائدة الكبيرة في توصيل التجربة النفسية وترك أثرها في نفس

¹ "بلاغة الخطاب وعلم النص"، صلاح فضل، ص 173.

² "أسرار البلاغة"، الجرجاني، ص 93-95.

³ "المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب"، ابن الأثير، ج 1، ص 63.

⁴ "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، السيوطي، مج 1، ص 286.

⁵ "المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب"، ابن الأثير، ج 1، ص 62.

المتلقي فهي "صيغ تجنح إلى المبالغة والانفعال لا لشيء إلا لأنها قررت أن تحفر في دوائنا ندوبا لا تمحى، فمطلبها الأساسي أن تقتحم النفوس بما تملكه من عدة نفسية، والهدف إحداث الخصّة المرجوة والمطلوبة¹.

ومع هذا كله هناك من خالف أسبقية الاستخدام المجازي عن الحقيقي، حتى أنه جعله يعد خاصية لغوية تشكل عيبا من عيوب الدلالة، إذ يقول حامد أبو زيد في كتابه عن القاضي عبد الجبار* إنه جعل المجاز والاستعارة بمثابة عيب في الدلالة اللغوية، يقلل من شأنها، إذا قورنت بغيرها من الدلالات العقلية².

كما يشير ابن الأثير(ت 637 هـ) في موضوع آخر إلى أن المجاز يكون أولى من الحقيقة إذا كان ذا قيمة وفائدة يذهب إليها وإلا فالحقيقة أولى به إذ يقول: "واعلم أنه إذا ورد عليك كلام يجوز أن يحمل معناه على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز ... فلا ينبغي أن يحمل إلا على طريق الحقيقة، لأنها هي الأصل والمجاز هو الفرع ولا يعدل عن الأصل إلى الفرع إلا لفائدة"³.

فابن الأثير (ت 637 هـ) يرى أن المتكلم إن وجد الألفاظ على حقيقتها في التعبير البسيط الشائع كفيلة بالتعبير عن مرسلته وقصده، فليس له أن يلجأ إلى المجاز إلا إذا أراد أن يخفي شيئا من المعاني التي تدور في فكره، والتي قد تظهر جليا إن استخدم الأسلوب اللغوي العادي، لأسباب نفسية أو عصبية تجعله يستهوي وضع المستمع في موضع اختباري، يشوبه شيء من السّتر والتخفي فإما أن يفهم أو لا يفهم⁴.

فالخطيب بأسلوب المجاز يخرج المعاني المألوفة في الأسماع إلى الوجود بأشكال مغايرة غير معهودة، و للّنظم الأثر الكبير في إبراز دلالتها لأنه يحكم في تركيب الصورة وتشكيلها

¹ "الإبلاغية في البلاغة العربية"، سمير أبو حمدان، ص38.

* في كتابه المعني في أبواب التوحيد والعدل.

² ينظر، "إشكاليات القراءة وآليات التأويل"، نصر حامد أبو زيد، ص 102.

³ "المثل السائر"، ابن الأثير، ج 1 ص 63.

⁴ ينظر "الإبلاغية في البلاغة العربية"، سمير أبو حمدان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط3، ص

ويوافق بين الألفاظ والمعاني حتى تستقيم الصورة، إذ يقول الجرجاني في ذلك: "إن الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلا بعد العلم بالنظم والوقوف على حقيقته"¹.

وهكذا يكون للسياق الدلالي أثر في سياق النظم العام، فلا يعقل أن يكون للاستعارة أو الكناية أو التمثيل دلالة أو معنى ما لم تدخل في نظام تشكيلي أساسه العلاقات النحوية².
وقول عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) عن التصوير المجازي أنه "... يعطيك البيان من الأعمج ويريك التئام عين الأضداد"³ ربما يجعله أحيانا يشكل ارتجالا واضطرابا في عملية الاستيعاب، لذا لا بدّ من مراعاة الفروق الدلالية بين الصور، رغم انطلاقها من أصل واحد وهو المعنى المجرد وذلك بأن تتضمن فوارق فيما توحى به من دلالات، أما الفكرة الإيحائية فهي العلاقة بين المعنيين المنتقل بينهما، و يمكن النظر إلى هذه العلاقة من أبعاد ثلاثة:

- أما الأول فهو بعد موضعي حسي يتطلب دقة ومهارة عند تمثيل الأشياء في التشبيه والاستعارة، الكناية والمجاز بصفة عامة.
- والثاني بعد معنوي نفسي، يتمثل في علاقة المبدع بالأشياء ودرجة إيقاعها في نفسه.
- والثالث: بعد فني يتمثل في تجسيد هذا الإدراك لغويا على مستوى التركيب ليكشف عن موقف المبدع، فيقدم للمتلقي خبرة مميزة⁴.

والمجاز من الموضوعات غير المضبوطة، فهو يوسع المرجع من جهة (التطور الدلالي للمفردات)⁵ بتحميل الألفاظ معاني جديدة غير الأصلية، ويسبب ارتجالا في عملية التواصل من جهة أخرى، عندما لا يكون للمستقبل مرجع ثري يحيله إلى فهم المعنى المراد من تلك العبارة أو اللفظة المجازية، لأنه من شروط نجاح عملية الاتصال أن تكون العوامل هي ذاتها لدى الباث والمتلقي(السنن،المرجع،السياق)، و في هذه الحالة على المتلقي أن يبذل مجهودا أعظم من مجهود المتكلم، فحتى يتجاوب الأول مع الثاني عليه أن يحلل العناصر الصوتية

¹ "دلائل الإعجاز"، عبد القاهر الجرجاني، ص 82.

² ينظر، "دلائل الإعجاز"، عبد القاهر الجرجاني، ص 82.

³ "أسرار البلاغة"، الجرجاني، ص 111.

⁴ ينظر "في البنية والدلالة، رؤية لنظام العلاقات البلاغية"، سعد أبو رضا، منشأة المعارف بالاسكندرية، جلال وشركاة، ص 172.

⁵ ينظر "دلالة الألفاظ"، إبراهيم أنيس، ص 135.

والرموز تحليلاً دقيقاً¹، لأن المجاز هو تلاعب في الكلام وإن كان فنياً فهو يعني عدم التطابق بين ما هي عليه الأشياء في الواقع الحسي العيني، وبين ما هي عليه في تلك الصور التي تعتمد على المبالغة.

من هنا يمكن القول إنه تلاعب في صياغة الألفاظ، وإذا اعتبرنا أن هذه الصفة لا تليق بالمتكلم فإننا منعناه من حرية التصرف وحرية القول بما يناسبه، وهذا لا ينفي وجود حدود معينة لا بدّ بالخطيب من أن لا يتجاوزها في ما ندعوه كذباً فنياً، فإن فعل سيفقد كلامه ذلك التأثير النفسي ويصبح مجرد هذيان دون معنى².

كما على الخطيب -وهو في خضم الكلام- ألا لا ينسى العلاقة والقرينة التي تعطي كلامه المعنى الذي يريده، فلا يصرف ذهن السامع إلى ما لا يقصده، وكلاهما يعرف أن هذا اللفظ أو ذلك استخدام على سبيل الحقيقة أو المجاز بحكم السياق الذي يرد فيه³.

وإذا عدنا إلى شروط نجاح عملية التواصل الخطابي أجمالناها في خمسة شروط أساسية هي عند ياكسون على النحو الآتي⁴:

1- معرفة الخطيب لمحيطه الطبيعي والاجتماعي معرفة حقيقية أي أن يكون على وعي تام بالتغيرات العلمية والثقافية و... لمجتمعه.

2- أن يكون الخطيب على وعي تام وعميق بمضمون الرسالة ومدى تعبيرها عن الواقع كما هو موجود.

3- التأكد من التجانس التام في النظام التواصلي بين الخطيب والمخاطب .

4- العمل على ربط خبرة الخطيب وأثارها في الوسط الخارجي بخبرة المخاطب.

5- إعداد الوسيلة إعداداً دقيقاً لتكون مهياًة لحمل المعلومات المراد إيصالها.

ولو أسقطناها على العملية الاتّصالية بلغة المجاز وجدنا أنه قد يعرقل الشرطين الثاني

والثالث.

¹ ينظر "اللغة والتواصل"، عبد الجليل مرتاض، ص 40.

² ينظر "الابلاغية في البلاغة العربية"، سمير أبو حمدان، ص 142.

³ ينظر "العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي"، عبد الواحد حسن الشيخ، ص 126.

⁴ ينظر " قضايا الشعرية"، رومان ياكسون.

أما الثاني فكونه لا يعبر عن المعنى كما هو موجود في الواقع، وإنما هو خروج عنه، وانزياح وابتعاد عنه، وهذا ما قد يولد عرقلة في عملية الفهم لدى المتلقي لأنه عندما يخرج المتكلم، فهو "يستبيح إعطاء المعاني ما لا يستحقه من الألفاظ"¹، و من الممكن أن يكون النظام غير متجانس بين البات و المتلقي، في هذه الحالة يجد هذا الأخير نفسه في موقف إختياري أمام فهمه للرسالة، فإما أن يأخذ المعنى على حقيقة ما و وضعت عليه الألفاظ في المعاجم، وإما أن يأخذ من المرجع ما هو خارج عن الواقع فيحملها معاني أخرى غير تلك الأصلية.

أما كون المجاز يعرقل الشرط الثالث من شروط عملية التواصل يكمن في أن الخطيب أحيانا، وربما غالبا لا يكون متأكدا من أن نظام العلامات الذي يمتلكه متجانس على حد السواء مع نظام المخاطب، وهنا تكمن المشكلة، فدلالة اللفظ الواحد قد تختلف من فرد إلى آخر ومن جيل إلى آخر بسبب التطور الدلالي للمفردات²، فما هو مجازي عند هذا، قد يكون حقيقيا عند ذلك، كما تختلف الدلالات أيضا بحسب المشاهد والتجارب التي مر بها الفرد دون الآخر³.

كما قد يتعرقل الشرط الرابع عندما لا يربط الخطيب خبرته بالمتلقي، فلا يراعي مستواه العلمي والثقافي، فإن سمع مثلا متلق من بيئة فلاحية، خطيب يقول: "...فلا يُطيلُ لسانه على الغير ولا ينطقُ إلا فضلا ولا يقول إلا عدلاً"* فعبارة "طويل اللسان" في أغلب الأحيان سيفهمها بمعناها الصحيح المرتبط بالدلالة الأصلية التي وضعت لها ألفاظ العبارة المسموعة، ولن يفهمها بالمعنى المجازي المقصود، وهو كثرة الكلام والثرثرة، لأن هذا المتلقي لا يملك الفطنة والذكاء والمستوى العلمي الذي يؤهله إلى فهم "معنى المعنى"، فالابتعاد عن المعنى المفوظ هو القضية في باب المجاز، لذا لا بد من مراعاة مستوى المتلقي، حتى إن نجاح المتكلم يكمن على رأي الجاحظ في "...إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار

¹ "البيان والتبيين"، الجاحظ، ج 1 ص 202.

² ينظر " دلالة الألفاظ،" إبراهيم أنيس، ص 135-145 .

³ ينظر "المرجع نفسه"، ص 107.

* خطبة 2013/08/02، قناة شروق ينوز.

منازلهم"¹، كما أن الأمثلة التي ساقها الجاحظ تبين أن العبرة في المجاز إنما هي بالمسافة التي يقطعها المتكلم للوصول إلى المعنى النهائي من وراء الألفاظ² "فالمتكلم في المجاز يطلق لفظا ويقصد معنى غيره لعلاقة بين المعنيين، فهو بهذا يذكر لفظا ويحذف معناه، ويقصد معنى "ويحذف لفظه"³.

و يبقى مع هذا المجاز ضرورة جمالية يقتضيها السياق ويبرر وجوده الحاجة التعبيرية التي لا يمكن الوصول إليها إلا بهذا التوسع الذي يبقى غير مطلق، بل مقيدا بمراعاة مجموعة من المسالك التي على الخطيب (المتكلم) الالتزام بها حتى يستطيع في النهاية جعل المخاطب (المتلقي) ملما بالفكرة المتمثلة في نظم الكلام⁴.

¹ "البيان والتبيين"، الجاحظ، ج 3 ص 39.

² "النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ"، محمد الصغير بناني، ص 282.

³ "المرجع نفسه"، ص 283.

⁴ ينظر "البلاغة والأسلوبية"، محمد عبد المطلب، ص 74.

❖ الفصل الخامس :

الآليات الإقناعية التداولية في خطب المساجد (خطبة الجمعة)

"دراسة حالة" - مسجد* - بوهران - نموذجاً

- العناصر :

- 1- مستوى المقومات الإقناعية (1-1 - الخطيب)
(الجانب الإقناعي)
- 2- المستوى الإلقائي (1-2 - الإلقاء عند الخطيب)
(2-2 - الجمهور)
(الجانب الصوتي)
- 3- المستوى اللغوي والأسلوبي (1-3 - الرسالة الخطابية)
(محتوى المضمون)
- المضمون
- اللغة والأسلوب
- الدلالة والمعنى
- 4- المستوى السياقي (1-4 - الملابس السياقية)
(المكان ، الزمان ، القناة،.....)
- 5- مستوى الاستجابة (1-5 الاستجابة عند المخاطب)
(رجع الصدى)

* يتعذر ذكر اسم المسجد لعدم التشهير

إن الدراسة في هذا الجانب التطبيقي من الرسالة سعى إلى البحث عن العلاقات التداولية القائمة بين أجزاء ظاهرة الخطاب وتحديد الخصائص والسمات والعوامل المؤثرة في موقف معين وإثر فترة زمنية معينة.

فقد إرتأيت الانتقال إلى التحليل الوصفي لظاهرة الخطاب الديني في المسجد*، اعتمادا على منهج "دراسة حالة" ** للتوصل إلى نتائج يمكن تعميمها على الخطاب الديني بشكل عام. فدراسة حالة خطب ملقاة في مسجد معين ، سمحت لي بالتعمق في حقل الواقع، والوقوف على مختلف التفاعلات الاجتماعية القائمة بين المتلقين بشكل مباشر من جهة ، وبينهم وبين الخطيب من جهة أخرى ، وهو ما جعلني أضبط هذه العملية التواصلية وأكشف خصائصها وآلياتها التداولية ، وأبعادها المؤثرة فيها سواء أكانت الإيجابية منها أو السلبية.

* لقد كان ولا زال للمسجد مكانة مركزية ووظيفة محورية في حياة الأمة ، لم تقتصر على تقويم البعد الروحي وممارسة العبادات فقط، ولكن تجاوز ذلك إلى جوانب الحياة المختلفة من التواصل الاجتماعي والتكوين العلمي والبناء النفسي. وقد عظم الإسلام المسجد وأعلى مكانته ورسخ في النفوس قدسيته، إذ خص كبيت من بيوت الله في قوله تعالى: " إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر"، التوبة 18.

فخطباء المساجد قادة وصناع رأي الأمة في المجتمع الإسلامي، يقومون بدور تعليمي وتربوي وإعلامي يلعب دورا كبيرا في تشكيل آراء المجتمع وأخلاقه والمنبر سبيلهم إلى تحقيق ذلك. ولخطبة الجمعة أهمية ومنافع قيمة ، تفيد التوجيه والهداية والإرشاد و كل ما فيه صلاح للمسلمين في أمور عقيدتهم ومعاملاتهم.

وتتضح أهمية الخطبة الدينية من خلال مايلي:

- وسيلة دعوية مباشرة ذات تأثير وفعالية.
- حضور جميع أهل الحي على إختلاف مستوياتهم ومسؤولياتهم وإهتماماتهم يتيح للخطيب فرصة إيصال الرسالة الخطابية إلى معظم فئات المجتمع.
- حضور عدد كبير من المتلقين إلى خطبة الجمعة، يعكس الإهتمام الكبير بها.

- إشتغالها على كل ما يحتاجه الإنسان المسلم في شؤون حياته، ينظر "المسجد في الإسلام، أحكامه، آدابه، بدعه ، خير الدين وانلي، دار تحصيل العلوم ، القبة ، الجزائر، ط 3 ، 1992.

* وهي "...عرض أمين مخلص يفترض أن يكون صادقا لخبرات صاحب الحالة قيد البحث وتجاريه وتفسيراته للعالم الذي يعيش فيه"، تصميم البحوث الاجتماعية ، تنسيق منهجي جديد، حسن الساعتي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1892، ص 170.

وقد جمعت بين تقنيتي الملاحظة والمقابلة معتمدة على التسجيل بالصوت والصورة على أشرطة فيديو لخطب الخطيب من جهة ، وتصوير المتلقين وهم في وضعية الإستماع للخطب من جهة أخرى* ، وإجراء مقابلات مع عينة من المتلقين ،(45 متلقي) يمثلون عينة المبحوثين ، إثر كل خطبة (قبل وبعد) من جهة ثالثة للإلمام بكل عناصر هذه العملية التواصلية الآنية.

والحقيقة أن ظاهرة التفاعل كانت بارزة داخل هذه المؤسسة الدينية – المسجد – أين كان الخطيب ينتج خطابا دينيا مختلف الأشكال والمواضيع والأهداف ، مما سمح لي التعرض لشخص الخطيب والمتلقين ودراسة سلوكهم ودوافعهم ومشاعرهم على أساس الملاحظة، وترقب مدى استجابتهم للموقف بناء على مجموعة من المتغيرات التي كانت تظهر من قبل الطرفين.

فقد كانت العملية هنا في هذا الموقف تعكس دعامة من دعائم الاتصال المباشر الذي من شأنه أن يحقق مالا تحققه أي وسيلة خطابية أخرى بحسب نموذج ياكبسون على النحو التالي:

- (1)- المرسل : الإمام الخطيب (خطيب الجمعة)
- (2)- المستقبل: المتلقين من الجمهور الحاضر (المصلين) في المسجد.
- (3)- المرسل: مضمون خطب (متعددة المواضيع والأهداف).
- (4)- السياق: إستغلال الخلفية الدينية المشتركة، والثقافية و...وما يمتلكه الخطيب من قدرات لغوية وأدائية وجسدية ، واختيار الوقت والمكان الملائم لتحقيق مقصديته.
- (5)- القناة: الهواء + (مكبر الصوت ← قناة فزيائية).
- (6)- السن: مجموع القواعد المشتركة بين المرسل والمستقبل والمتمثلة في اللغة العربية الفصحى (بمستوياتها النحوية ، والتركيبية ، والصوتية) + العامية أحيانا.

* لعدم تمكني من الحضور بحكم جنسي (أنثى).

1- مستوى المقومات الإقناعية : (الجانب الإقناعي)

1-1- الخطيب : هو منتج الخطاب و مرسله، وهو ليس مرسلا عاديا، وإنما له سلطته القولية المستمدة من مقامه في المجتمع، وهي سلطة الإمامة التي تمنحه التأثير في دلالة علاقته بالمخاطبين من عامة الجمهور الذين يتلقون خطابه في زمن و مكان واحد.

وحتى يكون ناجحا وفعالا في أداء مهمته الإقناعية ، لا يسعه إلا اختيار طرق محددة تؤدي به إلى ذلك ، خصوصا إذ كان يواجه طبقات من الجمهور المتباين والمتفاوت في العديد من الخصائص ، هذا ما تم استبياناه في آراء المبحوثين (المتلقي رقم 6، 7 ، 11 ، 24 ، 27 ، 40، 45...)

وخطيب الحالة التي نحن بصدد دراستها- حسب رأي المتلقين- "فإنه يتميز بالتوسط لقلة معارفه" (المتلقي 8)، " وأن خبرته المعرفية والمعلوماتية تكاد تكون محدودة (المتلقي 10) " وأنه غير مدرك لحال المتلقين بصورة دقيقة ، مما يجعل خطبه أحيانا لا تتماشى مع الواقع" (المتلقي 3، 26) ، وهو رأي إجتمع عليه نسبة 65% من المبحوثين والمعبر عنها في الكثير من الأحيان بكلمة "متوسط" ، وأحيانا "ضعيف" بينما نسبة 45% تراه "حسن" (المتلقي 1) ، 9 ، 5 ، 18 ، 20 ، 25)، والملاحظ أن أصحاب هذه الآراء الأخيرة هم أصحاب المستوى العلمي المتدني (ابتدائي ، متوسط).

فعدم إلمام الخطيب بمختلف المعارف التي تسمح له بالتهيئ النفسي والسيكولوجي، والتي تمنح له الثقة في النفس والقدرة على إختيار ما يريد توظيفه من معان ومعلومات وقت ما شاء وكيفما شاء ،تسبب له عائقا يظهر جليا للمتلقين خصوصا أصحاب المستوى العلمي والفكري المتقدم.

إذ أجمع المتلقون (2، 3 ، 8 ، 9 ، 10 ، 11 ، 13 ، 24 ، 25 ، 31 ، 33 ، 37) على أن الخطيب باعتباره يقدم نشاطا دعويا وعظيا إرشاديا توجيها ، يجب أن يكون ملما بالعديد من القدرات*، منها:

* عندما تعرضنا بالسؤال لخطيب الحالة عن كيفية تكوينه كإمام أجاب بأنه تم ذلك في إحدى المعاهد الإسلامية – الخمسة- المنتشرة في التراب الوطني خلال ثلاث سنوات تخللتها فترات تطبيقية، وقد أشار في كلامه إلى أن هذا التكوين بقي ناقصا خاصة في المجال التطبيقي.

1- إمامه بالعلوم الشرعية ومختلف المعارف : التي تجعل منه "يمارس نشاطه بكل كفاءة" (المتلقي 13، 27)، "لا دون المستوى المطلوب" (المتلقي 10 ، 24)، "جاف لا يخلو من الصدق والتأثير" (المتلقي 7 ، 12 ، 29)، "غير واضح ومضطرب" (المتلقي 6 ، 12 ، 16) "سيء" (المتلقي 4، 18 ، 22 ، 33)

2- أن تتوفر فيه الموهبة الفطرية: إذ بعد استبيان آراء المتلقين ، هناك من أرجع هذا الضعف في الأداء والإقناع إلى غياب سليقة الموهبة عند خطيبهم ، باعتبارها أساسية في إكسابه الثقة بالنفس (نسبة 35 /) ، و القدرة على التأثير (نسبة 65 /) ، وبغيابها يغيب الإبداع الخطابي ، هذا ما ظهر جليا من خلال طريقة تقديمه للخطبة فهو يعرضها دائما مكتوبة ، وعدره في ذلك ، أن الإرتجال يسبب له تبعثرا وتشعبا في الكلام، يخشي أن لا يحقق به الفائدة، فهو يفضل القراءة مباشرة من الورقة عن الارتجال أو حتى الحفظ ، هذا ما لم يوافق رأي المبحوثين ، إذ أن نسبة 70 % ترى عكس ذلك ، وفي ذلك يقول (المتلقي 18) "لا يهمني ما يقول لأنه يقرأ خطبته من الورقة، وكان جليا بي أن لا أحضر وأقرأ تلك المعلومات من الكتب"، وعندما سئل عن الخطيب المرتجل أجاب "يعجبني ويهمني الحضور في مسجده لأن في ذلك تأثيرا على انتباهي".

وهناك من المتلقين من استحسنوا هذه الطريقة (القراءة من الورقة) لأنها مبنية على التحضير والإعداد المسبق الذي يتيح للخطيب فرصة التغلب على ما قد يعثره من تشتت أو نسيان أو قلق. نسبة (30 %) كالمتلقي 1 ، 2 ، 6 ، 14 ، 18 ، 22 ، 26 ، 31 ، 34...).

كما أظهر بعض المتلقين رأيهم في أغلب خطباء المساجد ، على "أنهم دون المستوى في أغلب الأحيان ، لا يقدرّون على إقناع أنفسهم ، فكيف يقنعوننا" (المتلقي 10)، فهي "دون المستوى لضعف الوازع الديني لديهم ، إذ ما هي إلا مهنة يستقوتون منها" (المتلقي 7 ، 4 ، 11 ، 13 ، 16 ، 20 ، 24...) حتى أن هناك من حدد نسبة هؤلاء النوع من الخطباء بنسبة تفوق 65% من مجموع أئمة المساجد التي حضروا فيها لسماع خطب الجمعة.

فالموهبة الفطرية* لها دور في تكوين شخص الخطيب ومدته بالثقة عند مواجهة المتلقين في المواقف العامة ←(المتلقي 13) ، ولكن هذا لا يعني أنها لا تكتسب بالجهد والمثابرة والتدريب المتواصل ← (المتلقي 14 ، 36).

فاهتزاز ثقة الخطيب بنفسه تسبب لفت انتباه الجمهور إلى ما هو سلبي، مما يخرجهم من دائرة التأثير، "وغالبا ما يكون الارتباك حاضرا عند الخطيب في لقائه الأول مع الجمهور وهذا أمر عادي" ←(المتلقي 3 ، 6 ، 18 ، 25) ولكن إذا تكرر فإن ذلك يكون حسب جلّ المتلقين أمثال (4 ، 8 ، 10 ، 29...) (بنسبة 70%) ناتجا بالدرجة الأولى عن فقدان الثقة من جهة، وعن سوء التحضير وقلة الزاد المعرفي من جهة أخرى" أو بمعنى آخر"غير متمكن من المعرفة، قليل الخبرة ، ضعيف الشخصية، فيصبح غير مرغوب فيه" (المتلقي 13).

3- أن يكون على خلق حسنة: أما موضوع الأخلاق ، فقد اتفق المتلقون على أن الخطيب هو ← القدوة، فإن تنافت أخلاقه مع أقواله أصبح يحسب رأيهم "منافقا"، لا يؤخذ بكلامه (المتلقي 3 ، 4 ، 5 ، 7 ، 13 ، 14 ، 20 ، 25 ، 34 ، 35 ، 39) ،"ليس بالخطيب الجيد" ←(المتلقي 1) "ماهو إلا مستهزئ على الله" ← (المتلقي 6) ، "خائن " ←(المتلقي 9) "محل شك وريبة، فلا يؤخذ بكلامه" ← (المتلقي 7).

وخطيب الحالة المدروسة، يشهد له المبحوثون بأنه شخص خلوق ، مؤدب بسيط، يحسن معاملة الناس، يحترم الصغير قبل الكبير ، كما أنه ابن الحيّ ولم يروا منه ما ينافي الأخلاق الحميدة "لم نر منه إلا كل خير" ←(المتلقي 3)،"لم نسمع عنه ما لا يوافق الأخلاق أبدا" ←(المتلقي 7 ، 10 ، 12 ، 24 ، 28 ، 38...) ، "ناس ملاح" ←(المتلقي 9).

واستقراءا للآراء المتلقين في استحسان صفات الخطيب، فإن الإجماع حاصل على صفة "التواضع"، "حب الخطيب للحق والعمل به"، "المعاملة الحسنة".

* الموهبة الفطرية الموهبة ، العطية ويقال فلان موهبة أي قادرا ، لسان العرب ، ابن منظور، الجزء 15 مادة "وهب" ، ص 464، ومعناها اصطلاحا هي القدرة التي فطرها الله سبحانه وتعالى عليها الإنسان في أمر من الأمور، والفطرة هي الخلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه، ينظر ،لسان العرب، ابن منظور ، ج10 ،مادة "فطر" ص 317 .

4- أن يظهر من العواطف ما يحمله على التأثير في الأنفس: أما عن المقومات العاطفية، المتمثلة في أحاسيس ومشاعر الخطيب، اتفق المبحوثون على أن الخطاب الديني " ليس تلقينا أجوفاً" ← (المتلقي 1 ، 2 ، 8 ، 15 ، 32 ، 36 ، 40...) خال من العاطفة، وإنما على الخطيب أن يتفاعل تفاعلاً مباشراً مع ما يريد إلقاءه، فيتأثر به هو أولاً حتى تظهر حرارته ليتأثر بها على المتلقين المنصتين له، " فالمتلقي المستمع إذا أحس من أن الكلام يخرج من القلب مس مشاعره بطريقة تلقائية لا إرادية" ← (المتلقي 3 ، 6 ، 8 ، 28) وقد إنفق المبحوثون بنسبة (90%) ، على أنه كلما كانت مشاعر الخطيب قوية، أثر ذلك إيجابياً على درجة إنصاتهم، بعكس الكلام الجاف الذي لا يحمل حرارة النطق والأداء والمشاعر، و الذي يجعل المتلقي غير آبه لما يسمع ← (المتلقي 5 ، 80 ، 14 ، 17 ، 19،...).

"فالمشاعر الجافة تؤثر سلباً على المستمع فلا يتجاوب مع أفكار الخطبة" ← (المتلقي 3).

" برودة الخطاب تجعل المتلقي ينتظر بشغف وقت إنتهائها" ← (المتلقي 12).

"غياب التوهج العاطفي لا يسمح للخطيب بكسر المسافة القائمة بينه وبين المستمع" ← (المتلقي 13).

"صدق الخطيب كالبكاء والحماسة في الكلام هي مفتاح التأثير" ← (المتلقي 10 ، 12 ، 15 ، 18 ، 24...).

وخطيب الحالة يفتقر إلى العاطفة القوية التي تجعل كلامه حياً ينبض بالقوة والتأثير المتلقي ← 2 ، 6 ، 8 ، 9 ، 12 ، 32،...) ، "فهو كثيراً ما يقرأ الخطاب على نفس المنوال ، بنفس الطريقة والإيقاع" ← (المتلقي 8).

"يجعلنا لا نحس بمعاني وحرارة الكلمات" ← (المتلقي 13).

"إن نبرة صوته وملامح وجهة ثابتة لا تتغير" ← (المتلقي 4).

حتى هناك من مثلها "بالبرودة" ← (المتلقي 14 ، 24) وهناك من مثلها بالفضاضة "إن كنت

فضاً غليظ القلب لأنقض الناس من حولك" ← (المتلقي 3 ، 21)، "فهو لم يدرف يوماً دمعة

وهو يعالج أشد المواضيع حساسية في القرآن الكريم ، كعذاب القبر مثلاً بعكس الشيخ سمير* ← المتلقي (1).

* الشيخ سمير هو إمام لمسجد مجاور لحي الحالة المدروسة بحوالي 2 كلم وهو خطيب يعرف عنه الفصاحة والبيان وروعة الأداء والتعبير، والعاطفة القوية الجياشة إذ كثيراً ما يبكي في أثناء خطبه المرتجلة .

5- أن يكون قادرا على الإمام بكل أحوال الجمهور :أما عن هذه القضية وأثرها في تحقيق الأثر، فإن خطيبنا يقول أنه من الضروري وبلا شك مراعاة السامعين من جميع الجوانب، والإتيان بالمادة الموافقة لذلك، وعبر عن ذلك في كيفية التعامل مع جمهوره قبل الخطبة قائلاً "يكون بجس نبضهم ومعرفة أحوالهم وهمومهم" وأضاف قائلاً "أنا كخطيب لا أختار الفئة التي سأوجه لها خطابي، ولا سيما في موعد خطبة الجمعة فهي تضم فئات وشرائح مختلفة - بما في ذلك الرجال والنساء والشيوخ والشباب وحتى الأطفال، ولهذا أسعى لاختيار ما يناسب الجميع". والحقيقة أنني لامست حسب آراء المتلقين (13 ، 10 ، 4 ، 12 ، 33 ، 40) وعيهم التام أن العملية الخطابية تستدعي معرفة خصائص الجمهور من حيث :

أ- الجنس : إذ يرى هؤلاء أن هناك مواضيع يمكن أن تحتوي في مضمونها ما يناسب الفئتين (النساء والرجال)، بينما هناك مواضيع أخرى لا يمكن تناولها إلا بمعزل عن النساء أو الرجال لأن هناك نوع من الحساسية من حيث المرجعية العرقية والدينية.

إذ في سؤال موجه للمتلقين عن شعورهم ، أو ردود أفعالهم إزاء خطبة يتحدث فيها الخطيب عن أخص خصوصيات النساء ، فالنسبة الغالبة المقدرة بـ 60% تشمئز لذلك وترفضه لأنه أمر محرج ، وإنما يجب أن يكون في جلسات خاصة ، إذ يقول المتلقي(2) : "إذا تحدث الإمام في أمر كهذا أكون محرجا، خاصة إذا كنت مع والدي"، كما في قول المتلقي (11): " هذه المواضيع يجب أن تكون في جلسات خاصة لا في مكان فيه المتعلم والعامي".

والأصل لا حياء في الدين ، هذا ما عبر عنه نسبة 40% من المتلقين باعتباره أمر عادي "إن الشخص لا يبقي جاهلا متكتما عن أمور دينه" ← المتلقي (14 ، 20 ، 25 ، ...).

ب- العمر: فبحسب آراء المبحوثين ، على الخطيب أن يراعي عامل العمر ،لأنه يعكس القدرة على تحمل طول الخطبة من قصرها ،فالشيوخ الكبار مثلا عادة ما ينامون* داخل المسجد والخطيب يلقي خطبته والسبب قدومهم مبكرا تم طول الخطبة بعد ذلك، فيعترتهم العياء ويغلبهم النعاس.

* مثلما لوحظ عند بعض المتلقين غير المبحوثين.

ج- البعد الاجتماعي و الاقتصادي: يرى المتلقي (9 ، 13 ، 14 ، 18 ، 25 ، 37 ، 41...) أنه من الضروري أن يتعرض الخطيب إلى المواضيع المرتبطة بحياة وواقع المجتمع الذي يعيش فيه و الحي الذي يترأس إمامته ، فلا يتكلم عن الغنى وهو في حيّ أناسه فقراء.

وإمام الحالة يراعي تلك الأبعاد في خطبه، في قوله: "طبعاً هذا شيء مهم وأساسي في نجاح الخطاب، فمن الضروري معالجة القضايا المرتبطة بمشاكلهم وأوضاعهم..." ويضيف قائلاً: "لأن الناس بأمس الحاجة إلى رأي الدين في كل شيء يخص حياتهم، خاصة ما يرتبط بالأمور العائلية ، وأمور المعاملات... والخطبة تبنى على أساس إيجاد الحلول لمشاكل الناس وفقاً لصيغة دينية". واستدل على كلامه قائلاً: "إن القرآن كان يتنزل طيلة حياة الرسول (ص) ليعالج المواقف والوقائع التي كانت تقع آنذاك، كما كان (ص) يستغل وقوع الأحداث والمناسبات ليحدثهم عنها، والهدى النبوي هو مسارنا وقدوتنا إلى ذلك".

6- أن يكون ذو هيئة ومظهر يكسبه الوقار : أجمع المتلقون على أن لذلك دور كبير في تحقيق التأثير بنسبة 90 % ، وهذا ما أكده خطيبنا قائلاً: " يجب أن يكون الخطيب ذا هيئة ووقار وأصالة، لأن في ذلك سبيل إلى تحقيق التأثير" وهو يظهر في كل خطبة بعباءة بيضاء وطاقيّة ويتكأ أحياناً على عصي ، وأحياناً على خشبة المنبر، وهو مظهر يراه المتلقون مناسباً لخطيب الجمعة، "إنه يظهر بمظهر يليق بخطيب ديني"← (المتلقي 1 ، 6 ، 18)، "أرى أنه يظهر لنا بمظهر مناسب"← (المتلقي 12)، "هو يتبع السنة النبوية في لبسه" المتلقي (2) ، "له هندام جيد"← (المتلقي 9 ، 17 ، 20 ، 38 ، ...)، "يظهر بهيئة حسنة وذلك أدعى للفت الانتباه، وجلبنا إلى الإنصات له"← (المتلقي 3 ، 18 ، 20).

7- أن يظهر بابتسامة مشرقة: يبقى هذا الأمر نسبي فقد اتفق المتلقون بنسبة 55 % على أن "الابتسامة في وجه أخيك صدقة" وخطيب الحالة (المتلقي 1 ، 3 ، 8 ، 24 ، 28...) يملك تعابير وجه تعكس الجدية التامة، إذ نادراً ما يبتسم في وجه جمهوره وهذا أمر غير مرغوب فيه ، مع أن الخطيب عندما سئل عن موضوع الابتسامة وأثرها في العملية الإبلغية أجاب قائلاً: "هي مهمة في نجاح الرسالة الموجهة".

بينما رآها البعض الآخر (45% من المتلقين) أنها مطلب غير ضروري في تحقيق الإقناع← (المتلقي 2 ، 7 ، 16 ، 20 ، 26).

1-2 الجمهور:

أما عن فئة الجمهور ، فقد تم اختيار عينة من المبحوثين ووضعهم تحت إطار الملاحظة أثناء وبعد الخطبة من جهة ، وإخضاعهم لمجموعة من الأسئلة لنصل إلى مطابقة ما لحظناه وسجلناه ، وما يشعر به المتلقون أثناء وبعد تعرضهم للموقف الخطابي ، عن طريق الحوار الشفوي تارة ، وعن طريق استفتاءات كتابية توجه إليهم (على شكل إستمارة استبيان) تارة أخرى.

وقد وقع اختياري على عينة منتقاة تحمل الدلالات المرتبطة بالبحث فكان عددهم (45) شخص من المقيمين داخل البلدية المقام حولها البحث، وكانت أعمارهم تتراوح بين 20 سنة و61 سنة من إناث وذكور مختلفي الأنشطة والمستوى التعليمي، ولم تضم الفئة المدروسة ما يفوق عمرهم 64 سنة نظرا لعدة اعتبارات ، وهو ما يمكن أن يدخل في جملة من الصعوبات والتي يمكن تحديدها كالاتي:

- إمتناع فئة المسنين عن التجاوب مع المقابلات.

- عدم الحضور بشكل منظم كل خطبة جمعة إلى المسجد لظروفهم الصحية.

- تضارب آرائهم وتغيرها من حين إلى آخر.

كما لم تضم الدراسة فئة أقل من 20 سنة، لضعف القدرة الاستيعابية عند هذه الفئة ولمستواها اللغوي الذي لا يتوافق ومحتوى الدراسة.

كما لم تضم أيضا عدد كبير من النساء (حوالي 18 امرأة فقط)، وذلك راجع إلى سببين:

- أولها قلق وتضايق فئة الإناث من المقابلات المتكررة نظرا لشكوكهم ومرجعياتهم

الثقافية والنفسية، إذ كثيرا ما واجهت امتناعهم عن التعاون معي في هذا البحث.

- ثانيها: أن هذه الفئة لا تنطبق عليها دراسة أثر الإلقاء والإجابة عن الإشكالية التي

يتضمن أحد أطرافها جانب الأداء، علما بأن الإناث في معزل عن رؤية الخطيب.

والحقيقة وأنا بصدد تحليل مستوى الجمهور المبحوث في هذا البحث، الذي ضم فئات

مختلفة من الأشخاص سعيت إلى مراعاة مجموعة من الخصائص:

1- العمر: فالملاحظ أن القدرة على تحمل طول الخطبة من قصرها قد اختلف وتباين بتباين

أعمارهم ، إذ لاحظت بعض المتلقين من الشيوخ ينامون داخل المسجد ، وأحيانا حتى الشبان

والكحول ، وذلك راجع لأسباب صحية ، أو نتيجة للتعب والإرهاق.

2- المستوى المعرفي والثقافي: أثبتت المقابلات معهم أن طريقة إجاباتهم على الأسئلة الموجهة إليهم سواء الشفوية أو المكتوبة (الاستمارات) تعكس مستواهم المعرفي والعلمي، فهناك من كان يجب بلغة فصيحة وبتركيب صحيح (المتلقي 2 ، 3 ، 4 ، 6 ، 8 ، 9 ، 11 ، 12 ، 13 ، 14 ، 27 ، 29)، وهناك من كان يجب بالعامية (المتلقي، 1 ، 18 ، 19)، وعند تعرضنا لجلّ المبحوثين بالسؤال عن أثر مستواهم الدراسي والعلمي في تحقيق الفهم، أجمع الكل على أن لذلك أثر كبير (المتلقي 9 ← 13 ، 27 ، 28...) "بطبيعة الحال" (المتلقي 2، 5 ، 9 ، 11 ، 28...)، "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" (المتلقي 2) إلا بعض الحالات (المتلقي 5 ، 28 ، 35) و (المتلقي 8) الذي قال: "ليس شرط ، فالإمام وطريقة توجيهه للكلام هي التي تلعب دورا في إيصال الأفكار حتى للأمي غير المتعلم."

3- المستوى الاقتصادي: أثبتت الدراسة أن الوضعية الاقتصادية تنعكس بشكل مباشرة على نفسية المتلقي، فالعديد من المتقين غير المدروسين، والذين تظهر عليهم علامات الفقر والعوز (من خلال مظهرهم) ، وبعد التعرض إليهم ببعض الأسئلة التي أثبتت وضعيتهم الاقتصادية المزرية، أنهم في أغلب الأحيان يظهرون شاردية الذهن غير آبهين بما يلقي عليهم من كلام ووعظ، وذلك راجع إلى الوضعية النفسانية التي يعانون منها والتي تمنعهم من الانتباه والإصغاء ، لهذا استبعدوا من الدراسة.

4- المستوى الديني: إن يوم الجمعة يوم مبارك عند كل المسلمين فهو مقدس يجتمع فيه المسلمون لأداء فريضة الصلاة جماعة، كما يؤجر من يحضر وينصت إلى الخطبة، لما لها من منافع جمّة على المسلمين، قال رسول الله (ص) "من اغتسل يوم الجمعة وتطهر بما استطاع من طهر ثم إدهن أو مسّ من طيب ، ثم راح فلم يفرق بين اثنين ، فصلى ما كتب له، ثم إذا خرج الإمام أنصت ، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى"¹.

فخطبة الجمعة تحمل دعوة دينية تمس كل مجالات الحياة والآخرة ، وقد اتفق المتلقون بنسبة 100 % على أنها "تلعب دورا هاما في تصويب حياتهم"← (المتلقي 9 ، 15)، كما أنها "حاجة ماسة للمجتمع"← (المتلقي 2)، "فهي خطاب مرابي ومصحح"، "إرشادي ووعظي" (المتلقي 8) "تثبت الشخصية الإسلامية"← (المتلقي 3)، "تساهم في إصلاح الفرد داخل عائلته ومحيطه ومجتمعه"← (المتلقي 25)، حتى أن هناك من اعتبرها "أصلح وأنفع الخطب الموجهة

¹ صحيح البخاري ، دار الفحاء ، دمشق، طبعة صحيحة ومرتبّة، ط2 ، مارس 1999 ، ص 146.

(السياسية ، الثقافية ، الاقتصادية...) لمساهمتها في اصلاح الفرد والمجتمع بشكل مباشر" (المتلقي 22).

وقد تفاوتت الآراء فيما يتعلق بواقع الخطاب الديني اليوم بين ما هو إيجابي وسلبى، أما الآراء الإيجابية فكانت 70% والمعبر عنها بـ "لابأس بها"، "في المستوى" ← (المتلقي 1، 27 ، 28 ، 31 ، 32)، أما السلبية فكانت تمثل نسبة 30% والمعبر عنها بـ "سيء" ، "واقعه ظاهر في حياتنا بما نلحظه من ضعف وهوان أئمة مساجدنا" ← (المتلقي 4) "أقل من المستوى، لأن النظام السياسي السائد يحول دون ذلك" ← (المتلقي 3)، "لأنه يتبع ويسير وفقا لتوصيات من جانب غير ديني، بل سياسي"* ← (المتلقي 13 ، 26)

وهناك من حصر نجاح الخطب الدينينية بنجاح الخطباء أصحاب المنبر، على حد قول المتلقي (18) ← "أرى أن الخطبة تتفاوت من حيث المستوى والقوة التأثيرية بحسب الخطيب". أما المقومات والأسس التي لا بد أن ينهض بها الخطاب الديني- بشكل عام- حتى يكون في المستوى المطلوب فقد اختلفت الآراء، "يجب أن يكون حماسيا وواقعيًا" ← (متلقي 11) - "موافقا لهدي النبي، عاما وشاملا" ← (متلقي 2 ، 7). - "أن يوجه من طرف أصحاب الكفاءات والعلم" ← (متلقي 13) - "أن يعتمد أكثر على الحجج والبراهين والاقتراسات لتوضيح المعنى والدلالات" ← (المتلقي 5). - "أن يكون موازيا لتطورات وأحداث المجتمع" ← (متلقي 22). - "أن يكون منصبا على عمق المعاني الروحية التي تتمثل في التقوى والإخلاص والعدل والسلام و..." ← (المتلقي 36).

* وهذا أمر نفاه إمام الحالة المدروسة قائلا: "أنا حرّ في اختيار كل مواضع خطبي ومعالجتها وفقا لما يقتضيه شرع الله، وإن كان فيها مساس بالحكم والحاكم".

(2)- المستوى الإلقائي : (الجانب الصوتي)

1-2 الإلقاء عند الخطيب:

يجد الخطيب نفسه وهو يلقي خطابة أمام حشد من الناس وهو موقف – كما سبق الذكر- يحتاج إلى الكثير من الثقة بالنفس، والإلقاء الجيد مرتبط ارتباطا مباشرا بالخطبة المرتجلة والتي تتطلب براعة الأداء والإلقاء.

وخطيب الحالة المدروسة يلقي-دائما- خطبته مباشرة من الورقة التي يمسكها بيده اليمنى، وهذا ما يفسر قلة التفاف الجمهور من حوله*، فبدون شك هناك فارق كبير بين خطيب يلقي خطبته إرتجالا يعزز من خلالها الاستماع والاستمتاع لدى الجمهور ، وبين خطيب يعتمد على الورقة ، وهذا ما رصدناه عند أحد المتلقين (المتلقي 12) الذي أخذ يقارن بين خطيبنا وبين خطيب لإحدى المساجد القريبة من الحي أين يخطب الإمام ارتجالا بكل قوة وتأثير.

وهناك من المتلقين ←(1 ، 3 ، 8 ، 9 ، 10 ، 24 ، 27) من يرجع العيب في الخطبة ليس إلى كونها ارتجالية أو مكتوبة وإنما إلى سوء الإلقاء، فحتى الخطبة المكتوبة إذ كانت ذات إلقاء جيد وتلاوة جميلة فإنها ستؤثر في نفوس السامعين وتشد انتباههم وتثير عواطفهم.

ومع هذا فإن أغلب المبحوثين(75 %) يميلون إلى سماع الخطبة الارتجالية، وحبذوا لو كان خطيبهم قادر على فعل ذلك، ومرجعهم في ذلك الأسباب الآتية:

- أنها تزيد من رفع وثيرة الانتباه من خلال الأداء الذي يتحرر فيه الصوت مع حركات الجسم
ا ←المتلقي 12 ، 13 ، 16 ، 18 ، 23).

- أن العامل النفسي للمتلقي يجعله يميل ويثق أكثر في الخطيب المرتجل كدلالة على إمكانياته
(← المتلقي 2 ، 4 ، 7 ، 11)

- أن الخطيب الارتجالي قادر على التأقلم مع مستجدات الموقف على عكس خطيب الورقة
(المتلقي 11 ، 24).

* فقد رصدنا يوم 2013/11/08 حوالي 380 مصلي.
ويوم 2013/10/18 ، حوالي 280 مصلي.

وقد علل الخطيب سبب عدم قدرته على تقديم الخطب ارتجالاً قائلاً : "الارتجال والكلام المباشر بكل ما يدور في خاطر أمر سهل بالنسبة للخطيب المتمرس" ، هذه الإجابة الصريحة هي اعتراف مباشر منه على قلة خبرته في هذا المجال.

أما إذا عدت إلى أهمية الإلقاء باعتباره يمثل الجانب الصوتي للمضمون الدلالي، فمما لا شك فيه "أنه الوسيلة الأمثل في الوصول إلى قلوب الناس" ← (المتلقي 8) وهي "فن لا بد أن يتمكن منه الخطيب حتى ينجح في تحقيق مبتغاه" ← (المتلقي 13).

فالخطاب الديني سواء كان ترغيباً أو ترهيباً، أو إرشاداً... فإنه يجسد عملاً خطابياً مفتاحه الإلقاء ، من خلال تلك التلوينات الصوتية التي تصدر عن الخطيب من شدة وإيقاع وتنغيم ونبر وفواصل وسكتات وغيرها ، فهي من متطلبات الحقل اللساني الصوتي، إلى جانب عنصر الأداء الذي يعكس جماليات الصوت القوي واللّهجة المعبرة، بالنظر في درجات استغلال الصوت من خلال الأساليب القولية كالتعجب والاستفهام والنداء والتوكيد...

وخطيب الحالة -حسب آراء الجمهور المتلقي(نسبة 60%) - وإن كان يملك ذخيرة معرفية لابأس بها، إلا أن العملية الإلقائية ضعيفة ، كونه لا يبرز إيقاعاً ونبراً وتركيزاً وتشديداً يخلق تجاوب شخص السامع مع منطوقه ليعزز وصوله بشكل يحقق له التأثير. ، بينما يراها 40% منهم أنها لا بأس بها.

يقول أحد المتلقين في سياق الحديث عن الإلقاء الجيد وأثره (المتلقي 2) أنه كثيراً ما حضر خطباً أثرت في نفسه تأثيراً بالغاً لحسن آدائها وإلقائها معبراً عن ذلك بقوله "أحسست وكأنني أعيش تلك الوقائع والأحداث التي يسردها الخطيب (يوم القيامة) فازدادت دقات قلبي واهتزت مشاعري واقشعر بدني، حتى أدرفت دموعاً من شدة الخشوع والخشية من الله، ذلك لأن الخطيب كان يتكلم بصوت قويّ ونبر ملائم للمعاني والأحداث وسكتات مناسبة ، كما أظهر عاطفة قوية حتى أدرف دموعاً".

فالذي يدل على صدق الخطيب فيما يقول هو "اندماجه مع مضمون خطابه وتعبير ملامح وجهه ودرف الدموع" ← (المتلقي 10 ، 24).

فما يجذب الجمهور ويؤثر فيهم حقاً، بحسب عينة البحث يتأرجح بين العملية الإلقائية وحسن الأداء الصوتي تارة وبين مضمون الخطاب و أسلوب الطرح تارة أخرى (الرسالة)، ولكن النسبة الغالبة والمقدرة بـ 65% جاءت آراءها موافقة للعمل الإلقائي (الجانب الصوتي

والآدائي)، كما جاء في قول المتلقي(13): "الذي يؤثر في نفسي حقا، مضمون الخطاب وطريقة إلقائه، لأنهما متكاملين فإن كان المضمون جيد والإلقاء سيء فإن هذا يؤدي بي وربما بالمستمعين الآخرين إلى الشعور بالملل، خاصة عندما تكون وتيرة الكلام على نفس المنوال...".، بينما نسبة 35 % من المتلقين يرون أنهم يستجيبون أكثر لمضمون الخطاب رغبة في الحصول على أكبر عدد من المعلومات ← (المتلقي 4)، "كونها (الخطب الدينية) تشحن الروح بالتقوى والإيمان وتبعث فيها حب الحياة في طاعة الله" ← (المتلقي 9).

فلو أمعنا النظر في نسبة الفئة التي تلي اهتماما للمضمون لوجدناها تقل عن التي تولي اهتماما للعملية الإلقائية، والسبب يرجع -بعداستبيان آراء المتلقين - إلى أن:

- المستمع يتفاعل بشدة مع مشاعر الخطيب والتي تظهر في صوته وإشاراته، وإيماءاته وبكائه ..(المتلقي 1 ، 3 ، 5 ، 13 ، 16...)

- جهازة الصوت وتنوع إيقاعه من نبر وتنغيم ورفع وخفض يبعث على الانتباه والإنصات ← (المتلقي 4 ، 7 ، 11 ، 20 ، 24،).

- الإلقاء الجيد يؤدي إلى سرعة الاستيعاب والفهم ← (المتلقي 7 ، 9 ، 18 ، 23...)

وليكون إلقاء الخطيب ناجحا -بحسب آراء المبحوثين- عليه أن يتضمن مجموعة من المواصفات الكلامية وهي:

1- معدل سرعة الكلام: فعلمية التخاطب -من دون شك- تختلف من شخص إلى آخر ، وغالبا ما تكون طريقة تعبيرنا عن الأشياء أهم من الشيء ذاته ، وخطيبنا يلقي الكلام وفقا لتوتيرة صوتية معتدلة ، متمهل في تدقيق كلامه فهو وسط ، لا يسرع و لا يبطئ مما يجعل كلامه واضحا مفهوما للعيان.

ف"الأداء الصوتي إن لم يتناسب مع نوع الموقف والمضمون فإنه سيؤدي حتما إلى عدم استعظام الحديث وإن كان مهما" ← المتلقي (2 ، 3 ، 6 ، 18 ، 24 ، 27...).

فمن المفيد أن يوزع الخطيب أداءه الصوتي، "فلا يكون على وتيرة واحدة تقاديا للملل، وأن لا يكون بطيء جالبا للكسل والنعاس" ← (المتلقي 10)، "ولا قويا مشوشا يشتت الانتباه" ← (المتلقي 8).

كما تنوعت الآراء واختلفت من حيث قدرات الخطيب فيما يتعلق بالنبر والتنغيم والخفض والشدّة واللين، فمنهم من عبر عنها بـ "جيدة" (المتلقي 8 ، 15) ، "قوية" (المتلقي 1 ، 25) ، "مقبولة" (المتلقي 6 ، 9) ، "ضعيفة" (متلقي 2 ، 13 ، 27...).

والملاحظ أن أغليبتهم بنسبة تفوق 70 % كان معبر عنها بـ مقبولة ، "فصوته يكون أحيانا محترما للصيغات من جهر وتنغيم وإيقاع ، وأحيانا غير ذلك ، مما يخلق توترا في إدراك المعنى" (المتلقي 13) ، "فالصوت حينما يوزع على مساحة الكلام بشكل صحيح يحقق الإدراك العميق للمعاني مما يسبب التأثير فينا، وهذا ما يفتقر إليه خطيبا" (المتلقي 2) رغم أنه لا يعاني أيّ عاهة نطقية أو خلقية ، وإنما يتميز بسلامة مواضع النطق من أي خلل أو عيب ، وحسن مخارج الحروف، إذ تخرج أصواته من أماكن التقطيع بوضوح ، كما أنه يمتلك جهازة الصوت المتميزة بالقوة.

ولدراسة آراء المتلقين المتباينة حول موضوع الامكانيات الإلقائية لخطيبنا، اجتهدت في تحليل خطبه المسجلة بالصوت والصورة.

فهل ألم خطيب الحالة المدروسة بها وبقواعدها؟

لقد أخطأ الخطيب في نطق عدد من الكلمات ، إذ توقف في مواطن لا تستدعي ذلك فاعتبرت سكتات قبيحة ومنها :

- يبين المضاف والمضاف إليه " ونزل فيها الفرقان لا المبين"¹

- بين إسم الإشارة وبدله " هذا لا الرجل المؤمن الذي يخشي ربه"²

وأحيانا أوقع السكتة في مواضع لا تتطلب السكوت فبعد ال التعريف وهي من أقبح السكتات مثل:

" فلان الله غني عن الـ العالمين".

وانتشر فيها الـ الحق على الـ باطل"³.

"...ومن أهم هذه الـ صور و المنكرات، الذهاب في هذه الليالي المباركة إلى الأسواق..."⁴

- والفصل بعض حروف الجر عن أسمائها المجرورة بالوقف كقوله.

لا تعني السكتة

¹ خطبة 2013/10/11.

² خطبة 2013/08/02.

³ خطبة 2013/10/11.

⁴ خطبة 2013/08/02.

"إنما لا يتوجب فعل الخير"¹.

"والأمة الإسلامية في لا صراعات"²

"وليكن قائما بحق من لا ولاه الله أمرهم"³.

- وبين إسم الإشارة وبدله في قوله :

"أيها لا الأحبة الاكرام نعرف ونقر ونغض الطرف عن هذه لا الظواهر المعكوسة وهذه

الأعمال المرفوضة التي أصبحت كأنها سنّة من سنن رمضان المبارك"⁴.

كما تجاوز خطيب الحالة السكتة الناقصة القاعدية في :

جملة مقول القول: "جاء في قول رسول الله "ص" كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"،

وكان المفروض أن تكون هناك سكتة على النحو الآتي:

جاء في قول رسول الله "ص": "لا كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته"⁵.

- استعمال همزة الوصل في مواضع على أنها همزة قطع أثناء النطق في المواضع الآتية:

- ألف التعريف مثل: "وذلك بمكة المكرمة"⁶

"انتصر فيها الحق على الباطل"⁷، "المسلمون السابقون"، "وجه الله المبين"⁸.

"أكثر من الصلاة علي يوم الجمعة"⁹.

"...من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء الله له نورا بين الجمعتين"¹⁰

- فصل بعض حروف الجر عن أسمائها المجرورة في قوله:

"بعد التفريط في/ الإيمان الصادق"¹¹.

"والتفريط في حب الذات وفي/ الأناية"¹².

4خطبة 2013/11/15

2خطبة 2013/10/11

3خطبة 2013/08/02

4خطبة 2013/10/18

8خطبة 2013/10/15

6خطبة 2013/11/15

7خطبة 2013/10/11

8المرجع نفسه

9خطبة 2013/09/20

/ تفيد الفصل

10 2013/09/20

11خطبة 2013 / 08 / 30

12خطبة 2013/08/08

- كما وقعت بعض الأخطاء في مخارج الحروف كقلب الصاد سين ، فنطق "خاسة" بدل "خاصة"¹.

التضير ← التدبير²

زواء ← سواء³

سورهم ← صورهم⁴

التسكين في بعض المواضع خشية الوقوع في الخطأ، مما يثقل الكلام:

"ولنعلم أن هذا اليوم هو يوم لعلاج النفس وتطهير الروح ، فيوم العيد هو يوم وصلة بين المسلم وأخيه، وبين القوي والضعيف وبين الغني والفقير"⁵.

"خير يوم طلعت فيه الشمس ، فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة"⁶.

- التركيز الموزع بالتساوي على كل الجملة ، دون تركيز على كلمة أو جملة صوتيا بغرض إبرازها.

مثل قوله: "إن المتكبر يرى نفسه كبيرا ويرى غيره صغيرا، فينظر إليه باحتقار ، كأنما هو من خلق أقل من خلقه، مع أن الناس كلهم من أصل واحد"⁷ ، فكان على الخطيب أن يركز في بعض المواضع التي تعد فيها الكلمات مهمة ومفتاحية مثل "المتكبر" ، "كبيراً" "صغيراً" "أقل من خلقه" ، "من أصل واحد" ، وفي قوله: " إن مصير المتكبر النار"⁸، التركيز على كلمة النار" ، وقوله: إن الكبرياء لله وحده ، وهو القادر ولا يقدر عليه وهو الحكيم القدير الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وهو الذي يحي ويميت"⁹، التركيز على كلمة "الله" ، "القادر" "الحكيم" ، "فسوى" ، "فهدى" ، " يحي ويميت"

¹ خطبة 20/09/2013

² خطبة 11/10/2013

³ خطبة 16/08/2013.

⁴ خطبة 08/08/2013.

⁵ المرجع نفسه.

⁶ خطبة 20/09/2013

⁷ خطبة 20/09/2013

⁸ خطبة 20/09/2013

⁹ خطبة 27/09/2013.

* التلقي عند المخاطب:

ترتبط نجاح أي عملية تواصلية – أساسا – بمدى معرفة المتكلم بجمهوره المتلقي لخطابه، هذا الجمهور الذي صنفه "دينيس هويت" إلى نوعين¹:

1- **الجمهور العنيد** : وهو الذي لا يستسلم بسهولة للرسالة المقدمة وهذا ما يفرض خطيب له قوة إقناعية كبيرة لتغيير آرائهم ومعتقداتهم.

2- **الجمهور الحساس**: وذلك كثيرا ما يكون متعلق بالأفراد الأكثر حساسية كالمراهقين والشباب والنساء ، وكبار السن، هذا النوع من الجمهور الذي كثيرا ما يكون بحاجة إلى الحماية. وعملية التلقي - عند جمهور الحالة المدروسة – تستند أساسا على عملية الاستماع، باعتبار أن الموقف عبارة عن خطاب لغوي شفوي موجه من خطيب إلى جموع الحاضرين، وباعتبار أن الأصل في الفهم والإفهام أن يكون عن طريق تلك الوسيلة الطبيعية التي هي عماد كل نمو عقلي، وأساس كل ثقافة ذهنية ، تلك التي أشار إليها ابن خلدون في مقدمته المشهورة حين قال: "السمع أبو الملكات الإنسانية"².

فالاستماع ضروري لتحقيق الاستجابة ، وتوافر حسن هذه المهارة عند المتلقي كفيلة بجعله يدرك المعنى الدقيق الذي يقتضيه ذلك الإتصال اللغوي وفقا لمقتضياته التداولية، فحاسة السمع تلعب دورا هاما في الوقوف على مقاصد المعنى إذ أن "المخاطب إذ لم يحسن الاستماع لم يقف" على المعنى المؤدي إليه الخطاب، والاستماع الحسن عون للبليغ على إفهام المعنى"³ فالسمع* الجيد كفيل بأن يوقف المتلقي على الإفادة التي يريدتها المتكلم.

وحتى يكون مهارة تحقق الفائدة لأصحابها (حسب آراء المبحوثين) ، لا بد من أن:

- " نستمتع بعقل متفتح إلى ما يقوله الخطيب" ← (المتلقي 10).

- " لا تفقد التركيز والانتباه" ← (المتلقي 23).

- " نلاحظ الحركات الموائية للكلام" ← (المتلقي 11)

¹ ينظر، "الإتصال ونظرياته المعاصرة"، حسن عماد مكاي ، ص 61.

² "المقدمة"، ابن خلدون ، ص 596.

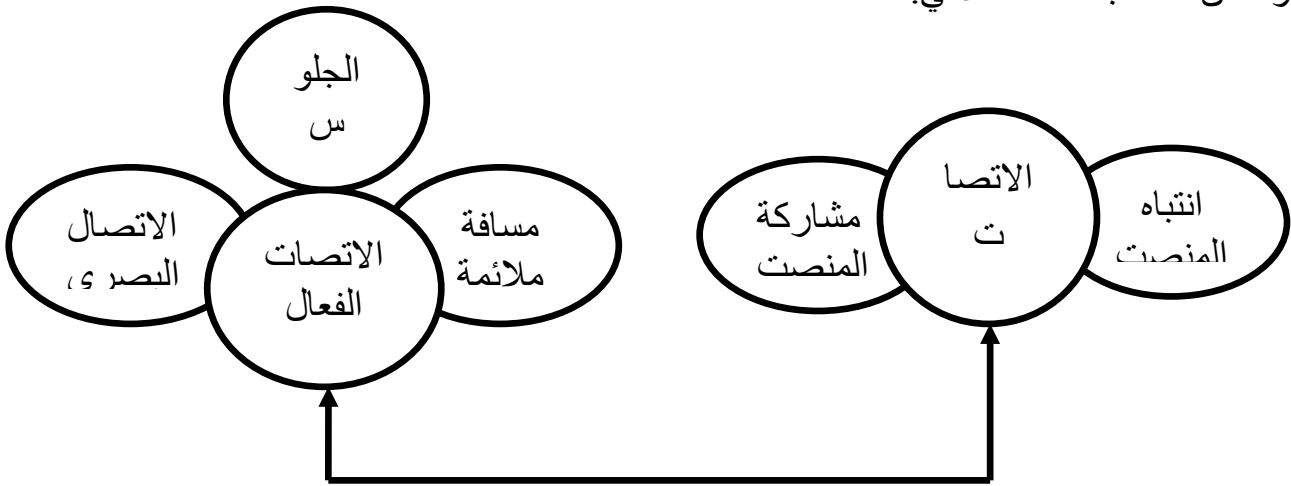
³ "الصناعيين" ، العسكري ، ص 26 .

* وهناك فرق بين "الاستماع" و"السمع" فالسمع قوة في الأذن تتحرك بها الأصوات وسمع لفلان ، أو إليه سمعا وسماعا أصغى وأنصت ، والاستماع من أسمعته أي أصغى إليه، وأصغى بمعنى أحسن الاستماع ، "لسان العرب" ، ابن منظور المجلد ، مادة سمع ، ص ، ج 6 ، مادة سمع ، ص 405.

ولمزيد من التعاريف حول السمع وأهمية بنظر "الأصوات اللغوية"، ابراهيم أنيس ، ص 14 ، وما بعدها، وينظر، "تنمية مهارات التواصل الشفوي، راشد محمد عطية ، ص 160، وما بعدها.

- " نكون مهئين بدنيا لسماع الخطبة" ← (المتلقي 22).
- " نقاوم عوامل الإلهاء" ← (المتلقي 33).
- " لا نتكلم أثناء الإنصات" ← (المتلقي 5 ، 42 ، 45).
- " نكون صبورين" ← (المتلقي 9 ، 19).

كما يري جلّ المتلقين بنسبة 90 % أن طريقة الجلوس الصحيحة والقريبة من الخطيب (التي توفر الاتصال البصري) تلعب دورا كبيرا في تحقيق الإستماع وبذلك الإتصال الفعال ولنا أن نمثله بالمخطط الآتي:



الإتصال الفعال

و قد تبث أن فئة الإناث التي يغيب عنها الإتصال البصري بالخطيب (المتلقي من 27 – إلى 45)، كثيرا ما يصيبها الشرود لغياب شخصه عنها* ، مما يسبب ضعفا في التركيز ، الذي يؤدي إلى قلة الانتباه ، وبذلك ضعف وتشويش في عملية الإنصات** .

* هذا ما جعل بعض المساجد الآن توفر شاشة كبيرة عند فئة النساء تعكس مباشرة ، "بواسطة الكاميرات" – صورة الخطيب وهو يلقي الخطبة على المباشر.

** هناك فرق بين الإنصات والاستماع ، قال تعالى " إذى قرئ القرآن ، فاستمعوا له ، وأنصتوا لعلكم ترحمون" ، الأعراف آية 204 ، فالإنصات هو الاستماع المركز ، ويعني تفاعلك وتركيزك مع المتحدث يكون تاما سعيا إلى الفهم الدقيق ، ينظر "الاتصال الفعال بين الأفراد والجماعات" ، فهد خليل زايد ، دار النفايس للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1 ، 2009 ، ص 84 . أما الفرق بين الإنصات والإصغاء ، فإن الثاني هو استماع مستمر غير منقطع مع شدة الانتباه والتركيز لما يسمع ، ينظر ، "تنمية مهارات التواصل الشفوي" ، راشد محمد عطية ، ص 16

يرى (المتلقي 29 ، 33 ، 40)، أن من نقاط عمل "الاستماع" في الاتصال البصري هو السماح بتحديد الإيماءات الجسدية الخاصة بالخطيب ، فعندما يكون هذا الاتصال متوفرا يكون المتحدث أكثر قوة والمتلقي أكثر إنصات.

كما أنه و بحسب آراء بعض المتلقين (10 ، 12 ، 18 ، 31 ، 38...)، فإن الحالة النفسية والصحية للمتلقي تلعب بدورها دورا مهما في عملية الإنصات، فالمتلقي الذي يعاني من مشاكل صحية (في الأذن مثلا)، يكون أقل قدرة على الاستماع ، كذلك المتوتر والمريض والتعبان...إلخ.

كما أن مقدرته اللغوية و العلمية تلعب أيضا دورا في تسهيل عملية الإنصات، فكلما كانت حصيائه كبيرة كلما سهلت عليه عملية الاستماع وزادت مقدرته على الفهم السريع .

ومن خلال التسجيلات المتتابعة لخطب الجمعة الخاصة بالحالة ، وبعد رصد وتسجيل المتلقين وهم في وضعية الإنصات* إلى الخطبة، حاولت تقسيم الجمهور الحاضر** بحسب درجة الاهتمام والتركيز الظاهرة عليهم اعتمادا في ذلك على الملاحظة ، فكان التقسيم كالاتي:

1) - المستمع المنصت (المصغي): إذ لاحظت أن عملية الاستماع تختلف من شخص إلى آخر من جهة الانتباه والإصغاء ، والمستمع المصغي (المنصت) هو الذي يتوجه بعناية ويسخر كل حواسه وعقله إلى وجهة محددة وهي شخص الخطيب، ساعيا بكل جهد إلى تحليله وتقييمه متجاوبا معه بإيماءات تدل على ذلك.

*مراحل الأنصات ستة وهي :

- 1- السماع : ويتمثل في الإحساس بالموجات الصوتية عن طريق الأذن.
- 2- التفسير: يقوم الدماغ بتقسيم ما تم الإستماع له.
- 3- الإدراك ، الإستيعاب : استيعاب ما تم تفسيره.
- 4- التذكر: ربط ما إستوعبه بالمعنى المناسب وفقا لما هو مخزون في الذاكرة.
- 5- التقويم : يقوم المنصت بتشكيل رأيه وإعطاء الحكم على ما تم الإستماع إليه.
- 6- الإستجابة: وهي آخر مراحل الإنصات، وبداية مراحل التحدث (لغويا أو حركيا) ، ينظر ،"الاتصال الفعال بين الأفراد والجماعات ، فهد خليل زايد ، ص85.

** كل الجمهور الحاضر في المسجد، وكانت تمثله فئة الذكور فقط ، إذ لم أستطيع تحديد ملامح الإنصات عند فئة النساء لغياب صورة الخطيب عنهن، واللواتي في أغلب وضعية جلوسهن كن يباطئن رؤوسهن كدليل على الانتباه والإصغاء.

- وبعد التعرض إلى هذه الفئة من المتلقين ببعض الأسئلة تبين أن المتلقي لا يكون مستمعا منصتا إلا إذا توافرت له أسباب تدفعه إلى ذلك ، منها ما يكون مرتبطاً بأسلوب الإلقاء ومنها ما يتعلق بمضمون الخطاب كأن يكون
- طريقة إلقاء الخطاب جيدة ← (المتلقي 26).
 - موضوع الحديث يتفق مع ميوله ← (المتلقي 1)
 - حاجة لهذه المعلومات ← (المتلقي 6).
 - لأن ما يقدمه الخطيب من معلومات وشرح جديد ومشوق ← (المتلقي 25).
- (2)- المستمع المحدود (المتظاهر):** وهو نوع يتظاهر بالإستماع ويتحاشى الانتباه في الوقت ذاته ، وذلك عندما لا تكون له رغبة في سماع الخطيب، وحسب بعض المتلقين من أصحاب هذا النوع يرجع الأمر في ذلك إلى:
- عدم إرتباط الموضوع باهتماماته ← (المتلقي 5).
 - إتخاذ موقف سلبي من الخطيب بسبب ضعف أدائه الخطابي ← (المتلقي 2).
 - إصابته بالإعياء، وحضوره بدافع الوازع الديني لا غير ← (المتلقي 24).
- (3)- المستمع الفضولي :** هذا النوع لا يعطي اهتماما لا للمضمون ولا للأداء والإلقاء، وإنما يسمع دون هدف غير معرفة ما يرضي ميوله وفضوله، وقد يضيف أحيانا شيئا من التحريف والمبالغة على ما سمع بما يناسب أهوائه ، فيجعل من ذلك الموضوع موضوعا أكثر إثارة ، وقد يسعى إلى نشره على غير وجهه الحقيقي.
- وما لاحظته أن هذه الفئة كثيرا ما تكون متعلقة بالمتلقين ذوي المستوى العلمي المتدني، ولم تكن من المبحوثين، وإنما كانت خارجها*
- (4)- المستمع المتظاهر:** هناك من المتلقين من يكاد يكون حضورهم جسديا فقط، أما العقلي فغائب لأسباب ، إما متعلقة بالخطيب أو الخطاب أو مرتبطاً بأمور خارجية (شرود ، مشاكل ، مرض ، ظروف صعبة...).

* متلقي عمره 28 سنة ، بطل ، مستوى 6 ابتدائي.

والمستمع المتظاهر قد يظهر لك منصتا ولكن بشيء من الإمعان فيه تدرك أنه بعيد كل البعد عن الانتباه ، وكثير هي الحالات التي تم ملاحظتها داخل المسجد كالشروود والنوم أحيانا . وبعد التعرض لهذه الفئة بالدراسة والمقابلات حاولت حصر بعض الأسباب المؤدية إلى ذلك ، وهي كالآتي :

- الكبر في السن وصعوبة متابعة الخطيب لمدة طويلة.

- عدم الاهتمام لما يلقي لتكرار سماع ذات الدروس والخطب ←(المتلقي6).

- صعوبة فهم مضمون الخطب ←(المتلقي 19 ، 28 ، 38).

والحقيقة أن هذا النوع من الجمهور السلبي في عملية التلقي (المحدود،الامبالي،المتظاهر،الفضولي...) ، لم يوجد إلا لأسباب معينة أدت إلى عرقلة سيرورة العملية الاتصالية بينه وبين الخطيب ، فخلقت الملل والآمبالات والسرحان* .

وما جعلني أحدد هذه الأنواع من المتلقين إنما من خلال الإستماع الجيد الذي لا يمكن تزييفه بسهولة ، حيث تفصح تعبيرات الوجه جدية الاستماع والإنصات من عدمه، كما تكشف وضعية الجلوس ذلك، إضافة إلى حركات العينين والإيماءات التي تعكس الانتباه المركز في مدى اهتمام المتلقي بالحديث وحدة التبصر، إذ نجد المنصت يجلس في وضعية صحيحة مستقيمة تعكس يقضته وانتباهه ← (المتلقي 2 ، 5 ، 8 ، 11 ، 13 ، 23 ، 29 ، 33 ، 37...).

بينما نلاحظ المستمع المتظاهر كثيرا الحركة غير ثابت يغير من وضعية جلوسه بشكل مستمر، ملتفتا يميننا وشمالا ← (المتلقي 9 ، 19 ، 28...)

* أما الآمبالاة: فتكون عندما يشعر المتلقي أن كلام الخطيب غير مفهوم وأن الموضوع مكرر من حيث النوع والمضمون. أما السرحان والملل: وهو نوعان ، نوع مرتبط بالسمع الخاص بالمتلقي التشويش العقلي، والثاني مرتبط بالخطيب، أما الأول فتكون أسبابه كالآتي:

- الحالة النفسية للمستمع كالإنتسراح والضيق، الفرح والحزن ، الأمل ، والإكتئاب

- الإنشغال الذهني بالمشاكل اليومية (أسرية إجتماعية ، اقتصادية...).

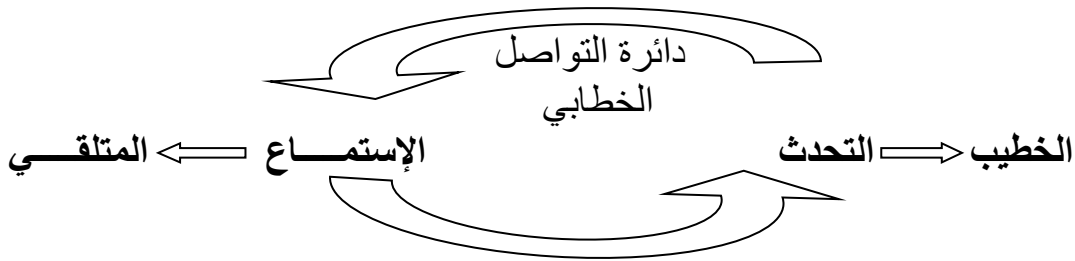
أما المرتبطة بالخطيب فتكون بسبب:

- طول مدة الخطبة، تشعب الموضوع وغموضه ، عدم موافقته لمستجدات الواقع.

- عجز الخطيب عن إمتاع الجمهور بحسن الإلقاء والأداء وإدخال عناصر التشويق والطرفة في الخطاب.

وهناك من المبحوثين من ربط مهارة الاستماع بالإنبته ← (المتلقي 6 ، 11)، وهناك من ربطها بالصمت كونه يساعد على الحد من التشويش الذي قد يعرقل وصول المعنى (←المتلقي 4 ، 13 ، 27 ، 37 ، 40)، ومنهم من جعلها مرتبطة بالإهتمام المباشر بالتعبير غير اللفظية للخطيب في الموقف الخطابي ← (المتلقي 2، 14) ، وهناك من ربطها بحذف كل العوامل المؤدية إلى التشويش في العملية التخاطبية سواء المرتبطة بالخطيب في حد ذاته أو المرتبطة بالمحيط ومختلف الظروف السياقية والتداولية المحيطة به ←(المتلقي 13).

والعلاقة بين الاستماع والتحدث علاقة قائمة تبني على أساس التأثير والتأثر بين طرفي العملية الاتصالية ،وهي علاقة ديناميكية تفاعلية تحدد فعاليتها درجة النجاح أو الفشل، ويمكن تصوير هذه العلاقة القائمة في الحالة المدروسة بين الخطيب (المتحدث) والمتلقي (المستمع) بدائرة يطلق عليها دائرة التواصل الشفوي والتي يمثلها الشكل الآتي:



العلاقة بين التحدث والاستماع

ويبقى الإنصات الجيد ، السبيل الوحيد إلى تجاوز كل المعوقات التي قد تتعدد في الموقف الخطابي* ، فعلى المتلقي أن يكون على وعي بأهم القواعد التي من شأنها أن تساعد في حلّ المشكلات التي قد تعرقل عملية التلقي لديه والتي تتمثل في:¹

- أن الاستماع المرّكز يمثل نصف العملية الاتصالية ، فالإستماع الجيد فرصة لإستعاب أكبر قدر ممكن من المعلومات.

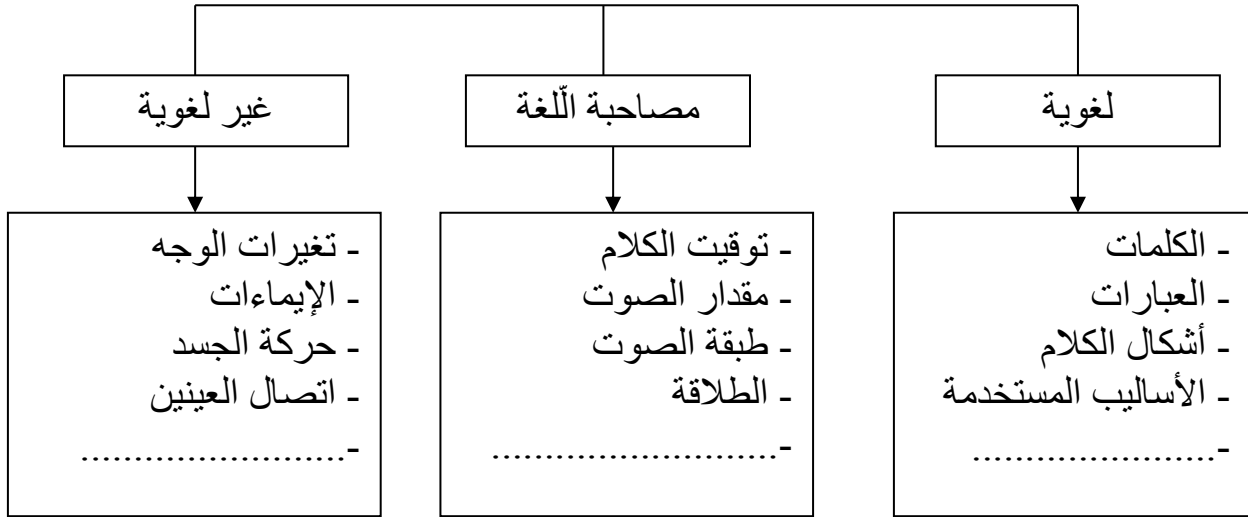
- أن المستمع الجيد يحصل على بصيرة نافذة ومهارة خاصة في تحليل ما يسمع.
 - ضرورة التفرغ الكلي للمتكلم أثناء الإستماع له بتجنب كل ما يسبب له التشويش.
 - إطالة فترة الإستماع وتجنب إطلاق الأحكام ، بتجنب الإنغلاق العقلي والضيق الوجداني.
- ويمكن لنا أن نلخص الجوانب المسببة للإصغاء في المخططات الآتية:²

* ويجدر الإشارة هنا أنه ورغم أهمية الإنصات في عملية التلقي عند المخاطب إلا أن هذا لا ينفي أهمية الرؤية كذلك والتي من خلالها يتم فك الشفرات غير اللفظية التي تعمل على تحديد المعنى.

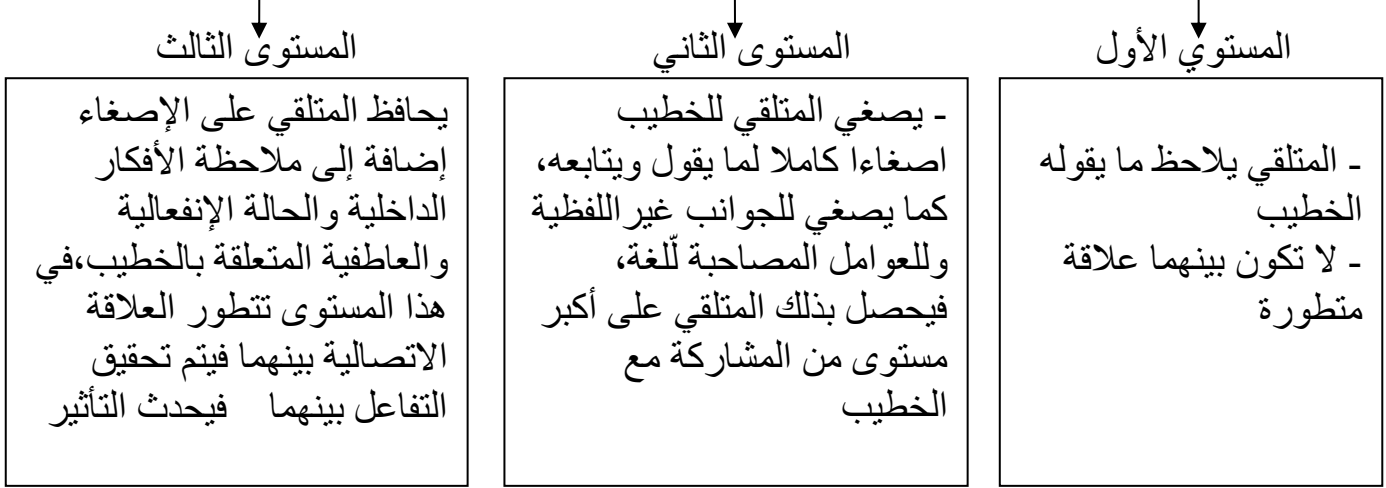
¹ "تقنيات التواصل والتعبير، عبد الرحيم محيري ، ص 100 ، 101

² ينظر، "المهارات الأساسية في ممارسة خدمة الفرد" ، على اسماعيل ، ص 114.

جوانب الإصغاء



مستويات الإصغاء عند المتلقي



3- المستوي اللغوي والأسلوبي والدلالي :

3-1- المضمون:

إن العملية الاتصالية التي تتم بين الخطيب وجمهوره لا تنحصر في المواصفات التي على الخطيب أن يتميز بها كوسيلة من وسائل تحقيق التأثير والتفاعل ، وإنما تضاف إليها أمور أخرى متعددة تأخذ مكانتها في بناء مضمون الرسالة ، فتأخذ حيزا مهما في تحقيق ذلك التأثير واحتواء الجمهور وكسبه، هذا ما أشار إليه خطيب الحالة قائلا: "إن مضمون الرسالة هو الغرض الأساسي الذي أرمي إلى تحقيق تأثيره على الجمهور ، لذلك أجتهد في بناءه قبل الخطبة بيوم أو يومين".*

ولعل أبرز الأسس التي عمد إليها خطيبنا في بناء مضمون رسالته مايلي:

* التحضير المسبق للخطبة دليل على حرص الخطيب في تحقيق التأثير والأثر

- اختيار المضمون المناسب الذي يوافق الناس والزمان (مثلا : في شهر رمضان يختار المواضيع المرتبطة به كـ الصوم ، الصدقة ، قيام النوافل...)*.
- الاهتمام بتسلسل الأفكار وترابطها.**
- اختيار الأسلوب الأسهل والأكثر بساطة ، حتى إن تطلب الأمر أحيانا التحدث باللهجة المحلية (العامية) لتأكد فاعلية عملية السماع والحوار دون فقد سيرورة العملية الإبلابية.
- الاختصار*** في مضمون الرسالة قدر الإمكان دون الإخلال بأفكارها حتى لا تسبب الملل .
- العناية بالمقدمة والخاتمة****.
- استخدام كل ما يلزم من الحجج والبراهين والاستدلالات***** في مضمون الخطاب حتى يقام الكلام على الحجة والبيان.
- وقد أثبتت لنا جلّ المقابلات مع المتلقين أهمية المضمون الخطابي في تحديد نجاح العملية الاتصالية،

* خطبة 2013/08/02 ، موضوع شكوى رمضان.

** ففي خطبة الحج مثلا بدأ بالحمدلة في المقدمة مع الإشارة إلى موضوع الخطبة، ثم تسلسلت أفكاره في العرض، فعرف الحج وذكر مناسكه من إحرام وطواف، وسعي، و... ليختتم بالحديث عن أهميته و منافعه للمسلم، خطبة 2013/10/11.

*** إذ أن خطبه في الغالب لا تتجاوز (15 – 20 د)

**** إذ غالبا ما كان يفتح كلامه بالحمدلة في قوله: " الحمد لله الكبير المتعالي ، تفرد بالعظمة والجلالة ، له الكبرياء في

السموات والأرض وهو العزيز الحكيم... " ، خطبة 2013/08/16 ، والحمدلة مع الإشارة إلى موضوع الخطبة في قوله : "

الحمد لله ربى العالمين الذي أوجب علينا حج بيته الحرام ، من أطاع الله وصدق بكلماته وعظمته كان من المؤمنين... " ،

خطبة 2013 /10/11 ، ويختتمها بالدعاء في قوله : اللهم أنصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها...ووجد

صفهم واجمع كلمتهم على الحق والدين...اللهم متعنا بزيارة بيتك الحرام ومسجد نبيك الكريم... " ، خطبة 2013/10/11

***** مثلا : خطبة 2013/08/16 ← 3 آيات قرآنية + 4 أحاديث نبوية + قصة فرعون

خطبة 2013/08/02. ← 4 آيات قرآنية + 3 أحاديث نبوية + أمثلة من الواقع.

خطبة 2013/09/27 ← 3 آيات قرآنية + 3 أحاديث نبوية + قصة المرأة التي سابت النبي في الدخول إلى

الجنة (امرأة مات زوجها وترك لها أيتاما فقعدت تربيتهم)

إذ أنه -وحسب رأيهم - مهما بلغت العملية الإلقائية من جودة في الإرسال والتعبير بالإيماءات فلن تكون لها فائدة إذ كان المضمون الموجه غير مناسب للمتكلم أو غير ذا قيمة في نظر الجمهور وتطلعاته وانشغالاته .

(المتلقي 1) ← "إن الموضوع المؤثر هو الذي يمس حاجة الناس".

(المتلقي 3) ← " تهمني معالجة المواضيع الاجتماعية من الناحية الدينية والتي تهتم بالأسرة والأخلاق والأهواء والبيئة والنظام العام".

(المتلقي 5) ← "من المهم أن يكون المضمون ملما بقضايا المجتمع واهتماماته وهمومه".

(المتلقي 6) ← "أن تكون المواضيع خادمة لحال المجتمع والأفراد".

(المتلقي 18) ← "تهمني المواضيع التي تفهم قضايا الناس وتحلها".

(المتلقي 13) ← "إن فعالية الخطبة وأثرها يكون بحسب موضوعها".

(المتلقي 27) ← "أنا كثيرا ما أتوجه إلى مسجد آخر لأن المواضيع التي يتطرق إليها الخطيب في المستوى".

(المتلقي 31) ← " ما يهمني أن يكون المحتوى ذا فائدة تنفعني "

تدور أغلب آراء المتلقين في حيز مشترك ،لنا أن نمثله في النقاط الآتية:

1- إذ كان الموضوع مما لا يحتاج الجمهور التكلم عنه، أولا يتعلق به فإن الكلام في مثل هذه الحالة يستثقل عليهم سماعه فيحدث عندهم الشرود وقلة الانتباه، فلا يجدي نفعا ولا قبولاً ← (المتلقي 1 ، 3 ، 6 ، 8 ، 17 ، 20 ، 30...).

2- أن يكون الموضوع المتطرق إليه مناسباً للفئات التي يلقي عليهم، فما يناسب الشباب قد لا يناسب كبار السن، وما يناسب الإناث قد لا يناسب الذكور ، وقياسا على ذلك الفئات الأخرى (← المتلقي 2).

3- مناسبة للزمان الذي يلقي فيه، فالتحدث عن الصوم يكون في شهر رمضان والحج في موسم الحج، والزكاة في وقت عاشوراء.... فإن توافق المضمون مع زمانه كان أكثر واقعية وإفادة (← المتلقي 13).

4- عدم تكرار مضامينه ، وإن اضطر الخطيب لتكرارها لأهميتها فلا بد له من التجديد في طريقة الطرح والبناء وهو ما اتفق عليه 80 % من المتلقين المبحوثين.

5- أن يكون العرض بالإلقاء ارتجالاً لا بالقراءة من الورق ، لأن ذلك يجذب السامعين ويولد الانفعال اعتماداً على تلك التعبيرات الخاصة التي تصدر من الخطيب والتي لا تتييسر له عند القراءة ← (المتلقي 2 ، 9 ، 11 ، 13 ، 18 ، 24 ، 27...).

6- الإختصار على موضوع معين، إذ اتفق المتلقين بنسبة 75% أن تشعب الأفكار وتنوعها يؤول بهم إلى التشتت وفقدان التركيز، فانعدام الفهم.

7- الإختصار في الخطبة: هي وسيلة من وسائل جذب الجمهور ومفعلاً مهماً لدوام عملية التواصل، وقد لمسنا ميل الجمهور إلى الخطيب الذي يختصر الخطبة في أقل وقت ممكن دون الإخلال بمعناها ومرماها ← (المتلقي 4 ، 5 ، 6 ، 13 ، 30 ، 32).

ومن أسباب تفضيل الإختصار بحسب الحالات التي تمت مقابلتها بنسبة 100% مايلي:

- كثيراً ما يحدث في المساجد إلى يومنا هذا نفور الجمهور من الاستماع إلى خطبائهم والتوجه إلى مساجد أخرى، جراء تقديم نفس الخطب بنفس المنوال خاصة خطب المواسم والأعياد.

- في الإختصار إفادة حتمية "خير الكلام ما قلّ ودلّ" ← (المتلقي 5 ، 7 ").

- في ذلك مراعاة لأحوال ووضعيات المستمعين (فمنهم المريض، المسن...) ← (المتلقي 13).

- الأفكار كلما كانت مختصرة كلما كان الفهم أسهل و الاستيعاب أكبر ← (المتلقي 9).

وقد لاحظت طيلة فترة تسجيل خطب الحالة أنها في الغالب كانت مختصرة لا تتجاوز 20 د وذلك اقتناعاً من الخطيب أن الإختصار أمر ضروري خصوصاً في زمن كثرت فيه المشاكل والهموم على حد تعبيره، فهو قد اتبع في أداء مقاصده طريقة تجنب فيها التطويل في العبارة بما يزيد عن حاجة المخاطب بالنظر إلى المقتضيات اللغوية لمجاله التداولي، فمن حيث الصيغة تجنب آفة الحشو الركاقة، و من حيث أثره على المخاطب فقد جنبه التعب.

8- استخدام الحجج والاستدلالات: كل رسالة مهما كان نوعها تحوي هدفاً ، والخطاب الديني هو وعظي إقناعي بالدرجة الأولى، مما يستلزم تقديم الأدلة والشواهد لإضفاء الشرعية التامة عليه ، فهي تزيد من قدرة القائم بالاتصال على الإقناع، وهذا ما صرح به خطيبنا في قوله "طبعاً إن استخدام الحجج والمقارنات وإيراد بعض القصص من الواقع المعاش ، وسرد الأدلة من القرآن والسنة أمر لا بدّ منه".

وقد اتفق المبحوثون على ذات الرأي ، عندما مالت آرائهم كلها إلى أنهم يحبذون سماع الخطب المدججة بالحجج والاستدلالات والبراهين والقصص* والأمثلة بنسبة تفوق 98%.

* إيراد قصة النبي محمد "ص" وطفولته في موضوع الإحسان، خطبة 2013/09/27.

(المتلقي 10) ← "لإيراد القصص في المضمون تأثير كبير في تسهيل الفهم".

(المتلقي 15) ← "الاقتراسات مهمة من أجل تأكيد المعلومة".

(المتلقي 4) ← "ضرورة بشرط أن تكون مرتبطة بمضمون الخطبة".*

(المتلقي 3) ← "من خلالها أجول وسط السلف الصالح".**

(المتلقي 27) ← "التمسك بها يورد المزايا الحسنة للخطاب".

(المتلقي 35) ← "ضرورة بشرط أن تكون سهلة الفهم وواقعية".

(المتلقي 40) ← "لا بدّ أن تكون من المآثور الثابت الذي لا شك فيه".

حتى أن هناك من أشاد بالخطيب الذي يورد النكت وعناصر التشويق في خطابة (كالمتلقي

10) في قوله "إنها ضرورة في جلب انتباهنا وتركيزنا ، كما أنها ترسخ الفكرة في أذهاننا"

(المتلقي 5) ← "إن النكت تزيد موضوع الخطاب تشويقا وتقع على مسامعنا خفيفة".

(المتلقي 27 ، 41) ← عنصر التشويق جيد في الخطاب فهو يزيد من فعاليته".

(المتلقي 9) ← "تفيد في إيصال الفكرة كاملة".

(المتلقي 25) ← "الطرائف" "الزعاقة" تخلق نفس جديد لدى المستمع ، لكن دون الإفراط فيها ،

لأن ذلك قد يقلل من شأن الخطاب".

وبناء على الخطب المدروسة لإمام الحالة ، فإنه كثيرا ما يستخدم الاستدلالات المرتبطة

بنصوص القرآن والحديث، ولكن نادرا جدا ما يستخدم تلك المرتبطة بالقصص والحكايات، أو

المثل أو الطرائف.

3-2 اللغة و الأسلوب: إن اللغة التي أنجز بها الخطيب خطبه مشافهة لغة متداولة من حيث

ألفاظها و تراكيبيها في أوساط المثقفين و حتى العامة منهم، فالخطب استهلّت بمقدمة حفلت

بالكثير من الكلمات المتداولة ، فلا تستدعي منهم العناء لفهمها، وهي تعد مدخلا استهلاليا و وظيفة

استدراج المتلقي إلى موضوع الخطاب.

فالرسائل وإن تنوعت بتنوع الأحوال والمواضيع إلا أنها من الضروري أن تبقى دائما

حسنة التأليف، جيدة التركيب ، حسنة الرصف والترتيب، كما يجب أن تكون في لغتها

وأسلوبها:

* كذكر قصة فرعون وموسى في موضوع التكبر ، خطبة 2013/08/16.

** والتحدث عن شخصية عمر عبد العزيز ، خطبة 2013/10/18 في قول الخطيب : "نتحدث عن رمز من رموز العدل على مر التاريخ الإسلامي...إنه عمر بن عبد العزيز..."

- "سهلة واضحة" ← (المتلقي 6 ، 25).
 " تحمل المعاني بدقة" ← (المتلقي 10 ، 32)
 " جيدة التركيب لتحقيق وظيفتها الدعوية" ← (المتلقي 13).
 " أفكارها منسقة بأسلوب حسن يتشاكل فيه المضمون مع الشكل (اللفظ مع المعنى) (المتلقي ←
 (37).

- و من خلال استبيان آراء المبحوثين حول خطب الحالة ووضعها اللغوي والأسلوبي فقد كانت الإجابات متأرجحة بين الإيجاب والسلب:
 "أسلوب مقبول وفصيح وألفاظ وعبارات معبرة" ← (المتلقي 6 ، 7).
 "لغة مفهومه وتراكيب بسيطة" ← (المتلقي 1 ، 2).
 "أسلوب جيد وبسيط حسب مستوى الجمهور الذي يخطب فيه، وخاطبوا الناس حسب عقولهم" ←
 (المتلقي 7 ، 8 ، 24 ، 31 ، 36).
 "ناقص نوعا ما" ← (المتلقي 13 ، 14 ، 27).
 "أحيانا تكون اللغة ضعيفة وغير صائبة" ← (المتلقي 9).

وإذا حاولت إسقاط المقاربة المنهجية في تحليل خطب الحالة فهي كالاتي:

(أ)- **المقاربة المعجمية:** كانت له ألفاظ معينة و محددة يمكن أن نطلق عليها "مفردات مفاتيح" تبين بجلاء و دقة خلفيته العقائدية ،فكل خطيب إنما يعكس فيها شخصه وصورته ونفسيته وانتماءه وحتى درجة ثقافته ومعرفته ومخزونه اللغوي.

وقد سعى خطيبنا إلى انتقاء الألفاظ الصحيحة، السليمة، التي راعا فيها تباعد المخارج وتقاربها، الحسنه منها المقبولة المستساغة للجهاز السمعي كقوله: "أرجو من الإنسان المتكبر أن يسأل نفسه، ألم يكن ميتا فأحياه الله، ثم ألن يموت كما مات غيره من قبل...¹"

فقد تداول الخطيب مفردات تتكرر في معظم الخطب الدينية، كونت له معجما خاصا، تحمل فيه الألفاظ دلالات قدسية مرتبطة بديننا الحنيف. (منها الإيمانية ومنها الكفرية)، كان يقتضيها سياق الكلام المرتبط بالوعظ والإرشاد والتوجيه الديني ، منها :

- **الأسماء:** تمثلت في المفردات الأتية : **التقوى، الإيمان، الإسلام، الرحمة، الصبر، الأجر، العدل، الخير، القضاء، المتقين، الجنة، الإطمئنان، السخاء، الرخاء...¹، الحج، بيت**

الحرام ، الحق ، الطاعة ، الدنيا ، الآخرة ، يثرب ، المدينة المنورة ، الروح ، الإلتزام ، التدبير الطاعة ، النفس ، الملائكة...² رمضان ، القرآن ، الإسلام ، الغفلة ، العبادات، الصدق القرآن....³ ، الرحمة ، العهد ، الأرحام ، اللعنة ، الرحم ، الصلة ، عيد الأضحى، العفو، الأخوة السنة ، الصدقة ، الأقارب ، الكفر ، الشهوات، المخالفات⁴.

(ب)- المقاربة النحوية والتركيبية: استخدام أفعال الماضي في مواضع الأخبار والقصص كقوله: " وقد شكى أب ابنه إلى عمر بن الخطاب، بأنه عاق له فطلب عمر الابن ليؤديه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه ، قال بلى، قال فما هي ؟ قال : أن يختار أمه، ويحسن اسمه ، ويعلمه الكتاب ، قال الابن : إنه لم يفعل شيئاً من ذلك يا أمير المؤمنين، فقد إتخذ لي أما زنجية كانت مجوسية، وسماني جعلاً...ولم يعلمني من الكتاب حرفاً. فنظر عمر إلى الرجل وقال :جئت تشكوا عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك⁵.

كما استخدم الأفعال المضارعة عند الوعظ والدعوة والإرشاد إلى الخير في قوله: "أيها الأحبة هناك من يغازل ويعاكس والناس راعون، وهناك من يغني ويدندن والناس ساجدون، وهناك من يشتم ويلعن والناس يسبحون، فكيف تنزل علينا الرحمة، وكيف ننال الخيرات ونحن نقر في مجتمعنا هذه المنكرات ولا نرى لها منكراً ولا معارضا، ونتقبلها حتى ألفناها و تعودنا عليها وأصبحنا لا نرى رمضان بدونها..."⁶.

وفي قوله: "يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله... عسى ربكم أن يغفر لكم... ويدخلكم الجنة..."⁷ كما يستند في مواضع النصح والدعوة على أفعال الأمر دليلاً على حرصه في إبلاغ الرسالة في قوله: "أيها الأخ الكريم أحسن الإنفاق على ولدك ، وكن قدوة طيبة لهم ، ولا تعلمهم الكذب، ولا تقل لهم مالا يجب قوله، وأصحبهم إلى أماكن الفضيلة، وعلمهم الرياضة.... وحفظهم القرآن الكريم..."⁸

¹ خطبة 2013/10/11

² خطبة 2013/11/15

³ خطبة 2013/08/23

⁴ خطبة عيد الفطر يوم 2013 /10/17

⁵ خطبة 2013/10/18

⁶ خطبة 2013/08/30

⁷ خطبة 2013/08/23

⁸ خطبة 2013/10/18

أما التراكيب فهي بدورها حملت دلالات مرتبطة بالقدسية وبتعاليم الدين وتوجيهاته إقتضاها سياق الموقف الخاص بالخطيب، فهو في موضع النصح وتوجيه الناس إلى الصواب فكانت تراكيبه تحمل أثرا نفسيا عميقا بمس عقيدة الإنسان المسلم، تميزت بالجمل القصيرة في مجملها ذات دلالات ومعان واضحة كاملة هادفة ، كقول الخطيب : "إن واجب المسلم اتجاه وطنه هو الحفاظ عليه من خلال التمسك بحقوقه والقيام بواجباته."¹ وقوله: "هذه أيام التطهر والمغفرة من الذنوب والخطايا، هذه ليالي مباركة وموسم عظيم الخيرات والبركات"².

وقوله : "إن من أعظم الواجبات التي أوجبها الله علينا اتجاه أبنائنا أن نربهم على مكارم الأخلاق وهذا لن يكون إلا إذا نشأ هذا الابن على الدين، فلا أخلاق دون دين"³.
وقوله: "إن كان يتكبر بقوة يتمتع بها، فالدواب أقوى منه، وإن كان يظن نفسه عالما، فإن فوق كل ذي علم عليم، وإن كان يظن أنه غني فقارون أغنى منه ..."⁴

كما استخدم الخطيب في بعض المواضع التراكيب التي تحمل معاني ضمنية توحى بدلالات لا تظهر مباشرة من سياق الكلام كقوله: "وها هو رمضان يشكوا حاله إلى الله من أبناء هذه الأمة ومن بعض الصور المعكوسة ، التي يقع فيها معظم الناس"⁵.
فعبارة "رمضان يشكوا حالة إلى الله" توحى إلى التعدي على حرمة ، وعدم احترام قدسيته، وتجاوز ما هو مفروض على العباد من تعبد لله.

إذ يخالف تجاوز حرمت شهر رمضان كل القيم والمبادئ الدينية التي تنص على احترام هذا الشهر المبارك، وهذا ما قصد الخطيب إظهاره بقوله: "يشكوا حاله" ، لأن الشكوة لا تكون إلا من من يظلم.

و كقوله : "...ولنعلم أن هذا اليوم هو يوم لعلاج النفس، و تطهير الروح..."⁶ فهل الروح تطهر والنفس تعالج؟

وعملية سيرورة الكلام كما هو معروف إنما تكون بناء على عمليتان أساسيتان وهما – على حد تعبير رومان ياكبسون- كالآتي:⁷

¹ خطبة 2013/11/08

² خطبة 2013/08/ 02

³ خطبة 2013/10/18

⁴ خطبة 2013/08/16

⁵ خطبة 2013/08/ 02

⁶ خطبة 2013/08/08

⁷ "قضايا الشرعية" ، رومان ياكبسون ، تر محمد الوالي ومبارك حنون ، ص

1- الانتقاء (sélection) ← الألفاظ.

2- التنسيق (combinaison) ← التراكيب وفقا لأسلوب معين، وهما ما جاء في تعبير العسكري بـ مفهومي :¹

1- التخيّر

2- جودة التراكيب وحسن التأليف والسبك.

وتتحقق قدرة الصناعة عند الخطيب بمدى تحكمه في هاتين العمليتين اللتين لا يمكن الفصل بينهما ، فصياغة المضمون وفق أسلوب معين بتراكيب متناسقة له تأثير مهم جدا في إقبال الناس على هذا الخطيب دون غيره ، يقول (المتلقي 4): "إن من أسباب تنقلي أحيانا إلى مسجد (سمير)* هو طريقته الجيدة في صياغة الخطب، وإتقانه لفن التلاعب بالكلمات ، مما يؤثر في نفسي بشكل كبير"، فالبعض من المبحوثين (30 %) يرون أن تراكيب خطيبنا يفتقر نوعا ما إلى الدقة في تصوير المعاني، فكثيرا ما كان يختار صياغات غير دقيقة -حسب رأيهم- لا تقدم الصورة الصحيحة لذلك الوعظ ، هذا ما جعلهم يلمسون عدم إتقانه لفن صياغة اللّغة بما يناسبهم.

ومع هذا فإن خطيب الحالة (باتفاق 70 % من المبحوثين) ، تميز بطريقة في بناء تراكيبه تميل إلى البساطة والوضوح أكثر ما تميل إلى جمالية التعبير، فكان يستخدم التراكيب الواضحة السلسلة التي تحقق الفهم المباشر، مراعيًا في ذلك مستوى الجمهور ، بسيطة في مجملها كقوله: "من حق القلب أن يحزن ومن حق العين أن تدمع ، ولكن لا بلطم الخدود وشق الجيوب ولا الدعوى بدعوى الجاهلية..."²، وقوله: "فإن كانت الصلاة بطهارتها و سموها صلة بين الخالق و المخلوق، فإن يوم العيد هو صلة بين المخلوق و المخلوق، بين الضعيف و القوي، وبين الغني و الفقير ..."³

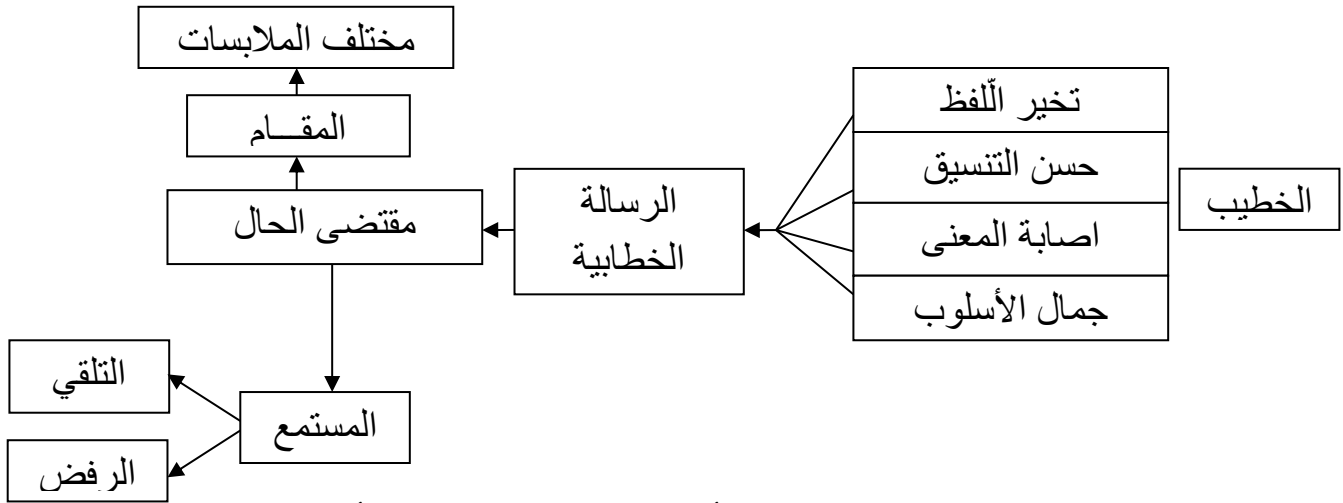
ج- البلاغة والأسلوب : إن اللغة تتعدى كونها أداة للتواصل إلى تسخير تلك المادة وفقا لأساليب معينة دون غيرها، فخطيب الحالة أخضع خطابه وفقا لما تم انتقائه من ألفاظ وعبارات وأساليب إنشائية، وفق طريقة خاصة في التنسيق والبناء لتحقيق الأغراض وفقا للمخطط الآتي:

¹ "الصناعيين" ، العسكري ، ص61.

* وهو مسجد يبعد عن الحالة المدروسة بحوالي 2 كلم .

² خطبة 2013/10/11

³ 2013/08/08.



ولا بدّ له من استعمال نفس النسق الأسلوبي مع مستمعيه ، ولأجل ذلك يجب الانتباه للسمات الدلالية والسياق الدلالي أولاً ، ثم طريقة تنظيم الحقائق اللغوية ثانياً ، لإختيار ما يوافقها في الإنشاء الأسلوبي، دون أن ننسى مراعاة المكون الصوتي ، والمكون الدلالي ، وكل خطيب إنما يتميز بأسلوب خاص ، كالخاصية الأدبية واللغوية ، وخطيبنا باتفاق المتلقين المبحوثين فإن لغته كثيراً ما تتسم بالبرقة والبساطة المطلقة، وقليلاً ما تتميز بقوة الألفاظ والتراكيب والصور البيانية والبديعية ، وكلها أساليب نابعة من شخص الخطيب من جهة ومن مقتضيات الموقف الذي يتحدث فيه من جهة ، وحالة الجمهور ومكوناته من جهة أخرى على حد قوله: "أعمد في خطبي إلى التبسيط، لأنني أراعي في ذلك الجميع، المثقف ، وغير المثقف ، والمتعلم ، والأمي ، الكبير والصغير ، "حتى أنني أحياناً أدرج العامية "لأن الكثير من الجمهور أمي ويحتاج إليها في فهم المعاني".

"على الخطيب أن تكون لغته سهلة يعرفها مختلف الناس" ← (المتلقي 9 ، 7 ، 5).

كذلك هو رأي نسبة 100% من المتلقين إذ أجمع الكل أنه يشترط على الخطيب من الجانب الأسلوبي الحرص على :

- تنشيط الأسلوب بتجنب استخدام الكلمات المعقدة أو الوعرة.
- مناسبة الأساليب المستخدمة للمستمع من حيث قدرته الإستيعابية.
- إختيار النبر الملائم لتلك الأساليب مما يزيد من وضوحها.
- إلتزام الدقة فيما تتضمنه تلك الأساليب من دلالات.
- أن يتجنب استخدام الأساليب المجازية أو الكنايات والإستعارات الغامضة أو الصعبة.

فخطيب المسجد يستمع إليه ويحضره أخلاط من الناس، مما يلزمه اختيار الأسلوب الأنسب للجميع، ولا بأس أن يستخدم – أحيانا- اللهجة المحلية حتى يوصل المعنى لكافة المتلقين الحاضرين، ولكن دون الإفراط في ذلك ، لأن مؤسسة المسجد هي مؤسسة تعليمية للغة القرآن الكريم (اللغة الفصحى) دون غيرها ، والخطيب يعلم سامعيه ديناً وعلماً وأيضا لغة وتعبيراً. وقد تنوعت الأساليب في خطب الحالة المدروسة ، فكانت منها :

1-التوجيهية :

-النفى : "فالجزع يكون في الشكوى للخلق لا للخالق"¹ ← لغرض الإثبات
-النداء: "يا أيها الأحبة الكرام"²، "إيها الإخوة الكرام"³ ← وقد إتخذ الخطيب لنشر صوته في المكان، أي إفراغ الفضاء له وحده لإسماع صوته و تبليغ خطابه،فكان من أكثر الأساليب تداولاً.
-الإستفهام: "ألهذا يتكبر المتكبرون"⁴ ؟، سيسألني ربي عنهم يوم القيامة جميعاً واحداً واحداً، فماذا أجيب؟⁵ ← لإتارة الإنتباه .
-التوكيد: "إن رمضان شهر القرآن، وإنه لشهر التوبة و الغفران،شهر العتق من النار..."
← بغية إفهام المتلقي و التأكيد على قيمة المعلومة التي يقدمها.

2-التلميحية:

كقوله: "فالذين يبيتون في الأسواق والذين يشغلون بالكلام والقييل والقال، والذين يقتلون رمضان كسلا ونوما ، إنما هم كمثل إنسان قدمت إليه أطباق من الذهب والفضة فركلها بقدميه وإنصرف عنها"⁶، وقوله: "الحج مدرسة إلهية..."⁷ ← هذه الاستراتيجيات التي تعطي وقعا في نفس المخاطب،لما تحمله من روعة في التصوير ،فتجعله مستندم الإنتباه و التركيز بغية تحقيق الفهم .

د- الدلالة والمعنى: إن التشكيل اللغوي يدور أساسا على المعنى، واللفظ هو أول ما يدرك على مسامع المتلقين ← (المتلقي 1 ، 3 ، 5 ، 8 ، 11...) ولا قيمة له بدون معنا يحمله ← (المتلقي

¹ خطبة 2013/10/11
² خطبة 2013/08/30
³ خطبة 2013/08/08
⁴ خطبة 2013/08/13
⁵ خطبة 2013/10/18
⁶ خطبة 2013/08/30
⁷ خطبة 2013/10/11

14، 27 ، 29...) إذ "لا خير في المعاني إذا استكثرت قهرا، والألفاظ إذا اجتزت قسرا، ولا خير فيما أجيد لفظه وسخف معناه..."¹

وما لوحظ في خطيب الحالة أنه عمد إلى الدلالات البسيطة ببساطة الألفاظ والتراكيب المهيئة لها ، فلم تكن تميل إلا إلى الوضوح واليسر، خصوصا وأنه في أغلب خطبة كان يميل إلى الوعظ والإرشاد والتوجيه ، فكانت بذلك تراكيبه تسير في الغالب إلى الدلالات المركزية التي وضعت لأجلها مثلا في قوله: "من أهم هذه الصور وأعظم هذه المنكرات، الذهاب إلى الأسواق ليلا وكثرة نزول النساء إليها، وكأنه ليس هناك وقت وليس هناك مجال لقضاء الحاجات إلا في هذه الليالي المباركة..."²

ونادرا ما كان يعدلها عن ذلك ليعبر بها عن قصد تداولي، فأحيانا كانت للخطيب من الأغراض ما لا يتحقق مع المحافظة على القواعد اللغوية على وجهها الحقيقي ، مما يدعو إلى الخروج من الحقيقة إلى المجاز، وهو خروج من دلالة المركزية إلى دلالة هامشية ،كقول الخطيب: "إن مناسك الحج...هي مدرسة لتثقيف العقل و تغذية الروح و ترويض البدن..."³ ، وقوله: " ...يصل من قطعه..." ، " ...يطهر قلبه..." ، " ...علاج النفس..." ، " ...تطهير الروح..."⁴ أو التعميل أحيانا أخرى على الدلالات الصوتية والتقديم والتأخير والإيماءات الجسمية وعلى دلالة الموقف أثناء الاتصال.

وعلى مستوى التراكيب كانت منها ما تدل على قوة إنجاز الفعل بشكل مباشر، مثل تركيب الجملة الفعلية المكونة من فعل + فاعل+ فضلة ، أين تكون الدلالة حرفية تدل عليها العبارة بشكل مباشر (وذلك في سياق الإخبار) مثلا في قوله: "يرزق الله من يشاء بغير حساب".

أما على المستوى المعجمي ، فإن المعنى المركزي هو الدرجة الأصل لتتسامى درجات المعنى باستعمال كلمات أخرى (مثل الكلمات الدالة على مفهوم القوة في المعاجم العربية ، فهي تتزايد فيما بينها للدلالة على درجة القوة (قوة ، شديد ، جبار ، قهار....) إذ تتضمن كل كلمة مقدار زائد عن المعنى الأصلي.

وفي مستوى الصوت هناك "درجة أساس" للنطق تسمى النغمة التي تحدد دلالة التركيب

¹ الصناعيين العسكري ، ص 66.

² خطبة 2013/08/23.

³ خطبة 2013/10/11.

⁴ خطبة 2013/08/08.

فهناك التنغيم الذي يكوأكب الخبر أو الإستفهام أو الاستهزاء أو النداء وهكذا..."

وخطيب الحالة كثيرا ما تلفظ تراكيبا بتنغيم معين ليبدل دلالاته التي يدل عليها في الأصل وذلك بالإيقاع الصوتي سعيا لبيان قصده تداوليا ، فنقل بذلك الدلالة الملفوظة من معنى إلى آخر ومن ذلك الأمثلة الآتية: "فلننق الله ونحي هذه الذكريت الخالدة بالوفاء لشهداء هذا الوطن..."¹ ← بنبر دلالة الأمر.

" يا أيها المؤمنون ، حريّ بنا أن نحتفل بعيد الثورة وعيد الجهاد... أم نتنساها ولا نستدرك شئ من مآثرهم." ← بنبر دلالة الإستفهام.²

أما على مستوى العلامات المصاحبة للخطاب ، فمن المفروض أن يعمد الخطيب عند التلفظ بخطابة إلى استثمار أكثر من علامة من خلال المزج بينها وبين ملفوظة الموجه معتمدا في ذلك على السياق والمقام ، مثل استخدام الإشارات والحركات الجسدية والإيماءات في تحديد المرجع الذي تشير إليه أداة اللغة ، وهذا ما لم نلمسه في خطيب الحالة ، هذا ما أضعف خطبه وجعلها لا تقع موقعا حسنا في نفس المتلقين لضعف دلالتها ومعانيها نتيجة غياب سند مهم لها والمتمثل في الأداء غير اللفظي.

"لا يحرك ساكنا طيلة خطبته" ← المتلقي (3 ، 21)، "أراه تابنا كالصورة الجامدة" ← المتلقي (5)، "لا يحرك إلا عينيه رفعا إلى الجمهور وخفضا إلى الورقة" ← المتلقي (14).
"والله كالحجرة لا يتحرك ولا يشير" ← المتلقي (13).

4-المستوى السياقي (مقام الخطاب): إذا عدنا إلى تحليل السياق الذي وردت فيه خطب الحالة من جانب المتلقي ، فإن هذا الأخير ومهما كان نوعه لا يستطيع أن يحكم على ظاهرة من الظواهر إلا إذا وقف على الأسباب التي أدت إليها ، وكذلك التي دعت المتكلم إلى الإفصاح بها وتوجيهها سعيا إلى استعاب فحواها ، وذلك بتحديد التفاصيل الفرعية وتميز العلاقات الكامنة بين الأفكار.³

وذلك أن الأمر الذي يدعو المتكلم إلى تقديم صياغته على وجه معين دون آخر ، إما أن يتصل بزمان هذه الصياغة فيسمى "الحال" ، وإما أن يتصل بمحلها فيسمى "المقام" ، هنا

¹ خطبة 2013/01/08

² المرجع نفسه.

³ ينظر ، "مهارات عند الإعلاميين والتربويين والدعاة" محمد منير حجاب ، ص38.

إرتبطت فكرة الحال والمقام بـ "المقال" ، واختلاف صور هذا المقال يعود بالضرورة إلى اختلافهما¹.

أما **قناة** التخاطب فتمثلت أساسا في اللغة المنطوقة التي شافه بها الخطيب الحاضرين مباشرة في مكان و زمان الخطاب عبر واسطة فزيائية (مكبر الصوت).

أما **وضع** التخاطب فتألف من العلامات الخصوصية عند المتكلم و المخاطب و قواعد الربط الخاصة و المشتركة بينهما، و تتمثل في هذه الخطب في كونها ألقيت باللغة العربية، مما يعزز حبل التواصل و يؤدي إلى التجاوب.

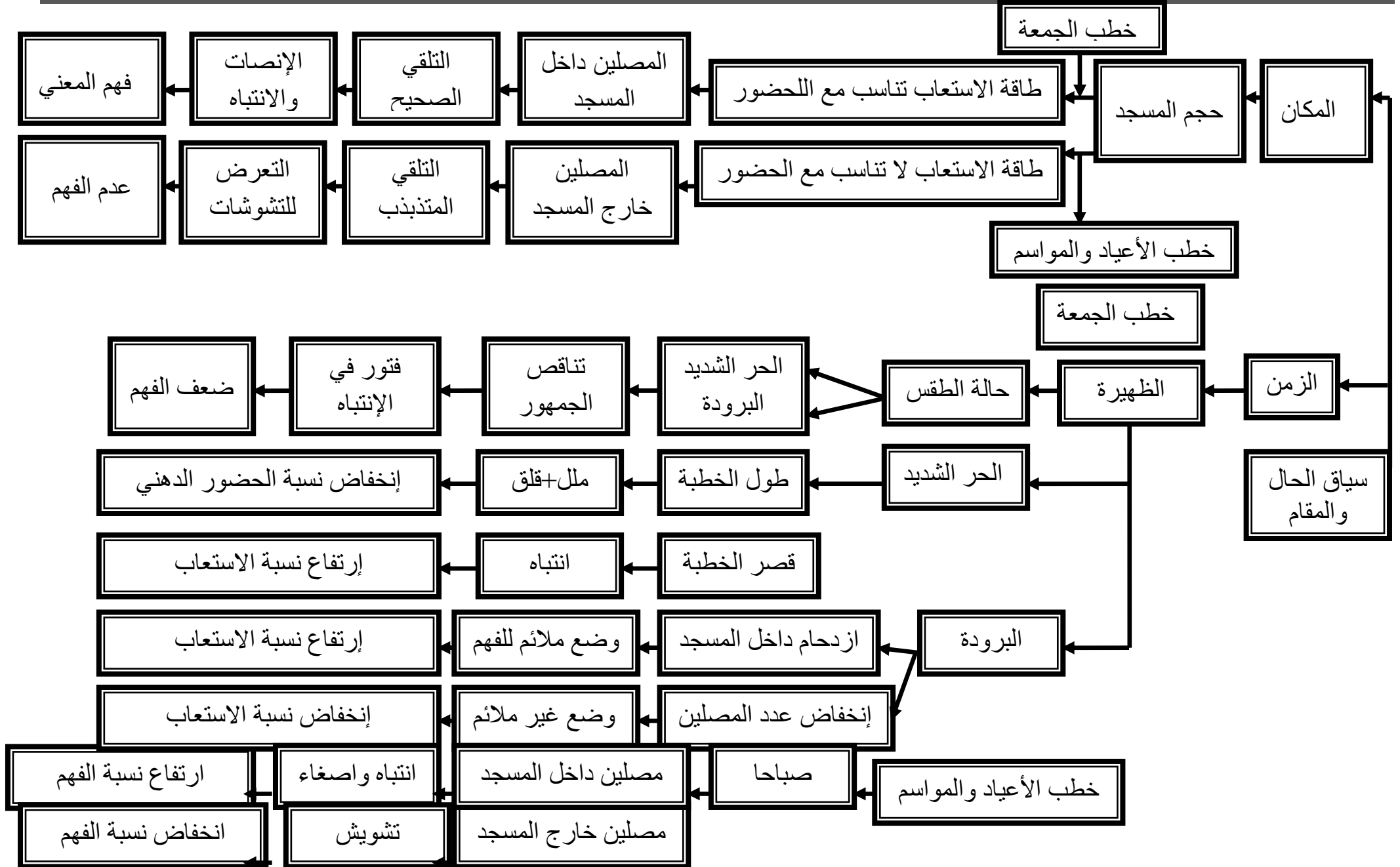
وقد إمتازت الخطب بالطابع الإرشادي والخطيب حين كان يهتم بتقديمها، لم يغفل على الجانب الحالي والمقامي والذي يشمل ثلاث أبعاد : المكان ، والزمان ، الهدف.

أ- **المكان والزمان** : مما هو معلوم أن لكل شكل من أشكال الأحاديث المنظمة مكانا مناسباً لها ، وفي حالتنا المكان هو "المسجد" ، هذه البقعة التي تفرض على الجميع الوقار والاحترام باعتبار أنه بيت من بيوت الله. وهو معدا إعدادا جيدا ، من حيث التهوية ، و النظافة والبعد عن المؤثرات الصوتية المزعجة ، وتوفر الأجهزة المناسبة ، كأجهزة تكبير الصوت، و المكيفات الهوائية.. الخ.

فعندما نتحدث عن خطيب الجمعة، فإن المحيط الاتصالي بما يتضمنه من عاملي الزمان والمكان لا يمكن إهمالهما لما لهما من أثر في إمكانية رفع وثيرة الاستماع وبذلك إزدياد درجة التأثير، ومع أن حجم المسجد (20500م²) ، كان يتلاءم وعدد المصلين في الأيام العادية (يتراوح عددهم بين 600 و700 مصلي) ، لكنني رصدت في خطبة العيدين (عيد الفطر وعيد الأضحى*) أن طاقته الإستيعابية لم تكف عدد المصلين ، مما جعل البعض يؤدي شعائر العيد خارج المسجد.

وبما أن زمن الخطبة محدود ومعلوم (وقت الظهر) فإن عامل البرد والحرّ واعتدال الجوّ يسهم بشكل مباشر في درجة الحضور إلى المسجد ، سواء أكان الحضور متعلق بذات الشخص أو متعلق بحضوره الذهني، إذ يتفاوت عدد المصلين في أيام الحرّ الشديد، والبرد القارس خصوصا وأن المسجد لا يضم المكيفات الهوائية الكافية ، هذا ما جعلني أقف على بعض الملاحظات حاولت تلخيصها في المخطط الآتي:

2 ينظر ، "البلاغة والأسلوبية" محمد عبد المطلب ، هيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984 ، ص 229.
*يوم 2013/08/08، و يوم 2013/10/17



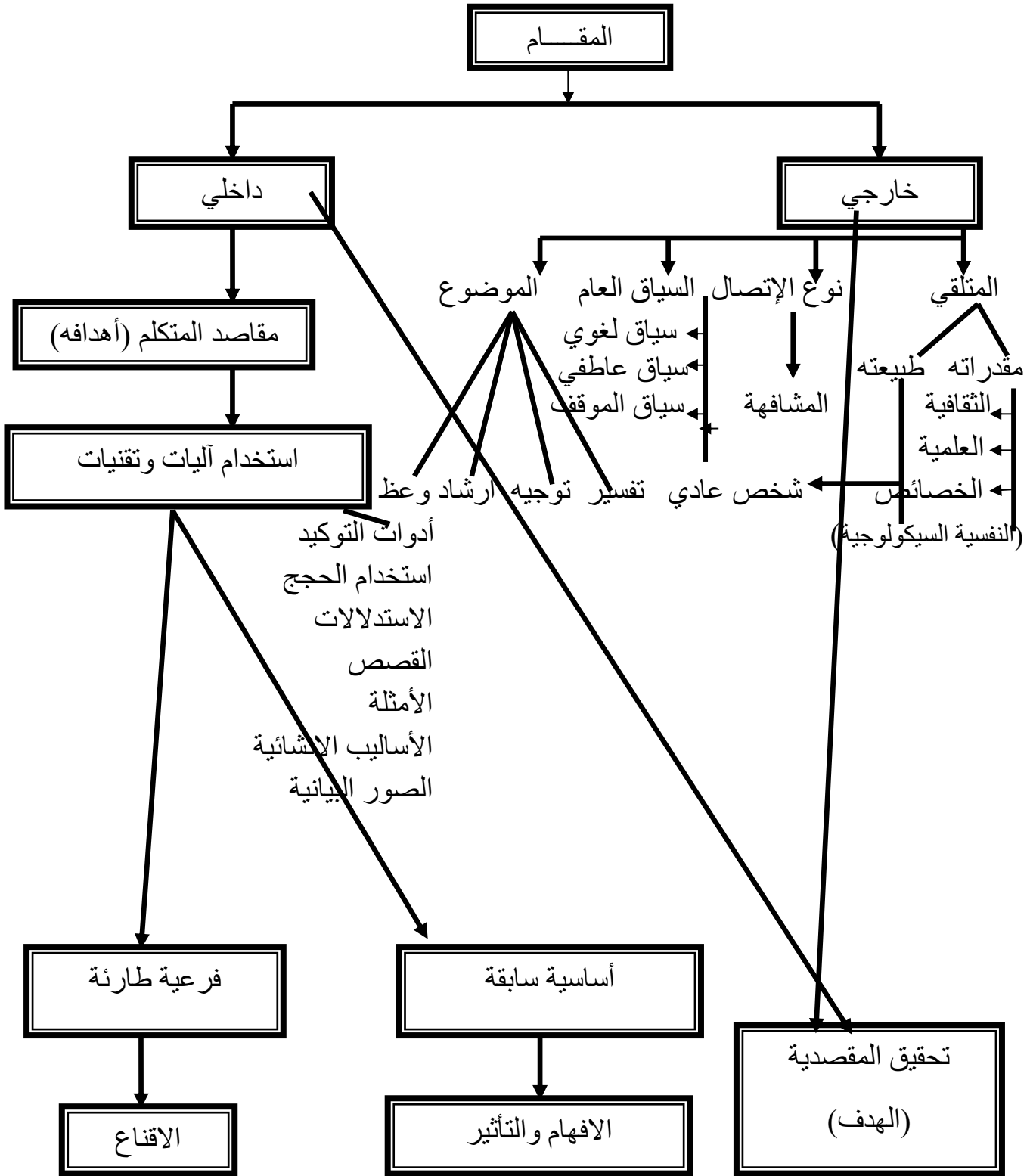
فالخطيب إن كان يلقي خطابة في مسجد شديد الزحام فعليه مراعاة العامل المكاني والزمني وأحوال الناس داخل المسجد الإرهاق ، الجوع ، الحرارة ، ضيق المكان ، التهوية الإضاءة... حتى وإن كانت الخطب تلقى في مكان يمتلك خصائه وقدسيته ، والزمان وقت الظهيرة ، وهو الوقت الذي يكون فيه الأشخاص في أحسن الأحوال من الجانب الجسدي كونها فترة النشاط والحيوية ، إلا أن هذا لا يعني تجاهل وأوضاعهم←(المتلقي 14).

ب- الهدف : أما الهدف فهو مرتبط بعد كل خطبة بموقف الجمهور الذي يستقبل الخطاب ، فهو من خصائص الفعل الكلامي وهو ما ينطوي تحت مفهوم القصدية « intentionnalité »¹ . وهي أساس الفعل الكلامي عند كل خطيب ، باعتبار أنه لا يكون ناجحاً إلا إذا حقق المقصد . فتحقيق المقصد في الطرح التداولي لا يقوم على الإنتاج اللغوي فحسب ، بل تنظمه مجموعة من الأسس التي تمكن المتكلم من تبليغه، وتؤمن للمتلقي الفهم الصحيح الذي يسعفه إلى إدراك القصد ، لأن الخطاب هو نقطة التقاء الخطيب بالمخاطب، هذه الأخيرة التي تشكل الحوار مع الإرث اللغوي والخبرة المشتركة بينهما، هذا الإرث الذي يمثل المرجعية التي على الخطيب أن يأخذها بعين الاعتبار، فالسياق لا يمكن تجاهله في العملية الخطابية ، لأنه من المكونات التي تسهم في صناعة الكلام .

ويمكن تصور مبدئي للسياق في الحالة المدروسة (المقام) وفقاً لما يقتضيه – الهدف

على النحو الآتي :

* مبدأ القصدية intentionnalité من المفاهيم الأساسية التي أدخلها أوستين Austin واتباعه في تحليل الفعل الكلامي.
¹ ينظر ، "نظرية أفعال الكلام العامة ، كيف ننجز الأشياء بالكلام" ، أوستين ، تر عبد القادر فينني ، المغرب أفريقيا الشرق، ط2 /2008 ، ص 178.



ما يمكن قوله في هذه الحالة المدروسة من خلال هذا المخطط أن المقام قد يتوسع حيث يكون له مردود قوي في صياغة الخطاب وتقنياته من حيث كونه "رسالة تستهدف استمالة المخاطب والتأثير فيه".

وهذا المقام الذي يحكم على تحديد المقصد منه ما هو خارجي وما هو داخلي¹، فالمقام أو السياق الخارجي يتعلق بالخطيب وكل ما يميزه ، أما الداخلي فهو مرتبط بالخطيب وشخصه ومكوناته وآلياته ومقاصده....إلخ.

حتى أن العلاقة بين طرفي الخطاب تعتبر عنصرا من عناصر تحديد المقصد، وهو أن يعتمد المتكلم إلى تداول عدد من القواعد وفقا لما تقتضيه علاقته بالمخاطب بما يسمى قواعد التخاطب ، وما لاحظته في خطب الحالة أن الاستراتيجية المستخدمة كانت مرتبطة بما يعرف بظاهرة "التأدب في الخطاب" التي ظهرت في إستخدام الخطيب للمصطلحات الآتية:

"أيها الأحبة الكرام"².

"أيها المؤمنون"³.

"أيها الإخوة"⁴، "أيها الأعزاء.....

وهي استراتيجية تضامنية يحاول الخطيب من خلالها أن يجسد درجة علاقته بالمتلقي و نوعها،و أن يعبر عن مدى احترامه له و رغبته في المحافظة عليه،و إزالة معالم الفروق بينهما، فهي محاولة التقربه، وهذا ما يعكس اهتمام الخطيب بسياق التلطف بما فيه من افتراضات تداولية تحقق له الهدف.

(5) مستوى الاستجابة:

* الاستجابة عند المخاطب: إن كل عمل اتصالي يقوم بين الأشخاص ينتج -لا محالة - ما يعرف بالاستجابة- "ردّة الفعل" - "رجع الصدى" - "النتائج" - "الأثر".

وعلى الخطيب أن يقيس الأثر الذي أخذه خطابه في المتلقي ، ويتم ذلك بإيجاد الإجابة عن مجموعة من الأسئلة يطرحها على نفسه، والتي حصرها خطيب الحالة المدروسة بما يلي:

- ما هي ردود أفعال المتلقين إتجاه الموضوع ؟

- لماذا كانت سلبية ، ولماذا لم يتجاوب المتلقون مع مضمون الخطاب؟

إذ كل ما يقدمه الخطيب من محتوى (أفكار + مشاعر + معلومات) إنما يبينها وفقا

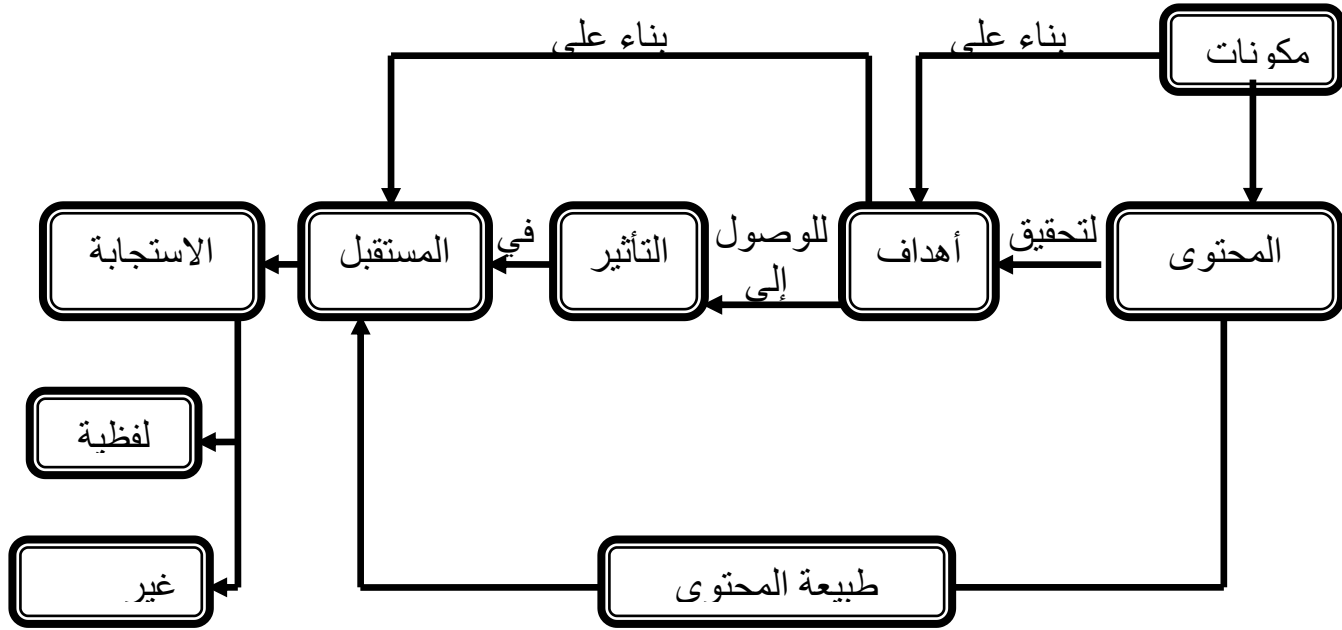
لأهداف محددة يرغب في تحقيقها بما يتناسب وطبيعة المتلقي وهذا ما يمثل المخطط الآتي:¹

¹ ينظر ، "البلاغة والاتصال" ، جميل عبد المجيد ، ص 133.

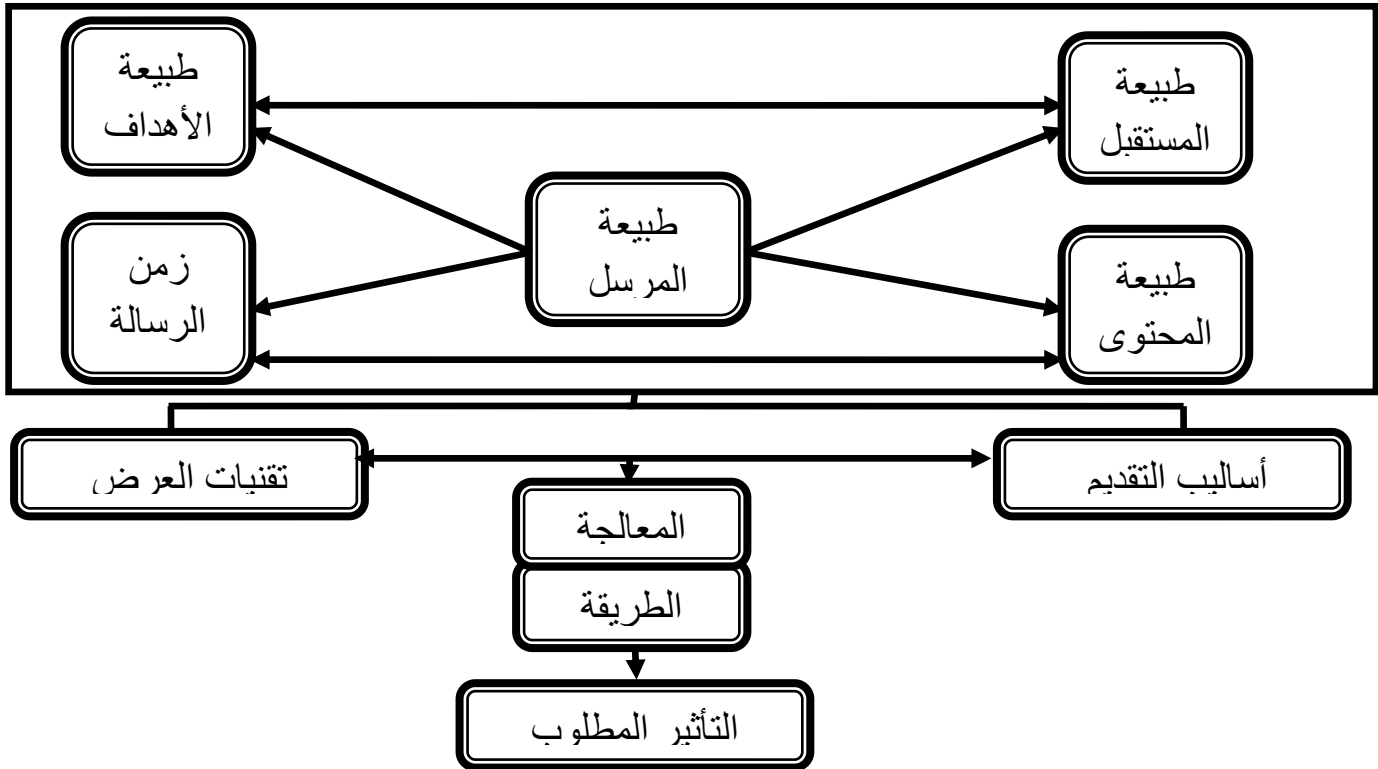
² خطبة 2013/11/08

³ المرجع نفسه.

⁴ خطبة 2013/08/23 (رمضان بين الطاعة والمعصية)



ونقصد في المخطط " بناء على " الطريقة والإمكانيات والأساليب والتقنيات المستخدمة في تقديم المضمون اعتمادا على حصيلة من المواصفات، منها ما هو مرتبط بطبيعة المحتوى (الحجم النوع ، المستوى....) وطبيعة الأهداف (مستواه ، نوعها...) وطبيعة المرسل (مقوماته حججه...) وطبيعة المتلقي (العمر ، الجنس ، الميول الرغبات) والرسالة (مدتها ، حجمها) والقناة (جيدة ، رديئة ، صحيحة...) ، ويمكن لنا تحديد "الطريقة" وفقا للمخطط الآتي:²



¹ "استراتيجية الاتصال الآخر ، الإعلام الإسلامي نموذجاً" ، فاروق ناجي محمود ، ص 57.

² استراتيجية الاتصال مع الآخر ، فاروق ناجي محمود ، ص 71.

كما هو معلوم فإن من مفارقات التعبير الشفوي من دون تبادل أن يختتم بلحظة أخيرة ، والخطيب يستطيع أن يتفطن إلى الأثر الذي خلفه خطابه في المستمعين، حتى ولو كانوا أكثر ويتعذر عليه سؤالهم، فاهتمام المستمعين أثناء بثه للخطاب، يظهر في انتباههم وهدوئهم والتزامهم واحترامهم للخطيب ، إضافة إلى ما يظهر عليهم من تعابير الوجه والحركات والإشارات ووضعيات الجلوس التي تعكس اقبالهم على الفهم.

وقد تظهر الاستجابة أيضا بعد الانتهاء من الخطبة وأثناء الفراغ من أداء الصلاة بتلك المناقشات التي يبدي بها المتلقون إلى خطيبهم .

وعند استبيان رأي الخطيب عن طريقة كشفه لاستجابة المتلقين أو عدمها لمضمون خطابة ، أجب أن ذلك يحدث من خلال الانتباه بوعي إلى المتلقين أثناء الخطبة من حيث ، طريقة الجلوس ، نوع التعابير الظاهرة عليهم ، ماذا تفعل أيديهم ؟ ما نوع النظرات الموجهة إليه؟، وما هي الحركات المصاحبة لديهم عند السمع ؟

وقد سعت إلى التركيز على هذه الأمور من خلال ملاحظتي على فئة المبحوثين حتى أحدد نسبة الاستجابة وتحقيق الأثر عندهم فرصت ما يلي:

- المتلقي (10) ← النظر إلى أسفل ← يتحدث مع أحاسيسه وذاته حديثا خاصا ← عدم الانتباه انعدام الاستجابة .

- رفع حاجبيه إلى أعلى ← تفاجأ بالمعلومة ← انتباه ← استجابة ← المتلقي (18) .
- قطب الحاجبين مع تحريكهما ← متعجب من الكلام ← موجات الكلام تدخل إلى دماغه بسهولة انتباه استجابة ← المتلقي (7) .

- مطأ الرأس إلى الأرض ← متحير لا يسمع ← إنعدام الفهم ← عدم الاستجابة (المتلقي 5، 22).

- المتلقي (19) ← قطب جبينه ورفعته إلى أعلى ← الدهشة مما يسمع ← انتباه.

- المتلقي (9 ، 21) ← النثر بأصابعه على ذراعه ← عدم الصبر ← قلة الانتباه.

- المتلقي (16) ← حك الرقبة ← الملل ← عدم الاستجابة.

- المتلقي (11) ← هز الرأس بالموافقة ← تأيد فهم ← استجابة.

- المتلقي (14) ← ميل الرأس إلى أحد الجانبين ← تفكير ← فهم ← استجابة.

- المتلقي (18 ، 26) ← كثرة الحركة في المكان ← الملل ← عدم الفهم .

- المتلقي (19 ، 23) ← التثاؤب ← النعاس ← عدم الانتباه ← عدم الاستجابة.

ومن معوقات الاستجابة التي لوحظت في هذه الدراسة ما يلي:

(1)- العوائق التي تقف في وجه التعبير الشخصي وهي :

- العوائق الفيزيولوجية : كالصم أو قلة السمع*

- عوائق السيكولوجية: كالخجل والحصر النفسي والاضطرابات العقلية.

- عوائق تقنية: والمتعلقة بكفاءة آلات الاتصال وفعالية استخدامها (المكروفون)

- عدم الإكتفاء والقصور : كأن يستخدم الخطيب أداة أو قناة غير كافية لا تؤدي

الغرض، فالرسالة الشفوية في الحالة المدروسة مثلا تتطلب مكبر الصوت (ميكروفون) وأحيانا

يصدر أصواتا مشوشة**.

(2)- التشويش :

أ- الفزيائي : كإنقطاع أو تعطل المكروفون.

ب- الإنساني: انقطاع التفكير الذهني بسبب عوامل داخلية يعاني منها المتلقي (القلق ،

المرض،...)

ج- الأسلوبي : ويعبر عنها بالحشو والاستطراد والتفاصيل الهامشية التي تغرق فيها الرسالة.

د- التشويش الصوتي: كالضجيج الذي يعم المكان الذي يتم فيه إرسال الرسالة (ضجيج آلات

صناعية ، آلات موسيقية ، صراخ أشخاص* أو حيوانات.....

هـ- التشويش في الرسالة ذاتها: بسبب غموض عباراتها، ألفاظها... إلخ).

تم تحليل معنى الحركات من "فن الإلقاء الرابع" ، طارق السويدان ، ص 195 ، 204.
* فقد واجهنا خلال الدراسة شيخ (70 سنة) خارج الحالات المدروسة من المتلقين يعاني من قلة السمع.** صادفنا تشويش في مكبر الصوت ، خطبة يوم 2013/11/08.

الفصل الخامسدراسة تطبيقية (دراسة حالة)

د- التشويش الصوتي: كالضجيج الذي يعم المكان الذي يتم فيه إرسال الرسالة (ضجيج آلات صناعية ، آلات موسيقية ، صراخ أشخاص* أو حيوانات.....

هـ- التشويش في الرسالة ذاتها: بسبب غموض عباراتها، ألفاظها....إلخ).

كل هذه المعوقات قد تؤدي إلى انعدام الاستجابة التي ينتظرها الخطيب ، مما يجعل العملية الاتصالية (الخطابية) في هذه الحالة فاشلة.

و أخيرا يمكن أن أخص ما تضمنته الحالة المدروسة من خصائص مرتبطة بعناصر العملية الخطابية الإقناعية بالشكل الآتي :

* تخاصم أشخاص بالقرب من المسجد يوم 201/10/18

بيان عن اصـر عمليـة الاقـناع

المصدر	الرسالة	الوسيلة	المستقبل	الهدف
الخطيب إمام المسجد	معلومات وحقائق عن أسس ومبادئ ديننا الحنيف (الإسلام)	كلام شفهي بواسطة قناة مكبر الصوت (قناة فزيائية)	جمهور متلقي من مختلف المستويات والأعمار	- تعزيز القيم الفردية والجماعية - تغيير ثقافة وأخلاق وقيم المجتمع بما يناسب شرائع وأحكام ديننا الحنيف. - التعرض لإبى المفاهيم بالشرح. - بث روق القيم الروحية الاسلامية في الأفراد. - التوجيه الفعال في كيفية التصدي لمواجهات العصر. - تعزيز الترابط الاجتماعي. - تعديل السلوكات. - معالجة السلوكات. - معالجة القضايا المعاشة.
الثقة بالنفس والقدرة على كسب المتلقين. - المصادقية. - المعرفة والدراسة. - الإدراك - الإلقاء الجيد. - الحيرة - الصدق - الأخلاق الهشة - الموهية الفطرية	- الوضوح مضمونا. - الشرح والبيان. - توفر الحجج والبراهين والاستدلالات. - البعد عن الخيال الحاد. - التكرار مع التنوع. - الترتيب المنطقي. - العبارات والألفاظ المناسبة - حسن الصياغة. - أن تتضمن ما يحقق لها أهدافها - أن ترافقها ما يلزم من الإرشادات والإماء التي تزيد من وضوحها.	- البعد عن مصادر التشويش والإزعاج. - أن تكون ذات تأثير مناسب. - تعتمد على أكثر من حاسة الإنسان. - تنقل الرسالة بشكل واضح وجيد.	- مراعاة الفروق الفردية. - الوضوح النفسي. - مراعاة الوضوح الاجتماعي والاقتصادي. - مراعاة واقع البيئة. - مستوى الثقافة والوعي. - الذكاء وسعة الخيال. - توافق حاجاته ورغباته	- أن يكون محددا. - أن يكون مستحقا وذا جدوى. - قوية وعدم تعارضه مع أهداف أخرى. - تناسبه مع الواقع الاجتماعي والبيئي. - متوافق مع الامكانيات الإنسانية. - ان يكون معقولا وممكن التحقيق. - أن يكون مرتبط بالرسالة بشكل مباشر.

خاتمة

إن مهمة الخطاب الإقناعي مهما كان نوعه - وبالأخص الديني- مهمة شاقة لا ريب في ذلك ، ومشقته تكمن في أنه ينبغي أن يتصف بالقدر الكافي من البيان والفصاحة والقوة الإقناعية القادرة على تصحيح الفكر وتصويبه.

والخطاب الديني – وخصوصا المسجدي- في صورته أشد فاعلية في نفوس الجماهير من أي أسلوب تواصل آخر لأنه يؤدي رسالة تعتمد على حمل السامعين إلى المراد بمخاطبة وجدانهم والتأثير في عواطفهم واستدراجهم بالأسلوب الساحر والصوت العذب المتردد انخفاضا وارتفاعا وإثارة وهدوءا...

إضافة إلى استحضار السياق بكل ملابساته وبعناصره المكونة له والتي تسهم بشكل مباشر في توجيه الخطاب ومقصدية، والتي يمكن تصنيفها إلى ثلاثة معايير:

- (1)- المعيار الاجتماعي : وهي العلاقة بين طرفي الخطاب (المخاطب والمخاطب) بناء على مجموعة من الشروط التي من الضروري توفرها في الطرفين.
- (2)- المعيار اللغوي: وهو شكل الخطاب الذي لا يتجلى إلا باللغة المنطوقة التي تضم مجموعة استراتيجيات يحددها الخطيب حتى يتم بها تحقيق الإقناع.
- (3)- معيار هدف الخطاب: الخطيب لا يتكلم إلا لقصد معين يتحقق بإتباع آليات معينة وأدوات بعينها (آليات متعلقة بشخص الخطيب، بالرسالة ، بالسياق...إلخ)، رغبة منه في تحقيق التأثير المرغوب.

أما نتائج البحث فتكمن في:

- رصد آليات وتقنيات الإقناع بمختلف أنواعها .
- رصد وتحديد استراتيجيات الخطاب المتنوعة التي تفيد في مجملها الإقناع.
- الكشف عما يضبط العملية الخطابية بموضوعاتها ومقاصدها المتعددة باعتبارها عملية اتصالية بالدرجة الأولى تفيد الإقناع و التأثير.
- الكشف عن الآليات التداولية التي تفسر كفاءات إدراك منطوق الخطاب الديني ودلالاته وأغراضه.
- تحديد مقصدية الأفعال الكلامية التي لا تظهر إلا من خلال سياق الحال الذي ترد فيه،و الذي تستمد من خلاله مشروعيتها و أثرها .-

خاتمة.....

- تحديد مختلف أركان العملية الخطابية (الإتصالية) ومختلف العناصر السياقية و الحالية والمقامية التي تضبطها.

-

ملحق

1- الخطب المدروسة

* الخطب المسجلة من التلفزيون

* دراسة حالة (الفصل الخامس)

2- المصادر والمراجع

1- ملحق الخطب المدروسة

* المسجلة من التلفزيون:

" الحمد لله الخالق الحكيم، المصور العليم ربّ السموات والأرض، ورب العرش العظيم خلق كلّ شيء ودبره، وأتقن كلّ موجود وسيره، وأشهد أن إله إلاّ الله وحده لا شريك له...وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله إختاره الله من الأطهار، واصطفاه من الأخيار فبشر الطائعين بالجنّة، وأنذر الكافرين بعذاب النّار صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وما تحرك اللسان ووحد الرّحمن، وسلّم تسليماً كثيراً.

"أما بعد أيها الكرام، إن الأثر يدل على المؤثر، والصنعة تدلّ على الصانع، واتقان الصنعة يدل على علم الصانع وقدرته وعلى إرادته وحكمته، فهلا فكرت أيها الإنسان في نفسك ووجودك...".

" من الذي خلق لك عينيّن براقتيّن تدركان المبصرات بألوانها وأشكالها وحركاتها وأحجامها ، وجعل لهما غطائين من الأجفان تمنعان عنهما الغبار والدخان؟".
" وأحسرتاه على من لا يخاف الله، ولا يخضع لعلاه، وألف حسرتاه لمن عصاه."

يوم 2013/06/14 ، قناة الجزائرية

" فيجب أن يبني هذا الزواج على أساس المعرفة والتمحيص وتبادل الرأي بين الأهل للإطمئنان ، لا بسرعة عاجلة دون دراسته، لأنّ كلاً من الزوجين له حرمة وكرامة والمعيشة بينهما ستكون دائمة، لا مؤقتة...فقد قال رسول الله "ص": أكمل المؤمنين إيماناً وأحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم" رواه الترميدي."

" وعلى الزوج أن لا يتعرض للطلاق وهو منفعّل، فإنّه هادم لكيان الأسرة، قاطع لعروقتها ، مفرق لجماعتها، منغص لعيشتها، جالب لشقائها ونكباتها...".
" فيا أيها الناس اتقوا الله في نسائكم، وعاملهنّ بالحسنى، وصاحبوهنّ بالمعروف، وكُنوا على خير معاشرّة ، وأحسن أخلاق ، لأنّ ذلك كلّهُ ينقش في نفوس أولادكم...".

يوم 2013/06/21 ، قناة الجزائرية

« فقال : اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي ، وَقِلَّةَ حِيلَتِي ، وَهَوَانَ عَزِيمَتِي عَلَى النَّاسِ ، يَا

أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَالْمُسْتَنْجِدِينَ ، وَأَنْتَ رَبِّي ، إِلَيَّ مَنْ تُكَلِّمُنِي؟»

"... إن الإسلام انتشر بهذا الإيمان القوي وبهذا الصبر المشكور في سبيله ، بمثل هؤلاء

المسلمين إنتشر الدين في الآفاق، واستولى المسلمون على نصف الكرة الأرضية تقريبا، وصاروا سادة العالم.

أيها المؤمنون اعملوا بدينكم، ونفذوا أوامر ربكم لعكم تفلحون فتجزون خير جزاء،

جنات عرضها السموات والأرض."

وعن عائشة، عن النبي "ص" ، قال : "ما من مسلمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً ، فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَ لَهُ

بِهَا دَرَجَةٌ." رواه البخاري ومسلم".

[يوم 2013/08/09 ، قناة الجزائرية]

" أيها الإخوة المؤمنون : لقد كثر الحديث في هذا الشهر عن ارتفاع الأسعار، وطغيان

موجه الغلاء بسبب الدعم عن المواد التي كانت مدعمة ، فتشاءم بالوضع من تشاءم، وتحير من تحير.

"علينا أن نكافح كما كافح أجدادنا العصاميون، الذين أحيوا هذا القفز الشبيه بالذي ألقى فيه

الخليل زوجته وابنه اسماعيل ونقول كما قال: « رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي

زَرْعٍ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ، وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ

الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ » ، سورة ابراهيم آية 37.

"ثم لنسع في مناكب الأرض الذلول، كما سعت هاجر بين الصفا والمروة حتى يفجر الله

لنا الرزق ماء زولالا، كما فجر لها زمزم ماء فراتا...فماذا بعد الماء...".

"فلنقبل على العمل، إذ ما يشكوا العوز إلا الكسالى الخاملون ، ولنقرن العمل بالإقتصاد...فليس

يشكوا العلة إلا المهملون".

[يوم 2013/07/19 ، قناة الجزائرية]

"الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وجعل تكامله بحسن التنشئة والتعليم،

وهداه بعقله وعمله إلى الصراط القويم، وحباه في حياته هداية وتكريما، ليزداد في مجتمعه

ترقيا وتنظيما، وقال : « وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ». سورة النساء
آية 113.

" والمدرسة هي الحاضن الثاني الذي تتلاقى عنايته مع الحاضن الأوّل الأمّ، فيتعاونان على تنمية المهمة تدريجيا في النفس الغضة التي تنتقش فيها معلومات، وتنمو فيها الملكات، وتتوسع فيها نطاق المدارك...".

لذلك قال عمر بن عتبة لمعلم ولده : "ليكن أوّل اصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإنّ عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت...".

" والخلاصة أن التعليم عمل جوهري في أصله، سام في غاياته، وهو خير ما يرفع من شأن صاحبه ويكسبه مكانة واعتبارا في نفوس الناس...".

« يا رَبِّ السَّمَوَاتِ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا، وَعَمَلًا صَالِحًا، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ نِعَمَ الْمُجِيبُ ».

[يوم 2013/07/05 ، قناة الجزائرية 3]

" الحمد لله الذي خضعت السموات والأرض لعظمته، وسكنت العوالم إجلالا لمهابته، وأرسل نبيه محمداً ليهدي خليفته للقيام بطاعته، ونحمده تعالى أن حضّنا على الجدّ في البكور، وعلى العمل الدائب بلا فتور."

" أما بعد فإنّ الإنسان يعيش بعمله لا بكسله، وبأفعاله لا بأقواله، وما ينفع القول إذا لم يحقّقه العمل؟".

"فكان النبيّ (ص) لا يتوانى عن الحضّ على الجدّ والسعي، وهجر البطالة والكسل... ذلك لأن البطالة من أخطر المشاكل الاجتماعية وأساءها، وأشدّها تأثيرا على طمأنينة الحياة وهناءة العيش...".

"فالإسلام مقّت البطالة، وحضّ على العمل، وعلى اتقانه، وعلى اتّخاذ حرفة يُعمل بها للكسب، وعلى الجدّ والاجتهاد، وجعل ذلك بمنزلة الجهاد في سبيل الله".

"... وليصون نفسه عن وصمة العار، وعن الإنزلاق في مهاوي المخالفات، والتّعدي

على حقوق الناس وأموالهم..."

« فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ اْعْمَلُوا بِجِدِّ وَنَشَاطٍ وَاسْعَوْ بِهَمَّةٍ وَثَبَاتٍ، فَإِنَّ الْخَيْرَ فِي الْعَمَلِ، وَالشَّرَّ

فِي الْكَسَلِ...»

"والإسلام دين العمل والإتقان، دين الجدِّ والإحكام، فمن خالف دينه، استحق المقت والغضب..."

[يوم 20/09/2013 ، قناة الجزائرية 3]

"فكم قاست الوالدة عند حملك تسعة أشهر، من ثقل بطنها وتثاقل حياتها وتلبُّك أمرها؟... كم كانت تبكي لأجلك عند مرضك وتحذر عليك الهلاك، فهي تتألم لألمك، وتمرض لمرضك، فلا تلذُّ لها حياة، ولا تعرف هناة، لذلك كلُّه، كم يكون لها عليك من الحقوق والواجبات؟ ألا تقر بذلك عليها؟ أفيليق بك بعد كلِّ ذلك أن تخرج اطاعتها، وتخالف أمرها..."

"...وأبوك أليس كان سبب وجودك؟ أليس حنَّ عليك كأمنك؟ أليس تعرضَّ لأخطار الحياة لأجل الكسب، والإنفاق عليك،... أفنتكر هذا عليه؟ أتعقه وتخالف أمره، أتجرحه عند عجزه وتهمله، وتسيء إليه؟ يا ويلك ما أطغاك وأكفرك".

[يوم 26/07/2013 ، قناة الشروق ينوز]

"لقد اتصف بها قبل الدَّعوة إليها، ليكون أبلغ في التأثير والتقويم، فكان (ص) صادقاً أميناً متقشفاً متواضعاً، ليِّناً حلماً، سخياً كريماً، عطوفاً رحيماً، يعفو عن ظلمه، ويصل من قطعه، ويصبر على الأذى، ويحسن إلى من أساء إليه، فلا يطيل لسانه ولا ينطق إلاً فضلاً، ولا يقول إلاً عدلاً، فكانت أخلاقه أدلَّ شيء على صدق رسالته..."

"فكن مثله لا تطلِّ لسانك ، ولا تنطق إلاً فضلاً ، ولا تقلِّ إلاً عدلاً فهو نبينا وقدوتنا".

[يوم 02/08/2013 ، قناة شروق ينوز]

" فيا أيُّها المسلمون : ألا فلتعلموا أنّ الذي لا يملك زمام المبادرة في أموره الدنيوية، سيكون بالتبع متهاوناً في أموره الأخروية...ومن أبرز الأمثلة على ذلك، ذلك الذي يؤجل أداء زكاته من عام إلى عام ويكتفي بتسجيلها في دفتر وينساها..."

"عجبا لكم أيُّها العاقلون كم تفهّمون وكم تخطئون"

" وإيأي وإياكم من الغيبة والنميمة وإفشاء الأسرار، ومناوأة الجار، ومعاكسة الأبقار،

في ليل أو نهار، كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها.

"ولا تدخلن في مشورتك جاهلاً يعدل بك عن الحق والفضل".

[يوم 2013/07/19 ، قناة 2M المغربية]

" أما بعد، فيقول الله في محكم التنزيل مبشرا عباده المؤمنين « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا

اللَّهِ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ، وَاللَّهُ

عَفُورٌ رَحِيمٌ» ، الحديد ، آية 27

"وسواء أكان النور هو الإيمان أو الإيمان هو النور، فالطريق الرحب للفوز بالنور هو

تقوى القلوب، والإيمان بالمبعوث لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

"أن يتفضل ربنا الكريم بالعفو والمغفرة على عباده المذنبين، إذا تابو وأنابو ويزيدهم من

فضله العظيم.

"يَا بَنِي آدَمَ لَا تَأْخُذْكَ الدُّنْيَا بِجَمَالِهَا وَزَخْرُفِهَا، فَهِيَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ".

" ذلك والله أعلم، لأن تقوى الله هي الركيزة التي يقوم عليها الإيمان، بدونها يصعب على

الإنسان أن يصدق بنزول الوحي على مثله من بني الإنسان، فمحمد صلوات الله عليه. وهو

الرحمة المهداة، إنما آمن به المؤمنون لما سمعوا البيئات من الهدى والفرقان.

[يوم 2013/09/06 ، قناة 2M المغربية]

"فإذا جهل المرء دينه، فيجب عليه أن يسأل علماء الأمة، وقادتها إلى معالم الدين ومرشدها

إلى كل خير وكل صواب، فهم أمناء الشرع وحفظته، يبينون الحلال، ويدعون إليه ويوضحون

الحرام، وينهون عنه.

" فعلى المسلم أن يتعلم دينه، ويعرف أحكامه، ويتفقه فيه ليكون له حصنا من الشكوك

ومانعا من الانزلاق في مهاوي الكفر والإلحاد...فقد برئ الرسول من الجهل والجاهل وأحب

العلم والمتعلم والعالم، لأن من كان في حياة الدنيا أعمى فهو في حياة الآخرة أعمى.

"اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، إنك نعم المولى

ونعم المجيب.

"رَبَّنَا لَا تُحْمِلْ مَا لَنَا طَاقَةً لَنَا بِهِ، وَاغْفِرْ لَنَا، أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصِرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ".

[يوم 2013/06/02 ، قناة السنة النبوية]

" وللكسب الحلال أنواع كبيرة، واصناف وفيرة، وكلها محمودة مباركة، فتأجرو واسترزقوا مما رزقكم الله، ولا تقعوا فيما يعصيه عليكم".
"من الرزق الحلال التجارة بيعا وشراء، إذا سلمت من العطب، والغبن، والغش واستوفت شروطها..."

«...بشرط أن لا تلهي عن طاعة الله وعبادته، ولا يدخلها شيء من خيانة أو احتيال».
"ومن مكاسب المال الحلال الميراث، وهو انتقال المال الموروث بعد وفاة مالكة إلى ذوي القرابة... أو ذوي المصاهرة كالزوجة، أو ذوي عصبية العتق".
" عن النعمان بن بشير، عن النبي (ص) قال: "إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه..."
رواه البخاري المسلم.

[يوم 2013/09/27 ، قناة أزهر المصرية]

" أيها الإخوة المؤمنون: ها قد عرفتم الإيمان، الإيمان وما يفعل بصاحبه، وعرفتم المؤمن وما يصنع به الإيمان..."
" وأول ما يحضرني من سلوكنا المنافي للإيمان أننا ننظر إلى من قال ولا ننظر إلى ما قيل، أي أننا كنا إذا جاء قول الحق ومنطق الصدق ممن لا نحاز إليه أعرضنا عنه ورفضناه وعبنا صاحبه، ولبثنا من عمرنا سنين في هذا الإتجاه الباطل والتخلف والركود".
" ومن هذا المنطلق المنحرف جعلنا نغار على التقاليد البالية ونتمسك بها مع اعترافنا بعدم جدواها وبضررها وبلواها... أتعرفون لماذا هذا التمادي وهذا العناد؟..."
" وهذا عمر بين الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، من هو أحق بالإقتداء لعظمته في تعاليمه وتحرره من الجاهلين، خرج ليقتل عدو قريش محمد بن عبد الله، فما إن سمع سورة طه من مرتلها حتى زلزلت نيته التي كان ينويها، ونسي كفره كله في لحظه، وأعلن إسلامه بعد لحظة، فاعجب كيف تحول في لحظة؟".

" اللَّهُمَّ يَا رَبَّ مُحَمَّدٍ، وَرَبَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، إِهْدِ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ سُبُوحَ السَّبِيلِ، وَاحْفَظْهَا مِنْ كُلِّ تَضْلِيلٍ".

[يوم 2013/07/05 ، قناة إقرأ]

" والمسلمون ويا للأسف عندما يشيعونه إلى مقره الأخير، يشتغلون بأحاديث السياسة أو الدنيا، أو التجارة، ولا يعتبرون بالموت الذي سيحل بهم، ولسان حال التابوت يقول لكل واحد

منهم أنظرُ إليَّ بعقلِكَ أنا المُهيَّا لنقلِكَ
أنا سريرُ المَنَايا كم سار مثلي بِمِثْلِكَ

"فما لكم لا تعتبرون؟"

" فإن الجنازة عبرة للبصير، وتذكير لأولي الغفلة".

" فإحذر الدنيا، فهي دار مليئة بالعبر، وشؤونها تتقلب، وأحوالها تتغلب، فلا تستقر على

حال..."

" اللَّهُمَّ أَصْلِحْ شُؤُونَنَا، وَإِعْفِرْ دُنُوبَنَا، وَإِخْتِمِ بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ أَعْمَالِنَا

خَوَاتِمَهَا، وَخَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ لِقَائِكَ".

[يوم 2013/09/06 ، قناة إقرأ]

*ب - ملحق دراسة حالة :

أ- بيانات الخطيب (الإمام).

عدد سنوات المهنة	الحالة المدنية	المستوى التعليمي	السن
7 سنوات	متزوج	3 ثانوي	37

ب- بيانات "مسجد" الحالة المدروسة.

- الموقع الجغرافي : /

- الاسم : /

- المساحة : 20500 م²

- القدرة الاستيعابية 1700 مصلي.

- العدد الاجمالي للحضور في خطبة الجمعة 1300 مصلي (بالتقريب)

بيانات المتلقين المبحوثين في المسجد

المهنة	المستوى التعليمي	الحالة المدنية	السن	الجنس	رقم المتلقي
متقاعد	4 متوسط	متزوج	54	ذكر	1
مستشار توجيه وإرشاد مدرسي	جامعي	أعزب	26	ذكر	2
عامل بمصنع	1 متوسط	متزوج	45	ذكر	3
تاجر	6 ابتدائي	متزوج	50	ذكر	4
فلاح	2 متوسط	متزوج	61	ذكر	5
تفني تبوغرافي	3 ثانوي	أعزب	39	ذكر	6
صانع	1 ثانوي	أعزب	20	ذكر	7
أستاذ بالمتوسطة	3 ثانوي	متزوج	50	ذكر	8
عامل	3 ثانوي	متزوج	54	ذكر	9
تاجر	2 متوسط	أعزب	40	ذكر	10
/	طالب ماجستير	أعزب	28	ذكر	11
/	جامعي	أعزب	31	ذكر	12
/	طالب ماجستير	أعزب	29	ذكر	13
/	جامعي	أعزب	27	ذكر	14
نجار	3 ثانوي	أعزب	32	ذكر	15
عامل بمصنع	ليسانس	متزوج	35	ذكر	16
سائق شاحنة	2 متوسط	أعزب	40	ذكر	17
إطار بسونطراك	ليسانس	متزوج	45	ذكر	18
دهان	6 ابتدائي	أعزب	36	ذكر	19
صاحب متجر	الثانية متوسط	أعزب	38	ذكر	20
طاكسي	2 ثانوي	متزوج	48	ذكر	21

متقاعد	2 متوسط	متزوج	64	ذكر	22
خياط	2 ثانوي	أعزب	21	ذكر	23
تاجر	طالب جامعي	أعزب	30	ذكر	24
جزار	نهائي	أعزب	23	ذكر	25
طاكسي	1 متوسط	متزوج	38	ذكر	26
طاكسي	جامعي	أعزب	22	أنثى	27
طاكسي	4 ابتدائي	متزوجة	55	أنثى	28
معلمة ابتدائي	جامعية	أعزب	29	أنثى	29
/	6 ابتدائي	متزوجة	42	أنثى	30
/	9 متوسط	أعزب	33	أنثى	31
/	1 ثانوي	أعزب	38	أنثى	32
مديرة حضانة	2 جامعي	متزوجة	45	أنثى	33
/	3 ابتدائي	متزوجة	62	أنثى	34
/	2 ثانوي	أعزب	33	أنثى	35
سكرتيرة	أولى جامعي	متزوجة	33	أنثى	36
/	ليسانس	متزوجة	48	أنثى	37
/	5 ابتدائي	متزوجة	67	أنثى	38
/	2 ثانوي	أعزب	39	أنثى	39
/	ليسانس	متزوجة	38	أنثى	40
/	ليسانس	متزوجة	27	أنثى	41
/	3 متوسط	عزباء	30	أنثى	42
/	2 متوسط	عزباء	31	أنثى	43
عاملة بمصنع	ليسانس	عزباء	39	أنثى	44
/	2 جامعي	عزباء	39	أنثى	45

(ج) الخطب المسجلة في المسجد (دراسة حالة)

- خطبة يوم : 2013/08/02.

.2013/08/08

.2013 /08/16

2013/08/23

2013/08 /30

2013/09/20

2013/09/27

2013/10/11

2013/10/18

2013/11/08

2013/11/15

« إن هذا اليوم هو يوم فرح وبشر وسرور ، ومن تمام سرور هذا اليوم ، أن يعفوا المؤمن عن ظلمه ، وأن يحسن إلى من أساء إليه ، وأن يصل من قطعه ، وأن يسعى للصلح بين المسلمين، وأن يظهر قلبه من العش والبغضاء...».

«...ولنعلم أن هذا اليوم هو يوم لعلاج النفس ، ويوم لتطهير الروح..فإن كانت الصلاة بطهارتها وسموها صلة بين الخالق القادر والمخلوق القاسي، فإن يوم العيد هو يوم صلة بين المخلوق والمخلوق ، بين الضعيف والقوي ، بين الغني والفقير...».

2013/08/08**(يوم العيد)**

« الحمد لله ، الحمد لله الكبير المتعال ، تفرد بالعظمة والجلال ، وله الكبرياء في السموات والأرض، وهو العزيز الحكيم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صاحب القوة

والجبروت، سبحانه خضعت له الرقاب، وأشهد أن سيدنا محمد عبد الله ورسوله، ضرب لنا في التواضع خير مثال، ولم يكن في قلبه من الكبر مثقال ذرة...».

« وأرجوا من الإنسان المتكبر أن يسأل نفسه، ألم يكن ميتا فأحياه الله ثم ألن يموت كما مات غيره من قبل ، ثم يأكله الدود في قبره، ألم تبدأ حياته من نطفة نثنة ، ثم ألن ينتهي إلى جيفة قذرة ، إن كان يتكبر بقوة يتمتع بها ، فالدواب أقوى منه، وإن كان يظن نفسه عالم، فإن فوق كل ذي علم عليم، وإن كان يظن أنه غني، فقارون كان أغنى منه ، فخسف الله به الأرض لهذا يتكبر المتكبرون؟

2013/08/16

(التكبر)

"أيها المؤمنون الكرام لعلمكم سمعتم الكثير عن رمضان شهر التوبة والإحسان ، شهر الصلاح والإيمان ، شهر الصدقة والإحسان."

" يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم يدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار..." .

2013/08/23

(رمضان بين الطاعة والمعصية)

" هذه أيام التطهر والمغفرة من الذنوب والخطايا، هذه ليالي مباركة وموسم عظيم الخيرات والبركات، جعلها الله رحمة منه وتفضلا ، وسبيلا إلى تجديد إيماننا وتقوية عزائمنا وتربية لنفوسنا، وصياغة لعقولنا".

" ولا يخفى على أحد ، الفرق الكبير بين ما كان عليه النبي "ص" وصحابته الكرام وسلف الأمة في إغتنام الأوقات والمشاركة إلى الخيرات..."

" وها هو رمضان يشكوا حاله إلى الله من أنباء هذه الأمة ومن بعض الصور المعكوسة والظواهر المنكوسة، التي يقع فيها معظم الناس، ومن أهم هذه الصور وأعظم هذه المنكرات الذهاب إلى الأسواق ليلا وكثرة نزول النساء إليها ، وكأنه لبس هناك وقت ، وليس هناك مجال لقضاء الحاجات إلا في هذه الليالي المباركة..." .

" يا أيها الأحبة ، من هنّ أولئك النساء ومن هم أولئك الرجال الذين يحبون هذه الظاهرة إنهم نحن أنا وأنت وزوجي وزوجك وإبنتي وإبنتك وأختي وأختك..."

"...الذين يبيتون في الأسواق والذين ينشغلون بالكلام والقييل والقال ، والذين يقتلون رمضان كسلا ونوما ، إنما هم كمثل إنسان قدمت إليه أطباق من الذهب والفضة ، فركلها بقدميه وإنصرف عنها."

"أيها الأحبة ، نعرف ونقر ونغض الطرف عن هذه الظواهر المعكوسة وهذه الأعمال المرفوضة التي أصبحت كأنها سنة من سنن رمضان المبارك."

2013/08/30

(شكوى رمضان

«...خير يوم طلعت فيه الشمس هو يوم الجمعة ، فيه خلق آدم عليه السلام، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة...ولهذا يستحب الاستعداد ليوم الجمعة ، خاصة بقراءة سورة الكهف لقول رسول الله "ص" : " من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له نور ما بين الجمعتين».

«...فهو ذاهب إلى بيت الله للاشتراك في صلاة جامعة يعلن من خلالها ولاءه الله عز وجل...».

2013/09/20

(صلاة)

(الجمعة)

« إن من أعظم وجوه الإحسان، الإحسان إلى اليتيم، واليتيم كما هو معلوم هو من مات أبويه ، أو أحدهما قبل بلوغ سن البلوغ ، وهذا نبينا عليه الصلاة والسلام، يخبرنا عن امرأة سابقتها في الدخول إلى الجنة ، فقال "ص":بينما أقعق الجنة يوم القيامة ، فتفتح لي ، فإذا بي أرى امرأة تريد أن تسبقني ، فأقول : من أنت يا أمة الله، تقول : أنا امرأة مات زوجها وترك لي يتامى ، فقعدت أرببيهم، فتكون أول من تدخل معي إلى الجنة...».

2013/09/27

(الإحسان)

" من حق القلب أن يحزن، ومن حق العين أن تدمع، ولكن لا نلطم الخدود ولا نشق الجيوب ولا ندعوا بدعوى الجاهلية..."

" فالجزع يكون في الشكوى للخلق لا للخالق، بل إن الشكوى للخالق سبحانه وتعالى والدعاء والصلاة مطلوبة عقب كل ابتلاء..."

2013/10/11

(الصبر)

« نتحدث اليوم عن رمز من رموز العدل على مر التاريخ الإسلامي، حتى يكون لنا قدوة وأسوة... إنه عمر بن عبد العزيز...».

«...وليت أمر أمة محمد، وفيهم الفقير وفيهم المسكين ، وفيهم اليتيم، وفيهم الجائع، وفيهم الأرملة ، سيسألني ربي عنهم يوم القيامة جميعا واحدا واحدا ، فماذا أجيب؟...».

2013/10/18

(شخصية تاريخية)

" فقد شكأ أب إبنه إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، بأنه عاق له ، فطلب عمر الإبن ليؤدبه فقال الولد : يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه ، قال بلى ، قال فما هي قال : أن يختار أمه ، ويحسن إسمه ، ويعلمه الكتاب ، قال الإبن : إنه لم يفعل شيئا من ذلك يا أمير المؤمنين ، فقد إتخذ له أما زنجية كانت ماجوسية ، وسماني جعلاً.. ولم يعلمني من الكتاب حرفا، فنظر عمر إلى الرجل وقال له جئت تشكوا عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعفك وأسأت إليه قبل أن يسئ إليك.

" أيها الأخ الكريم ، أحسن الإنفاق على ولدك ، وكن قدوة طيبة لهم ، ولا تعلمهم الكذب، ولا تقل لهم ما لا يجب قولهم...وأصحبهم إلى أماكن الفضيلة كالمساجد ومجالس العلم، وعلمهم الرياضة فإنها قوة للجسم والعقل والنفس...وأهم ما ينبغي أن يوجه المؤمن ابنه إليه قراءة القرآن الكريم وحفظه والعمل به...".

" إن من أعظم الواجبات التي أوجبها الله علينا إتجاه أبنائنا أن نربيهم على مكارم الأخلاق، وهذا لن يكون إلا إذا نشأ هذا الابن على الدين الصحيح، فلا أخلاق دون دين".

"الوالد لا يمكن أن يقصر في حق ولده عن عمد ، ولكنه قد ينسى أو يهمل ، وقد ينحرف عن الطريق فيؤذي نفسه وولده،... فكيف تكون هذه الوقاية التي تشمل النفس والولد؟ ، تكون برعاية

المسؤولية وحسن تقديرها عملا بقوله "ص": « كلُّكم راعٍ مسؤولٌ عن رعيته»

2013/10/18

(حقوق الأبناء)

" الحمد لله رب العالمين أحمد سبحانه وتعالى أن جعلنا خير أمة أخرجت للناس"
" أيها الأحبة الكرام ، لقد غرس الله عز وجل في قلوبنا حب الأوطان وجعله علامة من
علامات الإيمان.

" إن واجب المسلم إتجاه وطنه هو الحفاظ على هذا الوطن من خلال التمسك بحقوقه
والقيام بواجباته، ونشر الخير والصلاح في هذا الوطن".

" أيها المؤمنون ، جرى بنا أن نحقل بعيد الثورة ، وعيد الجهاد ، أم نتناساه؟ ، أن
تستذكر مآثر المجاهدين وتأسى بهم ونقت في آثارهم في حب الوطن أم أن نتناساهم ولا
نستدرك شيء من مآثرهم".

" فلننق الله أيها الإخوة هذه الذكريات الخالدة وفاء لشهداء هذا الوطن.

2013/11/08

(حب الوطن)

« الحمد لله رب العالمين الذي أوجب علينا حج بيته الحرام، ومن أطاع الله وصدق بكلماته
وعظمته كان من المؤمنين الصادقين، ومن أعرض الله عنه، ومن كفر ، فإن الله غني عن
العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله.....».

« إن من هبة الله تعالى أن دعا المسلمين في كل زمان ومكان إلى الحج الأكبر، ليشهدوا
أن منافع لهم ، ويذكروا اسم الله تلبية ودعاء، فيسيروا على تلك البقاع المقدسة، التي شهدت
مولد الإسلام ، وشهدت تضحيات المسلمين، فتملى قلوبهم إيماناً ويقيناً ، ويستعيدوا بذلك ،
ذكريات كان لها أكبر أثر في ماضيهم المجيد...هناك تتجلى لنا بوضوح أن مناسك الحج ليست
أعمالاً جارية أو أفعالاً غير هادفة، وإنما هي مدرسة لتثقيف العقل وتغذية الروح وترويض
النفس.

« فالحج مدرسة إلهية تهدف أولاً وقبل كل شيء إلى تربية النفس المسلمة على طاعة
الله، وبالتالي أوامره واجتناب نواهيه، وعلى الانصراف إلى الأخلاق الحميدة والآداب
الحسنة، وعلى الطهارة الروحية والجسدية معا...».

2013/10/11

(الحج)

ملحق.....

" أيها الإخوة المسلمون ، يقول الله تعالى في كتابه العزيز : "الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا فسوق ولا جدال في الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقوني يا أولى الألباب .
" ... فهناك البيت الحرام ، أول بيت جمع الناس بمكة المكرمة التي ولد فيها رسول الله "ص".

2013/11/15

(الحج)

***ملحق الهامش**

(ب ت) بدون تاريخ

(ب ط) بدون طبعة

(ت ح) تحقيق

(ت ع) تعليق

(ت ر) ترجمة

(ص ن) الصفحة نفسها

(ش ر) شرحه

(ت ع) تعليق

جامعة السانبا - وهران

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية

مشروع العلوم اللغوية والاتصال

استمارة استبيان :

السادة الكرام بعد التحية

هذه الاستمارة تدخل في إطار إعداد الفصل الخامس (التطبيقي) لرسالة دكتوراه في مشروع العلوم اللغوية والاتصال ومعنون بـ : "الآليات الإقناعية التداولية في خطب المساجد (خطبة الجمعة نموذجاً)" ، منهج دراسة حالة لمجموعة من المتلقين بمسجد (ن) بوهران، ومن أجل ذلك نرجوا منكم العون من خلال الإجابة على الأسئلة، ونتعهد لكم بأن البيانات المقدمة لن تستخدم إلا لأغراض علمية بحثية.

الرجاء وضع علامة (x) في خانة الإجابة المختارة مع ملئ الفراغات.

- تحت إشراف الأستاذ:

د. أحمد عزوز

- إعداد الطالبة :

- شيخ أعر الهوارية

السنة الجامعية 2014/ 2015

السمات العامة :

1- الجنس :

 أنثى ذكر

2- السن :

3- الحالة المدنية :

 متزوج أعزب مطلق أرمل

4- المستوى التعليمي :

 إبتدائي متوسط ثانوي 3 2 1

 ليسانس ماستر 2 1 دكتوراه

5- المهنة :

* المحور الأول : واقع الخطاب الديني المعاصر

1. ما أثر الدعوة الدينية في حياتك ؟

 إيجابي سلبي محايد

لماذا؟

2. كيف تجد واقع الخطاب الديني اليوم بشكل عام ؟

 في المستوى سيء لا بأس به

لماذا؟

3. هل تجده في مواضيعه يتماشى مع أحداث الواقع المعاش ؟

 نعم لا أحيانا

لماذا حسب رأيك؟

4. ماذا يقصد بالتجديد في الخطاب الديني الذي يدعوا إليه دعاة اليوم ؟ أهو تجديد في :

 المضمون الشكل طريقة الطرح

لماذا؟

- كيف تجد خطاب أغلب أئمة المساجد ؟

مقنعين غير مقنعين نوعا ما

- ما السبب في ذلك؟

6. هل ترى أن تنوع وسائل الإعلام خدمت الخطاب الديني؟

قليلًا كثيرا نوعا ما

- كيف ذلك؟

7. فن الخطابة من أكثر وسائل الإعلام تأثيرا؟

نعم لا أحيانا

- لماذا؟

8- هل تلعب خطبة الجمعة دورا في تصويب حياتك؟

نعم لا

كيف

ذلك؟

* المحور الثاني : المقومات الإقناعية (الخطيب)

1. ماهي مكانة الخطيب الديني اليوم في المجتمع؟

مهمة عادية

- لماذا؟

2. ماذا تكسب الموهبة الفطرية للخطيب؟

الثقة بالنفس التأثير في المتلقي لا تأثير لها

- كيف ذلك؟

3. يحقق الخطيب الناجح أهدافه الخطابية بـ :

- تحديد استراتيجية معينة التواصل بعفوية

- كيف ذلك؟

4. يجب على الخطيب أن يكون ملما بـ:

العلوم الشرعية العلوم بمختلف أنواعها علوم اللّغة

لماذا؟

5. هل ترى أن الأداء الخطابي لخطيب الحالة :

جيد متوسط حسن ضعيف

ما السبب في ذلك؟

6. هل يقرأ الخطبة من الورقة أم مرتجلة؟

بالورقة محفوظة مرتجلة
دائما نادرا أحيانا

لماذا؟

7. ماذا يعكس ذلك؟

حرصا شديدا ضعف في القدرات عدم الثقة في النفس

8. كيف ترى الخطيب المرتجل؟

مؤثر غير مؤثر أحيانا

والذي يقرأ من الورقة؟

مؤثر غير مؤثر أحيانا

ما السبب في ذلك؟

9. ما سبب ظهور الارتباك عند الخطيب؟

قلة الثقة قلة الخبرة ضعف المعلومات

أسباب أخرى أذكرها

10. ماذا تقول في خطيب يقول ما لا يفعل؟

أمر عادي منافق خائن

لماذا؟

11. هل يؤثر سلوك الخطيب على المتلقين؟

نعم لا أحيانا

- كيف ذلك؟

وكيف تجد خطيب الحالة؟

12. ما هي الصفات التي تستحسنها في خطيبك؟

التواضع الحق والعدل المعاملة الحسنة الصرامة

صفات أخرى أذكرها

13. هل تقصد أيام الجمعة مسجدا معينا؟

نعم لا أحيانا

ماهي دوافعك لذلك؟

14. هل سبق وغيرت مسجدا كنت تحضر فيه خطبة الجمعة إلى مسجد آخر؟

نعم لا

لماذا؟

15. ما تأثير معاملة خطيب الحالة مع جمهوره قبل وبعد الخطبة؟

ايجابي سلبي

كيف ذلك؟

16. هل لا مست في خطيب الحالة مشاعر:

قوية هادئة وسط

كيف ذلك؟

وما تأثير ذلك عليك؟

17. هل معرفة خصائص الجمهور أمر ضروري للخطيب؟

نعم لا أحيانا في الغالب

ما هي هذه الخصائص؟

18. هل تلعب هيئة الخطيب وشكله دورا مهما في التأثير عليك؟

نعم لا أحيانا

لماذا؟

كيف تجد هندام خطيبنا؟

19. ترى الابتسامة عند الخطيب مطلبا :

ضروري غير ضروري ليس كل الأحوال

لماذا؟

20. ما هي الوضعية الخاصة بالخطيب الأكثر إثارة لانتباهك؟

- يمسك العصى لا يمسك شيء يستند بيده على المنبر
- لماذا؟

21. هل ترى أنه من الضروري أن يوزع الخطيب نظره على كل الجمهور؟

- نعم لا أحيانا
- لماذا؟

22. بما تشعر والخطيب ينظر إليك وهو يلقي خطابه؟

- التركيز أكثر رفع مستوي الإصغاء الانتباه
- لماذا؟

* المحور الثالث : المستوى الإلقائي (الإلقاء عند الخطيب ، التلقي عند المخاطب)

1. هل للعملية الإلقائية (الصوتية) دور في التأثير على الجمهور المتلقي؟

- نعم لا أحيانا دائما
- لماذا؟

2. ما هو الصوت الأكثر تأثيرا فيك؟

- القوي اللين الجهور الهادئ
- لماذا؟

3. كيف ترى أن يوزع الخطيب أداءه الصوتي؟

- على وتيرة واحدة على درجات صوتية متباينة
- لماذا؟

3. ما الذي يشد انتباهك أكثر وأنت تستمع إلى الخطيب الديني؟

- أسلوب الطرح المضمون الأداء الصوتي
- لماذا؟

هل العيب في الخطبة يعود إلى:

الآرتجال القراءة طريقة الإلقاء

4. كيف تجد الإمكانيات الإلقائية (الصوتية) لدى خطيب الحالة؟

جيدة مقبول ضعيفة

ما السبب في ذلك؟

5. هل سبق وقصدت مسجدا لأن الخطيب يحسن الأداء الصوتي؟

نعم لا

ما الدافع إلى ذلك؟

6. هل تعطي أهمية للحركات والإشارات التي تصاحب كلام الخطيب؟

دائما أحيانا نادرا

لماذا؟

7. هل خلو الخطبة من هذه اللغة غير اللفظية (الحركات والإشارات) يؤثر سلبا على انتباهك؟

نعم لا أحيانا

كيف يكون ذلك؟

8. كيف تجدها عند خطيب الحالة؟

مناسبة عشوائية غائبة

لماذا؟

* المحور الرابع : التلقي عند الجمهور

9. هل ترى أن مستواك العلمي له أثر في تحقيق الفهم؟

نعم لا أحيانا

لماذا؟

10. هل تشعر أحيانا أن مستواك يفوق مستوى خطيب الحالة؟

نعم لا

من أي جانب؟

11. هل ترى أن وضعيتك الاقتصادية والاجتماعية تنعكس على نفسك وبالتالي على قدرتك الإستيعابية؟

نعم لا أحيانا

كيف ذلك؟

12. متى تكون قدرتك الاستيعابية عالية ؟

راحة نفسية راحة جسدية نفسية وجسدية

لماذا؟

13. أي نوع من المستمعين تصنف نفسك ؟

المنصت المحدود المتظاهر الفضولي

لماذا؟

وكيف يكون السمع مهارة تحقق لصاحبها الفائدة؟

14. هل تخرج من الخطبة متأثر بما سمعته؟

دائما أحيانا نادرا أبدا

أذكر الأسباب

15. ليحقق لك السمع الفهم والاستيعاب لا بدّ من :

- التركيز والانتباه
- ملاحظة الحركات الموائية للكلام
- مقاومة عوامل الإلهاء والشروود
- طريقة جلوس صحيحة

- عوامل أخرى أذكرها.....

16. غياب صورة الخطيب (الاتصال البصري) يسبب : (خاص بالإناث)

- قلة التركيز
- قلة الانتباه
- السرحان والشروود
- النوم

لماذا؟

17. ما هي مهارات الاستماع التي تحقق لك الفهم ؟

- الانتباه الصمت الإصغاء الأهتمام بالتعبير غير اللفظية حذف عوامل التشويش

مهارات أخرى أذكرها.....

* المحور الخامس : المحتوى والمضمون (الرسالة)

18. هل للمضمون الخطابي أهمية في نجاح العملية الإبلابية ؟

- نعم لا أحيانا نادرا

19. هل التكرار في مضامين (مواضيع) الخطب جائز ؟

- نعم لا أحيانا نادرا

لماذا؟.....

20. ما هو المضمون ذو القيمة بالنسبة لك؟

- المؤثر الذي يمس حاجات الناس
 - الذي يمدك بمعلومات كنت تجهلها
 - أن يكون مناسباً للفيئات الموجه إليهم
 - أن يكون مناسباً للزمان الذي يلقي فيه
 - المختصر
 - المطول
 - الذي يعالج قضايا الحي

أخرى أذكرها.....

21. ماذا يسبب لك تشعب الأفكار في الموضوع ؟

- التشتت فقدان التركيز الاستفادة
 الفهم انعدام الفهم

لماذا؟.....

أي مواضيع تجعلك مستديم الانتباه؟

- المطولة المختصرة الوسط

لماذا؟.....

22. هل سبق وأثار الخطيب موضوعا استفز بعض المتلقين؟

نعم لا

لماذا؟

23. هل يعتمد خطيبنا إلى استخدام الاستدلالات والحجج؟

دائما أحيانا نادرا

ما أثر ذلك عليك؟

24. ما هي أكثر الاستدلالات التي تلفت انتباهك؟

القرآن الكريم الأحاديث النبوية القصص

الأمثال الطرائف الأشعار

المعلومات الرقمية

لماذا؟

25. إيراد النكت وعناصر التشويق في الخطاب

ضرورية غير ضرورية

لماذا؟

26. هل يراعي خطيبنا في طرح الموضوع تقسيم الكلام إلى مقدمة وعرض وخاتمة؟

نعم لا أحيانا

ما أثر ذلك عليك؟

27. خطيب يقع في أخطاء نحوية ولغوية كثيرة يتسبب في :

إنعدام الثقة في كلامه عدم الفهم قلة التركيز

لماذا؟

28. هل تجد خطيبنا قادرا على تغيير مجرى الخطاب بسهولة؟

نعم لا

ما السبب في ذلك؟

29. هل تستطيع تحديد مستوى الخطيب المعرفي من خلال خطابه؟

نعم لا

كيف ذلك؟

30. تحبذ في الرسالة الخطابية أن تكون (من حيث اللغة والأسلوب)

- | | | | | | |
|--------------------------|---------|--------------------------|-------|--------------------------|--------|
| <input type="checkbox"/> | دقيقة | <input type="checkbox"/> | بسيطة | <input type="checkbox"/> | مباشرة |
| <input type="checkbox"/> | تلميحية | <input type="checkbox"/> | صعبة | <input type="checkbox"/> | ضعيفة |

أذكر أخرى.....

31. كيف تجد أسلوب خطيب الحالة؟

- | | | | | | |
|--------------------------|------|--------------------------|------|--------------------------|-------|
| <input type="checkbox"/> | واضح | <input type="checkbox"/> | غامض | <input type="checkbox"/> | مقبول |
|--------------------------|------|--------------------------|------|--------------------------|-------|

لماذا؟.....

32. هل يتكلم خطيب الحالة بالعامية؟

- | | | | | | |
|--------------------------|-----|--------------------------|----|--------------------------|--------|
| <input type="checkbox"/> | نعم | <input type="checkbox"/> | لا | <input type="checkbox"/> | أحيانا |
|--------------------------|-----|--------------------------|----|--------------------------|--------|

هل يجوز له ذلك؟ لماذا؟.....

33. ترى أن الخطيب الناجح يجب أن:

- يتجنب استخدام الكلمات المعقدة
- اختيار النبر والتنغيم الملائم للألفاظ والمعاني
- التزام الدقة فيما تتضمنه من دلالات
- استخدام الأساليب المجازية والاستعارات

أخرى أذكرها.....

34. هل استخدام الأساليب المجازية في الخطاب مناسبة لكل الجمهور؟

- | | | | |
|--------------------------|-----|--------------------------|----|
| <input type="checkbox"/> | نعم | <input type="checkbox"/> | لا |
|--------------------------|-----|--------------------------|----|

لماذا؟.....

35. والأساليب الإنسانية كالأمر والاستفهام والنهي والنداء؟

- | | | | |
|--------------------------|-----|--------------------------|----|
| <input type="checkbox"/> | نعم | <input type="checkbox"/> | لا |
|--------------------------|-----|--------------------------|----|

لماذا؟.....

36. ما هي أكثر الاستراتيجيات التي يتبعها خطيب الحالة عند توجيه خطابه؟

التأديبية التوجيهية التلميحية

37. هل يراعي الخطيب أحوالكم ووضعيتكم عند إلقاء خطابه؟

نعم لا أحيانا

كيف ذلك؟

38. هل تجد أن وقت الظهر من يوم الجمعة وقت مناسباً لسماع الخطبة؟

نعم لا

لماذا؟

-* استمارة استبيان خاصة بالخطيب

1. كيف تقيم واقع الخطاب الديني اليوم؟

في المستوى وسط دون المستوى

لماذا؟

2. كيف تكون نظرة المتلقي لخطيب لا يملك زادا معرفيا وعلميا كافيا؟

احتقار تعاطف

لماذا؟

3. في اختيارك لمواضيع خطبك أنت :

مخير مسير مخير ومسير

4. ماذا تراعي في اختيار موضوع خطابك؟

- وحدانية الموضوع

- وقائع وأحداث الأسبوع في حيك

- قضايا الجمهور وهمومهم

- مستوى الجمهور المتلقي

أخرى أذكرها.....

5- هل تحدد هدفك من الخطاب مسبقا؟

نعم لا

كيف ذلك؟

5. كيف يأتي الجمهور المتلقي لخطابك؟

مهياً للإنصات يحضر بدافع الفرض

..... ما هي الأسباب؟

6. هل تلاحظ في المتلقين اختلاف من حيث درجة الإنصات؟

نعم لا

..... كيف ذلك؟

7. ماذا تورد في مضمون خطابك من استدلالات؟

القرآن الكريم الأحاديث النبوية القصص
المثل المعلومات الرقمية

..... أخرى أذكرها؟

..... لماذا؟

8. هل تورد الطرفة والدعابة في خطابك؟

نعم لا أحيانا

..... لماذا؟

- كيف تلقي خطابك؟

ارتجالاً من الورقة محفوظ

..... لماذا؟

9. هل ترى أن لمظهرك دوراً في تحقيق الإقناع؟

نعم لا أحيانا

..... كيف ذلك؟

10. هل تعطى أهمية لأدائك الصوتي أثناء الخطبة؟

نعم لا أحيانا دائماً

..... لماذا؟

11. هل ترى أن الابتسامه مطلب لكسب القلوب؟

نعم لا

لماذا؟

12. متى تغير من نبرة صوتك ارتفاعا أو انخفاضا؟

فكرة مهمة لإثارة انتباه المتلقي

13. هل تجد أن استخدام الحركات والإشارات المصاحبة للكلام دورا في تحقيق التأثير على المتلقين؟

نعم لا أحيانا نادرا

لماذا؟

14. هل تضطر إلى استخدام العامية؟

نعم لا أحيانا

لماذا؟

15. هل سبق ووقعت في أخطاء لغوية أو نحوية أو تعثرت في الخطاب؟

نعم لا

كيف تجاوزت الموقف؟

16. هل ترى ضرورة اتصافك بمواصفات الخطيب الناجح؟

نعم لا

ما هي هذه الموصفات؟

17. ما تراعي في الجمهور عند اختيار ألفاظك وتراكيب خطابك؟

تباين الجمهور (السن، الجنس...) المستوى العلمي والمعرفي وضعيتهم داخل المسجد

أخرى أذكرها؟

18. ما نوع الخطاب الذي تستعمله في إبلاغ رسالتك؟

الرقيق الفاتر الصعب القاسي

أنواع أخرى أذكرها؟

19. هل تملك المقومات الإقناعية الأزمة لتحقيق الإقناع؟

نعم لا البعض

أذكرها؟

20. ما هي أهم المقومات التي تحقق الاتصال الناجح مع الجمهور؟

المعرفية

 الأدائية (الإلقائية)

 الشكلية

لماذا؟

21. كيف توزع نظرتك على الجمهور أثناء الخطاب؟

على شخص معين على بعض الأشخاص على كل الأشخاص

لماذا؟

22. هل تلمس ردة فعل الجمهور المتلقي على خطابك؟

نعم لا أحيانا نادرا

كيف يكون ذلك؟

23. أي أنواع الإستراتيجيات اللغوية تستخدم في خطاباتك؟

التلميحية المباشرة التضامنية

لماذا؟

أخرى أذكرها؟

24. متى تلجأ إلى الإستراتيجية التلميحية في تصوير المعاني؟

لإبراز المعنى لإضفاء الجمالية

أسباب أخرى أذكرها

25. هل تجد أن الإستراتيجية التلميحية مناسبة لإثارة المشاعر؟

نعم لا أحيانا نادرا

متى ذلك؟

26. هل ترى أن الخطاب الديني تلقين أجوف (دون عاطفة)؟

نعم لا أحيانا

لماذا؟

27. هل تعتمد إلى إبراز مشاعرك الجياشة في خطابك؟

نعم لا أحيان

لماذا؟

2- ملحق المصادر و المراجع

-القرآن الكريم

-الحديث الشريف (صحيح البخاري و مسلم)

- أ- باللغة العربية :

- 1- "أبعاد العملية الاتصالية ، رؤية علمية وواقعية" ، سلوى عثمان الصديقي ، هناء حافظ بدوي ، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة ، المغرب ، 1999م.
- 2- "الابلاغية في البلاغة العربية" ، سمير أبو حمدان ، منشورات عويدات الدولية باريس بيروت ، ط 1 ، 1991.
- 3- "الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي" ، ابراهيم أبو عرقوب، مجدلاوي للطباعة والنشر، 1993م.
- 4- "الاتصال الإنساني وعلم النفس" ، أحمد النابلسي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، 1444هـ ، 1991م.
- 5- "الاتصال والإعلام، المفاهيم ، المداخل النظرية، القضايا" ، جمال محمد أبو شنب دار المعرفة 2006م.
- 6- "الاتصال والسلوك الإنساني" ، برنت روبن، تر: نخبة من أعضاء قسم وسائل التكنولوجيا والتعليم بكلية التربية ، جامعة الملك سعود ، معهد الإدارة العامة ، 1991م.
- 7- "الاتصال ووسائله في المجتمع الحديث" ، خيرى خليل الحميدي ، المكتب العلمي للكمبيوتر، الإسكندرية ، ب ط ، ب ت .
- 8- "الاتصال ونظرياته المعاصرة" ، حسن عماد مكاوي ، ليلي حسين السيد ، الدار المصرية اللبنانية ، ط10 مارس، 2012.
- 9- الإحكام في أصول الأحكام ، سيف الدين الأمدى ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 1985.
- 10- "أساس البلاغة" ، الزمخشري، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ط1، 2009م.
- 11- "أساسيات في علم النفس" جنان سعيد رحو ، الدار العربية للعلوم ، ط1 ، 1426 هـ 2005م.

- 12- " أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي"، محمود عودة، دار المعرفة الجامعية ، الأزاريطة ، 1998.
- 13- "استقبال النص عند العرب" ، محمد المبارك ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1 ، 1999م.
- 14- "الأسلوبية في النقد العربي الحديث" ، دراسة في تحليل الخطاب، فرحان بدري ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ط1، 2003م.
- 15- "الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام" سعد الدين السيد صالح ، مكتب رحاب ، ب ط ب ت.
- 16- "استراتيجية الاتصال مع الآخر" فاروق ناجي محمود ، دار النفائس للنشر والتوزيع الأردن ، ط1، 2010م.
- 17- "استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية"، عبد الهادي بن ظافر الشهيري، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، لبنان ، ط1 ، 2004.
- 18- "اسرار البلاغة" ، عبد القاهر الجرجاني ، تعليق محمد عبد المنعم حفاجي وعبد العزيز شرف، دار الجيل، بيروت ، ط1 ، 1991م.
- 19- "استقبال النص عند العرب" ، محمد المبارك ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر الأردن ، ط1 ، 1999م.
- 20- "الأسس العلمية لنظريات الإعلام"، جيهان أحمد رشتى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ط2، مارس ، 1978م.
- 21- "اسلاميات من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر في أمور الدين في التاريخ ، في الاقتصاد، في الأدب" ، محمد قطب دار الشروق ، ط1 ، 2003.
- 22- "الأسلوبية والأسلوب" ، عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، ب ط، ب ت.
- 23- "الأسلوبية وتحليل الخطابة" ، منذر عياشي ، دار المحبة ، دمشق ، ب ت.
- 24- "اشكالية الخطاب العربي المعاصر" ، كمال عبد اللطيف ، نصر محمد عارف، دار الفكر بدمشق ، ط1 ، مارس 2001م.

- 25- "اشكاليات القراءة وآليات التأويل" نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، بيروت ، ط3 ، 1994م.
- 26- "أصول الإلقاء واللقاء المسرحي"، فرحان بلبل ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1996م.
- 27- "أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق" ، مهدي فضل الله ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت لبنان ، ط4 ، 2006.
- 28- "الأصوات اللغوية" ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط4 2007م.
- 29- "الأصوات وتصحيح عيوب النطق والكلام"، مصطفى صلاح قطب، الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة، ط1 ، 2009.
- 30- "الأصول دراسة إبستمولوجيا للفكر اللغوي عند العرب، النحو، فقه اللّغة، البلاغة" تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1982.
- 31- "أصول الفقه"، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ب ط ، ب ت.
- 32- "الإعلام الإسلامي"، إبراهيم إمام ، مكتبة الأنجلو المصرية ب ط ، 1980م.
- 33- "الإعلام التطبيقي واستخداماته في تطوير الإدارة"، فرنسيس ج برجين، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995م، وط2 ، اتحاد كتاب العرب، دمشق 2000م.
- 34- "أعلام النخبة بسنية حمل العصى في الخطبة"، عبد الوهاب هدنة، دار هومة للطباعة والنشر، 2006م.
- 35- "الإعلام والاتصال بال جماهير"، إبراهيم إمام ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1984م.
- 36- "أفاق جديدة في دراسة اللّغة والعقل"، نعوم تشومسكي، ترجمة، عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع ، الأذقية، سوريا ، ط1 ، 2009م.
- 37- "الإقناع الاجتماعي خلفيته النظرية وآلياته العملية" ، عامر مصباح، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، ط2 ، 2006م.
- 38- "الألفاظ والدلالة في بصائر نوي التميز في لطائف الكتاب العزيز"، للفيروز أبادي مصطفى عبد المجيد خضر، مؤسسة حورس الدولية ، الإسكندرية ، ط1 ، 2011م.

- 39- "الإلقاء العربي الخطابي والتمثيلي"، فاروق سعد، الشركة العالمية للكتاب، ط1 1987م.
- 40- "آليات النطق في رسالة أسباب حدوث الحرف لابن سينا" دار الرفاعي للنشر ، دار العلم العربي ، ط1 ، 2010م.
- 41- "الإيضاح في علوم البلاغة"، القزويني ، تحقيق محمد عبد المنعم ، خفاحي ، دار الجيل، بيروت، ج1 ، ط3 ، 1993.
- 42- "البحر المحيط في أصول الفقه" بدر الدين الزركشي ، تحقيق محمد تامر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2000م.
- 43- "بلاغة الخطاب وعلم النص" صلاح فضل ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجان ، ط1 ، 1996م.
- 44- "البطى التعليمي وعلاجه من خلال أساسيات التعليم والتعلم" علي تعوينات ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009م.
- 45- " البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية"، محمد حسين أبو موسى ، دار الفكر العربي ، دار الحمام للطباعة ، ب ط ، ب ت.
- 46- "البلاغة المقارنة"، مصطفى الصاوي الجويني ، دار المعرفة الجامعية ، إسكندرية مصر ، 1995م.
- 47- "البلاغة والاتصال" جميل عبد المجيد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، 2000م.
- 48- "البلاغة والأسلوبية"، محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، ط1 ، 1994م.
- 49- "البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ، مصادرها الكبرى"، بدوي طبانة ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3 ، 1381هـ، 1962م.
- 50- "البيان والتبيين"، أبي عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ، تقديم نهاد نور الدين جرد منشورات وزارة الثقافة دمشق ، سوريا ، 2001م.
- 51- "تأويل مشكل القرآن" ابن قتيبة، شرحه السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة ، ط2، 1993 هـ ، 1973م.

- 52- "تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر" محمد منير حجاب، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1 ، 2004م.
- 53- "تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص" عبد القادر شرشار، منشورات دار الأديب وهران.
- 54- "تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق"، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1995م.
- 55- "تصميم البحوث الاجتماعية، تنسيق منهجي جديد، حسن الساعتي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1892.
- 56- "التعبير اللساني، رؤية بلاغية نقدية"، شفيح السيد، دار الفكر العربي، القاهرة، ط4 1995م.
- 57- "تقنيات التواصل والتعبير"، عبد الرحيم تمحيري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب ، ط1 ، 2007م.
- 58- "تقنيات الإقناع في الإعلام الجماهيري ، فريال مهنا ، دار طلاس ، دمشق ، ط1 1989م.
- 59- "تكنولوجيا الاتصال والخدمة الاجتماعية، محمد سيد فهمي ، حافظ بدوي، 1991م.
- 60- "تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضى محمد الحسن، تج محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة، 1995م.
- 61- "تلخيص الخطابة"، أبو الوليد ابن رشد ، تحقيق محمد سليم سالم ، القاهرة ، 1387هـ 1968م.
- 62- "تنمية مهارات التواصل الشفوي (التحدث والاستماع) دراسة عملية تطبيقية"، راشد محمد عطية أبو صواوين ، ايتراك للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2005.
- 63- "تهذيب اللّغة"، أبو منصور بن أحمد الأزهرى ، تج أحمد عبد الرحمن مخدم، منشورات دار الكتب العملية، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2004م.
- 64- "الجملة العربية والمعنى"، فاضل صالح السامرائي ، دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1412هـ ، 2000م.

- 65- "جواهر البلاغة" أحمد الهاشمي ، دار ابن الجوزي للطبع والنشر ، القاهرة ، ط1
2010م.
- 66- "الحجاج"، كريستيان بلاتيان، ترجمة عبد القادر المهيري دار سيناترا، المركز الوطني
للترجمة، تونس 2008م.
- 67- "الحصيلة اللغوية، أهميتها مصادرها وسائل تنميتها"، أحمد محمد معتوق ، سلسلة
كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب الكويت، ربيع الأول
1996م.
- 68- "حول الفكر الإسلامي والنظام الديمقراطي"، محمد جمال يحيواوي ، دار الغرب للنشر
والتوزيع وهران.
- 69- "الحيوان" الجاحظ ، عبد السلام هارون ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3
1388هـ، 1969م.
- 70- "الخصائص"، أبي الفتح عثمان ابن جني ، تح محمد علي النجار عالم الكتب ، بيروت،
ط3، 1983م.
- 71- "الخطابة"، أرسطو، تر ، عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، 1959م.
- 72- "الخطابة العربية في عصرها الذهبي ، إحسان النص"، دار المعارف المصرية ط2
1969م.
- 73- "الخطابة بين النظرية والتطبيق"، محمود محمد عمارة مكتبة الإيمان بالمنصورة،
ط1 1997م.
- 74- "الخطابة والخطيب"، محمد سمير الشاوي، دار العصماء دمشق، سوريا، ط1
2009م.
- 75- "الخطاب السياسي والخطاب الإعلامي في الجزائر ، مدرسة لسمونتيك القول والفعل
والحال" ، عشراتي سليمان ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، ب ت.
- 76- "خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة"، قطب عبد الحميد قطب،
مكتبة رحاب الجزائر ، ط1 ، 1981م.
- 77- "الخطاب والنص، المفهوم – العلاقة- السلطة"، عبد الواسع الحميري، مجد المؤسسة
الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1429 هـ 2008م.

- 78- "دراسات في أدب العصر الجاهلي و صدر الإسلام" ، سلسلة اللغة والأدب تصدر عن ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، 1984م.
- 79- "دراسة الجمهور في بحوث الإعلام"، محمد عبد الحميد، عالم الكتاب، القاهرة، ط1 1993م.
- 80- "دراسة الصوت اللغوي"، احمد مختار عمر ، عالم الكتب القاهرة ، 1997.
- 81- "دراسة اللّغة والمعاجم"، حلمي خليل ، دار النهضة العربية ببيروت ، ط1 1998م.
- 82- "دروس في اللّسانيات التطبيقية"، صالح بلعيد، دار هومة، الجزائر، 2000م.
- 83- "دلائل الإعجاز"، عبد القاهر الجرجاني، مكتبة الأنجلوا المصرية ، ب ط، ب ت ،
- 84- "دلالة الألفاظ"، إبراهيم أنيس، ، مكتبة الأنجلوا المصرية ، ب ط، ب ت.
- 85- الدلالة اللفظية ، محمد عكاشة ، مكتبة الأنجلوا المصرية ، ب ط ، 2002م.
- 86- "الدلالة اللفظية وأثرها في استنباط الأحكام من القرآن الكريم"، علي حسن طويل، دار البشائر الإسلامية، ط1، 2006.
- 87- "الدلالة والمعني في الصورة"، عبيدة صبطي ، نجيب بخوش، دار الخلدونية، للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1430 هـ ، 2009م.
- 88- دور الكلمة في اللّغة ، ستيفن أولمان، تر: كمال بشر، دار غريب، القاهرة ، ط1 1962.
- 89- الزمان والمكان في الشعر الجاهلي"، باديس فوغالي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، ط1، 2008م.
- 90- "سلطة اللّغة بين فعلي التأليف والتلقي" ، خديجة غفيري، إفريقيا الشرق ، المغرب 2012م.
- 91- "السيرة النبوية"، أبي محمد عبد الملك بن هاشم المعافري، تعليق طه عبد الرؤوف سعد دار الجيل للطباعة والنشر ، بيروت ، 1975م.
- 92- "السيرة النبوية عروض ووقائع وتحليل أحداث"، علي محمد صلابي، دار ابن جوزي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1، 2007م.
- 93- "سيكولوجية الاتصال وضغوط العمل" ، علي حميدي ، دار الكتاب الحديث، ب ط 2008 م.

- 94- "الشورى في العهد النبوي والخليفين من بعده"، طالب عبد الرحمن، دار الغرب للنشر والتوزيع ، ب ط ، 2001م.
- 95- "الصحافة والإعلام والنافع" ، أسعد أحمد علي ، دار النشر للطباعة ، دمشق ، ط1 ، 1981م.
- 96- "صحيح البخاري" ، عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، دار السلام للنشر والتوزيع ط2 ، مارس 1999م.
- 97- "صحيح مسلم" ، حسن مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1 2000م.
- 98- ""صعوبات فهم اللّغة ، ماهيتها واستراتيجيتها""، عبد الحميد سليمان السيد، دار الفكر العربي ، ط1، 2005م.
- 99- "صفات الداعية وكيفية حمل الدعوة" ، سميح عاطف الزين ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ط7، 1980م.
- 100- "صناعة الكلام ، كيفية اكتساب مستحسن الخطاب ومسكت الجواب في ضوء الأساليب التربوية"، محمد عشاش ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 ، 2000م.
- 101- "صناعة المعجم الحديث" أحمد مختار، عالم الكتب، ط1، 2000م.
- 102- "كتاب الصناعتين" ، أبو الهلال العسكري ، تحقيق محمد البخاري ، محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي ، ط2 ، 1971م.
- 103- "ظاهرة الغريب تاريخ وتطبيق"، عبد الواحد حسن الشيخ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفيتية، مصر، ط1، 1999م .
- 104- "الظاهرة القرآنية"، مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، ط3 1969م.
- 105- "عدة الداعية إلى الله"، أبو عبد المعز محمد علي فركوس، دار العواصم للنشر والتوزيع ط1 ، 2012م.
- 106- "العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي" ، عبد الواحد حسن الشيخ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية ، ط1، 1419 هـ ، 1999م.
- 107- "علم الاجتماع اللّغوي" ، السيد عبد الفتاح عفيفي، دار الفكر العربي، القاهرة 1995م.

- 108- "علم الدلالة" ، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط 5، 1998م.
- 109- "علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي" ، منقور عبد الجليل ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2001م.
- 110- "علم الدلالة" ، دراسة نظرية وتطبيقية" ، فريد عوض حيدر ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ط2، 1999م.
- 111- "علم الدلالة، دراسة وتطبيق" ، نور الهدى لوشن ،المكتب الجامعي الحديث ، 2006 م.
- 112- "علم الدلالة عند العرب" ، دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة" ، عادل فاخوري، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، ماي 1985م.
- 113- "علم المعاني، البيان، البديع" ، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، ب ت.
- 114- "علم المعاني، البيان، البديع" ، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ب ت.
- 115- "علم النفس الإعلامي" ، سامي محسن خثائنة، أحمد عبد اللطيف أبو سعد ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 1431هـ ، 2010م.
- 116- "علم نفس اللّغة من منظور معرفي" ، موفق الحمداني دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، ط 1 ، 2004م.
- 117- "علم النفس المعرفي" ، مريم سليم ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط 1 ، 2009م.
- 118- "عندما نتواصل نتغير ، مقارنة تداولية لمعرفة آليات التواصل والحجاج" ، عبد السلام عشير ، افريقيا الشرق ، المغرب ، ط 2 ، 2012م.
- 119- "فرسان المنابر" ، موسوعة شاملة في فن الخطابة، إعداد مكتب التبيان للدراسات الإسلامية والعربية، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2008م.
- 120- "الخطابة" ، مكتبة التبيان للدراسات الإسلامية العربية، ج1، ج2، ج3، ط1، 2008م.
- 121- "فصول في علم اللغة العام" ، عمرو خاطر عبد الغني وهدان ،مؤسسة حورس الدولية للنشر الإسكندرية ، ط1، 2010م.
- 122- "الفكر الإسلامي المعاصر ورهانات المستقبل" ، محمود محفوظ ، المركز الثقافي العربي بيروت ، ط 1 ، 1999م.

- 123- "الفكر الديني في مواجهة العصر، دراسة تحليلية للاتجاهات النفسية في العصر الجديد"، عفت الشرقاوي ، دار العودة ، بيروت ، ط2 ، 1979م.
- 124- "فلسفة اللّغة واللّسانيات"، نور الدين النيفر، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع تونس، ط1، 1993م.
- 125- "فن الإلقاء" محمد علي، مؤسسة طيبة للطباعة والنشر، ط2 ، 2009م.
- 126- "فن الإلقاء الرائع"، طارق السويدان، شركة الإبداع الفكري للنشر والتوزيع، الكويت ط7 ، 2012م.
- 127- "فن الإلقاء العربي والتمثيلي"، فاروق سعد، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، لبنان، ط1 1987م.
- 128- "فن الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير"، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دار الكتب العلمية ، ط4 ، ج1 ، ب ت .
- 129- "فن الخطابة ، اكتساب الثقة"، ديل كارينجي ، دار السلام ، الجزائر ، بط ، ب ت .
- 130- "فن الخطابة" ، أنطوال القوال ، دار العلم للملايين، بيروت ، ط1، يناير، 1996م.
- 131- "فن الخطابة وإعداد الخطيب"، علي محفوظ، مطبعة المعارف، بومرداس، الجزائر ب ط ب ت .
- 132- "فن الكلام، مدخل إلى الاتصال العام"، احمد بن راشد أدرار، جبل الشيخ للإعلام والنشر، 1998م.
- 133- "في بلاغة الخطاب الإقناعي ، محمد العمري ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2002م.
- 134- "في البنية والدلالة، رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية، سعد أبو الرضا، منشأة المعارف بالإسكندرية ، جلال حزي وشركاه ، ب ت .
- 135- "القاموس المحيط" ، الفيروز أبادي، ترجمة خليل مأمون شيخا، دار المعرفة، بيروت لبنان ط5 ، 2011م.
- 136- "قضايا الشعرية" ، رومان ياكبستون ، ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب ، ط1 ، 1998م.
- 137- "قوة الإقناع"، علي الحمادي، الإبداع الفكري للنشر والتوزيع، الكويت، ط1 1431هـ 2010م.

- 138- "الكتاب"، سيبويه، تحقيق و ترجمة عبد السلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، ط3، 1988م.
- 139- "الكتابة والتعبير"، أحمد محمد فارس، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، ط3 1998م.
- 140- "الكلام إنتاجه وتحليله"، عبد الرحمن أيوب، مطبوعات الجامعة، الكويت، ط1 1404هـ، 1984م.
- 141- "كيف تقنع الآخرين" عبد الله محمد الغوشن، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط4 2004م.
- 142- "كيف تكون متحدًا ومفاوضًا مقنعًا"، طه كاسب الدروسي، دار الجسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009م.
- 143- "لسان العرب"، ابن منظور، تح: ياسر سليمان ومجدي فتحي، المكتبة التوقيفية للطباعة والنشر، القاهرة، وطبعة دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 2000م.
- 144- "لسانيات الخطاب"، صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1 2010م.
- 145- "لقاءات وحوارات حول واقع الحركة الإسلامية المعاصرة"، محمد الغزالي، إعداد أبو أسامة محمد خليفة، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2008م.
- 146- "اللغة الإعلامية"، عبد العزيز شرف، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، ط1 1991م.
- 147- "اللغة"، ج فنديريس، ترجمة عبد الحميد الدواخيلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، 1950م.
- 148- "اللغة الشاغرة"، عباس محمود العقاد، الأنجلو المصرية القاهرة، 1920م.
- 149- "اللغة، دفاثر فلسفية"، تر محمد سييلا، عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر الدار البيضاء، المغرب.
- 150- "اللغة العربية معناها ومبناها"، تمام حسان، عالم، الكتب، ط4، 2004.

- 151- "لغة القرآن الكريم"، دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة"، محمد الخان دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين المليلة، الجزائر، ط1، 2004م.
- 152- "اللغة والتواصل" عبد الجليل مرتاض، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ب ت .
- 153- "اللغة والخطاب" ، عمر أوكان ، افريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان ، 2001م.
- 154- "مبادئ في اللسانيات"، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2000م.
- 155- "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" ، أبو الفتح نصر الله ضياء الدين ابن الأثير تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة البابي الحلبي وأولاده ، مصر، 1939م.
- 156- "المجاز وأثره في الدرس اللغوي" ، محمد بدري عبد الجليل ، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، 1986م.
- 157- "محاضرات في علم اللسان العام، فرناند دي سوسير، ترجمة عبد القادر قينني، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2008م.
- 158- "مختصر تفسير ابن كثير"، تح: هاني الحاج، لدار التوقيفية للتراث، القاهرة، 2010م.
- 159- "مدخل إلى التحليل اللساني، اللفظ، الدلالة، السياق"، العربي قلايلية، ديوان المطبوعات الجامعية ، ب ت .
- 160- "المدخل إلى التربية والتعليم"، خالد القضاة ، دار اليازوري العلمية، عمان، الأردن، ط1، 1998م.
- 161- "المدخل إلى دراسة البلاغة العربية"، السيد أحمد خليل، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1968م.
- 162- "مدخل إلى علم اللغة" ، محمود فهمي حجازي، دار قباء، القاهرة، 1998م.
- 163- "مدخل إلى علم الاتصال"، منال طلعت، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، الإسكندرية 2001 – 2002.
- 164- "المدخل إلى علم النفس العام" مروان أبو حويج، دار اليازوردي، العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006م.
- 165- "المدخل إلى وسائل الإعلام" عبد العزيز شرق، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1989م.

- 166- "مدخل لعلوم الإعلام والاتصال"، زهير احدادن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ب ت.
- 167- "المدارس اللسانية، أعلامها، مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلية"، أحمد عزوز، منشورات مخبر اللغة العربية والاتصال، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران الجزائر 2005م.
- 168- "المرشد إلى الخطابة"، كريس ستيوارد نومايك، ترجمة جورج خوري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط1، 1990م.
- 169- "المزهر في علوم اللّغة وأنواعها"، السيوطي، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، ط1 ، 1998م.
- 170- "المساعد على بحث التخرج"، مختار بوعناني، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران ، ط1، 1995م.
- 171- "المسجد في الإسلام، أحكامه، آدابه، بدعه"، خير الدين وانلي، دار تحصيل العلوم، القبة الجزائر، ط3 ، 1992م.
- 172- "المعجم الأدبي" جبور عبد النور، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط2 ، يناير 1984م.
- 173- "المعجم العربي، إشكالات ومقاربات، بحوث ودراسات لغة"، محمد رشاد الحمزاوي بيت الحكمة ، قرطاج المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، 1991م.
- 174- "المعجم المسرحي ، مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض"، حنان قصاب حسن ماري إلياس، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط1 ، ب ت.
- 175- " المعجم الوسيط" ، مجمع اللّغة العربية، القاهرة.
- 176- "المعنى في البلاغة العربية"، حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة ط1، 1998م.
- 177- "مفاهيم علماء النفس"، هشام البدراني، دار البراق للطباعة والنشر، الأردن، ط1 1997م.
- 178- "مفاتيح العلوم"، السكاكي أبو يعقوب، ضبطه وعلق عليه نعيم زرزورة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987.
- 179- "مقومات النهوض الإسلامي بين الأصالة والتجديد"، عامر الكفيسي، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، المغرب ، ط1 ، 2006.

- 180- "المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتدادات"، أحمد المتوكل، منشورات، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006.
- 181- "المقدمة" عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق لوان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط1، 1423 هـ، 2003 م.
- 182- "مناهج الخطيب"، حسن هدية، دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، 2003 م.
- 183- "من أسرار البلاغة في القرآن" محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية الأزهر، القاهرة، ط1، 1984 م.
- 184- "من مبادئ علم النفس"، محمد بني يونس، دار النشر والتوزيع، عمان، الأردن ط1، 2004 م.
- 185- "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، حازم القرطاجني، تحقيق محمد بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966 م.
- 186- "من أسرار البلاغة في القرآن"، محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية الأزهر، القاهرة، ط1، 1404 هـ.
- 187- "منهجية الدعوة الإسلامية"، طالب عبد الرحمن، دار الغرب للنشر والتوزيع، ب ط ب ت.
- 188- "مهارات الاتصال بالإعلاميين والتربويين والدعاة"، محمد منير حجاب، دار الفجر مصر، ط1، 1999 م.
- 189- "المهارات الأساسية في ممارسة خدمة الفرد"، على اسماعيل علي، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، مصر، 2011 م.
- 190- "مهارات التأثير والإقناع عند المعلمين"، بدر الحسين، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1433 هـ، 2012 م.
- 191- "المهارات اللغوية وعروبة اللسان"، فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، لبنان ط1 1999 م.
- 192- "نحو بلاغة جديدة"، محمد عبد المنعم خفاجي، عبد العزيز شرف، مكتبة غريب الفجالة، ب ط، ب ت.

- 193- "النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، فان دايلك، تر عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، افريقيا الشرق، 2000م.
- 194- "نظام الخطاب" ميشال فوكو، تر محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت 2007م.
- 195- "نظام الارتباط والربط في تراكيب الجملة العربية"، مصطفى حميدة، مكتبة، لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، القاهرة، ط1، 1997م.
- 196- "نظريات الاتصال والاعلام، المفاهيم، المداخل النظرية، القضايا"، محمد أبو شنب دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، ب ط، ب ت.
- 197- "نظريات الإعلام واتجاهات التأثير"، محمد عبد الحميد، عالم الكتاب، ط1، 1997م.
- 198- "نظرية السياق بين القدماء والمحدثين"، دراسة لغوية نحوية، دلالية، عبد النعيم خليل دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007م.
- 199- "نظرية السياق دراسة أصولية"، نجم الدين قادر كريم الزنكي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2006.
- 200- "النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين"، محمد الصغير بناني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.
- 201- "نفح الطيب في الخطابة والخطيب"، معروف الرصافي، مطبعة الأوقات الإسلامية بدار الخلافة، ط1، 1917م.
- 202- "نقد الشعر"، قدامة ابن جعفر، تح وتع: محمد عبد المنعم حفاجي، دار الكتب العملية، بيروت، لبنان، ب ط، ب ت.
- 203- "نماذج الاتصال في الفنون والإعلام والتعليم وإدارة الأعمال"، عبد العزيز شرف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2003م.
- 204- "نهج البلاغة"، الإمام علي، ترجمة الشيخ محمد عبده، دار الفكر العربي، بيروت، ط1 1996م.
- 205- "الوجيز في فقه اللغة العربية"، عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، حلب، سوريا ط1، 1998م.

206- " وقفة مع العربية وعلومها" ، موسى عبد الرحمن قباشوي ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط2 ، 2000م

ب - باللغة الأجنبية :

*** باللغة الفرنسية**

- 1- 100 fiches pour comprendre linguistique, Gilles sioufi et dans van raemdoch, Bréal, Rosy 2^{eme} édition.
- 2- « Comment parler en public » dale carnegie ; nouvelle édition, hachette, paris 2001.
- 3- « Dictionnaire de linguistique », jean du bois librairie la rousse 1973.
- 4- « Dictionnaire du théâtre », patrice paris, Armand colin, paris,2002.
- 5- Dictionnaire de l'linguistique et des sciences du langage, la rousse 2^{eme} edition, 1999.
- 6- « la science de la communication », Gudith Razar, Edition dahab 2^{eme} édition, paris 1993.
- 7- « l'explication de la communication Philpe Breton, et serge Proulex, casbah édition, Alger 2000.
- 8- le Robert dictionnaire d'aujourd'hui, Alain Rey, paris 1991.

*** باللغة الإنجليزية**

- 1- « Speech communication and human interaction », thomas scheidel, glenview scott foreman and company, 1976.
- 7- « The process of communication », David Berlo, Newyork, hot Rinehart ، winston 1960.

3-الدوريات

- 1- "الاتصال والتواصل بين الرسالات السماوية" محمد حسين ، مجلة الحضارة الإسلامية يصدرها المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية ، وهران، ع4 نوفمبر 1998م.
- 2- "بلاغة الإقناع في الخطاب المسجدي، طاهري لحسن، صوت المجلس، نشرة علمية تواصلية يصدرها المجلس العلمي المحلي بصفرو، المغرب، ع1، السنة 1 جمادى الثاني، 1431 هـ، ماي 2010م.
- 3- "بين السمة والسيميائية" ، عبد الملك مرتاض ، مجلة تجليات الحداثة ، يصدرها معهد اللّغة العربية ، جامعة وهران ، ع2 ، جوان 1993م.
- 4- "توظيف الإلقاء في الدعوة إلى الإسلام"، مصطفى أحمد ، مجلة الفيصل ، المملكة العربية السعودية ، ع6 ، 24 ذو الحجة 1417 هـ ، ماي 1997م.
- 5- "حاجة البشرية إلى التشريع السماوي" ، عبد الرحمن الجيلالي، مجلة الأصالة، مجلة ثقافية، السنة التاسعة ، مارس، أفريل ، ماي جوان ع 80/79 ، 82/81.
- 6- "سمات التداول في الخطاب السياسي"، بشير ابراير، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية جامعة باتنة، ع 10، جوان 2004.
- 7- "الطرق الخاصة في التربية الدينية" ، عبد الهادي عبد الوهاب، مجلة همزة وصل، مجلة التربية والتكوين ، ع8، 1974-1975.
- 8- "العلاقات الأبدية بين الإسلام والعربية ، أحمد بن نعمان مجلة الأصالة ، مجلة ثقافية شهرية ، مارس ، افريل ، ماي ، جوان ، ع79-81/80-82 ، 1980م.
- 9- "فاعلية الاصابية في تأويل الخطاب اللّغوي، مقارنة تداولية"، عبد الحليم بن عيسي، مجلة مطارحات في اللّغة والأدب ، مجلة تصدر عن معهد الآداب واللّغات بالمركز الجامعي ، غليزان ، الجزائر ، ع2 ، مارس 2010م.

- 10- "في تجديد مفهوم الخطاب"، كمال عمران ، المجلة العربية للثقافة والعلوم ، تصدر عن إدارة الثقافة ، تونس ، مجلة نصف سنوية ، سنة 14 ، ع 28 شوال 1415 هـ ، مارس 1995م.
- 11- "كلام الله من خلال لغة العرب" ميشال عبد الكريم، مجلة الحضارة الإسلامية، وهران 4ع، نوفمبر ، 1998م.
- 12- "اللغة العربية وتحديات العصر"، نصر الدين، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية تصدرها كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس، سطيف، ع1، أبريل 2004.
- 13- "المدخل إلى بلاغة المحسنات" محمد الولي، مجلة فكر ونقد، ع17، مارس 1999م.
- 14- مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية، -الخطاب المسرحي نموذجا - عمر بلخير ، مجلة إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، ع 14 - 15 ماي، ديسمبر 2001.
- 15- "قضية اللفظ والمعنى من الجاحظ إلى عبد القاهر الجرجاني"، عبد القادر هني، مجلة الموافقات، تصدر عن المعهد الوطني للتعليم العالي لأصول الدين، ع2، جوان 1993م.
- 16- "كلام الله من خلال اللغة"، ميشال عبد الكريم، مجلة الحضارة الإسلامية، وهران، ع4 نوفمبر، 1998م.
- 17- "لغة الإشارة من البدائية والتلقائية إلى لغة عالمية" ، مجلة الفكر العربي، بيروت ، ع95، شتاء، 1999م.
- 18- "لغة الثقافة ولغة الإعلام"، حسام الخطيب، مجلة الثقافة ، ع81، 1984م.
- 19- "اللغة العربية والاتصال"، عبد الجليل مرتاض، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال الموسم الثقافي ، لعام 2000م ، الجزائر.
- 20- "اللغة العربية والإعلام المرئي والمسموع" ، عبد الكريم الأشر، مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق، ج4، مج 74.
- 21- "اللغة العربية وتحديات العصر"، نصر الدين مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، تصدرها كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس، سطيف، ع1، أبريل 2004 .
- 22- " المدخل إلى بلاغة المحسنات"، محمد الوالي، مجلة فكر ونقد، ع 17، مارس 1999م.

23- "مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية، الخطاب المسرحي نموذجاً" عمر بلخير، مجلة إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا، والعلوم الاجتماعية ع14-15 ماي، ديسمبر (مجلد 2-3)، 2001.

4- الأطروحات

- 1- "الإعلام الإسلامي المعاصر في الجزائر، نماذج من الصحافة المكتوبة، العقيد، المنقذ النهضة"، محمد عقاب، ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة وهران، إشراف عرفت عجان، 1994، 1995م.
- 2- "التشكيل اللغوي ومهارات الإلقاء للخبر التلفزيوني، دراسة لسانية"، حميدي زهور، رسالة ماجستير، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، إشراف أحمد عزوز 2005، 2006م.
- 3- "الخطاب الديني في الجزائر"، عتيق العربي، رسالة ماجستير في علم الاجتماع جامعة السانبا، وهران، إشراف العلوي أحمد، 2001، 2002م
- 4- "الخطاب الديني وإستراتيجية التواصل، دراسة في فن الإلقاء، بلحضري بلوفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، إشراف بن شهيدة أحمد، 2005، 2006.
- 5- "الدلالة اللغوية وأثرها في تأويل النص القرآني لدى الأشاعرة"، عرابي أحمد، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، إشراف: أحمد عزوز، 2003، 2004.
- 6- "شعرية الإنزياح – دراسة في جماليات العدول، حمر العين خيرة، بحث لنيل درجة الدكتوراه في النقد العربي المعاصر، جامعة وهران، إشراف عبد الله بن حلي، 1998، 1999م.
- 7- "نظرية الحقول الدلالية، دراسة في التأسيس والتطبيق"، أحمد عزوز، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة، جامعة وهران، معهد اللغة العربية وآدابها، إشراف، عبد الكريم بكري 2000م.
- 8- "وظائف المجاز بين المعيار والاستعمال، في ضوء نظرية التواصل، شيخ أعر الهوارية ماجستير، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، إشراف أحمد عزوز، 2007-200م

5- مواقع

مقال : نحو خطاب ديني معاصر، القسم الثاني، تجديد الخطاب الديني لماذا؟، عزيز عبد

الواحد، بتاريخ 2001/02/02

موقع : <http://www.a/root.se/article.asp>

فهرس

مقدمة.....أ

مدخل.....01

I - واقع الخطاب الديني في ضوء الرهانات المعاصرة.....02

II - الخطاب الديني في وسائل الإعلام (المرئي والمسموع).....13

III - آليات تجديد الخطاب الديني في الواقع المعاصر.....26

❖ الفصل الأول : في التواصل الخطابي (مفهومه ، بواده، عناصره)

❖ المبحث الأول

I - تأصيل مفهوم الخطاب والخطابة.....37

1- في الثقافة العربية أ- لغة.....37

ب اصطلاحاً.....40

2- في الثقافة الغربية.....43

II - مراحل تأسيس الخطاب الديني.....46

1- بواذر نشأة فن الخطابة.....46

2- أوليات الخطاب العربي الجاهلي.....49

3- ميلاد الخطاب الديني (نزول القرآن).....53

4- مراحل نضج الخطاب الديني : أ- مرحلة صدر الإسلام.....56

ب- مرحلة ما بعد صدر الإسلام.....63

❖ المبحث الثاني

I - مفهوم التواصل الخطابي.....68

1- أنواعه.....73

2- الوظائف الخطابية في نظرية ياكسون.....75

II - عناصر التواصل الخطابي.....80

III - نموذج الاتصال الإسلامي (الخطاب الديني).....88

❖ الفصل الثاني: في أساليب اخطب الدينية ومضامينها

❖ المبحث الأول

93.....	I- مراحل الخطبة.....
94.....	1- تحليل الجمهور.....
101.....	2- تحليل المحيط.....
101.....	1-2 الزمان والمكان.....
105.....	2-2 تحديد الهدف.....
111.....	3- اختيار الموضوع.....
116.....	II- مراحل الخطبة.....
117.....	1- مقدمة.....
121.....	2- الموضوع.....
122.....	3- الخاتمة.....

❖ المبحث الثاني

127.....	I- طبيعة الخطبة الدينية ودرجة تأثيرها.....
127.....	1- الإبداع والتقليد.....
129.....	2- التكرار والتجديد.....
131.....	3- الخطبة الارتجالية.....
134.....	4- الخطبة المعدة مسبقا.....
136.....	1-4 المكتوبة.....
138.....	2-4 المحفوظة.....

❖ المبحث الثالث

141.....	I- طرق جلب الانتباه.....
143.....	1- الاستدلالات.....
144.....	1-1 القرآن الكريم.....
145.....	1-2 الحديث الشريف.....
146.....	2- القصص.....
148.....	3- المثل.....
150.....	4- الأقوال المأثورة.....
151.....	5- الطرائف.....
152.....	6- الأشعار.....
153.....	7- المعلومات الرقمية.....

❖ الفصل الثالث: مقومات الإقناع في الخطاب الديني

❖ المبحث الأول

- I- مفهوم الإقناع 1- لغة..... 157
- 2- اصطلاحاً..... 158
- II- فعالية إستراتيجية الإقناع..... 161
- III- أهمية الخطيب وأثره الإقناعي..... 164
- IV - مقومات الإقناع..... 166
- 1 - المقومات العقلية..... 166
- 2- المقومات الأخلاقية..... 172
- 3- المقومات الشكلية..... 176
- 4- المقومات الأسلوبية..... 182

❖ المبحث الثاني

- I- مفهوم الإلقاء 1- لغة..... 196
- 2- اصطلاحاً..... 197
- II- نشأة فن الإلقاء..... 200
- III - صفات الخطيب الإلقائية..... 203
- IV - العيوب النطقية وأثرها على العملية الإلقائية..... 212
- IIV - قواعد ومهارات فن الإلقاء..... 216
- 1- الإعراب..... 216
- 2- تقطيع الكلام..... 218
- 3- علامات الترقيم..... 223
- 4- التركيز أو التشديد..... 224
- 5- الإيقاع..... 228
- 6- التنغيم..... 229
- 7- النبر..... 231

❖ الفصل الرابع: التعبير اللساني ومقصدية الخطاب الديني

❖ المبحث الأول

- الاتصال الخطابي اتصال لفظي..... 235
- II - الاتصال غير اللفظي ودرجة تأثيره..... 241
- III - الاتصال غير اللفظي مكمل للاتصال اللفظي..... 251

❖ المبحث الثاني

- I- الأثر السياقي في تحديد مقصدية الخطاب الديني.....258
- 1- مفهوم السياق.....258
- 2- أهميته: 1-2- القدمات.....260
- 2-2- المحدثون.....263
- 3- أنواعه.....264
- 4- نظرية سياق الحال ومكوناتها في الخطاب الديني.....265
- II- اللغة الخطابية والإطار الدلالي.....268
- 1- اللفظ والمعنى.....268
- 2- أهمية المعنى ودلالات الرموز الخطابية.....278
- 3- أنواع الدلالات في الخطاب الديني.....280
- II- الإستراتيجيات البلاغية والبيانية وأثرها الإقناعي.....285
- 1- الإستراتيجية التضامنية.....285
- 3- الإستراتيجية التوجيهية.....286
- 4- الإستراتيجية التلميحية.....293
- المبحث الثالث

- I- الإستراتيجية التلميحية وأثرها الإقناعي.....296
- 1- التحليل الدلالي للمجاز.....298
- 1-1- اللفظ والمعنى في التراكيب المجازية.....299
- 1-2- إسقاط علاقات الارتباط المنطقي بين المعاني في لغة المجاز.....310
- II- المخاطب والمخاطب في الإستراتيجية التلميحية.....312
- 1- المتكلم بين الاختيار والإجبار.....312
- 2- مقصدية المخاطب بين الفهم والغموض.....316
- 3- الفصاحة والمجاز.....320
- III- أثر المجاز في الإقناع الخطابي.....321

❖ الفصل الخامس : الآليات الإقناعية التداولية في خطب المساجد (خطبة الجمعة) "دراسة حالة".

- 1- مستوى المقومات الإقناعية.....332
- 2- المستوى الإقناعي.....341
- 3- المستوى اللغوي والأسلوبي والدلالي.....353
- 4- المستوى السياقي.....365

3715- مستوى الاستجابة

378..... **خاتمة** -

380..... **ملحق** -

381..... - الخطب المدروسة

411..... - المصادر والمراجع

431..... **فهرس الموضوعات** -

ملخص

تبرز فعالية الخطاب الديني اليوم في الأثر الذي يطبع صيرورة الأفراد والأنظمة والجماعات، فهو عامل مهم ومثير في تشكيل أي مجتمع من حيث صنع أفكاره وبلورتها وإبرازها على مختلف الأصعدة، وإن وجد قصور في الخطاب الديني، فإن هذا لا يعني قصورا في الدين، وإنما هو إخفاق في إستراتيجية بث ذلك الخطاب التواصلية وفق قواعد وأسس تسمح له بالوصول إلى تحقيق هدف معين. فإن كان الخطاب الديني الذي نبتغيه هو الذي يخرج الخطيب من دائرة الإبداع الأدبي والسلوك اللافت للانتباه إلى دائرة التأثير النفسي والسيطرة على شعور وفكر وسلوك المتلقين من الجماهير والظفر بتأييدهم، لهذا ارتأيت أن يكون بحثي يتمحور حول دائرة تحديد الآليات والتقنيات المتبعة في تحقيق الإقناع والتأثير.

الكلمات المفتاحية:

الخطاب الديني؛ الإستراتيجية؛ التواصل؛ التدوالية؛ الإقناع؛ الإلقاء؛ الخطابة؛ الاتصال اللفظي؛ السياق؛ مقصدية الخطاب.

نوقشت يوم 24 ماي 2016